أجرت اللجنة الرسالة بصورتها الحالية

المشرف

عبدالعزيز الحميدي

اليف الدين ترابي

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا الشرعية

فرع الكتاب والسنة

الأستاذ أبو الأعلى المودودي

و

منهجه في تفسير القرآن الكريم

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

(١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ)

إعداد

الطالب/ اليف الدين ترابي بن عالم الدين القرتيلي

إشراف

الدكتور/ أحمد أحمد غلوش

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أقدم هذه الدراسة عن منهج الأستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم

إلى

العاملين في مجال الدعوة الإسلامية في كل مكان .

إلى

حملة راية الحركة الإسلامية في أنحاء العالم

إلى

الشباب الإسلامي الواعي المجاهد لإعلاء كلمة الله .

إليهم

جميعاً أقدم هذه الرسالة وأسأل الله أن يجعلها خطوة في السير
في سبيل الدعوة الإسلامية . وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني لإتمام هذه الرسالة وأعانني على إخراجها والصلوة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، أما بعد،

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، "من لا يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل". أو كما قال عليه السلام ـــــــــــــــ

فلهذا أرى من واجبي أن أشكر كل من له أية مساهمة أو مساعدة أو توجيه في إخراج هذه الرسالة في صورتها الحالية وأسأل الله عز وجل أن يجزيهم الله أحسن الجزا وأقدم خالص شكري وتقديري لفضيلة الدكتور أحمد أحمد غلوش المشرف على هذه الرسالة لتوجيهات القيمة وعنايته الخاصة التي تمكنت به من إكمال هذه الرسالة ولا يفوتني أن أقدم شكري للقائمين على كلية الشريعة والدراسات الاسلامية وأخص بالذكر سعادة الدكتور علي الحكمي عميد كلية الشريعة وسعادة الدكتور عليان الحازمي عميد كلية الشريعة السابق وسعادة الدكتور/ ـــــــ محمد سعد الرشيد عميد كلية الشريعة الأسبق لما قدموه من المساعدات الكريمة لإكمال هذه الرسالة.

وأسأل الله عز وجل أن يوفقهم الله لما يحبه ويرضيه.

والله ولي التوفيق

المقدمة

المقدمـــة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله .. أما بعد :

فقد من الله سبحانه وتعالى على الخلق اذ بعث فيهم خاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكتابه العظيم " القرآن الكريم " ليخرج البشرية من الظلمات الى النور ، ومن الضلالة الى الهداية ، ومن الجاهلية الى الاسلام ومن عبادة الاوثان الى عبادة الله ، ومن عبودية الناس الى عبودية خالق الناس ، ومن جور الاديان الى عدل الايمان ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة ، ومن حاكمية الطاغوت الى حاكمية الله سبحانه وتعالى .

وقد بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بأكمل دين وأقوم شريعة وأنزل عليه صلى الله عليه وسلم كتابه العزيز ليكون تشريعا خالدا للبشرية على مر العصور والايام ، وكان هذا الكتاب العظيم دستورا وتشريعا للدولة الاسلامية الاولى التى أقامها النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة والتى تولى رئاستها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم خلفاؤه الراشدون ولا يعرف التاريخ دورا أكمل وأجمل وأزهر من ذلك الدور الذهبى ، فيقول الشهيد سيد قطب فى مقدمة تفسيره (فى ظلال القرآن) عن هذا الانقلاب العظيم فى التاريخ البشرى :" تسلم الاسلام القيادة بهذا القرآن وبالتصور الجديد الذى جاء به القرآن ، وبالشريعة المستمدة من هذا التصور فكان ذلك مولدا جديدا للانسان أعظم فى حقيقته من المولد الذى كانت به نشأته ، لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورا جديدا عن الوجود والحياة والقيم والنظم ، كما حقق لها واقعا اجتماعيا فريدا كان يعز على خيالها تصوره مجرد تصور ، قبل أن ينشئه لها القرآن انشاء ، نعم لقد كان هذا

هذا الواقع من النظافة والجمال والعظمة والارتفاع ، والبساطة واليسر والواقعية والايجابية والتوازن والتناسق بحيث لا يخطر للبشرية على بال ، لولا أن الله أراد لها وحققه فى حياتها .. فى ظلال القرآن ومنهج القرآن وشريعة القرآن" (١)

وظل المسلمون يقودون الركب البشرى الى الخير والسعادة والرقى والازدهار ، سياسيا وحضاريا ، لعدة قرون الى أن بدأ انحطاطهم السياسى والحضارى وذلك لفصلهم الدين عن الدولة وعدم عنايتهم بالجهاد والاجتهاد، وهذا ما أدى الى تخلفهم سياسيا وحضاريا وعزلهم عن منصب القيادة البشرية وكان ذلك فى الوقت الذى بدأت فيه النهضة العلمية والتكنولوجية فى العالم الغربى ، وازدهرت الحضارة المادية الجاهلية الحديثة بعد انتصار الحركة العلمية المادية على الكنيسة ، كما كان ذلك فى الوقت الذى بدأ فيه الاستعمار الغربى الغاشم غزوه السياسى والحضارى للعالم الاسلامى ، فوقع العالم الاسلامى تحت سيطرة الاستعمار السياسية والحضارية ، فخطط الاستعمار مخططات ومؤامرات للقضاء على صلة المجتمعات الاسلامية بدينهم وحضارتهم وثقافتهم وتاريخهم وتراثهم وقيمهم الاخلاقية وشريعتهم الربانية السامية مستبدلا بها الفلسفات المادية الجاهلية والحضارة اللادينية الحديثة والقيم الاخلاقية المادية والثقافة الافرنجية اللادينية والقوانين الوضعية الجاهلية ، وكان تجاوب الأمة الاسلامية لهذا الغزو الاستعمارى بصورتين مختلفتين : أولاهما : التجاوب الانفعالى ، وثانيتهما : التجاوب الجمودى ، فأما التجاوب الانفعالى فقد أدى الى الاستسلام والخضوع الكامل لكل ماجاء من الغرب صحيحا كان أو غير صحيح ، غثا كان أم ثمينا ، وأما التجاوب الجمودى فكان يهدف الى المحافظة على ما بقى من التراث الاسلامى من غارة الاستعمار الغاشم ، ولكنه

---

(١) الشهيد سيد قطب - فى ظلال القران جـ ١ ص ١٦ .

أدى الى اعتزال العلماء بل ابتعادهم عن معترك الحياة وبهذا تمكن المثقفون المتغربون من السيطرة على زعامة الشعوب الاسلامية في البلاد الاسلامية المختلفة .

لقد تمت سيطرة الاستعمار السياسية والحضارية على العالم الاسلامي خلال الربع الأول للقرن العشرين الميلادى ، اذ تمكن الاستعمار من القضاء على الخلافة الاسلامية وبث النعرات القومية الجاهلية لتمزيق وحدة العالم الاسلامى واثر ذلك وقع العالم الاسلامى من شرقه الى غربه في العبودية الفكرية للحضارة الاستعمارية الجاهلية .

كانت هذه هى الاوضاع السائدة في العالم الاسلامى حينما شاء الله سبحانه وتعالى أن تقوم الدعوة الاسلامية لاحياء التصور الصحيح للاسلام وانقاذ المسلمين من العبودية الفكرية للحضارة الاستعمارية الجاهلية ، فظهرت الدعوة فى نفس الوقت فى بلدين مختلفين اذ تأسست حركة الاخوان المسلمين فى مصر عام ١٩٢٨ الميلادى وكان فى الوقت ذاته أن قرر الاستاذ المودودى فى شبه القارة الهندية أن يترك مهنة الصحافة ليعد نفسه للعمل فى مجال الدعوة ، فيقول الاستاذ المودودى عن استعداده هذا للدعوة : " أفرغت من عام ١٩٢٩ الى عام ١٩٣٢ الميلادى العديد من خزانات الكتب والمراجع فى ذهنى استعدادا للمهمة الجديدة ، مهمة الدعوة الى الاسلام فى عصر ملىء بالافكار والتيارات ، يفرض على الداعية أن يتزود بزاد علمى شامل وان يحظى بعصا من البرهان يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ويحقق بها .... مآرب الاخرى "(١) . ثم بدأ الاستاذ المودودى بالدعوة فعلا عام ١٩٣٣ الميلادى حيث يقوم باصدار مجلة ترجمان القرآن التى كانت " غايتها الوحيدة اعلاء كلمة الله والدعوة الى

---

(١) الاستاذ خليل الحامدى ـ الامام ابوالاعلى المودودى ـ حياته ودعوته وجهاده ص ١٨ ، ١٩ .

الجهاد في سبيل الله "(١) . وبعد أن استمر الاستاذ المودودي في عمل الدعوة لاكثرمن ثمان سنوات ، نقد الحضارة الجاهلية الحديثة في كل نواحيها وبينا صلاحية الاسلام لمواجهة التحديات المعاصرة ولقيادة البشرية في العصر الحاضر في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، قام بتأسيس الجماعة الاسلامية عام ١٩٤١ الميلادى ، وقرر اقامة الدين في كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية غاية وهدفا لها .

ويقول العلامة الجليل الاستاذ عمر التلمساني المرشد العام الحالي للاخوان المسلمين مقارنا بين الامام حسن البنا الشهيد والامام ابي الاعلى المودودي وبين منهجيهما في الدعوة الاسلامية : " انهما بحق اماما الجيل الظاهران المتفردان ، انهما استمدا كل معلوماتهما ومناهجهما واساليبهما ووسائلهما في الدعوة الى الله من القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام دون أخذ من هذا الفيلسوف أو استمداد من ذلك الكاتب ،
فجاءت مدرستهما بعيدة كل البعد عما قد يعيب الدعوة الاسلامية بأي فهم أو تفكير لا صلة له بالاسلام "(٢). وتعمل الآن الجماعة الاسلامية في ثمان دول وهي : باكستان والهند ، وبنغلاديش ،وولاية جامو وكشمير الحرة ،وولاية جامو وكشمير المحتلة ، ونيبال ، وسيلان ، وبورما ، ومنها اقطار اسلامية كجمهورية باكستان الاسلامية ، وبنغلاديش ، وولاية كشمير الحرة الاسلامية ، ومنها أقطار غير اسلامية كالهند ، ونيبال وسيلان وبورما ، ومنها بلاد اسلامية احتلها الاستعمار الغاشم كولاية جامو وكشمير المحتلة . وفي كل تلك البلاد

---

(١) الاستاذ خليل الحامدي ــ الامام ابوالاعلى المودودي ،حياته ، دعوته ، جهاده ص : ٢٠ .

(٢) مجلة الدعوة المصرية العدد الصادر في اول ذي الحجة عام ١٣٩٩ هـ ، ص : ٤ .

تعمل الجماعة الاسلامية لتحقيق ماتهدف اليه ، الا أن اسلوبها للعمل يختلف من بلد الى بلد حسب الاوضاع والظروف التي تسودها .

وهكذا قد اتضح أخيرا وبعد أن دخلت القوات السوفيتية بلدا اسلاميا عريقا أفغانستان ، أن الدعوة الاسلامية التي قامت في ربوع شبه القارة الهندية تغلغلت ايضا فيها عن طريق تأليفات الاستاذ المودودي رحمه الله ، فقد ذكر لي الاستاذ عبد رب الرسول سياف(١) ، أمير الجهاد الاسلامي بافغانستان خلال احدى مقابلاته الخاصة معي أن تأليفات الاستاذ المودودي والشهيد سيد قطب رحمهما الله لهما دور أساسي في انشاء الحركة الاسلامية في أفغانستان وكذلك حكى لي المهندس كلبدين حكمتيار(٢) نائب امير الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان ان الحركة الاسلامية في افغانستان قد برزت الى حيز الوجود نتيجة لدعوة الاستاذ المودودي رحمه الله .

---

(١) هو الاستاذ عبد رب الرسول سياف ، أمير الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان وهو ليس رجل سيف وسنان فحسب بل هو رجل علم ودعوة ايضا حيث انه تخرج من كلية الشريعة بالازهر الشريف ، وتصادف له أثناء اقامته في القاهرة ان يتعرف على دعوة الاخوان المسلمين ، وبعد عودته من مصر تولى مهمة التدريس في كلية الامام ابي حنيفة التابعة لجامعة كابول ، وتأثر بدعوة الاستاذ المودودي خلال مؤلفاته باللغة العربية واحتكاكه برجال الجماعة الاسلامية وانشغاله بالدعوة ضمن مجموعة من الاساتذة والطلبة الذين أنشأوا حركة اسلامية سرية في المحيط الجامعي .

(٢) هو المهندس كلبدين حكمتيار ، تخرج من كلية الهندسة التابعة لجامعة كابول ، وتعرف على دعوة الاستاذ المودودي وانضم الى الحركة الاسلامية خلال دراسته الجامعية ، وهو كان رئيسا للحزب الاسلامي قبل انشاء الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان .

وعلاوة على هذا فهناك الكثير من المنظمات والجمعيات التي تعمل لنشر الدعوة الاسلامية في البلاد الاوربية والامريكية والافريقية والاسيوية المختلفة والاستاذ المودودي هو من أبرز الدعاة والمفكرين الذين توجه تآليفهم هذه المنظمات والجمعيات ، فكريا وعمليا ، وعلى هذا نرى أن العديد من تأليفات الاستاذ قد ترجمت في أكثر من خمسة وثلاثين لغة من اللغات العالمية الحية ، وتنشر وتوزع هذه الكتب في العالم من شرقه الى غربه ، ومن هذا يمكن لنا أن نعرف مدى أثر دعوة الاستاذ المودودي في الجيل الاسلامي الجديد ، ويقول الكاتب الاسلامي الكبير الشيخ ابوالحسن علي الندوي في كلمته في رثاء الاستاذ المودوي : " اني لا أعرف رجلا أثر في الجيل الاسلامي الجديد فكريا وعلميا مثل تأثير الراحل العظيم ، وقد كان السيد جمال الدين الافغاني من أقوى الشخصيات الاسلامية التي نبغت في القرن الماضي واكبرها نفوذا في عقول الشباب المثقف ، ولكن الحق يقال ان سيطرته العقلية والنفسية كانت محدودة في السخط على الاوضاع السياسية القائمة والاستعمار الاجنبي .... وأما الاستاذ المودودي فقد قامت دعوته على أسس علمية أعمق وأمتن من الاسس التي قامت عليها دعوات سياسية أخرى " . (١)

ومن مآثره الخالدة ، انه حارب" مركب النقص" في نفوس الشباب الاسلامي فيما يتصل بالعقائد والاخلاق ونظام الحياة الاسلامية ، وكان لكتاباته فضل كبير لاعادة الثقة الى نفوس هؤلاء الشباب بصلاحية الاسلام لمسايرة العصر الحديث" (١)

---

(١) مجلة البعث الاسلامي في المحرم سنة ١٤٠٠ هـ ، كلمة الاستاذ الندوي في رثاء الاستاذ المودودي نقلا عن الاستاذ احمد محمد جمال ــ حوار بين الدعاة الاعلام المودودي والندوي وسيد قطب ص ٦١ــ٦٢ .

وجدير بالذكر أن أثر دعوة الاستاذ لم يقتصر على طبقة دون طبقة ، بل تتسع دائرته الى كل طبقة من طبقات المجتمع ، فالمتأثرون من دعوته يشملون الرجال والنساء ، العلماء والمثقفين ، ورجال الصحافة والسياسة والطلاب والاساتذة ، والعمال ، والفلاحين وما الى ذلك ، وهكذا لم يقتصر اثر دعوته على دائرة بعينها للحياة الانسانية بل اتسع نطاقها الى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

وجدير بالذكر أن لحمة دعوة الاستاذ المودودى وسداها هي القرآن الكريم وهذا مايشير اليه الاستاذ حيث يقول : لما قرأت القران بعيني المفتوحة شعرت بان كل شيء قرأته حتى الآن كان تافها غير ذى بال " وقلم وجدت الآن أصل الاصول فى باب العلم واصبح يتراءى لى كل من كانت(١) وهيجل (٢) ونطشه (٣) وماركس(٤) وسائر المفكرين الذين يسير بذكرهم الركبان فى العصر الحديث أقزاما يستحقون العطف لان المسائل والتعقيدات التى افنوا حياتهم فى حلها وألفوا فيها كتب طائلة لم يحالفهم التوفيق مع أن القرآن الكريم أوجد لها حلا فى آية أو آيتين ، فليس لى من كتاب اعتبره منقذا لى فى الحياة الا القرآن والقرآن فقط الذى غير مجرى حياتي ، حولنى من حيوان الى انسان ، أخرجنى من الظلمات الى النور ، جعل فى يدى مصباحا الى أى شيء أنظر فى ضوئه

---

(١) هو عمانويل كانت الفيلسوف الالمانى الكبير (١٧٢٤ــ١٨٠٤) .

(٢) انظر للترجمة ص ٢٤ من هذه الرسالة .

(٣) هو فردريخ فلهلم نيتشة (١٨٤٤-١٩٥٥) فيلسوف المانى كبير، تقوم فلسفته على رفض القيم الخلقية المطلقة وجعل مثله الاعلى الرجل المتفوق (السبرمان) الذى يفرض ارادته على الذين لا يستطيعون ان يكونوا الاعبيدا (الموسوعة العربية ص ٧٨٩)

(٤) انظر للترجمة ص ٢٥ من هذه الرسالة .

يكشف لى حقيقة أمره واضحة جلية لا خفاء عليها ، ويوصف ذلك المصباح باللغة الانجليزية بالمفتاح الرئيسى (Master Key) الذى ينفتح به كل قفل ، فالقرآن أصبح لى المفتاح الرئيسى ، لا أستعمله فى قفل من اقفال المعضلات البشرية الا وينفتح بسرعة (١) .

ويقول الاستاذ المودودى متكلما عن منطلق دعوته :

" حينما بدأت تأليف كتاب "الجهاد فى الاسلام" بدأت دراسة القرآن الكريم والاحاديث الشريفة والسيرة النبوية فى ذلك بامعان النظر والدقة . فكان خلال هذه الدراسة ان اتضح لى أن القرآن الكريم هو كتاب بدأت الحركة الاسلامية ببداية نزوله ، فكيف لنا اذن أن نكتفى بدراسته ، فلابد لنا أن نبدأ بالحركة التى قد بدأت بنزول هذا الكتاب العظيم .... واننى لم أزل أفكر فى هذا الموضوع حتى وفقنى الله بأن اقوم بتأسيس الحركة الاسلامية فى أغسطس عام ١٩٤١ الميلادى وأن أبدأ تأليف تفسير القرآن الكريم بعد ستة شهور فى فبراير عام ١٩٤٢ الميلادى فلله الحمد "(٢) .

وهكذا يقول الاستاذ مبينا العلاقة بين دعوته وبين القرآن الكريم :

" حينما وفقنى الله أن أقوم بتأسيس الحركة الاسلامية ، اتضح لى أنه مهما أبذل جهودى فى مجال الدعوة بلسانى وقلمى لا يمكن لى أن أتمكن من تحقيق هذا الهدف السامى الا اذا جعلت القرآن وسيلة له ، وذلك لان هذا الكتاب العظيم قد أنزله الله لتحقيق هذا الهدف ذاته ، فلا يمكن للناس أن يفهموا الدعوة الاسلامية الا اذا تمكنوا من فهم القرآن الكريم ، فكان لابد أن اقوم بتفسير القرآن وتفهيمه ليتمكن الناس من فهم الدعوة الاسلامية فهما صحيحا "(٣) .

---

(١) نقلا عن الاستاذ خليل الحامدى ـ تفهيم القرآن وخصائصه ص ٥-٦ .

(٢) ابوطارق - مولانا مودودى كى انشرويوص : ٤٩٧ .

(٣) مجلة اثين الاسبوعية ـ عدد خاص فى ذكرى اكمال (تفهيم القران) (كلمة الاستاذ المودودى فى حفل خاص انعقد بمناسبة اكمال تفهيم القران فى يوليو عام ١٩٧٢م) ص ١١٥ .

فيتضح مما سبق ان دعوة الاستاذ المودودى كان منطلقها القرآن الكريم وكان هو المحور الذى تدور حوله هذه الدعوة ، وهذا هو الكتاب الذى غير مجرى حياته وهذا هو المصباح الذى اكتشف له به الحق ، وهذا هو المفتاح الرئيسى الذى تمكن به الاستاذ ان يفتح اقفال المعضلات والتعقيدات العصرية وكان بهذا الكتاب أن تمكن الاستاذ من مواجهة التحديات المعاصرة كما كان بهذا الكتاب أن تمكن الاستاذ من القضاء على الحركات الهدامة المختلفة وهذا هو الكتاب العزيز الذى استطاع به الاستاذ ان يقضى على العبودية الفكرية للحضارة الغربية ويتمكن من اعادة ثقة الجيل الجديد فى صلاحية الاسلام لقيادة الركب البشرى فى العصر الحاضر.

وهكذا نتبين مما أسلفنا العلاقة الموجودة بين دعوة الاستاذ المودودى وبين تفسيره ، فقام الاستاذ المودودى بانشاء الحركة الاسلامية لان هذا كان من متطلبات القران الكريم الاساسية وقام بتاليف تفسيره للقرآن الكريم لان هذا كان من مقتضيات الحركة الاسلامية ، فقرر الاستاذ المودودى أن يقوم بالعمل فى مجال الدعوة حينما اكتشف له خلال دراسته للقرآن الكريم ان القرآن هو كتاب انزله الله لقيادة الحركة الاسلامية ولا يمكن العمل بمقتضياته الا بانشاء هذه الحركة ، فقرر أن يؤلف تفسيره للقرآن الكريم حينما بدأ له خلال عمله فى مجال الدعوة أنه لا يمكن أن يتمكن من تحقيق هذا الهدف الا اذا جعل القرآن الكريم وسيلة له .

فكان لهذه العلاقة بين دعوة الاستاذ المودودى وبين تفسيره للقرآن الكريم بأنه تمكن من ابراز الجوانب التفسيرية التى قد شوهت من أجل سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية فكريا وعمليا ، ومنها أن الاسلام دين ودولة ولا يمكن العمل به الا باقامة حكم اسلامى ومنها ان الاسلام دين كامل يشمل كل ناحية من

نواحي الحياة الفردية منها والاجتماعية ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى اعتنى الاستاذ خلال تفسيره للقرآن بمواجهة التحديات التى جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة وثقافتها اللادينية وفلسفاتها المادية ، كما اعتنى بالرد على اباطيل المستشرقين والمبشرين والمتفرنجين بالاضافة الى اعتنائه بالقضاء على ماجاءت به الحركات الهدامة المعادية للاسلام من تاويلات باطلة وافكار زائفة وكل ذلك مع اهتمامه الخاص بالجمع بين الرواية والدراية ، وهذا مايمتاز به منهجه فى تفسير القرآن الكريم .

ان الاسباب التى دفعتنى أن أختار دراسة منهج الاستاذ المودودى فى التفسير موضوعا لرسالتى للماجستير هى كالاتى :

١ــ لم يؤلف الاستاذ المودودى تفسيره للقرآن الكريم جالسا فى زاوية من الزوايا بل ألفه وهو يقود الحركة الاسلامية التى قد أنزل الله سبحانه هذا الكتاب العظيم على نبيه صلى الله عليه وسلم لقيادتها وبهذا كان من الطبيعى أن يتمكن الاستاذ من الوصول الى الروح القرآنى الذى لا يمكن الوصول اليه الا بالخوض فى المعركة بين الاسلام والجاهلية ،وهذا مايلمسه القارىء خلال دراسته لهذا التفسير .

٢ــ وكان لكون الاستاذ المودودى داعية ومفسرا معا أن اهتم خلال تفسيره للقرآن بالقضاء على أسطورة فصل الدين عن الدولة التى جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة تحت رعاية الاستعمار الغاشم وان يبين صراحة ان الاسلام دين ودولة وهو دين كامل يشمل جميع نواحى الحياة ولا يعرف التجزئة وان العمل بالاسلام لا يمكن الا باقامة حكم اسلامى .

وكان لاطلاعه الواسع على النظريات اللادينية والفلسفات المادية الجاهلية مع امعان نظره فى القرآن والحديث والعلوم الدينية المختلفة انه استطاع مواجهة التحديات المعاصرة وتفنيدها كالشيوعية والرأسمالية والعلمانية ونظرية التطور والنشوء لداروين والتفسير المادى للتاريخ لماركس وما الى ذلك من الفلسفات والنظريات الجاهلية الحديثة ، كما اعتنى بالرد على التأويلات الباطلة التى جاء بها المستشرقون والمبشرون وتلامذتهم والقائمون بالحركات الهدامة المعادية للاسلام تحت رعاية الاستعمار الغاشم كالقاديانية وانكار حجية السنة النبوية .

ثم هناك عدة مزايا وخصائص يمتاز بها تفسير الاستاذ المودودى للقرآن والامر الذى يزيد تفسيره أهمية ومكانة هو كما اشرت اليه آنفا اهتمامه بالجمع بين الرواية والدراية ، وهذا ما يكسب هذا التفسير اهمية خاصة للجيل الاسلامى المعاصر وللعاملين فى مجال الدعوة .

واننى لا أبالغ حين أقول ان هذا التفسير تمكن بفضله مئات الالوف من المسلمين المثقفين من تخليص اذهانهم من العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة ، كما ان له دور هام فى اعادة ثقتهم فى صلاحية الاسلام فى قيادة الركب البشرى فى هذا العصر ، وانا واحد من هؤلاء الملايين ، ولولا تعرفى على تفسير الاستاذ المودودى وتأليفاته القيمة لاصبحت لقمة سائغة لاى مضلل من أئمة الضلالة ، فلكل هذا رأيت أن أقوم بالتعريف بهذا التفسير العظيم لاخواننا الناطقين باللغة العربية عامة وللعاملين فى مجال الدعوة الاسلامية خاصة ، .

وجدير بالملاحظة ان هذا الموضوع لم يسبقنى احد باعداد الدراسة الشاملة فيه لا فى اللغة الاردية ولا فى اللغة العربية أو اية لغة اخرى ،

وأما الكتاب الذين كتبوا عن شخص الاستاذ المودودى ودعوته فى اللغة الاردية واللغة العربية واللغة الانجليزية أو اللغات الاخرى لم يعتنوا ببيان منهج تفسير الاستاذ المودودى ومزاياه بل عرضوا له بالايجاز الشديد .

وقد بدأ الاستاذ المودودى بتأليف تفسيره (تفهيم القرآن) فى فبراير ١٩٤٢ الميلادى اى بعد حوالى ستة شهور من تأسيس الجماعة الاسلامية ، وكمله فى ستة مجلدات عام ١٩٧٢ الميلادى ، وهكذا صرف من عمره حوالى ثلاثين عاما فى اكماله ، وهذه المدة تعتبر مدة غير عادية لتأليف تفسير للقرآن الكريم ، ولكنه لم يقتصر على تأليف هذا التفسير فحسب ، بل قام بتاليف عدد غير قليل من الكتب القيمة حول الدعوة ومقتضياتها مع قيادة الحركة الاسلامية فكريا وعمليا . "فبينما نراه مفسرا للقرآن الكريم نراه فى الوقت نفسه قائدا لركب الدعوة مربيا للجيل الجديد مقاوما للفتن التى تحارب مسيرة الاسلام وزعيما للمعارضة فى وجه النظام الدكتاتورى ، وهكذا احيانا هو فى مكتبه يتقلب بين الكتب والمصادر وحينا آخر هو فى الجولات يخاطب الجماهير ويتناول مشكلاتهم وحينا ثالثا فى قاعات الجامعات يناقش رجال الحكم والعلم والقانون لاقناعهم على كون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان . وحينا رابعا يزج به فى السجون والمعتقلات لا لشىء الا لكونه يرفض جميع الحاكميات الا الحاكمية لله وحده" (١) .

جملة القول هذه هى كانت الظروف التى ألف الاستاذ تفسيره فيها ، وهذه كانت الاوضاع التى جعلت الاستاذ المودودى أن يأخذ هذه المدة الطويلة لاكمال تفسيره .

وقد ترجم تفسير الاستاذ المودودى فى اللغة الانجليزية واللغة

---

(١) الاستاذ خليل المودودى - تفهيم القران وخصائصه ص : ١١ .

الهندية واللغة البنغالية ، واللغة السندية ، واللغة البشتوية ، واللغة السواحلية وعدة من اللغات الاخرى ، الا أن ترجمته باللغة العربية لم تصدر حتى الآن .

وأما العنوان الذى اخترته لرسالتي هذه هو " الاستاذ المودودى ومنهجه فى التفسير " وتشمل الرسالة بابين والخاتمة .

اما الباب الاول فيتعلق بعصر الأستاذ المودودى وترجمته والتعريف بدعوته ومؤثرات دعوته الفكرية والعلمية ويشمل عدة فصول هى كالاتى :

الفصل الاول : يتعلق بالعصر الذى عاش فيه المودودى ويشمل خمسة مباحث :

المبحث الاول : يشمل التمهيد للفصل وتحدثت فيه عن الاوضاع السائدة فى العالم فى بداية القرن العشرين الميلادى وتكلمت بايجاز عن نشأة الحضارة الغربية الحديثة الجاهلية وعن طوبها اللادينية وفلسفاتها المادية بما ذكرت

والمبحث الثاني : ذكرت فيه أوضاع العالم الاسلامي في ذلك العصر كيفية سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية على العالم الاسلامي تحت رعاية الاستعمار الغاشم .

والمبحث الثالث : تكلمت فيه عن الاوضاع السياسية فى شبه القارة الهندية فى ذلك العصر وذكرت حالة مسلمى الهند السياسية بعد سقوط دولتهم على ايدى الاستعمار الانجليزى كما تكلمت عن سياسة الاحزاب السياسية المختلفة تجاه الاسلام والمسلمين مع بيان موقف الاسلام منها ، ثم تحدثت عن الاوضاع السياسية فى جمهورية باكستان الاسلامية بعد انشاء هذه الدولة المسلمة فى عام ١٩٤٧ مع الاشارة الى الصراع بين الحركة الاسلامية وبين العلمانيين والمتفرنجين والشيوعيين لاقامة النظام الاسلامى فيها .

والمبحث الرابع : تحدثت فيه بايجاز عن الحالة الدينية لمسلمى الهند في ذلك العصر وتكلمت فيه كذلك عن المراحل المختلفة التى مرت بها الدعوة الاسلامية في شبه القارة الهندية خلال ادوارها التاريخية المختلفة ثم ذكرت وضع مسلمى الهند الدينى حينما سيطرت عليهم الحضارة الغربية الجاهلية تحت رعاية الاستعمار الغاشم وتكلمت عن مؤثرات هذه الحضارة اللادينية فى حياة مسلمى الهند الدينية ، وفى هذا الصدد تحدثت بصفة خاصة عن موقف السيد أحمد خان الانهزامى تجاه الحضارة الغربية مع بيان مؤثرات هذا الموقف الخاطىء ، كما تكلمت بايجاز عن الحركات الهدامة كالقاديانية وحركة انكار حجية السنة النبوية والتنصير والشيوعية والماسونية وما الى ذلك من الحركات المعادية للاسلام ، ثم تحدثت موجزا عن الحالة الدينية فى دولة باكستان المسلمة مع الاشارة الى الصراع بين الاسلام والجاهلية فيها .

والمبحث الخامس : تحدثت فيه عن حالة مسلمى الهند الاجتماعية فى ذلك العصر ، وذكرت بعض المفاسد التى ظهرت فى المجتمع الاسلامى الهندى بعد سيطرة الحضارة الغربية الجاهلية ، ومنها بداية الخلاعة والسفور ومنها تخطيط الشيوعيين للنفوذ فى دوائر الحياة الاجتماعية المختلفة ولاسيما فى مجال العمل والادب والصحافة ومنها سيطرة المرابين الهنادك على اقتصاد مسلمى الهند وما الى ذلك ، كما تحدثت فيه عن اوضاع المسلمين الاجتماعية بعد انشاء دولة باكستان الاسلامية مع الاشارة الى المخططات والمؤامرات التى جاءت بها الحركات المعادية للاسلام للقضاء على القيم الاخلاقية والاجتماعية الاسلامية فيها كما ذكرت عن الصراع بين الحركة الاسلامية والعلمانيين والمتفرنجين والشيوعيين فى دوائر الحياة الاجتماعية المختلفة .

والمبحث السادس : تكلمت فيه عن مؤثرات الصراع بين الاسلام والجاهلية الحديثة فى حياة الامة الاسلامية الفردية والاجتماعية ولاسيما فى شبه القارة الباكهندية وذلك من بداية غزو الاستعمار الحضارى حتى وفاة الاستاذ المودودى فى عام ١٩٧٩ الميلادى .

والفصل الثانى : يتعلق بترجمة الاستاذ المودودى وجهاده فى مجال الدعوة الاسلامية وتكلمت فيه عن ولادته وأسرته ونشأته وثقافته وتربيته ، ثم تحدثت عن دخوله فى مجال الصحافة وعمله فيه ثم ذكرت عن ظهور التفسير فى مجرى حياته بعد تأليف كتابه " الجهاد فى الاسلام " الشهير وتركه مجال الصحافة ليستعد نفسه للعمل فى مجال الدعوة ثم تحدثت عن بدايته بالدعوة فعلا باصدار مجلة ترجمان القرآن الشهرية عام ١٩٣٢ م بالاشارة الى بعض المزايا لاسلوبه فى تلك الايام وفى هذا الصدد ذكرت عن هجرته الى قرية " دار الاسلام " فى اقليم بنجاب ملبيا دعوة الدكتور محمد اقبال (١) ليجعلها مستقرا لدعوته كما بينت موقفه عن سياسة حزب المؤتمر الهندى وحزب رابطة المسلمين تجاه الاسلام والمسلمين فى شبه القارة ثم تحدثت عن تاسيس الجماعة الاسلامية والاهتمام بالتكوين والتربية للجماعة ، ثم ذكرت عن جهاده الطويل لاقامة حكومة اسلامية فى باكستان ، وفى هذا الصدد تحدثت عن مالقى الاستاذ من المصاعب والشدائد فى مجال الدعوة ابتداء من السخرية والاستهزاء والاتهام والاكاذيب الى السجون وصدور الحكم باعدامه . كما ذكرت بايجاز عن دوره فى مواجهة التحديات المعاصرة على مستوى العالم الاسلامى .

والفصل الثالث : تحدثت فيه عن أصول دعوة الاستاذ المودودى وخصائصها ومنهجها ومراحلها وذلك لان الدعوة الاسلامية هى المحور الذى يدور حوله كل ماعمله

---

(١) انظر للترجمة ص ٧٢ من هذه الرسالة .

الاستاذ المودودى طول حياته وكل ماكتبه فى كتبه او تفسيره ، ومن الضرورى أن ندرس منهجه فى الدعوة لنتمكن من فهم منهجه فى التفسير .

والفصل الرابع : تكلمت فيه عن أهم المؤلفات للاستاذ المودودى ثم جئت بقائمة كتبه المختلفة وذلك حسب التصنيف الموضوعى مع بيان اهم المزايا لكل صنف منها .

والفصل الخامس : تحدثت فيه عن مدى تأثير دعوة الاستاذ المودودى فى العالم الاسلامى ولاسيما فى شبه القارة الهاكهندية وفى هذا الصدد ذكرت بصفة خاصة مؤثرات دعوته الفكرية والعلمية فى دوائر الحياة الفردية والاجتماعية المختلفة .

وأما البـاب الثاني : فيتعلق بمنهج تفسير الاستاذ المودودى ومزاياه فيتكون هذا الباب من ثلاثة فصول :

اما الفصل الاول : فتحدثت فيه عن التفسير وتطوره خلال العصور ويشمل هذا الفصل مبحثين . اما المبحث الاول : فتكلمت فيه عن المراد من التفسير لغة واصطلاحا ثم تحدثت عن ضرورة التفسير ومصادره المختلفة وفى هذا الصدد تكلمت عن تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالحديث وتفسير القران باقوال الصحابة والتفسير باقوال التابعين ثم تكلمت عن اشهر الكتب فى التفسير بالمأثور كما ذكرت عن اشهر التفاسير بالجمع بين الرواية والدراية ثم تحدثت عن التفسير فى العصر الحديث بانواعه المختلفة ، وذكرت عن اشهر التفاسير فى كل نوع .

وأما المبحث الثاني : فذكرت فيه عن بداية التفسير وتطوره فى شبه القارة الهاكهندية ثم ذكرت عن أشهر التفاسير باللغة العربية بانواعها المختلفة ثم تكلمت

عن أشهر التفاسير باللغة الاردية بانواعها المختلفة . وفي هذا الصدد بينست أن التفسير باللغة الاردية اماكان بالجمع بين الرواية والدراية على المنهج القديم واماكان بالراى المنكر للمأثور كتفسير السيد احمد خان ومن سلك مسلكه بانكار حجية السنة والتفسير بتاويل الايات القرآنية تاويلات باطلة للتوفيق بين الاسلام والحضارة الغربية الجاهلية .

وأما الفصل الثاني : فيتعلق بالمقدمات الاساسية لدراسة منهج الاستاذ المودودى في التفسير ويشمل ثلاثة مباحث . واما المبحث الاول فتحدثت فيه عن الاسباب التي دفعت الاستاذ المودودى للقيام بتاليف التفسير . واما المبحث الثاني : فبينت فيه الظروف التي ألف الاستاذ تفسيره فيها . واما المبحث الثالث : فبينت فيه اسلوب الاستاذ المودودى في البحث والتحقيق خلال تفسيره للقرآن الكريم .

وأما الفصل الثالث : فيتعلق بمنهج تفسير الاستاذ المودودى ومزاياه ، ويشمل احد عشر مبحثا .

المبحث الاول : فتحدثت فيه عن اسلوب الاستاذ المودودى لتقديم تفسيره لكل سورة بمقدمة مفصلة قيمة يتحدث الاستاذ فيها عن تسمية السورة وسبب نزولها كما يتكلم فيها عن المرحلة التى كانت فيها الحركة الاسلامية حين نزول السورة ويبين العلاقة بين هذه المرحلة للدعوة وبين التوجيهات الربانية التى تضم محتويات السورة لهذه المرحلة كما ياتى الاستاذ فيها بموجز لمباحث السورة الرئيسية .

أما المبحث الثاني : فتكلمت فيه عن اهتمام الاستاذ المودودى البالغ بالتفسير بالمأثور وذكرت فيه ما قاله الاستاذ مبينا اهمية الالتزام بالتفسير بالمأثور ثم جئت بالنماذج من تفسيره (تفهيم القران) لاهتمامه بتفسير القران بالقرآن وتفسير القرآن بالحديث . وفى هذا الصدد راجعت المصادر الاساسية

للاحاديث الواردة فى التفسير .

وأما المبحث الثالث : فيتعلق باهتمام الاستاذ المودودى بالدعـــوة ومتطلباتها خلال تفسيره للقرآن الكريم وتحدثت فيه عن ماقاله الاستاذ المودودى مبينا اصول الدعوة الاسلامية ومنهجها والصفات اللازمة للعاملين فى مجال الدعوة خلال تفسيره للايات القرآنية المختلفة . وفى هذا الصدد ذكرت بعض ماقالـــه الاستاذ فى هذا الموضوع فـــى تأليفاته القيمة المختلفة . وذلك لأبيـــن أن دعوة الاستاذ المودودى كانت مستنبطة من الكتاب والسنة فى اصولها ومنهجهـــا واسلوبها .

واما المبحث الرابع : فيتعلق باهتمام الاستاذ المودودى ببيان اهميـــة اقامة الحكومة الاسلامية وعنايته بابراز الجوانب المختلفة للدولة الاسلامية خـــلال تفسيره للقرآن الكريم وذكرت فيه بعض النماذج لما قاله الاستاذ المودودى مبينـــا بان الاسلام هو الدين الوحيد الذى يناسب الفطرة الانسانية وهو الدين الوحيد الذى فيه صلاحية قيادة الركب البشرى فى كل زمان ومكان وهو الدين الوحيـــد الكامل الذى يشمل هديه لكل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وكـــل ذلك بالادلة من القرآن والسنة وبالبراهين العقلية القوية ثم ذكرت بعض ماقالـــه الاستاذ فى تفسيره مبينا أهمية اقامة الحكومة الاسلامية مستدلا بالكتاب والسنـــة وسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم تكلمت عن ماقاله الاستاذ المودودى فى بيان المصادر الاساسية للشريعة الاسلامية واهمية الشورى فى الدولة الاسلاميـــة ثم تحدثت عن ماقاله الاستاذ المودودى لابراز بعض المبادىء الاساسية للدولة الاسلامية او ببيان بعض الجوانب الاجتماعية للمجتمـــع الاسلامى .

وأما المبحث الخامس : فتكلمت فيه عن منهج الاستاذ المودودى لدراسة القصص القرانية وبينت فيه ان الاستاذ المودودى كان يرى ان هذه القصـــص لها علاقة خاصة بمراحل الدعوة التى نزلت فيها ، ولم ينزل الله قصص هـــذه

القصص الا فى مرحلة من مراحل الدعوة لتوجيه المسلمين وتذكيرهم وتربيتهم فى هذه المرحلة للدعوة ، ثم ذكرت نماذج من تفهيم القران[1] مستشهدا لهذا الرأى للاستاذ المودودى فى بيان القصص القرآنية . كما انه يفند ما نسب الى الانبياء والرسل من حكايات كاذبة تنال من كرامتهم .

وأما المبحث السادس : فبينت فيه منهج الاستاذ المودودى فى دراسة آيات الاحكام خلال تفسيره للقرآن الكريم وذكرت فى هذا الصدد عددا من النماذج من تفهيم القرآن مستدلا بانه احيانا كان يكتفى بذكر الاراء الفقهية بدون الترجيح بين هذا الرأى وذاك ، واحيانا اخرى كان يقارن بين هذه الاراء ويرجح بعضها على البعض وذلك لا لتعصبه لمذهب خاص بل لاصابة هذا الرأى .

وأما المبحث السابع : فذكرت فيه منهج الاستاذ فى وضع الخرائط والصور خلال تفسيره للقرآن الكريم ولعله الوحيد بين المفسرين الذى قام برحلة خاصة لارض القرآن الكريم ليزور الاماكن التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ويهتم بدراستها من نواح مختلفة ، وهو خلال تفسيره للايات التى ورد فيها ذكر هذه الاماكن يأتى بخرائطها أو صورها ثم يفسر الاية فى ضوء هذه الخريطة فضلا عن ماورد فى التفسير المأثور . وفى هذا الصدد لا يفوته ان يرد على الشكوك والشبهات التى جاء بها المستشرقون والمبشرون .

وأما المبحث الثامن : فيتعلق باستشهاد الاستاذ المودودى بكتب أهل الكتاب خلال تفسيره للقرآن الكريم . والاستاذ يستشهد بكتب اهل الكتاب اما لاتيان تفصيل ماورد فى القرآن الكريم بالايجاز والاختصار واما للرد على اتهام المستشرقين المتعصبين بأن النبى صلى الله عليه وسلم وتعلم القرآن من علماء أهل

---

(١) تفهيم القران هو تفسير الاستاذ المودودى للقرآن الكريم الذى اخترنا دراسة منهجه موضوعا لهذه الرسالة .

الكتاب او كتبهم واما للاستشهاد على كون هذه الكتب محرفة وذلك مبينـــا التضادات الموجودة فيها أحيانا ومستدلا بما رموا به انبياءهم من الاكاذيـــب والاتهام أحيانا أخرى .

وأما المبحث التاسع : فبينت فيه أن الاستاذ المودودى لا يخوض فـــى المباحث الجانبية خلال تفسيره للقران الكريم وهناك كثير من المباحث الجانبيـــة التى كتب فيها المفسرون البحوث الطويلة مع انه لم ينقل فيها شىء عن النبـــى صلى الله عليه وسلم فالاستاذ المودودى لا يعتنى بهذه المباحث الجانبية ، بـــل يكتفى ببيان ماينبغى للمسلم ان يتعلم منها .

وأما المبحث العاشر : فيتعلق بما قاله الاستاذ المودودى خلال تفسيره للقران الكريم ردا على التأويلات الباطلة للايات الكريمة التى جاء بها الشيعـــة والقاديانيون ومنكروا السنة لتاييد عقائدهم الباطلة فنرى انه خلال تفسيـــره لهذه الايات الكريمة يأخذ تاويلاتهم الباطلة لها ويرد عليها بالادلة مـــن الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية حتى لا يترك لهم مجالا ليلعبوا بآيـــات الله عز وجل لتحقيق اهدافهم الشنيعة.

وأما المبحث الحادى عشر : فيتعلق بما قاله الاستاذ المودودى خلال تفسيره للقرآن الكريم مبينا موقف الاسلام من الفلسفات المادية اللادينية التى جاءت بهـــا الحضارة الجاهلية الحديثة كالتفسير الجدلى للتاريخ لهيجل والتفسير المادى للتاريخ لماركس ونظرية داروين للتطور وما الى ذلك ،فيفند الاستاذ هـــذه الفلسفات الجاهلية بالبراهين العقلية القوية ويثبت كونها باطلة عقليا وعلميـــا وبهذا يقضى على العبودية الفكرية للحضارة الغربية الجاهلية باعادة الثقـــة والاذعان فى الاسلام دينا ودولة .

والمبحث الثاني عشر تحدثت فيه عن مكانة منهج الاستاذ المودودي في التفسير وبينت فيه أن منهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن كان مطابقا لاصول التفسير بين الرواية والدراية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان هذا المنهج وفقا لمتطلبات الدعوة في ذلك العصر الذي كان مليئا بالتحديات والتيارات المعادية للاسلام .

وكما ذكرت آنفا انه لم تصدر ترجمة عربية لتفسير الاستاذ المودودي حتى الآن فاضطررت أن أقوم بترجمة النصوص من اللغة الأردية الى اللغة العربية ولكن القوة والتأثير اللذان يمتاز بهما أسلوب الاستاذ المودودي الجذاب لم أتمكن من نقلهما خلال ترجمتي من اللغة الاردية الى اللغة العربية ولكنني ترجمت النصوص من اللغة الاردية الى اللغة العربية بالامانة والاخلاص كما اهتممت خلال دراستي هذه أن أقارن تفسير الاستاذ المودودي بأشهر التفاسير القديمة والحديثة كتفسير ابن جرير الطبري وتفسير الامام الرازي وتفسير ابن كثير وتفسير روح المعاني وتفسير في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب وكان لهذه المقارنة أن زادت ثقتي في الاستاذ المودودي لاهتمامه بالجمع بين الرواية والدراية مع عنايته بالجوانب التي ذكرت عن بعضها خلال دراستي هذه .

وتشتمل خاتمة الرسالة على أهم النتائج التي توصلت اليها خلال البحث وبها انتهيت من هذه الرسالة التي أتقدم بها الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة لنيل درجة الماجستير في فرع الكتاب والسنة وما فيها من الحق والصواب فمن فضل الله سبحانه وتعالى ، وما فيها من السهو والخطأ فمني ، وأرجو من الله سبحانه أن يغفر لي ويستر عني ، وعليه توكلت واليه أنيب .

وأخيرا أقدم شكري وتقديري لفضيلة الدكتور أحمد أحمد غلوش المشرف على هذه الرسالة لعنايته الخاصة وتوجيهاته الشاملة وتشجيعه المستمر في اخراج هذه الرسالة في صورتها الحالية ، ثم أشكر القائمين على كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى لتشجيعهم الشامل لاخراج هذا البحث . فجزاهم الله أحسن الجزاء ؛ والله ولي التوفيق ....

الباب الأول

عصر الأستاذ المودودي
حياته دعوته تأليفاته ومؤثرات دعوته الفكرية والعلمية

الفصل الأول — العصر الذي عاش فيه الأستاذ المودودي

الفصل الثاني — حياة الأستاذ المودودي في سطور وموجز جهاده في مجال الدعوة الإسلامية

الفصل الثالث — دعوة الأستاذ أبي الأعلى المودودي

الفصل الرابع — تأليفات الأستاذ أبي الأعلى المودودي

الفصل الخامس — مؤثرات دعوة الأستاذ المودودي الفكرية والعلمية

الفصـــل الأول

العصر الذي عاش فيه الأستاذ المودودي

المبحث الأول — نظرة عابرة على ذلك العصر.

المبحث الثاني — العالم الإسلامي في ذلك العصر.

المبحث الثالث — الحالة السياسية لمسلمي شبه القارة الهندية.

المبحث الرابع — الحالة الدينية لمسلمي شبه القارة الهندية

المبحث الخامس — الحالة الاجتماعية لمسلمي شبه القارة الهندية

المبحث السادس — مؤثرات الصراع بين الإسلام والجاهلية الحديثة الغربية

العصر الحاضر — كما يراه الشهيد سيد قطب رحمه الله.

"العاقل الواعي" الذي لم يأخذه الدوار الذي يأخذ البشرية اليوم، حين ينظر إلى هذه البشرية المنكودة يراها تتخبط في تصوراتها، و أنظمتها و أوضاعها، وتقاليدها، وعاداتها وحركاتها، كلها تخبطا منكرا شنيعا.. يراها تخلع ثيابها وتمزقها كالمهووس، وتتشنج في حركاتها و تتخبط و تتلبط كالممسوس، يراها تغير أزياءها في الفكر والإعتقاد، كما تغير أزياءها في الملابس، وفق أهواء بيوت الأزياء، يراها تصرخ من الألم، وتجري كالمطارد، وتضحك كالمجنون، وتعربد كالسكير، وتبحث عن لاشيء، وتجري وراء أخيلة! وتقذف بأثمن ماتملك وتحتضن أقذر ما تمسك به يداها من أحجار و أوضار!

لعنة! لعنة كالتي تتحدث عنها الأساطير! إنها تقتل الإنسان وتحوله إلى آلة، لتضاعف الإنتاج! إنها تقضي على مقوماته "الإنسانية" وعلى احساسه بالجمال و الخلق و المعاني السامية لتحقيق الربح لعدد قليل من المرابين و تجار الشهوات ومنتجي الأفلام السينمائية وبيوت الأزياء!"

الشهيد سيد قطب "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" (ص ١٢٩، ١٣٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول

العصر الذي عاش فيه الاستاذ المودودي

التمهيد : نظرة عابرة على ذلك العصر .

ولد الأستاذ المودودي عام ١٣٢١ من الهجرة الموافق عام ١٩٠٣ الميلادي بمدينة أورنك آباد احدى مدن ولاية حيدر آباد الاسلامية في جنوب شبه القارة الهندية (١) . وبدأ بنشر دعوته منذ عام ١٣٥٢ من الهجرة الموافق عام ١٩٣٣ الميلادي بتوليه ادارة مجلة ترجمان القرآن الشهرية (٢) . وأسس الجماعة الاسلامية عام ١٣٦٠ من الهجرة الموافق عام ١٩٤١ الميلادي[٣]، وتوفى رحمه الله عام ١٣٩٩ من الهجرة الموافق عام ١٩٧٩ الميلادي (٤) ، بعد أن استمر في جهاده في سبيل الدعوة أكثر من نصف قرن ، اى من بداية الربع الثالث من القرن الرابع عشر من الهجرة الى نهاية الربع الاخير في القرن الرابع عشر من الهجرة الموافق من بداية الربع الثاني في القرن العشرين الميلادي الى بداية الربع الاخير في القرن العشرين الميلادي ، فلابد اذن ان ندرس الاوضاع التي كانت تسود العالم الاسلامي ولاسيما الاوضاع المسيطرة على شبه القارة الهندية في تلك الايام وقبلها بقليل للتعرف على المؤثرات البيئية والثقافية والاجتماعية في نشأة الاستاذ المودودي ودعوته لان الانسان كثيرا ما تؤثر فيه أحوال عصره ويكون لها الدور البارز في أعماله والآثار التي يتركها .

---

(١) انظر الاستاذ اسعد جيلاني ـ ابو الاعلى المودودي ، فكره ودعوته . ص ٢١

(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدي ـ الامام ابو الاعلى المودودي ، حياته ، دعوته ، وجهاده ص ١٩ .

(٣) انظر توطئة الدستور الجماعة الاسلامية بباكستان ص ط.

(٤) انظر جريدة " جسادت " اليومية عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودي ص ١١ .

فيتبين من دراسة التاريخ للنصف الأول من القرن السابع عشر من الهجرة أن العالم الاسلامي من شرقه الى غربه ومن شماله الى جنوبه ، كان تحت سيطرة الاستعمار الغربي الغاشم ، وهذا كان سببا في سيطرة الحضارة الغربية الحديثة على المجتمعات الاسلامية بصورة واسعة (١) ، فنأثرت أن أدرس هذه الحضارة وتأثيرها على المجتمعات الاسلامية بايجاز لتكون ركيزة أساسية لبيان احوال العصر الذى عاشفيه الأستاذ المودودى بجوانبه المختلفة .

الحضارة الغربية الحديثة
نشأتها ، ومبادئها الأساسية

نشأت الحضارة الغربية الحديثة نتيجة للصراع بين الحركة العلمية وبين رجال النصرانية الذى انتهى فى القرن التاسع عشر الميلادى بانتصار الحركة العلمية (٢) ، وقد استخدم القسس القوة والعنف ووسائل الاضطهاد الاخرى لمنع هذه الحركة ، مما جعل رجال العلم ينكرون كل شىء يأتى من الكنيسة فلما انتصروا الزموا أنفسهم انكار كل شىء له علاقة بالدين . ومن المؤسف ان ما توصلوا اليه من النتائج لم يكن بعد تفكير عقلى او تحقيق علمى ، بل أسس على التعصب والحقد دون ما سواه ، وبالغ العلماء والساسة فى موقفهم حتى وصل الأمر الى أن الذى يؤمن بدين من الأديان ، عليه أن يمارس ذلك فى حياته الشخصية فحسب ، كالعبادة فى البيت أو الكنيسة دون أن يوسع نطاق دائرة الدين الى مجالات اجتماعية وسياسية أخرى .

وهكذا أصبح وضع الدين فى الغرب حيث عزل من جميع نواحى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية (٣) ، واخترع للحياة الاجتماعية

---

(١) انظر الاستاذ ابا الحسن على الندوى ــ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية . ص

(٢) انظر سفر بن عبد الرحمن الحوالى ــ رسالة: " العلمانية " ص ٣٤٧ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٤٩٣ ــ ٥٠٣ .

دينا جديدا يمكننا أن نسمية " المادة " ولم تكن الحضارة الغربية الحديثة الا ربيبة لهذا الدين الجديد (١) .

ـ أئمة الحضارة الغربية الحديثة :

فجميع العلماء والمفكرون الذين نهضوا في هذا العصر في ميادين العلوم الاجتماعية أو العلوم التجريبية كانوا يدينون بذلك الدين المادى ، ومن ثم اصبحت الحياة الاجتماعية في الغرب في كل نواحيها تحت سيطرة الفلسفة المادية واللادينية وقادة هذا الاتجاه وفلاسفته كثيرون ولكن أود أن أذكر هنا العلماء والفلاسفة الذين يعدون من مؤسسى هذه العلوم وهم هيجل ، وكارل ماركس ، وداروين ، وميكافيلى ، فهم قادة الحضارة الغربية الحديثة .

هيجل وتفسيره الجدلي للتاريخ : والذى يؤم هؤلاء هو هيجل (٢) (Hegel) الذى وضع نظريته الجديدة للتاريخ واطلق عليها اسم " التفسير الجدلى للتاريخ " وتقول نظريته بانه حينما يتم ظهور دور حضارى خاص تتولد منه افكار جديدة ثم يأخذ الصراع طريقه بين هذه الافكار الجديدة والافكار الاساسية لتلك الحضارة ، ونتيجة لهذا الصراع يتولد دور حضارى جديد يضم أفكارا جديدة مع الافكار الصالحة الباقية من الدور الحضارى السابق ، ولهذا كل حضارة لاحقة خير من الحضارة السابقة وأحسن حالا منها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يظن هيجل بان الله سبحانه او العقل الكلى او الروح العالمى هو الذى يأتى بهذا الصراع ليتخذ الانسان أداة لاستكمال ذاته (٣) .

---

(١) انظر الاستاذ ابا الحسن الندوى ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ١٩٧ .

(٢) هو جورج وليم فريدرك هيجل (عام ١٧٧٠ ـ عام ١٨٣١ الميلادى) ، يعد اكبر فلاسفة العصر الحديث في أوربا . كان مؤسسا للتفسير الجدلى للتاريخ الذى جعله ماركس أساسا للتفسير الجدلى المادى للتاريخ فيما بعد . (انظر نجيب فرنجية ـ الموسوعة العربية ص ٧٨٩ .)

(٣) انظر الأستاذ المودودى ـ الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ص ٢٦ ـ ٣٨ .

وتفيد هذه النظرية أن الدور الحضارى الحاضر لابد أن يكون أحسن وأصلح من كل الأدوار الحضارية السابقة بما فيها عهود الانبياء عليهم السلام ، وعليه فكل مؤمن بهذه النظرية يرفض الحضارة القديمة وينادى بحضارة جديدة دائما .

كارل ماركس وتفسيره الجدلي المادي للتاريخ : ثم جاء كارل ماركس (Karl Marx)[1] بدينه الجديد " الشيوعية " وقدم تفسيره الشهير للتاريخ يعرف بالتفسير الجدلى المادى للتاريخ ، وتختلف نظريته هذه عن نظرية هيجل الجدلية للتاريخ فى ان السبب الحقيقى للصراع هى الدواعى الاقتصادية ، ويرى ان الرقى والنهضة فى التاريخ البشرى جاء نتيجة للصراع بين الاغنياء والفقراء ، وان الحروب التى يرويها التاريخ البشرى بين شعب وآخر ، لم تكن الا نتيجة هذا الصراع ، هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى قام كارل ماركس بهجوم عنيف ضد الدين وقال ان الاذعان بالدين ومبادئه لم يخلق الا لتأييد تصرفات الاغنياء فى اغتصاب اموال الفقراء واستغلال حقوقهم ، ولهذا وجب على الفقراء أن ينكروا هذه العقائد ويقوموا للقضاء على الاغنياء وهدم دولتهم البرجوازية ويهتمون باقامة دولة البروليتاريا[3] .

---

(١) هو كارل ماركس اليهودى (عام ١٨١٨ — عام ١٨٨٣ الميلادى) ، مؤسس " الشيوعية " أسس نظريته الجدلية المادية للتاريخ على نظرية هيجل الجدلية للتاريخ . ويعتبر كتابيه " رأس المال " والبيان الشيوعى " الاصلين الاساسيين للمذهب الشيوعى . انظر نجيب فرنجية ـ الموسوعة العربية ص٦٩٢ .

(٢) انظر احمد العوايشة " موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ " ص ١٠٩ — ١٢١ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢١٥ — ٢٣١ .

ويقول فى البيان الشيوعى : " وما القوانين والقواعد الاخلاقية والاديان بالنسبة اليه — اى البرولتارى — الا أوهام بورجوازية تتستر خلفها مصالح بورجوازية " (١) .

ـ داروين ونظريته للتطور : وجاء داروين (٢) (Darwin)
مع كتابه اصل الانواع (Origion of the spices)
الذى ظهر لاول مرة عام ١٨٥٩ م والذى قدم فيه داروين فلسفته الشهيرة فى الارتقاء .

وترى هذه الفلسفة أن نظام هذا الكون يسير دون وجود اله خالق . وان ارتقاء الموجودات من ابسط مراحل الحياة الى اعلاها نتيجة عمل تدريجى لقوى طبيعية فحسب ، وان الانسان ليس نوعا مستقلا بل انه وصل الى درجة الانسان كنتيجة ارتقائه من نوع الى نوع آخر ، من مادة بلا حياة الى جرثومة بحياة ومنها الى الانواع الاخرى بفضل العوامل المختلفة كالانتخاب الطبيعى والتنازع للبقاء والبقاء للاصلح حتى وصل الى القرد ، واخيرا ارتقى من القردية فاصبح بشرا سويا ، وهناك صراع مستمر بين افراد كل نوع لكى يبقى اصلحهم ولابد للضعيف ان يحرم من حق الحياة (٣) . وكانت نتيجة هذه الفلسفة ان الانسان الذى خلقه الله فى احسن تقويم صار حيوانا مفترسا لا يؤمن بأى دين ولا يتقيد باى قانون اخلاقى .

---

(١) البيان الشيوعى ص ٢٨ نقلا عن الاستاذ بشير الصوفى — اشتراكيتهم واسلامنا ص ٣٦ .

(٢) هو تشارلز داروين (عام ١٨٠٩—١٨٨٢ الميلادى) ولد بانجلترا ، وقام بتاليف كتابه الشهير " اصل الانواع " بعد رحلته البحرية الطويلة حول العالم . (انظر نجيب فرنجية — الموسوعة العربية ، ص ٣١٥) .

(٣) انظر د / سفر بن عبد الرحمن الحوالى — " العلمانية " ص ١٧٧—١٧٩ .

ـ فرويد وتفسيره الجنسي لعلم النفس : ثم كان فرويد [1] الذى يعتبر امام علم النفس الحديث والذى وضع فلسفته على الاسس اللادينية ، وقال ان الدافع النفسي لكل عمل انسانى هو " الجنس " فحسب . ونتيجة لهذه النظرية فقد البشر تصور الخير والشر والاخلاق الفاضلة التى جاءت بها الاديان السماوية ورد الانسان الى أسفل السافلين [2] .

ـ مكانة هذه النظريات العلمية :

والحقيقة التى أود أن اشير اليها هى أن هذه النظريات التى قدمها هؤلاء " الفلاسفة والعلماء " هى عبارة عن نظريات وفلسفات تجردت عن كل ما يمت بصلة الى التجربة والبرهان العقلى ، فلم تكن النظريات العلمية قط ، ولكن الجو الذى كان يستحوذ على الغرب بعد انتصار الحركة العلمية فى صراعها مع قسس النصارى ، لم يسمح للناس ان يفكروا من هذه الناحية بل كانوا يقبلون كل شيء ضد الدين مهما كان على وجه من السطحية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كان لليهود دورا كبيرا فى انتشار هذه النظريات اللادينية وذلك لتحقيق اهدافهم الشنيعة . [3]

ـ ميكافلى ونظرية فصل الدين عن الدولة : يعتبر ميكافلى [4] امام فلسفته السياسية الحديثة فى اوربا ، ويعتبر كتابه الامير (The Prince)

---

(١) هو سيجموند فرويد (عام ١٨٥٦ ـ عام ١٩٣٩ الميلادى) ولد فى نمسا فى بيئة يهودية وقدم التفسير الجنسي لعلم النفس .

(٢) انظر الاستاذ محمد قطب ـ الانسان بين المادية والاسلام ص ١٩ - ٤٦ .

(٣) انظر / سفر بن عبد الرحمن ـ " العلمانية " ص ١٧٣ - ١٧٦ .

(٤) هو نيكولا ميكافلى (عام ١٤٦٩ ـ عام ١٥٢٨ الميلادى) يعتبر الاب الفكرى للفلسفات السياسية الغربية الحديثة كما يعتبر كتابه الشهير " الامير " (The prince) اساسا للسياسة الحديثة اللادينية . انظر الموسوعة العربية ص ٧٣٢ .

أساسا للسياسة اللادينية الحديثة . ويقول فيه " ان الدين والاخلاق ليس لهما اية علاقة مع السياسة . وأن الغاية تبرر الوسيلة ، فلهذا يجوز للحاكم أو ولى الامر ،بل يكون ضروريا له ان يستخدم اية وسيلة او خديعة او موآمرة فى تدبير شؤون الدولة ،وليس للدين او الاخلاق ان يتدخلا فيها ، فواجهت هذه النظرية المقاومة الشديدة من قبل الكنيسة فى البداية الا ان كان لها انتشارا عظيما فى القرون المتأخرة (١) .

ـ النظم السياسية والاجتماعية الاخرى :

وأما النظم السياسية والاجتماعية الحديثة الاخرى ،التى تولدت من هذه الفلسفات الجاهلية ، فأهمها الديموقراطية اللبرالية ، والشيوعية . واما النظام الديموقراطى اللبرالى القائم على العلمانية ،فانه يفصل الدين عن الدولة ويمنع اية علاقة بين الدين والشؤون السياسية والاجتماعية ،ويرى انه لا حاجة لنا ان نرجع الى الدين فهى تدبير شؤون الدولة او الشؤون الاجتماعية الاخرى (٢) ، وأما الدولة والامور الاجتماعية الاخرى فالامر فيها لا يرجع الا الى الشعب الذى يستخدم هذا الحق بواسطة النواب الذين يتم اختيارهم عن طريق الانتخاب وهم الذين يستحقون ان يجعلوا الدستور والقوانين لتدبير شئون الدولة(٣) .

---

(١) انظر / سفر بن عبد الرحمن ـ " العلمانية " ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٨ .
(٢) انظر الاستاذ يوسف القرضاوى ـ الحلول المستوردة ص ٥٢ .
(٣) انظر الدكتور على عبد الحليم محمود ـ الغزو الفكرى ص ١٥٠ ـ ١٥٢ .

وأما النظام الشيوعى الذى أسلفنا بذكر مؤسسه كارل ماركس فيرى ان الهدف الاساسى له هو اقامة دولة بروليتارية بعد هدم النظام البرجوازى ، ولا مانع عنده فى استخدام أية طريقة أو وسيلة أو خديعة لتحقيق هذا الهدف ويقول لينين (١) عام ١٩١٠ : يجب على المناضل الشيوعى الحق ان يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل ، فالكفاح من اجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية (٢) . ويقول عام ١٩٢٠ الميلادى : "ان المناضل الشيوعى الثورى الحق هو ذلك الذى يبذل كل تضحية يفرضها عليه تحقيق الهدف الشيوعى ، ولو تطلب الامر التضحية بالاخلاق والكرامة والضمير ، فالهدف المثالى الحق هو تحقيق المجتمع الشيوعى وتدعيمه "(٣) .

ـ الاخلاق المادية :

وهكذا فلسفة الاخلاق التى ظهرت وانتشرت نتيجة لهذه النظريات اللادينية والفلسفات الالحادية كانت مادية من أولها الى آخرها وقد تحول منهج الفكر من الدينى الى اللادينى كما تغير المقياس الذى اعطاه الدين للصواب والخطأ او الحلال والحرام والميزان الذى قررته نظم الاخلاق للجواز وعدم الجواز والمقياس الوحيد الذى اختاره الناس فى حياتهم اليومية للرد والقبول هو مايسمى بالنفع المادى (٤) .

---

(١) هو فلاديمير ايليتش لينين اوليانوف (١٨٧٠ ـ ١٩٢٤ الميلادى) قاد الثورة الشيوعية الروسية عام ١٩١٧ وتولى رئاسة النظام الدكتاتورى الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى وظل يحكم البلاد بالسلطة الارهابية حتى وفاته عام ١٩٢٤م . ويعتبر لينين من ائمة الدين الشيوعى . الموسوعة العربية ص ٦٨٥

(٢) انظر الاستاذ بشير العوف ـ اشتراكيتهم واسلامنا ص ٣٧ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٣٨ .

(٤) انظر الاستاذ المودودى ـ واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٥٠

المبحث الثاني

العالم الاسلامي في ذلك العصر

ان الامة الاسلامية قد بعثها الله لقيادة البشرية ، فكريا وحضاريا لتتمكن من أداء فريضة شهادة الحق قولا وعملا ، لقوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) ولتقوم بالاهتمام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (٢) وكان لاداء هذا الواجب أن تمكن المسلمون من قيادة الركب البشري الى الخير والسعادة ، وذلك بعد تسليمهم منصب زعامة البشرية ، ويقول الشهيد سيد قطب رحمه الله :

" لقد كان الاسلام قد تسلم القيادة بعد ما فسدت الارض وأسنت الحياة وتعفنت القيادات وذاقت البشرية الويلات من القيادات المتعفنة و (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) (٣) ، تسلم الاسلام القيادة بهذا القرآن وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن والشريعة المستمدة من هذا التصور ، فكان ذلك مولدا جديدا للانسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورا جديدا عن الوجود والحياة والقيم والنظم كما حقق لها واقعا اجتماعيا فريدا "(٤) .

وهذا الدور لتاريخ البشرية يقول الشيخ ابوالحسن علي الندوي عنه :

" فلم نعرف دورا من أدوار التاريخ أكمل وأجمل وأزهر في جميع هذه النواحي من هذا الدور ، دور خلافة الراشدة فقد تعاونت فيه قوة الروح والاخلاق

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠ .
(٣) سورة الروم ـ الآية ٤١ .
(٤)

والدين والعلم والأدوات المادية فى تنشأة الإنسان الكامل وفى ظهور المدنية الصالحة ، كانت حكومة من اكبر حكومات العالم ، وقوة سياسية مادية تفوق كل قوة فى عصره ، تسود فيها المثل الخلقية العليا وتحكم معايير الاخلاق الفاضلة فى حياة الناس ونظام الحكم وتزدهر فيها الاخلاق والفضيلة مع التجارة والصناعة "(١) .

وبعد أن احتل المسلمون منصب قيادة البشرية فكريا وحضاريا لعدة قرون بدأ انحطاطهم الفكرى والسياسى ، وذلك لاهمالهم الواجب الذى قد بعثهم الله من أجله ، هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى لانفصالهم عن الدين فى دوائر حياتهم المختلفة وعدم عنايتهم بالصفتين الاساسيتين وهما : الجهاد والاجتهاد فى نواحى الحياة المختلفة مما أدى الى تخلفهم فى الصناعة والتكنولوجية .

وكان من سوء حظ البشرية أن ظهور ذلك الانحطاط والاضمحلال فى العالم الاسلامى كان فى نفس الوقت الذى قد ظهرت فيه تلك الفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية فى العالم الغربى ، ومما زاد الطين بلة ، كانت بداية النهضة العلمية والصناعية والتكنولوجية ايضا فى الوقت ذاته وكان الغربيون يبحثون عن الاسواق لمنتوجات مصانعهم وبأيديهم القوة التكنولوجية والاسلحة الحديثة فأينما وصلوا لم تكف مساعيهم فى مجال التجارة فحسب بل حاولوا ان يستولوا على البلدان بالقوة احيانا وبالخديعة والمؤامرة أحيانا اخرى وكان نتيجة هذا الغزو الاستعمارى خضوع اكثر بلاد العالم للدول الاستعمارية الغربية ومنها البلاد الاسلامية ، فشبه القارة الهندية قد استولى عليها الاستعمار الانجليزى ، ومصر احتلها الاستعمار الفرنسى ثم الاستعمار الانجليزى ، وأندونيسيا قد

---

(١) الشيخ أبوالحسن على الندوى ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ١٣ .

سيطر عليها الاستعمار الهولندى وليبيا استولى عليها الايطاليون والجزائر قد وقعت تحت الاحتلال الفرنسى وهكذا البلاد الاسلامية الاخرى قد وقعت اكثرها تحت احتلال هذه الدول الاستعمارية ، ولم يبق من الوقوع فى براثن الدول الاستعمارية الغربية الا من شاء الله .

ولعل أشنع وأخطر ما لحق بالمسلمين فى تلك الايام القاسية هو الغاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٣م على يد العميل الاستعمارى اليهودى مصطفى كمال (١) ، لان الخلافة العثمانية ما كان فيها من الضعف والاضمحلال كانت علامة اتحاد العالم الاسلامى ورمز قوة المسلمين ، فخطط الاستعمار المخططات والمؤامرات للقضاء عليها وتمكن من تحقيق هذا الهدف الشنيع بواسطة العميل مصطفى كمال ، وجدير بالذكر ان اليهود لهم دور كبير فى تلك المخططات والمؤامرات وذلك لان الخليفة العثمانى عبد الحميد لم يوافق على بيع أرض فلسطين لليهود (٢) .

وما كان أشد أسفا وألما أن مصطفى كمال بعد أن تمكن من القضاء على الخلافة العثمانية قام بانشاء الدولة العلمانية القومية واستبدال القوانين الوضعية الافرنجية بالشريعة الاسلامية وتغيير حروف الهجاء فى اللغة التركية من العربية الى اللاتينية (٣) .

---

(١) هو مصطفى كمال اتاتورك (عام ١٨٨١ — ١٩٣٨م) ولد فى سالونيك مركز اليهود الدونمة فى تركيا ، تلقى دراسته فى الكلية الحربية والتحق بالجيش ثم انضم الى جمعية الاتحاد والترقى التى كان هدفه الحقيقى القضاء على الخلافة العثمانية وانفصال التركية الاسلامية من العالم الاسلامى وتمكن مصطفى كمال من تحقيق هذه الاهداف الشنيعة اذا الغيت الخلافة عام ١٩٢٣م واصبح مصطفى كمال رئيسا للدولة العلمانية القومية الجديدة .

(٢) انظر للتفصيل الشيخ محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام " ص ١٢٢—١٢٧ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٢٦ .

غزو الاستعمار الحضاري كما يراه الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله

" وقد عمل الأوربيون جاهدين على أن تغمر موجة هذه الحياة المادية بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة جميع البلاد الإسلامية التي امتدت أيديهم إليها، وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة، وقد أحكموا خطة هذا الغزو الاجتماعي إحكاماً شديداً، واستعانوا بدهائهم السياسي، وسلطانهم العسكري، حتى تم لهم ما أرادوا، أغروا كبار المسلمين بالاستدانة منهم والتعامل معهم وسهلوا لهم ذلك وهونوه عليهم واستطاعوا بذلك أن يكتسبوا حق التدخل الاقتصادي، كما يريدون أن يستأثروا دون الأهلين - بالأرباح الطائلة والثروات العظيمة وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعليم وأن يصبغوا النظم السياسية، والتشريعية، والثقافية بصبغتهم الخاصة في أقوى بلاد الإسلام، وجلبوا إلى هذه الديار نساءهم الكاسيات والعاريات وخمورهم ومسارحهم، ومراقصهم وملاهيهم، وقصصهم، وجرائدهم ورواياتهم وخيالاتهم وعبثهم ومجونهم وأباحوا فيها من الجرائم ما لم يبيحوا في ديارهم، وزينوا هذه الدنيا الصاخبة العابثة التي تعج بالإثم وتطفح بالفجور في أعين البسطاء الأغرار من المسلمين الأغنياء وذوي الرأي فيهم وأهل المكانة والسلطان.

ونجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم العنيف أعظم النجاح، فهو غزو محبب إلى النفوس، لاصق بالقلوب، طويل العمر، قوي الأثر، وهو لهذا أخطر من الغزو السياسي والعسكري بأضعاف الأضعاف ".

________ (الإمام حسن البنا الشهيد - " بين الأمس واليوم " - رسالة من رسائل الإمام الشهيد

غزو الاستعمار الحضارى على العالم الاسلامى

وجدير بالذكر أن الاحتلال الاستعمارى للبلاد الاسلامية كان تمهيدا لغزو الاستعمار الحضارى الذى خضع له المسلمون فى كل قطر من الاقطار الاسلامية من ناحية ، وفى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية من الناحية الأخرى ، وكان خضوع العالم الاسلامى للحضارة الغربية الجاهلية لعديد من الاسباب أهمها كالآتى :

- بداية الاضمحلال والانحطاط الفكرى والسياسى فى العالم الاسلامى .
- نهضة اوربا ال مية والتكنولوجيا وتخلف العالم الاسلامى فى العلم والتكنولوجيا
- غارة الاستعمار العسكرية والسياسية على اكثر البلاد الاسلامية وخضوع الدول الاسلامية له .
- الغاء الخلافة العثمانية على أيدى عملاء الاستعمار واقامة الدولة القومية العلمانية فى تركيا .

واليك بيان هذه الأسباب :

انحطاط العالم الاسلامي الفكري والسياسي : قد تمكن المسلمون من قيادة البشرية فكريا وعمليا لمدة قرون ، لقوله سبحانه (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) ثم بدأ انحطاطهم الفكرى والسياسى ، وذلك لعدم تمكنهم من أداء هذه الشهادة قولا وعملا ، ولفصلهم الدين عن شئون الحكم وتركهم الجهاد والاجتهاد ، فكانت النتيجة بأن العالم الاسلامي من شرقه الى غربه ظهر فيه الضعف والاضمحلال فكريا وسياسيا ، وهذا ما أدى الى تخلفه وجعله فريسة سهلة لغزو الاستعمار السياسى والحضارى (٢) .

---

(١) سورة البقرة ـ الاية ١٤٣ .

(٢) انظر للتفصيل الشيخ ابا الحسن على الندى ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٤٣ ـ ١٧٠ .

نهضة أوربا العلمية والتكنولوجيا وتخلف العالم الاسلامي في العلم والتكنولوجيا :

وجدير بالذكر أن ظهور الضعف والانحطاط الفكرى والسياسى فى العالم الاسلامى كان فى نفس الوقت الذى قد بدأت فيه نهضة اوربا العلمية والتكنولوجيا ،وكان لتلك النهضة فى العلم والتكنولوجيا أن تمكن الاستعمار من السيطرة على معظم الكرة الارضية ، وهذا ماجعل بعض " قادة المسلمين " يفكرون ان العالم الاسلامى لا يمكن نهضته وازدهاره الا باتباع الغرب فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية . (١)

سيطرة الاستعمار السياسية على العالم الاسلامى : وهكذا كان لسيطرة الاستعمار السياسية على أكثر البلاد الاسلامية دورا هاما فى وقوع كثير من المسلمين فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية ،وذلك لانهم اذا رأوا أن الاستعمار الاوربى قد تمكن من احتلال اكثر البلاد الاسلامية بدأوا يذعنون أن تفوق الاستعمار السياسى والعسكرى كان لتفوقه العلمى والحضارى ، وهذا ما جعلهم معجبين بالحضارة الغربية خاضعين لها فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية(٢) .

الغاء الخلافة العثمانية واقامة الدولة القومية العلمانية محلها :

وهكذا كان الغاء الخلافة العثمانية على أيدى عملاء الاستعمار واقامة دولة قومية علمانية فى تركيا لها دورهام فى نفوذ الحضارة الغربية الحديثة فى العالم الاسلامى ، وذلك لان تركيا لكونها مركزا للخلافة كانت تحتل منصب

---

(١) انظر للتفصيل الاستاذ المودودى — نحن والحضارة الغربية ص ٧—٢٥

(٢) انظر للتفصيل الاستاذ المودودى — واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٥٤ .

القيادة والزعامة فى العالم الاسلامى قبل احتلال الاستعمار الاوربى الغاشم ، فكان من الطبيعى أن خضوع تركيا للحضارة الغربية الجاهلية يتأثر به العالم الاسلامى من شرقه الى غربه .

وجملة القول أن خضوع العالم الاسلامى للحضارة الغربية كان لعديد من الاسباب اهمها انحطاطه الدينى والسياسى وخضوعه لغارة الاستعمار السياسية ، وأما الوسائل التى اختارها الاستعمار خلال غزوه الحضارى فهى كالاتى :

تشويه صورة الاسلام عن طريق المستشرقين والمبشرين : ومن المخططات الهدامة التى اختارها الاستعمار لتحقيق أهدافه خلال غزوه الحضارى على العالم الاسلامى كان قيام المستشرقين والمبشرين بتأليف الكتب والبحوث لتشويه صورة الاسلام وذلك تحت ستار " البحث والتحقيق " فجاءوا بالاتهام والاباطيل والاكاذيب لتشويه شخص الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الاسلامى والتراث الاسلامى ونظام الحياة الاسلامى والشريعة الاسلامية وذلك ليتمكنوا من القضاء على مصدر قوة العالم الاسلامى الذى كان يخافه الاستعمار اشد خوفا كما يتبين مما قاله السيد جلاوستون رئيس الوزراء البريطانى آنذاك حيث يقول : " مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع اوربا السيطرة على الشرق ولن تكون نفسها فى أمان " (١) .

فكانت نتيجة نشر وتوزيع هذه الكتب والبحوث الزائفة فيما بين المسلمين المثقفين أن تأثر بها عدد غير قليل منهم وذلك لانهم لم يعرفوا شيئا عن الاسلام من مصادره الاصلية فبدأوا ينظرون الى كل شىء بمنظار اساتذتهم المستشرقين

(١) انظر للتفصيل الشيخ محمد محمود الصواف ــ المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ص : ١٧٤ .

(٢) نقلا عن الدكتور حسان محمد حسان ــ وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الاسلامى ص ٤٥ .

والمبشرين وفقدوا اذعانهم وثقتهم فى الاسلام (١) .

انشاء المدارس والكليات والجامعات التبشيرية والحكومية لتعميم الثقافة الغربية : والوسيلة الاخرى التى اعتمد عليها الاستعمار الغاشم لسيطرته الحضارية على العالم الاسلامى كان انشاء المدارس والمعاهد والكليات والجامعات لتعميم الثقافة الغربية اللادينية فى البلاد الاسلامية ، وسواء أكانت تلك المدارس والكليات تعمل تحت اشراف الحكومة مباشرة أو تحت اشراف المبشرين او دعاة التغريب والتفرنج ، كان المنهج التعليمى فيها يضم العلوم والفلسفات المادية الجاهلية التى جاء بها المفكرون والفلاسفة مثل ميكافلى وهيجل وماركس وكانت وداروين وفرويد وما الى ذلك من فلاسفة ومفكرى ذلك العصر ، وكان الهدف من تعميم تلك الثقافة أن ينشئ فى المجتمعات الاسلامية جيلا يكون مسلما فى الدم والسلالة ولكن افرنجيا فى الذوق والوجدان والتفكير والسيرة ، جيلا لو لم يعتنق المسيحية تبقى علاقته مع الاسلام والامة الاسلامية ايضا ضعيفة ، كما يتبين ذلك مما قاله المبشر الشهير (زويمر) : " ان تنصير المسلمين ليس غايتنا لاننا لا نستطيعه ولكن الغاية هى أن نبعد المسلمين عن الاسلام ، وحسبنا ذلك ولو لم ينضموا الينا " (٢) . وزاد الطين بلة اذ أرسلت البعثات التعليمية الى الجامعات الاوربية وكانوا يذهبون اليها مسلمين ويعودون متغربين لادينيين داعين الى التغريب والتفرنج لا صلة لهم بالاسلام والمسلمين الا بالاسم ، والحقيقة أن تعميم الثقافة الغربية الحديثة فى البلاد الاسلامية يعتبر من اكبر الوسائل للنفوذ الحضارى الاستعمارى فى المجتمعات الاسلامية فيقول المستشرق الشهير

---

(١) انظر للتفصيل الدكتور مصطفى السباعى ـ الاستشراق والمستشرقون ـ ص ٢٠ ـ ٢٥ . والدكتور على عبد الحليم محمود ـ الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام ص : ٢٥ ـ ١٠٣ .

(٢) نقلا عن الدكتور عبد الصبور مرزوق ـ الغزو الفكرى ـ اهدافه ووسائله ص ١١ .

البروفسور " جب " متكلما عن مدى تأثير الثقافة الغربية فى تعميم الحضارة الغربية الجاهلية فى العالم الاسلامى : " الواقع أننا اذا أردنا أن نعرف المقياس الحقيقى للنفوذ الغربى ، ومدى تغلغل الثقافة الغربية فى الاسلام كان علينا ان ننظر الى ماوراء المظاهر السطحية ، وعلينا ان نبحث عن الاراء الجديدة والحركات المستحدثة التى ابتكرت بدافع من التأثر بالاساليب الغربية بعد ان تهضم وتصبح جزءا حقيقيا من كيان هذه الدول الاسلامية فتتخذ شكلا يلائم ظروفها " (١) .

فكان لتعميم الثقافة الغربية الحديثة فى المجتمعات الاسلامية ، كما يرى البرفسور جب ، أن ظهرت فى البلاد الاسلامية العديد من الحركات والدعوات مثل حركة التغريب والتفرنج وحركة القومية الوطنية وحركة الديمقراطية العلمانية ، وحركة الشيوعية ، وحركة الاشتراكية ، وحركة انكار السنة النبوية وحركة تطوير الاسلام والتوفيق بين الاسلام وبين الحضارة الغربية وما الى ذلك من الحركات والدعوات التى ظهرت فى العالم الاسلامى خلال ذلك العصر لتعميم الحضارة الغربية الجاهلية وعلومها وفلسفاتها المادية الجاهلية فى المسلمين (٢) .

---

(١) نقلا عن الدكتور محمد محمد حسين ــ الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر جـ ٢ ص : ٢٠٧ .

(٢) انظر للتفصيل الدكتور حسان محمد حسان ــ وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الاسلامى ص ٧٠ ــ ٧٢ ، والدكتور يوسف القرضاوى ــ الحلول المستوردة ص ٢٣ـ٣١ .

استخدام وسائل الدعاية والاعلام : ومن الوسائل التى استخدمها الاستعمار خلال غزوه الحضارى على العالم الاسلامى هى الدعاية والاعلام وذلك لان وسائل الدعاية والاعلام تلعب دوراهاما فى تشكيل الرأى العام ، ولانها تخاطب جميع فئات الأمة وتؤثر فيهم على سواء فتكون اشد تاثيرا فى المجتمع فقرر الاستعمار ان يستخدم هذه الوسيلة لتحقيق اهدافه الشنيعة فصدرت المجلات والجرائد تحت رعاية الاستعمار المباشرة او غير المباشرة ،وكل تلك المجلات والجرائد تهدف الى اثارة الشكوك والشبهات حول مبادئ الاسلام الاساسية وصلاحية الاسلام لحل معضلات الحياة الانسانية من ناحية ،ولتعميم الحضارة الغربية ونشر الافكار الجاهلية الحديثة فى المجتمعات الاسلامية من الناحية الاخرى ، ولنشر الفواحش والمنكرات فى الشعوب الاسلامية من ناحية ثالثة ، وزاد الطين بلة عند اختراع الراديو والتلغزيون ووسائل الاعلام المتطورة الاخرى ، وذلك لكونها اكبر تاثيرا من المجلات والجرائد (١) .

انشاء حركات التغريب والتفرنج فى المجتمعات الاسلامية وتشجيعها :

وكان فى تلك الآونة أن ظهرت فى العالم الاسلامى عدة من الحركات والدعوات للدعوة الى التفرنج والتغريب ، وسواء اكانت تلك الحركات قد أنشئت تحت رعاية الاستعمار المباشرة ام لا ، لكنها خدمت الاستعمار فى تحقيق أهدافه الشنيعة ، فكان لجهود تلك الحركات والدعوات أن روجت فى المسلمين الثقافة الغربية الحديثة وراجت فيهم الحضارة الغربية الجاهلية وانتشرت فيهم العلوم والفلسفات الجاهلية الحديثة وظهرت فيهم الحركات

---

(١) انظر للتفصيل الدكتور يوسف القرضاوى ــ الحلول المستوردة ص : ٣١ــ ٣٣ . والدكتور حسان محمد حسان ــ وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الاسلامى :ص ٧٢ــ٧٥ .

الهدامة والدعوات المعادية للاسلام ، وأهم قادة تلك الحركات فى العالم الاسلامى هم :

(١) السيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة الاسلامية فى شبه القارة الهندية .

(٢) ضيا كول الب ومصطفى كمال فى تركيا .

(٣) الملك امان الله خان فى افغانستان .

(٤) قاسم امين والدكتور طه حسين فى العالم العربى .

والحقيقة أن تلك الحركات والدعوات لها دور كبير فى تعميم الحضارة الغربية الجاهلية فى العالم الاسلامى ، ولولا تلك الحركات والدعوات لم يحصل للاستعمار ما حصل له من النفوذ الحضارى فى المجتمعات الاسلامية (١) .

تشويه القيادات الدينية وصناعة القيادات المتفرنجة الزائفة : ومن المخططات الاستعمارية للغزو الحضارى للعالم الاسلامى تشويه القيادات الدينية وصناعة القيادات المتفرنجة الزائفة ، وذلك لانه مادامت القيادات الدينية موجودة فى المجتمعات الاسلامية لا يمكن للاستعمار ان يتمكن من السيطرة الحضارية على العالم الاسلامى ، فخطط المخططات للقضاء على تلك القيادات الدينية الصحيحة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى قام بصناعة القيادات المتفرنجة المزائفة التى تخدمه فى تحقيق اهدافه الاستعمارية .

وبهذا نرى بأن القيادات التى ظهرت فى البلاد الاسلامية خلال تلك الفترة كانت أكثرها متفرنجة مصطبغة فى صبغة الحضارة الغربية الاستعمارية

---

(١) انظر للتفصيل الشيخ ابا الحسن على الندوى ــ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية .

فى كل دائرة من دوائر الحياة المختلفة ، وهذه هى القيادات التى استخلفت الاستعمار فى البلاد الاسلامية المختلفة بعد استقلال هذه البلاد من الاحتلال الاستعمارى ، وهذه القيادات هى التى تخدم الاستعمار فى تحقيق اهدافه فى هذه البلاد حتى اليوم ، ولولا هذه القيادات المتفرنجة الزائغة ، لتمكن العالم الاسلامى من التحرر من سيطرة الاستعمار الحضارية .

السيطرة على أجهزة التشريع وتغيير الشريعة الاسلامية بالقوانين الوضعية الافرنجية : ومن الأساليب الماكرة الاخرى التى اختارها الاستعمار الغاشم خلال غزوه الاستعمارى للعالم الاسلامى كانت سيطرته على اجهزة التشريع وتغيير الشريعة الاسلامية بالقوانين الوضعية الافرنجية ، وذلك لانه كان يعرف الحقيقة انه مادامت الشريعة الاسلامية مسيطرة فى المجتمعات الاسلامية فلا مجال للنفوذ الحضارى الاستعمارى فيها . وجدير بالذكر ان البلاد التى كانت تحت سيطرة الاستعمار المباشرة ، كان تغيير الشريعة الاسلامية فيها فى المراحل المتتالية ، فمثلا فى شبه القارة الهندية بدأ ذلك التغيير عام ١٧٩١م وتم الغاء الشريعة الاسلامية فى اواسط القرن التاسع عشر[(١)]. وأما البلاد الاسلامية التى لم تكن تحت احتلال الاستعمار المباشر فقرر الاستعمار تحقيق اهدافه فيها عن طريق عملائه من المسلمين ، وفى هذا الصدد فقد ذكرنا آنفا عن الاتفاقية التى عقدت بين الاستعمار وبين العميل الاستعمارى مصطفى كمال لالغاء الشريعة الاسلامية فى تركيا [(٢)] . وعقدت مثل هذه

---

(١) انظر الاستاذ المودودى ـ نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور ، ص : ١٣٨-١٣٩ .

(٢) انظر للتفصيل الشيخ محمد محمود الصواف ـ المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ص : ١٧٤ .

الاتفاقية بين الاستعمار الانجليزى وبين الخديو اسماعيل حينما استدعاه الاستعمار للمساعدة لانجاز مؤامرته لانفصال مصر من الخلافة العثمانية(١)، وهكذا فى البلاد الاسلامية الاخرى قد خططت المخططات والمؤامرات للقضاء على الشريعة الاسلامية ، وجدير بالذكر أن تغيير الشريعة الاسلامية بالقوانين الوضعية الافرنجية كان له تأثيرا عظيما وعميقا فى المجتمعات الاسلامية ، وذلك لانه قد زعزع العقيدة الاساسية بان حق التشريع مختص بالله سبحانه وتعالى وحده ، وهذا ما يجعله من اكبر حوادث التاريخ الاسلامى ، فيقول الاستاذ المودودى عن ذلك الحادث المؤلم : " فلما نسخ حكامنا الانجليز ما كان جاريا فى بلادنا من قوانين الشريعة الاسلامية ونفذوا مكانها قوانينهم الجديدة فلم يكن ذلك انه مضى قانون وحل محله قانون آخر فحسب ، بل كان معنى ذلك أنه قد اقتلع من ارض هذه البلاد نظام للاخلاق المدنية وأسس مكانه نظام آخر للاخلاق والمدنية .. وحسبكم شاهد على مبلغ تأثير هذه القوانين الجديدة فى اخلاقنا ومدنيتنا بانها هى التى أحلت الزنا والخمر والميسر وكثير من البيوع الفاسدة وراجت تحت كنفها أنواع المنكرات والمعاصى فى هذه البلاد "(٢) . ويقول الشهيد عبدالقادر عوده رحمه الله عن تأثير القوانين الوضعية الافرنجية : " هذه القوانين قد أفسدت علينا تفكيرنا ، فبلبلت عقولنا ومسخت منطقنا ، وأفسدت حياتنا فعكرت صفونا وشحنت بالالم نفوسنا وأفعمت بالكمد والمرارة صدورنا ، هذه القوانين جعلت لنا تفكيرا مضطربا ومنطقا عجيبا ، فنحن فى آن واحد نحل الشىء ونحرمه ، ونبرمه وننقضه ، حتى لقد

---

(١) انظر للتفصيل الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد ـ الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام ص: ٢٠٦ .

(٢) الاستاذ المودودى ـ واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص : ١٥٦ .

أصبح هذا شأننا فى كل شأن من شئون الحياة ، جل أو هان »(١) .

وجملة القول أن تغيير الشريعة الاسلامية بالقوانين الوضعية الافرنجية له دور كبير فى نجاح الغزو الفكرى الاستعمارى فى المجتمعات الاسلامية ، ولولا هذا التغيير لم يحصل للاستعمار ما حصل له من الانجازات خلال ذلك الغزو الحضارى .

المخططات الاستعمارية الأخرى : وهكذا هناك عديد من المخططات والمؤامرات والاجراءات التى جاء بها الاستعمار خلال غزوه الحضارى على العالم الاسلامى ومن أهم هذه المخططات والاجراءات هى بداية التعليم المختلط فى الكليات والجامعات ومشاركة النساء فى انشطة الحياة الاجتماعية وذلك من التشغيل فى المصانع والمتاجر الى التوظيف فى الدوائر الحكومية ،ومن الدخول فى المجال السياسى الى المشاركة فى المباريات الرياضية المحلية والدولية ومسابقات انتخاب الجمال ، ومن خدمة المرضى فى المستشفيات الى خدمة الركاب فى الطائرات وخدمة نزلاء فى الفنادق والمقاهى ، ومن المشاركة فى حفلات الرقص والموسيقى الى المشاركة فى البرامج التمثلية وفى الاذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما وما الى ذلك من الاجراءات التى اتخذت باسم حقوق المرأة للقضاء على كيان الاسرة المسلمة وللنفوذ الحضارى فى المجتمعات الاسلامية (٢) .

---

(١) الشهيد عبدالقادر عوده ــ الاسلام واوضاعنا القانونية ص : ٦٧ .
(٢) انظر للتفصيل الاستاذ المودودى ــ الحجاب : ص ١٢٦-١٣٢ .

تجاوب العالم الاسلامي تجاه الغزو الحضاري الاستعماري : وكان تجاوب العالم الاسلامي تجاه ذلك الغزو الحضاري الاستعماري بنوعين :

اولا : التجاوب الانفعالي ، ثانيا : التجاوب السلبي .

والمراد من التجاوب الانفعالي هو اتخاذ موقف الخضوع والتسليم أمام ذلك الغزو الحضاري الاستعماري وقبول كل شيء يأتي من الغرب ، سواء أكان صحيحا اوغير صحيح ، ورأى اصحاب ذلك الموقف ان نهضتنا تنحصر على ان " نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم اندادا ونكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها وما يحب منها ومايكره ، ومايحمد منها وما يعاب " (١) .

وكان لذلك الموقف الخضوعي والعبودية الفكرية للحضارة الغربية أن أصحاب ذلك الموقف قبلوا كل شيء جاء من الغرب سواء أكان في العقائد والالهيات او في الاخلاق والاعمال او في التعليم والثقافة او في التشريع والقانون او في الاقتصاد والمعيشة او في السياسة والحكومة او في أية دائرة اخرى من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، بل جعلوا ماجاءهم من الغرب مقياسا صحيحا للصحيح والخطأ ، وللرد والقبول ، ثم حاول بعضهم أن يأتوا بالتوفيق بين الاسلام وبين الحضارة الغربية ، كما قام البعض بقطع صلتهم بالاسلام .

وأما التجاوب السلبي فالمراد منه هو اتخاذ موقف الرفض والاعتزال وانكار كل شيء يأتي من الغرب سواء أكان صحيحا أو غير صحيح ، وسواء

---

(١) الدكتور طه حسين — مستقبل الثقافة في مصر ص : ٤١ .

أكان ضارا أو نافعا ، وكان ذلك الموقف يهدف الى المحافظة على ما بقى من القيم الدينية والاخلاقية ، والتراث الاسلامى ، ولكن أصحاب ذلك الموقف بالغوا فيه الى حد أنهم رفضوا عن قبول أى شيء ياتى من الغرب ، وهذا ما أدى الى عدم صلاحيتهم لمواجهة ذلك التحدى الحضارى الاستعمارى ، من ناحية ، والى تنحيتهم عن المعركة بين الاسلام وبين الجاهلية الجديدة من الناحية الاخرى (١) .

<u>مدى تأثير غارة الاستعمار الحضارية فى العالم الاسلامى</u> : كما أسلفنا آنفا أن الاستعمار الغاشم قد خطط المخططات والمؤامرات ، وقد اختار الاساليب والطرق خلال غزوه الحضارى على العالم الاسلامى فكان لتلك المخططات والمؤامرات أن تأثر حياة المسلمين الفردية والاجتماعية من ذلك الغزو الاستعمارى تأثرا عظيما وعميقا فى كل قطر من الاقطار الاسلامية وفى كل دائرة من دوائر الحياة المختلفة فى العقائد والاخلاق وفى التعليم والتشريع ، وفى الاقتصاد والسياسة ، وفى الجملة تأثرت بها حياة المسلمين الفردية والاجتماعية فى كل نواحيها فيقول الامام حسن البنا الشهيد عن مدى تأثير ذلك الغزو الحضارى على العالم الاسلامى : " ونجح هذا الغزو الاجتماعى المنظم العنيف أعظم النجاح فهو غزو محبب الى النفوس ، لاصق بالقلوب ، طويل العمر ، قوى الاثر ، وهو لهذا اخطر من الغزو السياسى والعسكرى بأضعاف الاضعاف " (٢) .

---

(١) انظر للتفصيل الاستاذ المودودى ـ واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، ص : ١٦٨-١٧٤ .

(٢) الامام حسن البنا الشهيد ـ رسالة بين الامس واليوم من مجموعة رسائل الامام الشهيد ص : ١٣٨-١٣٩ .

المبحث الثالث :

أوضاع المسلمين السياسية فى شبه القارة الهندية

استيلاء الاستعمار الانجليزى على الهند والقضاء على حكومة المسلمين :

بعد أن استمر المسلمون فى الحكم فى شبه القارة الهندية لأكثر من ثمانية قرون (١) ، بدأ انحطاطهم حيث دخل الاستعمار الانجليزى الهند باسم شركة تجارية فى النصف الثانى من القرن السابع عشر الميلادى ، وخطط ودبر المخططات والمؤامرات حتى تمكن من الاستيلاء على معظم البلاد خلال قرن من الزمان (٢) ثم الغيت حكومة المسلمين عام ١٨٥٧ الميلادى حين فشلت الثورة التى قادها آخر ملوك المغول بالهند (بهادر شاه) وهكذا وقعت شبه القارة الهندية مباشرة تحت احتلال الامبراطورية الانجليزية الذى استخدم القوة والعنف ووسائل الاضطهاد الاخرى للقضاء على الاسلام والمسلمين (٣) .

---

(١) دخل الاسلام فى شبه القارة الهندية فى عصر الخلافة الراشدة على ايدى المسلمين التجار ، ثم قام محمد بن القاسم بفتح السند فى عهد الخليفة الاموى وليد بن عبد الملك عام ٩٣ من الهجرة الموافق عام ٧١٢ الميلادى ثم تمكن السلطان محمود الغزنوى من فتح بعض البلاد لشبه القارة خلال الفترة مابين عام ٩٩٩ الميلادى وعام ١٠٢٥ الميلادى ، ثم تأسست اول حكومة للمسلمين فى الهند عام ١١٩١ الميلادى حيث فتح السلطان محمد الغورى عاصمة البلاد دلهى وكان نائبه السلطان قطب الدين أيبك اول رئيس لهذه الحكومة .

(٢) انظر سيد شريف الدين بيرزاده ـ نشأة باكستان ص ٢٩-٣٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٣٣-٣٥ .

انشاء الاحزاب السياسية لتحرير البلاد :

فى عام ١٨٨٥ الميلادى تأسس حزب المؤتمر الهندى (Indian National Congeress) الذى كان من اهدافه تحرير البلاد من الاستعمار واقامة دولة ديموقراطية علمانية يكون فيها الحكم للاكثرية التى يقصد بها حكومة الهندوس (١) .

وفى عام ١٩٠٦ الميلادى تأسس حزب رابطة المسلمين بالهند (All India Muslim League) وكان من اهدافه الاهتمام بالمحافظة على حقوق المسلمين وبث الوعى السياسى فيهم (٢) .

— حركة الخلافة :

وفى عام ١٩٢٠ الميلادى ، بعد ما أخذ الاستعمار يحبك مؤامرته لالغاء الخلافة العثمانية ، نهض مسلمو الهند للمحافظة على الخلافة والدفاع عن الاماكن المقدسة الاسلامية واسسوا حركة الخلافة التى كان زعيمها الشيخ محمد على جوهر (٣) ، واجتمعوا تحت رايتها وبذلوا كل ماكان عندهم من نفس ونفيس فى سبيلها (٤) .

الاتحاد الاسلامى الهندوسي وحركة مقاطعة الانجليز :

وفى تلك الآونة قامت قوات الاستعمار باطلاق النار على المواطنين المسلمين والهندوس على السواء فى مدينة (جليانواله باغ) بمقاطعة بنجاب لتمزيق الجمعية المعارضة للدولة مما جعل الهندوس والمسلمين يتحدون

---

(١) انظر سيد حسن رياض " باكستان " ناكزيرتها " ص ٣٢ — ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٣ — ٦٠ .

(٣) هو المغفور له الشيخ محمد على جوهر (المتوفى عام ١٩٣٢ الميلادى) كان زعيما لحركة الخلافة التى تاسست للمحافظة على الخلافة العثمانية لكونها رمزا للاتحاد اللاسلامى ، وله دور بارز فى بث الوعى السياسى والدينى بين مسلمى شبه القارة الهندية ، توفى بلندن اثر اشتراكه فى مؤتمر المفاوضات ودفن بجوار المسجد الاقصى بالقدس الشريف .

(٤) انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية جـ ٢٥ ص ٤٠٠ — ٤٠١ .

لمقاومة الاستعمار الغاشم تحت زعامة غاندى [1] (Ghandi) وانشئت حركة جديدة باسم حركة مقاطعة الانجليز [2] .

خمود حركة الخلافة والفترة القاسية لمسلمى الهند :

وفى عام ١٩٢٤ م خمدت حركة الخلافة فى الهند اثر الغاء الخلافة العثمانية على يد العميل الاستعمارى مصطفى كمال ، وكان لهذا الحادث المؤلم أثر كبير فى حياة مسلمى الهند لانهم قد بذلوا كل مافى وسعهم فى سبيل حركة الخلافة [3] ، وفى نفس الايام تفكك الاتحاد الاسلامى الهندوسى الذى بذل المسلمون قصارى جهودهم لتكوينه ، وبدأت القلاقل والمجازر بين المسلمين والهندوس [4] ، وجدير بالذكر ان غاندى الذى كان يرأس الاتحاد الاسلامى الهندوسى حتى اليوم ، أخذ يلوم المسلمين ويؤيد الهندوس ، لا لكونهم ظالمين او مظلومين بل لكونهم مسلمين وهندوس .

والحقيقة أن الفترة مابين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٣٧ م كانت فترة قاسية لمسلمى الهند وذلك لفقدان القيادة السياسية التى تجمع شملهم .

ـ الدكتور محمد اقبال وفكرة انشاء وطن خاص لمسلمى الهند :

وفى تلك الظروف انعقد المؤتمر السنوى لحزب رابطة المسلمين عام ١٩٣٠ الميلادى بمدينة (آله آباد) تحت رئاسة الشاعر الاسلامى الكبير

---

(١) هو موهن داس كرم جند غاندى (المتوفى عام ١٩٤٨ الميلادى) كان زعيما هندوسيا كبيرا كما كان القائد الحقيقى لحزب المؤتمر الهندى ويعتبر الاب الفكرى للدولة الهندوسية الجديدة فى شبه القارة الهندية . (انظر الموسوعة العربية ص : ٥١٤) .

(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية ج ٥ ص ٣٩٩ .

(٣) انظر المرجع السابق ج ٥ ص ٤٠١ .

(٤) انظر المرجع السابق ج ٥ ص ٤٠٢ .

الدكتور محمد اقبال (١) الذى اقترح فى خطابه اقامة وطن خاص فى شبه القارة الهندية وذلك فى المناطق التى تسكنها اغلبية مسلمة والتى تقع فى الشمال الغربى والشمال الشرقى (٢) .

الدستور الاستعمارى الجديد لعام ١٩٣٥ الميلادى واقامة حكومات حزب المؤتمر الهندى فى المناطق :

وفى عام ١٩٣٥ الميلادى جاء الاستعمار البريطانى بدستوره الجديد للهند ، وقد سمح هذا الدستور للاحزاب السياسية الهندية باقامة الحكومات التى تكون فيها الاكثرية لهذه الاحزاب فتمكن حزب المؤتمر الهندى من اقامة حكوماته فى المناطق الشمالية واستغل الفرصة لبث دعوته الجديدة فى الشعب المسلم وذلك باسم القومية الوطنية الهندية (٣) . وكان المراد من هذه الدعوة ان سكان الهند كلهم شعب واحد لا يميز المسلمين من غيرهم ، بلا نظر للاختلاف الذى كان بين المسلمين والهندوس فى العقائد ، والاخلاق والثقافة ، والتاريخ ، والحضارة ، وفى دوائر الحياة الفردية والاجتماعية الاخرى ، وخططت تلك الحكومات المخططات والمؤامرات لتحقيق هذا الهدف هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى استخدمت الوسائل الاضطهادية الوحشية للقضاء على الاسلام والمسلمين فى هذه المقاطعات (٤) . وفى عام ١٩٣٨ م قرر حزب المؤتمر الهندى توجيه دعوته مباشرة الى الشعب المسلم ، وذلك بواسطة الشيوعيين من المسلمين (٥) .

---

(١) هو الدكتور محمد اقبال (المتوفى عام ١٩٣٨ الميلادى) شاعر ومفكر اسلامى كبير ، حصل على الدكتوراه من المانية ، وله دور بارز فى بعث الوعى الاسلامى فى المسلمين المثقفين وفى انقاذهم من العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة واعادة ثقتهم بالاسلام .

(٢) انظر الاستاذ احمد سعيد ـ اقبال وقائد اعظم ص ١٥ .

(٣) انظر سيد حسن رياض ـ باكستان ناكزيرتها " ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ١٨٦ ـ ١٩٣ .

(٥) انظر الاستاذ المودودى ـ حركة تحرير الهند والمسلمون جـ ١ ص ٢٦٢ ـ ٢٨٢ .

ـ جمعية العلماء بالهند وتأييدها لحزب المؤتمر الهندى :

ومن المؤسف أن جمعية العلماء بالهند كانت تؤيد حزب المؤتمر الهندى لتحقيق هذا الهدف الشنيع الرامى الى القضاء على المسلمين وحضارتهم واذابة شخصيتهم الاسلامية فى الهندوس الوثنيين [١] .

ـ عناية قادة المسلمين بمقاومة حركة القومية الهندية :

أجبر كل ذلك قادة المسلمين ان يفكروا فى مصير الاسلام والمسلمين فى القومية الهندية المتحدة بعد تحرير البلاد من الاستعمار ، ومن أبرز هؤلاء الدكتور محمد اقبال ، الذى قدم فكرة انشاء دولة باكستان المسلمة والسيد / محمد على جناح [٢] الذى تمكن من تنفيذ هذه الفكرة والاستاذ ابوالاعلى المودودى الذى استخدم جريدته الشهرية (ترجمان القران) لمكافحة حركة القومية الوطنية وجاء بالادلة من القرآن والسنة والتاريخ على بطلان هذه الحركة كما وضح بالبراهين القاطعة خطرها الكبير على الاسلام والمسلمين [٣] .

ـ قرار الباكستان الشهير لعام ١٩٤٠ الميلادى :

وفى ٢٣ من مارس ١٩٤٠ الميلادى انعقد بمدينة (لاهور) المؤتمر السنوى لحزب رابطة المسلمين تحت رئاسة محمد على جناح رئيس الحزب

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٢١٥ـ٢٣٦ .

(٢) هو محمد على جناح (المتوفى عام ١٩٤٨ الميلادى) الشهير بقائد اعظم ، تولى رئاسة حزب رابطة المسلمين عام ١٩٣٧ الميلادى ، وكان لجهوده المستمرة ان تجمع مسلمو شبه القارة الهندية تحت راية حزب الرابطة وتمكنوا من انشاء دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ الميلادى واصبح محمد على جناح اول رئيس لهذه الدولة الجديدة.

(٣) انظر الاستاذ مسعود الندوى ــ تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ، ص : ٢٢٥ .

فأخذ المؤتمر قراره الشهير باسم " قرار الباكستان " وجعل هدفه انشاء دولة مسلمة فى المناطق الاسلامية التى تقع فى الشمال الغربى والشمال الشرقى لشبه القارة(١) ،وذلك حسب اقتراح الدكتور محمد اقبال ، وقد تجمع المسلمون تحت راية حزب رابطة المسلمين لتحقيق هذا الهدف.

والحقيقة أن قرار انشاء دولة باكستان المسلمة فى شبه القارة الهندية كان قرارا تاريخيا ولكن كان من سوء حظ المسلمين ان حزب رابطة المسلمين كان حزبا سياسيا فحسب ، وكان اكثر قادته واعضائه ذا ثقافة انجليزية ، ولم يعرفوا الا ماتعلموه فى المعاهد الحديثة من العلوم والفلسفات اللادينية والمادية ولذلك تأثرت اذهانهم وقلوبهم بتلك الافكار والفلسفات كما تأثرت حياتهم الشخصية والاجتماعية بالحضارة الغربية الحديثة ، واما الاسلام فلم يعرفوا عنه الا التقاليد التى وجدوا عليها آباءهم ،ومن الواضح انهم مع كل امانيهم لن يقدروا على اقامة النظام الاسلامى الا ان يستعدوا له استعدادا كاملا ، ومع الاسف لم تكن لديهم اية فكرة عن هذا الاستعداد (٢) .

ـ تأسيس الجماعة الاسلامية :

وفى ٢٦ من أغسطس عام ١٩٤١ الميلادى تأسست الجماعة الاسلامية بالهند تحت رئاسة الأستاذ المودودى ، ولم تكن الجماعة الاسلامية جماعة سياسية او جمعية دينية بالمعنى العام ،بل حركة اسلامية بمفهومها الشامل(٣).

---

(١) انظر للتفصيل الدكتور وحيد قريشى " باكستان كى نظرياتى بنياديں" . ص ١١٥ــ١٦٦ .

(٢) انظر الاستاذ مسعود الندوى ــ تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ٢٤٨ــ٢٥٥ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٨٥ــ٢٨٦ .

ـ فترة هامة فى تاريخ مسلمى شبه القارة الهندية :

تعتبر الفترة مابين عام ١٩٤٠ الميلادى وعام ١٩٤٧ الميلادى فترة هامة جدا فى تاريخ شبه القارة الهندية ولا سيما فى تاريخ مسلمى شبه القارة اذا قرر حزب المؤتمر الهندى بزعامة غاندى ونهرو(١) ان لا يوافق على تقسيم البلاد وانشاء دولة باكستان المسلمة ، كما قرر حزب رابطة المسلمين برئاسة السيد / محمد على جناح الشهير بقائد اعظم انه لا يوافق على اى حل غير تقسيم البلاد وانشاء دولة باكستان المسلمة (٢) .

ـ مؤامرة الشيوعيين الجديدة :

وجدير بالذكر أن الشيوعيين من المسلمين الذين كانوا فى البداية مع حزب المؤتمر الهندى وكانوا يخالفون فكرة تقسيم البلاد على أساس الدين بكل قوة ، انضموا الى حزب رابطة المسلمين فى السنوات الاخيرة لحركة انشاء باكستان ، وذلك لتحقيق اهدافهم الشنيعة ضد الاسلام فى دولة باكستان المسلمة .

ـ نشأة دولة باكستان الاسلامية :

ونتيجة للكفاح المستمر من قبل حزب المؤتمر الهندى وحزب رابطة المسلمين وافق الاستعمار الانجليزى الغاشم على استقلال البلاد فى اغسطس عام ١٩٤٧ الميلادى ، كما وافق على تقسيم البلاد الى دولتين مستقلتين الهند وباكستان تلبية لأمانى مسلمى شبه القارة الهندية . وهكذا أنشئت الدولة الهندية اللادينية وجمهورية باكستان الاسلامية فى وسط اغسطس عام ١٩٤٧ الميلادى. (٣)

---

(١) هو بندت جواهر لال نهرو (المتوفى عام ١٩٦٤ الميلادى) كان زعيما هندوسيا ويعتبر النائب الاول لزعيمهم الاكبر غاندى فى الكفاح لتحرير البلاد من الانجليز ، قد تولى رئاسة حزب المؤتمر الهندى لعدة مرات وكان اول رئيس الوزراء للجمهورية العلمانية الهندية .

(٢) انظر سيد حسن رياض " باكستان ناگزير تها " ـ ص ٢٤١ ـ ٢٦١ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٤٧٥ ـ ٥١٨ .

الاوضاع السياسية بعد انشاء دولة باكستان الاسلامية

الدولة الجديدة في مواجهة التحديات :

كانت موافقة الاستعمار البريطاني بتواطؤ حزب المؤتمر الهندي على تقسيم شبه القارة الهندية ، اما اقامة دولة باكستان المسلمة فكانت بسبب الضغط الشديد من قبل حزب رابطة المسلمين ، فلذا خطط الاستعمار الانجليزي والهندوسي للقضاء على هذه الدولة المسلمة في بداية أمرها ، فقام الهندوس بشن الغارات البربرية العنيفة ضد المسلمين يقيمون المذابح والمجازر ويسفكون دماء الابرياء من الرجال والنساء والاطفال فكانت نتيجة هذا النهب والسلب والمجازر أن ملايين المسلمين اضطروا الى الهجرة من الهند الى باكستان (١) . هذا من ناحية ،ومن الناحية الاخرى كان في ذلك الوقت أن جاء الاستعمار الهندوسي بالمؤامرة لاحتلال ولاية جامو وكشمير المسلمة وتمكن من السيطرة عليها بالخدعة والقوة معا (٢) .

وفاة مؤسس دولة باكستان الاسلامية وظهور الاراء المتضاربة حول تطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان :

وكان في سبتمبر عام ١٩٤٨ الميلادي أن توفي مؤسس دولة باكستان المسلمة السيد / محمد على جناح الملقب بالقائد الاعظم الى رحمة الله (٣) وخلفه القادة الذين لم يرغبوا في تطبيق الشريعة الاسلامية ، وبدأوا يظهرون الآراء المتضاربة حول هذا الموضوع ، فقامت الجماعة الاسلامية بالمطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان فقبض على الاستاذ المودودي وزملائه ولم يطلق

---

(١) انظر للتفصيل السيد / صفدر محمود ـ مسلم ليك كادور حكومت ص : ٢٧٢ـ٢٨٠
(٢) انظر للتفصيل الاستاذ المودودي ـ مسئلة كشمير ص: ١٩-٢٨ .
(٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية جـ ٥ ص ٤٣٦ .

سراحهم حتى مايو سنة ١٩٥٠ الميلادى [1] .

اصدار قرار المبادىء الاساسية لدولة باكستان الاسلامية :

وكان لجهود الجماعة الاسلامية والجماعات الدينية الاخرى المستمرة أن اضطر المجلس التأسيسى للدولة الى اصدار قرار المبادىء الاساسية للدولة فى عام ١٩٤٩ م ويعتبر ذلك القرار أساس دولة باكستان الاسلامية ، وذلك لانه ينص على أن الحاكمية فى باكستان لله سبحانه وتعالى وان الحكومة ملتزمة بتطبيق مايريده الحاكم الاعلى وهو الله سبحانه وتعالى [2] .

اتفاق العلماء على المبادىء الاساسية للدستور الاسلامى :

وفى عام ١٩٥٠ الميلادى قامت الحكومة باصدار التوصيات لمبادىء الدستور الاساسية ، فكانت تخالف قرار المبادىء الاساسية للدولة ، فطالبت الجماعة الاسلامية والجماعات الدينية الاخرى من الحكومة لسحبها على الفور ، فجاءت الحكومة بالمؤامرة الاخرى فطالبت من العلماء والمشايخ أن يأتوا بمبادىء الدستور الاسلامى التى تتفق عليها الفرق الاسلامية المختلفة ، فكانت تظن أن العلماء والمشايخ التى ينتمون الى فرق اسلامية مختلفة لن يتفقوا على هذه المبادىء ولكن خاب ظن الحكومة حيث وفق الله العلماء والمشايخ أن يجتمعوا ويأتوا بالمبادىء الاساسية للدستور الاسلامى ، والاستاذ المودودى له دور هام فى صياغة هذه المبادىء [3] .

---

(١) انظر الاستاذ ثروت صولت: Moulana Moudoodi ص ٣٩ .

(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية ص : ٤٣٦ والاستاذ ثروت صولت Moulana Moudoodi ص ٣٤-٣٦ .

(٣) انظر الاستاذ خليل الحامدى ـ الامام ابوالاعلى المودودى ، فكره ، دعوته ، جهاده ص : ٥٨ .

- **الانتخابات :**

وفى عام ١٩٥١ الميلادى كان لاول مرة أن أجريت الانتخابات فى باكستان وكان نتيجة للغش والتزوير والطرق غير الشرعية الاخرى أن نجح حزب رابطة المسلمين الحاكم (١) ، وكان لمخططات الشيوعيين والاشتراكيين والعلمانيين الموجودين فى حزب رابطة الحاكمة والدوائرالحكومية ان لم تتمكن الجماعات الدينية من النجاح فى الانتخابات .

- **مؤامرة روالبندى الشيوعية :**

وكان فى تلك الايام أن جاء الشيوعيون الموجودون فى الدوائر الحكومية والعسكرية والسياسية بالمؤامرة للانقلاب الشيوعى فى البلاد ،ولكن قدر الله أن يكتشف الامر وتقضى على المؤامرة قبل أن تتحقق فلله الحمد (٢) .

- **الثورة الشعبية ضد القاديانيين :**

كان من المخططات الاستعمارية الشنيعة أن تمكن القاديانيون من السيطرة على الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية ، فكان رد فعل هذه السيطرة أن قام الشعب المسلم الباكستانى ضدهم وطالب من الحكومة اصدار القرار الذى ينص على كون القاديانيين غير المسلمين فكانت اضطرابات عنيفة فى اقليم البنجاب فاغتنمت الحكومة تلك الفرصة للقضاء على الجماعات الدينية ، ولاسيما الجماعة الاسلامية التى كانت تقود الحركة لتطبيق الشريعة ، فحكم على الاستاذ المودودى بالاعدام شنقا ، الا أن الله قد أنقذه من ذلك (٣) .

---

(١) انظرالسيد /صفدر محمود - مسلم ليك كاد ور حكومت ص ١٧١-١٧٤ .
والاستاذ ثروت صولت Moulana Moudoodi ص ٣٤ : ٣٥ .

(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية ص ٤٣٧ .

(٣) انظر المراجع السابقة ص ٤٣٨ .

ـ الصراع الطويل لنفاذ الدستور الاسلامي :

تعتبر الفترة مابين عام ١٩٤٨ الميلادى وعام ١٩٥٦ الميلادى فترة الصراع المستمر لنفاذ الدستور الاسلامي وكان ذلك الصراع بين الحكومة وبين الشعب المسلم من ناحية ، وبين الشيوعيين والعلمانيين والقاديين ومنكرى السنة فى الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية وبين الجماعات الدينية ولا سيما الجماعة الاسلامية من الناحية الاخرى ، وذلك فضلا عن مؤامرات الاستعمار الدولية ضد حركة اقامة الحكومة الاسلامية فى باكستان ، فنتيجة لذلك الصراع الطويل والمؤامرات الداخلية والخارجية المستمرة أصبحت الحكومة لعبة فى ايدى الاطفال ، فتغيرت أكثر من ستة حكومات خلال تلك الفترة القصيرة(١) .

الدستور الاسلامي لعام ١٩٥٦ م :

وأخيرا فى عام ١٩٥٦ م تمكن الشودرى محمد على رئيس الوزراء آنذاك أن يأتى بالدستور للبلاد وكان ذلك الدستور الى حد كبير وفقا لقرار مبادىء الدولة لعام ١٩٤٩ الميلادى والمبادىء الاساسية للدستور الاسلامي التى اجتمع عليها العلماء عام ١٩٥٠ الميلادى (٢) ، ولذلك هذا الدستور ، مع بعض الملاحظات يعتبر الدستور الاسلامي أو شبه الاسلامي ، وكان لذلك أن رحبت به الجماعات الاسلامية مع ملاحظاتها عليه .

نفاذ الحكم العرفى وحلول الاحزاب السياسية : وكان من الطبيعى أن العلمانيين والمتفرنجين والشيوعيين والقاديانيين فى الجيش والحكومة لم يعجبهم

---

(١) انظر المرجع السابق ص : ٤٣٨ .

(٢) انظر السيد / صفدر محمود ـ مسلم ليك كادور حكومت ص : ٢٨٥ـ٣٢٣ .

نفاذ الدستور الاسلامی فی باکستان ، وهکذا القوی الاستعماریة لم تکن راضیة بذلك الدستور ، فخططت المخططات والمؤامرات فی داخل البلاد وخارجها فقام الجنرال ایوب خان رئیس ارکان الجیش انذاك بنفاذ الحکم العرفی والغاء الدستور وحل الاحزاب السیاسیة وذلك عام ١٩٥٨ المیلادی (١) .

فترة الحکم العرفی — فترة خصبة للمخططات والمؤامرات المعادیة للاسلام :

وتعتبر فترة الحکم العرفی فترة خصبة للشیوعیین والمتفرنجین والقادیانیین ومنکری السنة ، فخططوا المخططات والمؤامرات للقضاء علی الاسلام والجماعات الدینیة ولاسیما الجماعة الاسلامیة ، فکان خلال تلك الفترة أن تمکن منکروا السنة من النفوذ فی الدوائر الحکومیة فبدأوا ینشرون أفکارهم الضالة حول السنة النبویة ومکانتها فی التشریع والتفسیر ، وذلك تحت رعایة الحکومة فتأسست " ادارة التحقیقات الاسلامیة " التی عینوا فیها الکتاب والباحثین ینتمون الی هذه الفئة الضالة ، هذا من ناحیة ، ومن الناحیة الاخری قامت الحکومة بتغییر قانون الاحوال الشخصیة الاسلامی بالقوانین الوضعیة المعادیة للاسلام ، وهذا مالم یفعله حکومة الاستعمار الانجلیزی ایضا ، ومن الناحیة الثالثة اغتنم الشیوعیون والقادیانیون والمتفرنجون الموجودون فی الحکومة تلك الفرصة لاستغلال الوسائل الحکومیة ولاسیما وسائل الدعایة والاعلام لنشر افکارهم الباطلة بجانب ، ولنشر الاباحیة والفواحش والمنکرات من جانب آخر (٢) .

---

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامیة بالاردیة ج ٥ ص : ٤٤١—٤٤٢ .

(٢) انظر الاستاذ احمد ادریس — الشیخ ابوالاعلی المودودی وصفحات من حیاته وجهاده ص : ٧٣-٧٦ والدکتور کلیم الصدیقی —
Conflict, Crisis & War in Pakistan p.99-124.

ـ الدستور الجديد وانتخابات الرئاسة :

وفى عام ١٩٦٢ الميلادى جاء أيوب خان بالدستور الجديد للبلاد وذلك الدستور كانت فيه السلطة فى ايدى الدكتاتور الحاكم ، واما البرلمان فكان مثل لعبة فى يد الدكتاتور[١] ، وفى عام ١٩٦٥ أجريت الانتخابات لرئاسة البلاد تحت ذلك الدستور فعقدت تلك الانتخابات بين الرئيس ايوب خان وبين أخت مؤسس باكستان محمد على جناح السيدة/ فاطمة جناح التى كانت تؤيدها الاحزاب المعارضة فجاءت اللجنة الانتخابية بالنتائج المزورة وأعلنت نجاح أيوب خان (٢) .

ـ الحرب بين الهند وباكستان :

وفى عام ١٩٦٥ م هاجم الاستعمار الهندوسى الغاشم جمهورية باكستان الاسلامية وذلك لتأييدها لحركة تحرير ولاية جامو وكشمير المسلمة التى احتلها الاستعمار الهندوسى ، فوقف الشعب الباكستانى مع الجيش لمواجهة ذلك التحدى الاستعمارى فوفق الله الجيش الباكستانى بالنصر[٣] فلله الحمد .

بداية الصراع العنيف واستقالة أيوب خان :

وكان لاجراءات أيوب خان الاستبدادية ، ولاسيما المخططات المعادية للاسلام أن قام الشعب المسلم الباكستانى ضده فى عام ١٩٦٨ الميلادى

---

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية ص : ٤٤٤ .

(٢) انظر الدكتور كليم الصديقى :
Conflict, Crisis & war in Pakistan p. 118-121.

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٢١-١٢٥ والاستاذ خورشيد احمد :
" باكستان مين اثين كي تهه وينا ورجمهوريت كامستقبل ص ٢٨٣ .

واتحدت الاحزاب السياسية المختلفة وشكلت المعارضة القوية ضد الحكم الدكتاتوري ، فأقيمت المؤتمرات الجماهيرية والمظاهرات الشعبية يطالبون اعادة الديمقراطية واجراء الانتخابات ، فبدأت المفاوضات بين ايوب خان وبين الاحزاب المعارضة فوافق ايوب خان على ذلك الا ان الاحزاب اليسارية الشيوعية وعلى رأسها حزب الشعب للسيد / ذو الفقار على بوتو لم توافق على ذلك ، فأقيمت الاضطرابات والاشتباكات العنيفة بين الاسلاميين وبين الشيوعيين والمتفرنجين فى باكستان الغربية وباكستان الشرقية معا ، فاضطر ايوب خان الى الاستقالة من منصب الرئاسة وقام الجنرال يحيى خان بتنفيذ الحكم العرفى فى البلاد وذلك حسب التخطيط المسبق . وهكذا تمكن اليساريون من تحقيق أهدافهم الشنيعة . (١)

الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٧٠ الميلادى :

وفى عام ١٩٧٠ الميلادى أجريت الانتخابات البرلمانية فى باكستان الغربية وباكستان الشرقية معا وكان لمخططات الشيوعيين والعلمانيين ومنكرى السنة الموجودين فى الدوائر الحكومية من ناحية ، ولتمويل الاحزاب اليسارية العلمانية من قبل الدول الاستعمارية من ناحية اخرى ،وللخلافات الموجودة فيما بين الاحزاب الاسلامية من ناحية ثالثة ، أن تمكن حزب الشعب للسيد / ذو الفقار على بوتو من النجاح فى باكستان الغربية وذلك مع ان الاصوات التى حصل عليها حزب الشعب لم يزد عن ٣٥ ٪ وهكذا نجح حزب الشعب اليسارى

---

(١) انظر للتفصيل رانا رحمن ظفر — مشرقى باكستان كى علحدگى كى دردناك كهانى ص ١٠٣—١٢٢ والدكتور كليم الصديقى
Conflict, crisis and War in Pakistan ,
ص ١٢٥—١٤٥ .

للشيخ مجيب الرحمن فى باكستان الشرقية وذلك ايضا مع ان عدد الاصوات التى حصل عليها هذا الحزب كان اقل من العدد الذى حصلت عليه الاحزاب الاسلامية وهذا مايتبين منه انه لو اتحدت الاحزاب الاسلامية فى باكستان الغربية والشرقية لم يحصل لليساريين ماحصل لهم من النجاح فى الانتخابات(١).

حادث انفصال باكستان الشرقية :

من المعلوم أن باكستان الشرقية كانت تقع على بعد أكثر من ألف كيلو متر من باكستان الغربية حيث يقع الاستعمار الهندوسى مابين الشطرين ويتربص بهما الدوائر والاسلام كان هو الرابط الوحيد بينهما وكان من الطبيعى أن نجاح الشيوعيين فى كلا الشطرين يؤدى الى الضعف والاضمحلال فى ذلك الرابط ، فاغتنمت الدول الاستعمارية — ولاسيما الاستعمار الاحمر — تلك الفرصة فخططت للقضاء على وحدة البلاد فكان لدعم الاستعمار السوفيتى المادى والمعنوى ان تمكن الاستعمار الهندوسى من فصل باكستان الشرقية عن باكستان الغربية وذلك فى ديسمبر عام ١٩٧١ الميلادى. (٢)

حزب الشعب للسيد بوتو يستولى على الحكم:

انتهى ذلك الحادث المؤلم باستقالة يحيى خان واستولى السيد ذو الفقار على بوتو رئيس حزب الشعب على الحكم ، وذلك ايضا حسب المخططات الاستعمارية السابقة ، واستمر حكم بوتو من العام ١٩٧١ الميلادى الى العام ١٩٧٧ الميلادى وتعتبر تلك الفترة فترة الاستبداد والعدوان والعنف

---

(١) انظر للتفصيل رانا رحمن ظفر — مشرق باكستان كي عليحدگي كي دردناك كهانى ص ١٢٥ — ٣١٨

(٢) انظر للتفصيل والمرجع السابق ص ٣٢٩ — ٤٣١ ، كهاني ص٣٢٩ — ٤٣١

من ناحية ، وفترة المخططات المعادية للاسلام من الناحية الاخرى ،وفترة نشر الاباحية والفواحش والمنكرات في المجتمع من الناحية الثالثة ، وجملة القول أن تلك الفترة تعتبر من أسود ابواب التاريخ لدولة باكستان المسلمة (١) .

ـ المسلمون يقومون ضد القاديانيين :

وكان لتأييد القاديانيين لحزب الشعب لبوتو خلال الانتخابات البرلمانية عام ١٩٧٠ م الميلادى أن حصلت لهم السيطرة فى السلطة بعد أن وصل حزب الشعب الى الحكم ، وبهذا بلغت لهم الجرأة أن يهاجموا الطلاب المنتمين الى الحركة الاسلامية وهم يمرون من الربوة مركز القاديانية وهذا ماجعل الشعب المسلم الباكستانى أن يقوم ضد تمرد القاديانيين ،فبدأت المؤتمرات والمظاهرات الجماهيرية بالمطالبة باصدار القرار الذى ينص على كون القاديانيين أقلية غيرمسلمة ، وكانت علاقة وثيقة بين الحكومة وبين القاديانيين وراء عدم موافقة الحكومة على هذه المطالبة فى بداية أمرها الا انها وافقت على ذلك فيما بعد نتيجة للضغط الشعبى الشديد ، فصدر القرار ينص على كون القاديانيين غير مسلمين (٢) ، والحقيقة أن اتحاد الجماعات الدينية له دورهام فى اصدار ذلك القرار ، ولولا ذلك الاتحاد بين المسلمين لم توافق الحكومة على اصدار ذلك القرار .

---

(١) انظر للتفصيل الاستاذ محمد صلاح الدين ـ بيبلزبارتى ـ مقاصد اور حكمت عملى.

(٢) انظر الشيخ المقرى احمد بيلى بيتى ـ تاريخ پاك وهند ص: ٣٠٩ـ٣١٦ .

الحركة الشعبية ضد حكم بوتو الدكتاتوري :

وكان لاستبداد الدكتاتور وعدوانه الشديد أن أقيمت الحركة الشعبية الكبيرة ضد النظام الدكتاتوري وتلك الحركة التي شاركت فيها الاحزاب السياسية المختلفة تعتبر اكبر الحركات السياسية منذ انشاء دولة باكستان الاسلامية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تمتاز هذه الحركة بلونها الاسلامي بحيث كانت المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية من أهم أهدافها الاساسية . وجدير بالذكر أن هذه الحركة قد وصلت الى قمتها الا أن قام الجنرال ضياء الحق بنفاذ الحكم العرفي في البلاد وذلك في يوليو عام ١٩٧٧ م ، ثم حكم على بوتو بالاعدام شنقا فيما بعد وذلك قصاصا لجريمة القتل التي ارتكبها .

وجدير بالذكر أن الجنرال ضياء الحق وصل الى السلطة وهو يتعهد بأنه سيقوم بتطبيق الشريعة الاسلامية ، وهو معروف بميوله الاسلامية (١) ،ولكن هل سيتمكن من الوفاء بذلك الوعد أم لا ؟ هذا ماستثبته الايام .

وجملة القول أن اوضاع المسلمين بشبه القارة الباكهندية خلال ذلك العصر تمتاز للصراع المستمر بين الاسلام والجاهلية ، يبدأ هذا الصراع بمخططات الاستعمار للقضاء على حكم المسلمين في شبه القارة من ناحية ، وبنشر أفكار السياسة الجاهلية الحديثة فيهم من الناحية الثانية ، ثم يبدأ الصراع بين مسلمي شبه القارة وبين الاستعمار البريطاني بجانب وبين المسلمين والهندوس بجانب آخر ، وذلك لاستقلال البلاد من الاحتلال الاستعماري وانشاء دولة باكستان المسلمة ، ثم بعد انشاء دولة باكستان الاسلامية بدأ الصراع الجديد

---

(١) انظر الاستاذ محمد صلاح الدين ـ المرجع السابق .

بين الحركة الاسلامية والاحزاب الاسلامية الاخرى ، وبين العلمانيين المتفرنجين والشيوعيين ومنكرى السنة والقاديانيين لتحويل باكستان الى دولة اسلامية أو دولة علمانية شيوعية . . ولا يزال هذا الصراع مستمرا . وسنفصل الكلام فى مؤثرات هذه الاوضاع السياسية بالجوانب المختلفة خلال حديثنا عن مؤثرات ذلك العصر من النواحى المختلفة . وبالله التوفيق . "

• • •

المبحث الرابع :

الحالة الدينية

كان ذلك عصر انحطاط المسلمين فى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ، ولم تكن هناك دائرة من دوائر الحياة الا وقد تاثرت بذلك الانحطاط كما لم يكن هذا الانحطاط مقتصرا على بلد خاص من البلاد الاسلامية ، بل كان العالم الاسلامى من شرقه الى غربه مصابا بالجدب العلمى وشبه الشلل الفكرى وقد أخذه الاعياء والفتور واستولى عليه النعاس(١). ولم يكن ذلك الجمود والانهيار الا نتيجة لفكرة فصل الدين عن الدولة واقفال باب الاجتهاد امام العلماء(٢) ، ونرى هذا الخمود عاما شاملا للعلوم الدينية والفنون الادبية والمعانى الشعرية والانشاء والتاريخ ومناهج التعليم(٣) " وكان معظم المناهج الدراسية فى المدارس الدينية تضم فيها دراسة فلسفة الاغريق او المذاهب الفقهية المختلفة ، اما القرآن والحديث فالعناية بهما لم تكن الا قليلا فكانوا لا يزالون يدرسون فى الفلسفة والكلام تلك الكتب التى كان الزمان قد خلفها من ورائه منذ خمسمائة سنة وتقدم الى الامام(٤) .

ذلك كان حال المجتمع الاسلامى من الناحية الدينية ولم يستثنى عن ذلك مسلمو شبه القارة الهندية ، فلقد اصابهم ما اصاب المسلمين فى كل مكان ، وسأحاول اعطاء فكرة موجزة عن أحوال المسلمين الدينية فى شبه القارة الهندية . وبالله التوفيق .

---

(١) انظر الاستاذ ابا الحسن على الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٦٥-١٦٦ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ١٤٧ — ١٦٤ .
(٣) انظر المرجع السابق ص ١٦٦ .
(٤) انظر الاستاذ المودودى ، نحن والحضارة الغربية ص ١١٧ .

الحالة الدينية في شبه القارة الهندية

وصل الاسلام فى غرب شبه القارة الهندية فى آخر القرن الأول من الهجرة بواسطة المجاهدين المسلمين وذلك حينما قام محمد بن القاسم(١) بفتح السند فى عصر الدولة الأموية(٢) ، وقد عرف سكان البلاد سماحة الاسلام ومساواته بين البشر مما حمل معهم المجاهدون المهرة ،ومن سوء حظ هذه القارة انه بعد وفاة الوليد بن عبدالملك واستشهاد محمد بن القاسم لم يتمكن خلفاء بنى أمية من فتح بقية البلاد واستمرت تلك الحالة الى بداية القرن الخامس من الهجرة حين غزا محمود الغزنوى الهند ،ففتح البلاد التى لم تفتح من قبل (٣) ،ثم جاء محمد الغورى وتمكن من اخضاع دهلى ،عاصمة البلاد فى نهاية القرن السادس من الهجرة ،وبعد استشهاده عام ١٢٠٦ الميلادى (٤) قام قطب الدين أيبك بتأسيس أول حكومة المسلمين بالهند (٥) ،ثم تمكن المسلمون من فتح اكثر القارة بعد ذلك واستمر حكمهم فيها حوالى ثمانية قرون وفى عام ١٨٥٧ م الغى حكم المسلمين بعد مجىء الاستعمار البريطانى الى الحكم(٦) ، ولسوء الحظ ان الملوك المسلمين مع ان بعضهم كانوا متدينين فى حياتهم الشخصية لم يعتنوا بتبليغ الاسلام

---

(١) هو محمد بن القاسم الثقفى (٧٢هـ — ٩٦هـ) بعثه عمه الحجاج بن يوسف أمير العراقين بفتح السند فىعهد وليد بن عبدالملك الأموى ، وهو لم يتجاوز عمره سبعة عشر سنة ،فهو تمكن من فتح هذه البلاد عام ٨٩ من الهجرة . ثم استشهد فىعام ٩٦ من الهجرة فى عهد الملك سليمان بن عبدالملك الاموى .

(٢) انظر البلاذرى - فتوح البلدان ص ٦١٢ - ٦١٨ .

(٣) انظر الدكتور حسان حقى - باكستان ماضيها وحاضرها ص ٥٤-٥٥ .

(٤) انظر سيد حسن رياض - باكستان ناكزيرتها ص ٨-١٠ .

(٥) انظر المرجع السابق ص ١٠ .

(٦) انظر الدكتور عبدالعزيز سليمان بار - تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٥٥٨ - ٥٦٢ .

فى شبه القارة الهندية ، بل اقتصر تبليغ الاسلام على الصوفية والوعاظ الذين هاجر معظمهم من بلاد ماوراء النهر فكانوا اكثرعناية بالتصوف أو المذاهب الفقهية من اعتنائهم بتعليم الكتاب والسنة(١) ولم يكن هناك نظام خاص للتبليغ وبخاصة لهؤلاء حديثى العهد بالاسلام ونتيجة لذلك أسلم كثير من الهندوس بدون أن يتخلوا من عقائدهم الشركية القديمة ، او تقاليدهم الجاهلية التى قد الفوا عليها آباءهم ولم يفعلوا شيئا بعد اسلامهم الا أن يغيروا أسماء آلهتهم القديمة ويجعلوا آلهة جديدة من أولياء الله فى مكانها فكان اسلامهم يختلف من الاسلام النقى فى كثير من النواحى (٢) ،ولو اقتصر على هذا لهان الامر ،ولكن أحد هؤلاء الملوك وهو جلال الدين اكبر (المتوفى عام ١٦٠٥ الميلادى) ،وقع فى شباك مؤامرة الهندوس فتزوج مع نسائهم واخترع دينا جديدا سماه (الدين الالهى) ولم يكن ذلك الدين الا مجموعة من الخرافات والتقاليد الهندوسية وهكذا انتشرت تلك الخرافات والتقاليد الجاهلية فى عامة المسلمين أيضا (٣) ، وكادت ان تذوب شخصية المسلمين فى تلك الخزعبلات ،ولكن قدر الله ،وله الحمد ،أن ينقذ المسلمين من تلك الخطورة فقام الشيخ احمد السرهندى (٤) الملقب بالمجدد الالف الثانى رحمه الله وبدأ جهاده لمواجهة ذلك التحدى الضار ،وذلك فى عهد ابنه نورالدين جهانكير فألقى فى السجن ولكنه استمر فى عمل الدعوة فى السجن حيث تاب على يديه مئات من المسجونين هناك ، فأطلق سراحه

---

(١) انظر الاستاذ مسعود الندوى ــ تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ١٠

(٢) انظر الاستاذ المودودى ــ واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٣٠-١٣١ .

(٣) انظر للتفصيل الاستاذ صلاح الدين ناسك ـ دور فعليو ص ٢٢١-٢٢٤ .

(٤) هوالشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندى (٩٧١هـ ــ ١٠٣٤هـ) ولد فى بيت عريق فى المجد والعلم ونشأ فى بيئة دينية صالحة واستفاد من الشيخ باقى الله ثم قام لمواجهة هذا التحدى . وهويعتبر مجدد العصر . انظر للتفصيل الشيخ عبدالحى الحسنى ـ نزهة الخواطر ج ٥ ص ٤١-٥٢ .

كما تاب على يديه جهانكير ، وتخلى عن دين أبيه (الدين الالهى) (١) وبعد وفاة الشيخ أحمد السرهندى . . قدر الله ان يقوم الامام أحمد بن عبد الرحيم الشهير بالشاه ولى الله الدهلوى (٢) بحمل راية الجهاد الذى قد بدأه الشيخ احمد السرهندى ، وجدير بالذكر أن دعوته ومؤلفاته تمتاز بالاعتماد على الكتاب والسنة ، وهكذا نشأ علم الكلام الجديد المؤسس على البراهين من الكتاب والسنة (٣) ، وبعد وفاته فى عام ١١٧٦ من الهجرة استمرت دعوته فى ابنائه واحفاده وتلاميذه ، وفى عام ١٢٤٢ من الهجرة حمل سيد احمد البريلوى (٤) والشيخ محمد اسماعيل الدهلوى (٥) راية الدعوة ، وبذلا الجهود المضنية لاقامة الدولة الاسلامية بمفهومها الصحيح الشامل ، وذلك بوضع أسس حركة الجهاد التى بدأت ضد حكومة " سيخ " فيقول مؤسس الحركة سيد أحمد البريلوى " نعم ما أتمناه على ربى وارجو من صميم فؤادى ان يجرى العمل بقانون الشرع وتنفيذ احكام الرب العلى العظيم فى معظم بلاد بنى آدم بل فى جميع اقطار العالم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ". (٦) وقد استشهد سيد احمد البريلوى والشيخ اسماعيل عام ١٢٤٦ من الهجرة الموافق ١٨٣١ م ولكن ظل أثر دعوتهما فى المجتمع الاسلامى لمدة طويلة (٧).

---

(١) انظر شيخ محمد اكرام ــ رود كوثر ص ٢٦٧ ــ ٢٨١ .

(٢) هو الشيخ احمد بن عبد الرحيم الدهلوى (عام ١١١٤ هـ ــ ١١٧٦ م) كان عالما محيا عبقريا يعتبر مجددا لعصره وله عدة من الكتب القيمة . انظر شيخ محمد اكرام ــ رود كوثر ص ٥٤٨ ــ ٥٨٦) .

(٣) انظر الشيخ عبد الحى الحسنى ــ نزهة الخواطر جـ ٦ ص ٣٩٨ ــ ٤١٤ .

(٤) هو سيد احمد البريلوى (عام ١٢٠١ هـ ــ ١٢٤٦ هـ) قد حمل راية الدعوة بعد وفاة الشاه ولى الله الدهلوى وقام بالجهاد ضد حكومة السيخ الطاغية واستشهد عام ١٢٤٦ هـ .

(٥) هو الشيخ محمد اسماعيل الدهلوى المتوفى عام ١٢٤٦ من الهجرة .

(٦) انظر الأستاذ مسعود الندوى ــ تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ١٧٢ .

(٧) انظر شيخ محمد اكرام ــ موج كوثر ص ١٥ ــ ٣٦ .

وكما ذكر آنفا انه فى عام ١٨٥٧ الميلادى محيت الدولة المغولية من شبه القارة الهندية واستولى الاستعمار البريطانى على الحكم وكان لتلك الضربة أثر عميق فى حياة المسلمين من كل ناحية ولا سيما من الناحية الدينية فقد ألغيت المحاكم الشرعية واستبدل القانون الافرنجى بالقانون الاسلامى كما استبدل نظام التعليم الأفرنجى اللادينى بنظام التعليم الاسلامى فأنشئت المعاهد التعليمية العصرية والمدارس التبشيرية فى طول البلاد وعرضها (١). وكان كل ذلك حسب المخططات الاستعمارية التى كانت تهدف تنشئة جماعة هندية اللون والدم والانجليزية فى المظهر والرأى واللغة والتفكير، وكان لتلك المخططات الاستعمارية أثر كبير ورد فعل شديد فى المجتمع ظهر على اثره الحركات الآتية(٢) :

أولا : حركة سيد أحمد خان (٣) أو حركة (على كره) كما يسمونها وكانت تلك الحركة انفعالية قائمة على قبول كل شىء يأتى من الغرب سواء كان حقا أم باطلا . وقام مؤسسها بتأسيس كلية (عليكره) الاسلامية لتعميم التعليم الانكليزى والثقافة الغربية بين المسلمين ،هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قام سيد أحمد خان بتفسير القرآن والاسلام حسب ما جاءه من الغرب من العلوم والفلسفات فترى أنه أنكر ولادة سيدنا عيسى عليه السلام من غير أب كما أنكر الجنة والنار والملائكة والجن واخذ يشتم الأئمة الفقهاء

---

(١) انظر للتفصيل سيد نورالله - تاريخ تعليم هند ص ٥٧-٥٨ ، ١٤٥ ، ٢-٢١٢ .

(٢) انظر مجلة صراع راه الشهرية عدد خاص فى ذكرى الحركة الاسلامية ص ٥٦ .

(٣) هو سيد أحمد خان بن ميرمتقى (عام ١٨١٧ الميلادى عام ١٨٩٨ الميلادى) مؤسس كلية على كره الاسلامية . تلقى دراسته على منهج التعليم القديم . قد تاثر كثيرا من فشل ثورة عام ١٨٥٧م . ويرى أن نهضة المسلمين ينحصر على اتباع الحضارة الغربية الحديثة فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية . فقام بتاسيس كلية على كره الاسلامية عام ١٨٧٠ الميلادى (انظر شيخ محمد اكرام — رود كوثر ص ٧٧-١١٠) .

والمحدثين ويستهزئ بالشعائر الاسلامية(١) وأنكر السنة وقرر في تفسيره أن القران نزل على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمعنى فقط ثم صاغ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفاظه من عنده(٢) " فكان يؤول القرآن تأويلا يبلغ حد التحريف والعبث بأصول العربية واللغة والنحو ، والتواتر والاجماع فصار يفسر القرآن تفسيرا يخرق فيه الاجماع وينقض به اللغة "(٣) ، " وقد كان الاتجاه المادي المتطرف والاسراف في تمجيد العقل والمبالغة في سلطانه وحدوده واخضاع ارادة الله وقدرته وكتابه لقوانين الطبيعة وقوانين هذا العالم والجرأة على التفسير وتاويل معاني القران تاويلا جريئا فتح به بابا للفتنة والتحريف والالحاد في آيات الله والفوضى في الدين والعقيدة التي انتشرت في العصر الأخير(٤) .

وكانت الحركة التي قام بها من أقوى الحركات وقد كتب لها من النجاح والتأثير مالم يكتب لأية حركة وفكرة وكان نفوذ شخصية سيد أحمد خان واسع النطاق وعميقا في المجتمع الهندي(٥) وأخيرا أصبحت كلية (عليكره) الاسلامية والمعاهد التابعة لها أو الكليات والمدارس الاخرى تأسست على منهجها مراكز لنشر الالحاد والشيوعية والتشكيك بين المسلمين فكانت نتيجة تلك الثقافة العلمانية بان المسلمين المثقفين بدأوا يعتقدون بأن الاسلام

---

(١) انظر الطالب/ خادم حسين الهي بخش ـ رسالته للماجستير ـ فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منه ص ٤٧ .

(٢) انظر مقالات سرسيد جـ ١ ص : ٤٤-٤٥ .

(٣) الأستاذ أبوالحسن على الندوي ـ الصراع بين الفكرة الاسلامية والغربية في الأقطار الاسلامية ص ٨٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٧ .

(٥) انظر المرجع السابق ص ٩١ .

دين شخصي كالمسيحية وليس لها أية علاقة بالحياة الاجتماعية ولاسيما شئون الدولة ولا شك ان تلك الفكرة الضالة كانت خطيرة جدا للاسلام والمسلمين فأصبحت دليل لطرد الاسلام خارج شئون الحياة الاجتماعية.

وهكذا اثمر انتشار الثقافة الغربية بين المسلمين ففقدوا قوة النقد والتمييز وجعلوا كل ما تعلموا من الغرب مقياسا للحق والباطل ثم رجعوا ينتقدون على الاسلام بهذا المقياس (١) ،ولو اقتصرت تلك الظاهرة على هؤلاء المتفرنجين لهان الأمر ، ولكن الأمر كان اشد خطورة عندما لم تسند أمور السلطة في المجتمع الاسلامي الا الى هؤلاء المتفرنجين فأصبحت ظاهرة التشكيك تعم المسلمين جميعا .

ثانيا : المدارس الدينية : بعد ما فشلت ثورة عام ١٨٥٧ الميلادى وقضى على حكومة المسلمين في الهند وبدأ العلماء والمشايخ يفكرون في المحافظة على الدين من تيار الغزو الفكرى الاستعمارى الانكليزى ،فقاموا بانشاء المدارس الدينية ، وأهمها معهد ديوبند الشهير الذى تأسس بعد اعلان الثورة بعشرة أيام ومؤسس هذا المعهد الدينى هو الشيخ محمد قاسم النانوتوى المتوفى عام ١٨٨٠م (٢) ،وكان من تلامذة مدرسة الشاه ولى الله الدهلوى ،ومن أهداف تلك المدارس المحافظة على ما بقى من الروح الاسلامى والعاطفة الدينية ومظاهر الحياة الاسلامية والتجنب من

---

(١) انظر الاستاذ المودودى - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٦١-١٦٨ .

(٢) هو الشيخ محمد قاسم بن اسعد (١٢٤٨ هـ - ١٢٩٨ هـ) تلقى دراسته على يدى العلماء الكبار ثم قام بتاسيس دار العلوم ديوبند كما اهتم بمناظرة النصارى والاريه من الهنود وله عدة من التأليفات القيمة . (نزهة الخواطر - ج ٧ ص ٣٨٢ - ٣٨٤) .

الحضارة الاستعمارية اللادينية والابتعاد عنها ما أمكن (١) ، وجدير بالذكر أن منهج تلك المدارس يدعى بالدرس النظامى و يشتمل على كتب المنطق وفلسفة اليونانيين وشروحها والتعليقات عليها وكتب النحو والبلاغة وكان منهج التعليم فيها عقيما لا يصلح لهذا العصر الذى تغيرت فيه أوضاع العالم فلا يؤهل الطالب المتخرج ان يخدم الدين ويذود عنه فى هذا الزمان الذى تطورت فيه النظريات وتجددت الافكار والاراء (٢) .

وجدير بالذكر ان المدارس الدينية الاخرى فى شبه القارة الهندية سواء كانت تحت اشراف اهل الحديث (٣) او تحت اشراف البريلويين (٤) ، لم تختلف عن تلك المدارس فى منهج التعليم ، الا أن علماء اهل الحديث كانوا يعتنون بالحديث اكثر من اعتنائهم بالفقه والبريلويون قد اختصوا بوضع معتقداتهم الخاصة . وهكذا يمكننا ان نقول بان (عليكره) و (ديوبند) اصبحتا بعد قليل مدرستين متعارضتين فى الاهداف والغايات ، هذه حصرت جهودها فى كتب وشروح والمقررات الدراسية التى ورثوها من شيوخهم والتى قد أكل عليها الدهر وشرب منذ بضعة قرون ، ولم يحاولوا تحديثها وادخال تغيير يلبى ما يتطلبه العصر الحاضر من علوم واداب وما يحتاج اليه المتعلم من المعلومات للدفاع عن حرمة الدين والذود عن حياضه وهكذا انفصل العلماء ورجال المدارس الدينية عن معترك الحياة واصبح العالم وشؤونه الجديدة فى غنى عن خدماتهم ومعاهدهم التعليمية ، وتلك تؤمن بعصمة كل ما يأتى من اوروبا من علم وادب او عقيدة او مبادىء خلقية

---

(١) الاستاذ ابوالحسن على الندوى — الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية ص ٧٥ .

(٢) انظر الاستاذ مسعود الندوى — تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ٩٣ .

(٣) فرقة من المسلمين فى شبه القارة الهندية يعتقد المنتسبون اليها ان القرآن والحديث يكفيان بنا ولسنا بحاجة الى التقليد بمذهب فقهى واحد

(٤) فرقة تنتسب الى الشيخ أحمد رضا خان البريلوى (المتوفى عام ١٣٤٠هـ) ولهم بعض العقائد الخاصة [illegible]

وجعلت من همها اقتفاء اثر الغرب وتتبع معالمه فى كل شيء(١) ولم تكن من ثمراته الا الضعف فى العقيدة والانحلال فى الاخلاق فلم يكن يهدف خريجوها الا الحصول على وظائف فى دواوين الدولة(٢) ، وهكذا نرى أن الخريجين من المدارس الدينية القديمة والكليات الحديثة يتخالفون فيما بينهم فى كل صغيرة وكبيرة .

ثالثا : ندوة العلماء : لما بلغ الأمر بالمدارس الدينية الى هذا الحد قام بعض العلماء وعلى رأسهم الشيخ محمد على مونكيرى(٣) والشيخ شبلى النعمانى(٤) ، واسسوا جمعية باسم (ندوة العلماء) وكان من أهم أهدافها اصلاح مناهج التعليم الدينية حتى تكون جامعة بين علوم الكتاب والسنة والعلوم العصرية ، وفى عام ١٣١٦ من الهجرة الموافق لعام ١٨٩٤ تأسست دار العلوم ندوة العلماء ،وكان منهج التعليم فى ندوة العلماء يشمل العلوم الدينية والعلوم العصرية وكان ذلك من مزايا دار العلوم وأن القائمين عليها اعتنوا فى اول ما اعتنوا بتدريس اللغة العربية اعتناء خاصا ، وجعلوا تدريسها نطقا وكتابة من اهم مايشتمل عليه منهجها واستقدموا لتدريس اللغة العربية اساتذة من بلاد العرب ،وكان قادة

---

(١) انظر الاستاذ مسعود الندوى — تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند — ص ١٩٣ .

(٢) انظر شيخ محمد اكرام — موج كوثر ص ١٤٧ .

(٣) هو سيد محمد على بن عبد العلى الحسينى ولد فى عام ١٢٦٢ هـ الموافق عام ١٨٤٦ الميلادى كان من مؤسسى ندوة العلماء وتوفى عام ١٣٤٦ من الهجرة .

(٤) هو الشيخ شبلى بن الشيخ حبيب الله ،ولد فى عام ١٢٨٤ من الهجرة كان من كبار العلماء درس زمانا فى كلية على كره الاسلامية ثم ترك عمله هناك وقام بتأسيس ندوة العلماء والف فى السيرة والتاريخ كتبا قيمة . وتوفى عام ١٣٣٢ من الهجرة . انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية . ص ٦٥٠ - ٦٥٤ .

هذه الحركة ينظرون الى مناهج التعليم وبرامجه كأداة للتعليم قابلة للنمو والتطور ، مطابقا لمقتضيات العصر مع الاحتفاظ بالروح والاهداف(١) .

وهكذا كانت حركة ندوة العلماء مدرسة فكرية تجمع مقرراتها بين التليد الصالح والجديد غير الضار غيران جمعهما مع الاسف الشديد لم يعجب احد من الفريقين ولم يحصل التعاون المطلوب منهما ، فلذا لم تنتج تلك الفكرة نجاحا كاملا ، ذلك من ناحية ، ومن ناحية اخرى كما يقول احد خريجي تلك دار العلوم ان القائمين بها " قد اقتنعوا ورضوا بتقسيم العلوم الى الدينية والدنيوية فى اول امرهم بالاصلاح والتغيير وكل ما غيروه وبدلوه واصلحوه انما كان من هذا الوجه وبهذه الفكرة الخاطئة التى ترى ان العلوم تنقسم الى دينية ودنيوية ، وكأنهم زعموا ان التفسير والحديث والفقه وما الى ذلك من العلوم التى تدرس فى الازهر وديوبند وغيرهما من المعاهد الدينية هى علوم دينية وان الاقتصاد والتاريخ السياسى والكيمياء والهندسة والميكانيكا وغيرها من العلوم المستحدثة المستوردة من بلاد الغرب التى تلقن وتدرس فى الكليات العصرية ، علوم دنيوية . فلما اعتزموا اصلاح مناهج التعليم بعد ما قرروا هذا المبدأ السقيم واعترفوا بهذا التقسيم الخاطئ من حيث يشعرون او لا يشعرون ارادوا ان يجمعوا بين كلا النوعين كما فعلت دار العلوم الندوة فى الهند ، ثم يواصل حديثه فيقول : " ومن البين الواضح ان هذا التقسيم خاطئ برمته باطل من أساسه وانه يتم على فكرة خاطئة باطلة ، استحكم بنيانها وتوثقت عراها فى القرون المتأخرة ، قرون الجمود والتقهقر الفكرى ، وبيان ذلك ان الاسلام كلمة جامعة تشمل جميع نواحى الحياة البشرية من عقيدة وعبادة وخلق وسياسة واجتماع . ثم يضيف

---

(١) انظر الاستاذ مسعود الندوى ــ تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ٢٠٢٠ .

ويقول : " فلسنا بحاجة الى مدارس وكليات ومعاهد كمدارس الندوة وكليات عليكرة ومعاهد ديوبند وانما نحن فى حاجة الى مدارس جامعة لا تفرق بين العلوم الجديدة منها والقديمة تلقن الطالب مبادىء جميع العلوم المهمة بعدما تفرغها فى قالب اسلامى وتصبغها بصبغة دينية (١) .

رابعا : الحركات المعادية للاسلام :

من المعلوم بأن سيطرة الاستعمار الانكليزى على شبه القارة الهندية كان تمهيدا للغزو الفكرى الذى هدف الى ابعاد المسلمين عن دينهم وذلك للقضاء التام عليهم ،فقام بتخطيط عدة مؤامرات لتحقيق ذلك الهدف ومن اهمها انشاء الحركات المعادية للاسلام ،ومنها حركة جحود السنة والتبشير والقاديانية ،والعلمانية والشيوعية والماسونية وغيرها من الحركات والنظريات المناهضة للدين ويجدر بنا ان نذكر هنا بعض تلك الحركات والنظريات موجزا .

الحركة التبشيرية

أنشئت الحركة التبشيرية فى الهند تحت رعاية الاستعمار الانجليزى الغاشم بعدما تمكن الاستعمار من السيطرة على البلاد ،وكان من العجب بان رجال الدين المسيحى الذين قد عزلوا عن معترك الحياة فى وطنهم انجلترا بعد انتصار الحركة العلمية ،كان يشجعهم الاستعمار الانجليزى فى نشاطاتهم التبشيرية فى هذه البلاد المحتلة وذلك لانهم كانوا يعدونه بتنصير المسلمين ،أوعلى الأقل ببث الشبهات حول الاسلام(٢) فبدأت

---

(١) انظر الأستاذ مسعود الندوى ــ تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ٢٠١ــ٢٠٤ .

(٢) انظر السيد / نور الله ــ تاريخ تعليم هند ص ٥٧ ــ ٨٥ ، ١٤٥ــ٢١٢ .

الارساليات المسيحية الغارة على شبه القارة الهندية ، وتأسست الكنائس وترجمت الكتب المقدسة باللغة الأردية واللغات المحلية الأخرى وصدرت الكتب والبحوث تضم شبهات حول الاسلام وبدأت المناظرات والمجادلات مع علماء الاسلام في مسائل التوحيد والتثليث والوهيته المسيح وصحة الكتب المقدسة(١) . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تأسست المدارس والمعاهد التبشيرية يدرس فيها الكتاب المقدس مع المناهج الدراسية وانشئت المستشفيات يعالجون فيها المتنصرين مجانا . فكان نتيجة جهودهم هذا أن عددا غير قليل من المسلمين اعتنق النصرانية حتى اصبح بعضهم قسيسين . وفي عام ١٩٠٤ الميلادى كان عدد هؤلاء القسيسين المتنصرين ١٩٤ (٢) ولا يزال هذا العدد يزداد يوما فيوم فيما بعد .

٢ ـ القاديانية : ولا شك ان هذه الحركة كان لها خطر كبير حل بالمسلمين لانها تأسست على الكذب الصريح حيث ادعى مؤسسها النبوة وذلك ضمن تخطيط الاستعمار الغاشم الذى رباه في مهده وغذاه بلبان مكره ودهائه كما يعترف مؤسسها نفسه بأنه من الاسرة التي هي من غرس الانجليز أنفسهم (٣) .. ولم يكن هدفها الا ان تخدم الاستعمار الغاشم كما يقول الكذاب في خطاب له الى الحاكم العام الانكليزى " ان العمل المهم الذى انا منصرف اليه بلساني وقلمي منذ اول عهدي بالحياة الى هذا اليوم ، وانا ابن الستين ، وهو أن أصرف قلوب المسلمين الى طريق الحب والولاء والاخلاص والوفاء الصادق للحكومة الانكليزية(٤) .

---

(١) انظر أ ـ ل ـ شاتليه ـ الغارة على العالم الاسلامى (الترجمة لمحب الدين الخطيب) ـ ص ٥٣ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ٥٥ .
(٣) انظر الأستاذ الندوى ـ القاديانى والقاديانية ص : ١٠٠ .
(٤) انظر الاستاذ المودودى ـ ماهى القاديانية ص : ٣٨

وجدير بالذكر أن من الغايات الخبيثة التي قامت هذه الحركة لاجلها ابطال الجهاد كما يقول الكذاب في أحد كتبه " واني لعلى يقين بانه بقدر مايكثر اتباعي بقدر مايقل المعتقدون بمسألة الجهاد المقدس فان مجرد الايمان بي كالمسيح والمهدي هو انكار للجهاد "(١) .

واقرارا للواقع نرى انها خدمت الاستعمار في تحقيق جميع الاهداف والمؤامرات ولا تزال تخدمه حتى اليوم .

_ حركة انكار السنة :

والحركة الهدامة الأخرى التي لم تكن أقل خطرا للاسلام والمسلمين من الحركة القاديانية هي حركة انكار السنة ، وقد أنشئت هذه الحركة مثل اختها " القاديانية " تحت رعاية الاستعمار الغاشم فكان من أهدافها الاساسية تفسير الاسلام حسب ماجاءهم من الغرب من العلوم والفلسفات او حسب ماقال أساتذتهم المستشرقون ، ولان السنة النبوية المطهرة كانت تتحول مابين هذا التفسير وبين كتاب الله العزيز فقاموا بانكار كون السنة مصدرا ثانيا لتفسير القرآن الكريم والتشريع الاسلامي مما فبدأت الفتنة مع هذه الحركة التي قام بها سيد أحمد خان لتعميم الثقافة الانجليزية بين المسلمين ، وهو أول من قام بالتفسير الجديد للاسلام كما هو اول من قام بانكار الحديث في عصر الحديث(٢) . ثم استمرت تلك الحركة بعد وفاة سيد احمد خان حسب تخطيط الاستعمار وتحت رعايته وبعد انشاء دولة باكستان الاسلامية في عام ١٩٤٧ م حمل لواءها احد موظفي الدولة الكبار في الحكومة وهو السيد غلام احمد برويز(٣) ، فهكذا بدأ يزيد نفوذها

---

(١) انظر الاستاذ المودودي _ ماهي القاديانية ص ٣٩ _

(٢) انظر الاستاذ المودودي - سنت كى آئينى حيثيت ص ١٦ .

(٣) [illegible] : [illegible] هذه الرسالة .

في الدوائر الحكومية التي قد استولوا عليها المتفرنجون من خريجي الكليات الحديثة (١) .

فنستطيع أن نقول بأن حركة انكار الحديث كانت تمهيدا لسبيل المنظريات المادية والحركات اللادينية التي قد جاءت بها الحضارة الغربية كما كانت تمهيدا لنفوذ تعبير الاسلام الذي قد جاء به المستشرقون من اليهود والنصارى ، فبدأوا المسلمون المتفرنجون يفسرون القرآن حسب تفسير المستشرقين فأنكروا ولادة سيدنا عيسى عليه السلام من غير الاب وعودته الى الدنيا مرة ثانية وظهور الخوارق على أيدي الأنبياء ، كما انكروا عن وجود الجن والملائكة والبرزخ وكثير من الأمور الاخرى . وهكذا أنكروا عن وجوب الصلوات الخمس وصيام رمضان كما أنكروا عن حد الرجم وحد السرقة والحدود الاخرى (٢) .

ـ الشيوعية : ومن الحركات المضادية للاسلام حركة الشيوعية اللادينية التي تكلمنا عنها في بداية الفصل ، فقد انتشرت تلك الحركة في شبه القارة الهندية بعد انشاء الدولة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧ الميلادى والكليات الحديثة مثل كلية (غليكرة) أصبحت مراكز لتلك الحركة الضالة وكثير من خريجي تلك الكليات اعتنقوا تلك النظرية الضالة (٣) ،واخذوا يدعون اليها ومنهم من انضم الى حزب المؤتمر الهندى ومنهم من انضم الى حزب رابطة المسلمين ومنهم من دخل مجال الأدب والصحافة والاذاعة ومنهم من تمكن

---

(١) انظر الاستاذ مسعود الندوى ـ تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٢٣٩ .

(٢) انظر المرجع السابق ص : ٢٣٧ .

(٣) انظر الاستاذ المودودى ـ " جماعت اسلامى كى ٢٩ سال " ص ١٨ .

من النفوذ فى نشاط العمال او الفلاحين ، ولكن مع اختلاف مجالاتهم تلك كان هدفهم واحدا ، وهو نشر الشيوعية والالحاد والاباحية فى الشعب المسلم الهندى واستخدامه لمصالح الاستعمار الاحمر الغاشم (١) .

ـ العلمانية : ومن النظريات التى انتشرت بين المسلمين فى تلك الايام نظرية فصل الدين عن الدولة ولم تصل بذورها الى الشعب المسلم الا بواسطة تلك المعاهد التعليمية العصرية ، فبدأ كثير من خريجى الكليات العصرية يعتقدون ان الدين علاقة العبد بربه ، وليست له أية علاقة بشؤون الدولة ، وهذه النظرية وان صحت نسبتها الى المسيحية الا انها لا تصح فى ميزان الاسلام لانه دين كامل شامل للحياة تضم احكامه جميع شعب الحياة من الفرد الى المجتمع ومن البيت الى مقر الحكومة ولكن من سوء حظ المسلمين فى ذلك العصر أن علماء الدين أو خريجى المعاهد الحديثة كانوا يؤمنون بهذه النظرية الضالة ويجعلون هدفهم اقامة الدولة العلمانية على منوال الجمهوريات العلمانية فى الغرب (٢) .

هكذا انتشر بين المسلمين النظريات الهدامة الاخرى وهى نظرية داروين للارتقاء ونظرية فرويد فى علم النفس ونظرية ميكافلى فى السياسة وانتشرت تلك النظريات والفلسفات اللادينية نتيجة للتعليم اللادينى والاستعمارى الذى لم يكن هدفها الا ابتعاد المسلمين عن الاسلام ، فتمكن الاستعمار فى تحقيق ذلك الهدف الشنيع بعد انتشار تلك النظريات اللادينية فى المسلمين (٣) .

---

(١) انظر للتفصيل الأستاذ المودودى ـ تحريك ازادئ هند اورمسلمان ج ١ ص ٢١٥ - ٢٣٦ .

(٢) انظر المرجع السابق ص: ١٠٩-١٢٧ .

(٣) انظر الأستاذ المودودى ـ نحن والحضارة الغربية ص ٧ ـ ٢١ .

ـ الحركات السرية :

ويجدر بنا ان نشير هنا الى بعض الحركات السرية المعادية للاسلام مثل " نوادي الروتاري " و الحركة الماسونية ومن اهداف تلك الحركات ولاسيما الماسونية هو القضاء التام على الدين ، يقول احد زعماء تلك الحركة " لا بد لنا ان نكافح بجهد اكبر لادامة القوانين والانظمة اللادينية لان السلطة المطلقة التى صنعها رجال الدين على وجه المعمورة قد قاربت النهاية ، لا بل الت الى الزوال وان غايتنا قبل كل شئ هى ابادة الاديان جميعها " ولتحقيق ذلك الهدف المذموم لم يتركوا طريقا الا ومضوا فيه ، فالجاسوسية والرشوة والاغراء بالمال والنساء واخيرا الارهاب والعنف كلها وسائل مشروعة لديهم ، وذلك لانهم يعتقدون حسب البروتوكول الاول " ان الغاية تبرر الوسيلة ، وعلينا ونحن نضع خططنا الا نلتفت الى ماهو خير واخلاقى بقدر ما نلتفت الى ماهو ضرورى ومفيد (١) .

حركة تهنيد المسلمين :

وفى عام ١٩٢٥ م قام احد زعماء الهندوس ، وهو السوامى شردهانند واسس حركة تهنيد المسلمين اى جعل المسلمين هندوسيين (٢) ومن المعلوم أن تلك الحركة استهدفت القضاء التام على الاسلام والمسلمين واقامة دولة البراهمية الاستعمارية فى شبه القارة الهندية ، وقد استخدم اتباع هذه الحركة كل وسائل الترهيب والترغيب لتحقيق ذلك الهدف الاستعمارى فكانت

---

(١) انظر الدكتور عبد الصبور المرزوق ـ الغزو الفكرى ـ اهدافه ووسائله ص ٩٣ .

(٢) هو السوامى شردهانند الشهير (المتوفى عام ١٩٢٦ الميلادى) قام بتأسيس حركة تهنيد المسلمين وألف عدة كتب ضد الاسلام فقد قتل على يدى احد المسلمين عام ١٩٢٦م .

نتيجتها ان بعض الجهلة من المسلمين وقعوا في مؤامرتهم وتركوا دينهم الحنيف . (١)

وهكذا كان العصر عصر التحديات العنيفة للاسلام والمسلمين ولاسيما في شبه القارة الهندية وبما جعل تلك التحديات اشد خطرا للاسلام والمسلمين وقوع احداث خطيرة في العالم الاسلامي وشبه القارة الهندية واهمها الغاء الخلافة الاسلامية على يدى مصطفى كمال اتاتورك في تركيا واقامة دولة علمانية بها والقضاء على الدين ورجاله وتراثه ، وقطع الصلة بالماضي الاسلامي ، والتقرب الى الغرب على حساب الاسلام ، بل اتباع الغرب في كل شئون الحياة والتفاخر بذلك التقليد فاستغل المسلمون المتفرنجون تلك الفرصة للهجوم على الدين والعلماء والمشائخ والدعوة الى التجدد والتفرنج في شئون الحياة كلها (٢) ، فبدأ نفوذ تلك الطائفة يزيد يوما فيوما وزاد الطين بلة حينما قام امان الله خان ملك الافغان بدعوته الى التغرب والتفرنج واتخذت تلك الفئة فرصة أخرى للطعن في الاسلام وعلمائه والتنديد بجهودهم ورجعيتهم (٣) .

ثم كان لغفلة العلماء عن واجب الدعوة وعدم اعتنائهم لمواجهة تلك التحديات وانغماسهم في أوحال السياسة الوقتية دورا هاما في ذلك الانحطاط فاصبحت النتيجة ان العلماء فقدوا نفوذهم بين الجماهير ولم تبق للدين وحملته مهابة في قلوب عامة الشعب وتطلع المتفرنجون الى الزعامة وقيادة الشعب المسكين .

---

(١) انظر الاستاذ المودودى ــ جماعت اسلامى كي ٢٩ سال (ص ١٣ــ١٤ .
(٢) المرجع السابق ص ١٦ــ١٧ .
(٣) انظر الاستاذ مسعود الندوى ــ تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٢٣١ .

واكثر الما وقلقا مما مر ذكره اهمال العلماء وغفلتهم عن واجبهم وانغماسهم فى المشاجرات الفقهية فيما بينهم ، فلا تخلو مجالسهم ومحافلهم من مناظرة بين الحنفية واهل الحديث ومن جدال بين الديوبندية والبريلوية من الحنفية ومن دواعى الاسف والالم ان معظم تلك المناظرات والمجادلات كانت تدور رحاها حول مسائل تافهة وترهات لا صلة لها بالحياة العملية البتة وماكان العبد ليحاسب عليها بين يدى ربه ومن المحكيات والموجعات فى ذلك الزمان ان عددا غير قليل من بيوت الله لم تكن ابوابها مفتوحة لجميع المسلمين (١) .

ـ العناية بالدعوة الاسلامية :

ومع ذلك لم يكن العصر خاليا من الرجال الذين قاموا **بالدعوة الاسلامية واهتموا** بمواجهة تلك التحديات ، واهمهم الشاعر الاسلامى الشهير الدكتور محمد اقبال (٢) ، والعالم الألمعى الشيخ أبوالكلام آزاد (٣) ولكليهما دور كبير فى ذلك المجال ، وجدير بالذكر ان كلا الرجلين كانا يعملان فى حقلين متعارضين ، فاما محمد اقبال فقد حصل على شهادة الدكتوراة من المانيا فرأى الحضارة الغربية المادية اللادينية من قريب ولاحظ الفساد الذى قد استولى على العالم الانسانى ولاسيما على العالم الغربى نتيجة لتلك الحضارة الخبيثة ،فانتقدها بجرأة وصراحة كما بين بالبراهين

---

(١) انظر الاستاذ مسعود الندوى ـ تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ، ص ١٩٦ .

(٢) كتبنا ترجمته خلال حديثنا عن الحالة السياسية ص ٧٢

(٣) هو احمد بن خير الدين الشهير بابى الكلام ولد بمكة المكرمة عام ١٣٠٥ هـ الموافق عام ١٨٨٨ م ثم هاجر الى الهند مع والده واتخذ اقامته فى مدينة كلكتة ، تلقى دراسته على منهج التعليم القديم . بدء حياته العلمية باصدار مجلة " الهلال " عام ١٩١٢ الميلادى وعمل فى مجال الدعوة حتى عام ١٩٢٤ م ثم انضم الى حزب المؤتمر الهندى وانتخب رئيسا له عدة مرات ثم عين وزيرا للتعليم للحكومة الهندية بعد استقلال البلاد وتوفى عام ١٩٥٨ الميلادى .

(انظر دائرة المعارف الاسلامية بالاردية ص : ٩٩-١٠٤) .

العقلية الضعف العلمى فى النظريات اللادينية والفلسفات المادية التى تولدت من تلك الحضارة الخبيثة فانتقد الجمهورية اللادينية والشيوعية والعلمانية والقومية الوطنية ودعوة الالحاد والتغرب ووليدة الاستعمار القاديانية واهاب بالمسلمين علنا ان ينهضوا بالاسلام ويتمسكوا بعروته الوثقى وينفذوا الاحكام الشرعية فى كل شؤون الحياة وعلى المسلمين ان يهتموا بشخصيتهم الاسلامية ويجتنبوا تقليد الغرب ، كما حذر مسلمى الهند عن مؤامرات الهندوس تحت ستار المؤتمر الهندى الوطنى وقدم لهم فكرة انشاء دولة اسلامية مستقلة ، فلم يكن انشاء دولة باكستان الاسلامية الا تعبيرا لرؤيته الصادقة (١) ، وجدير بالذكر ان اقبال خصص اكثر شعره للناشئة الجديدة التى كانت تدرس فى الكليات الحديثة والتى جعلها الاستعمار هدف مؤامراته الخبيثة وكان من فضل الله ان كثيرا منهم تأثروا بفكره ولعبوا دعوته وحملوا رسالته ولهذا يعتبر محمد اقبال بحق عبقريا انتجته الثقافة الجديدة التى ظلت تشتغل وتنتج فى العالم الاسلامى من قرن كامل ومفكرا اوجده الشرق فى عصرنا الحاضر ولم نر من نوابغ الشرق اذكيائه على كثرة من أم الغرب منهم ودرس هناك — احدا نظر فى الحضارة الغربية هذا النظر العميق وانتقدها هذا الانتقاد الجرىء (٢) ، ومن هنا يعتبر اقبال ممثل الحركة الاسلامية الكاملة خلال تلك الايام .

وأما أبوالكلام آزاد وهو احمد بن خير الدين الذى عاش فى بيئة دينية وتلقى علومه على المنهج القديم فى المدارس الدينية التقليدية ولكنه كان شابا الصبا فقام باصدار مجلة " الهلال " الاسبوعية ولم يتجاوز

---

(١) انظر للتفصيل — الأستاذ المودودى — " اقبال كاأصل كارنامه " نقلا عن جريدة " سيارة " الشهرية عدد خاص فى ذكرى الاستاذ المودودى رحمه الله لشهرى ابريل ومايو عام ١٩٨٠ م ص ٣٧٧-٣٨٥ .

(٢) الاستاذ ابوالحسن على الندوى — الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية ص ٩٨ .

عمره بضعا وعشرين سنة ،وكانت هذه الجريدة فاتحة عهد جديد في تاريخ الصحف المسلمة الهندية (١) ، ونفخت في قلوب الامة روح الحياة وقادها الى ميادين الجهاد والكفاح في حركة عظيمة وجهود متواصلة ولاسيما من الناحية الدينية وتجديد الدعوة الى الدين الخالص(٢) .

ولكن من سوء حظه وسوء حظ المسلمين انه لم يتمكن من استمرار جهوده الا لبضع سنوات فحسب وذلك من عام ١٩٠٦ الميلادى الى عام ١٩٢٤ الميلادى وبعد ذلك وقع في شباك مؤامرة (غاندى) أكبر اعداء المسلمين في شبه القارة في تلك الأيام ، وانضم الى حزب المؤتمر الهندى يحمل لواءها فتبدلت شخصيته تبدلا كاملا واصبح أبوالكلام غير أبى الكلام الذى كان يحمل لواء الدعوة الاسلامية ، وقد صدق الاستاذ المودودى حين اشار الى ذلك بقوله : " الانقلاب في شخصية أبى الكلام كان أكبر حادث في تاريخ مسلمى الهند في القرن التاسع عشر الميلادى (٣) .

وعلى الجملة فلقد كثرت التيارات المعادية للاسلام في شبه القارة الهندية مما يعطى تصورا للتحديات التي قابلت الاسلام والمسلمين فيها .

• • •

---

(١) انظر شيخ محمد اكرام ــ موج كوثر ص ٢٤٨-٢٧٨ .
(٢) انظر الأستاذ مسعود الندوى ــ تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٢١٢ .
(٣) انظر الأستاذ المودودى ــ تحريك آزادى هند اورمسلمان (الجزء الاول) ص ١٧٢ .

موجز الحالة الدينية فى دولة باكستان الاسلامية

وجملة القول أن هذه كانت الحالة الدينية حينما انقسمت شبه القارة الهندية وأنشئت دولة باكستان المسلمة التى كان اقامة النظام الاسلامى من أهدافها الاساسية ،وهذا مالم يعجب الحركات المعادية للاسلام فاتحد العلمانيون والمتفرنجون والقاديانيون والشيوعيون والماسونيون ومنكروا السنة النبوية وما الى ذلك من أعداء الاسلام ليجعلوا هذه الدولة دولة علمانية أو دولة شيوعية ، ولان هؤلاء اعداء الاسلام كانت لهم سلطة كاملة فى الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية ، وذلك فضلا عن الدعم المادى والمعنوى من قبل الدول الاستعمارية فاهتموا بتخطيط المؤامرات والمخططات للقضاء على حركة اقامة النظام الاسلامى التى كانت تقودها الجماعة الاسلامية والجماعات الدينية الاخرى ، هذا من ناحية ،ومن الناحية الاخرى كان لنفوذ الشيوعيين والقاديانيين والمتفرنجين ومنكرى السنة فى الدوائر الحكومية بانهم تمكنوا من استخدام الوسائل الحكومية المختلفة لنشر افكارهم المعادية للاسلام فتأسست ادارة التحقيقات الاسلامية باسلام آباد ولنشر افكار منكرى السنة على حساب الدولة ، وكانت الاذاعة والتليفزيون ووسائل الاعلام الاخرى تعمل لنشر افكار الشيوعيين والمتفرنجين بجانب ولنشر الاباحية والفاحشة والمنكرات من جانب آخر وفضلا عن ذلك مبالغ مالية ضخمة كانت تصرف لتبليغ القاديانية خارج باكستان وداخلها ، ومن ناحية ثالثة كان لمخططات أعداء الاسلام أن اشتعل نار الخلاف بين الفرق الاسلامية والجماعات الدينية المختلفة ، وذلك لان اعداء الاسلام كانوا يعرفون حق المعرفة أن اتحاد المسلمين هو من اكبر الموانع فى تحقيق اهدافهم الشنيعة لجعل باكستان دولة علمانية او دولة شيوعية

فخططوا لاشعال نار الخلاف بينهم ولا تزال هذه النار تزيد اشتعالا وانتشارا حتى اليوم ، فكان لمخططات أعداء الاسلام أن بدأت المناظرات والمجادلات بين الديوبنديين والبريلويين من جانب وبين اهل الحديث والحنفية من جانب آخر وبين أهل السنة واهل التشيع من جانب ثالث فتأسست الجماعات الخاصة على أساس هذه الخلافات واهمها :

(١) جمعية علماء الاسلام للديوبنديين .

(٢) جمعية علماء الباكستان للبريلويين

(٣) جمعية المشايخ لاصحاب الطرق الصوفية.

(٤) جمعية اهل الحديث .

(٥) البعثة الامامية للشيعة . . وما إلى ذلك من الاحزاب الدينية الاخرى (١) .

وكان من سوء حظ المسلمين ان مساجد تلك الفرق المختلفة ومدارسهم اصبحت مراكز لاشعال نار هذه الخلافات بين المسلمين وماكان اكثر اسفا وألما ان هذه الاحزاب لا يهمها التحديات التي يواجهها الاسلام والمسلمين من قبل الحركات المعادية والتيارات الهدامة الداخلية والخارجية وذلك لان قادة هذه الاحزاب لم يتمكنوا من ادراك خطورة هذا التحدى العنيف ادراكا صحيحا ، هذا بجانب ولانشغالهم فى الخلافات المذهبية فيما بينهم من جانب آخر .

---

(١)

وهكذا كان لمخططات هؤلاء أعداء الاسلام أن هذه الفرق الدينية المختلفة مهما كانت فيما بينها من الخلافات قد اتخذت على اسقاط الحركة الاسلامية وذلك لان أعداء الاسلام كانوا خائفين منها خوفا شديدا ، وكان لمخططا تهم الشنيعة أن بدأت الجماعات المذهبية تهاجم الحركة الاسلامية فترددت الاتهامات والاكاذيب التى اختلقها أعداء الاسلام ولكن الحركة الاسلامية لم تدخل ذلك الصراع بل استمرت فى جهادها لاقامة الحكومة الاسلامية من ناحية وفى جهودها لمواجهة التحديات المعادية للاسلام من الناحية الثانية ، وذلك فضلا عن ما بذلت الجماعة من الجهود لتوحيد كلمة المسلمين فتأسست جمعية اتحاد العلماء لاتحاد العلماء وعامة المسلمين المنتمين الى الفرق الدينية المختلفة لاقامة النظام الاسلامى من جانب ولمواجهة الحركات المعادية للاسلام من جانب آخر. ولا تزال هذه الجهود المثمرة مستمرة .

ويلاحظ انه مهما كانت دائرة مخططات الشيوعيين والمتفرنجيين والقاديانيين ومنكرى السنة واسعة ، ولكن لو اتحد العلماء وعامة المسلمين المنتمين الى الفرق الدينية المختلفة لتمكنوا من مواجهة التحديات المعادية للاسلام من ناحية ، ومن اقامة النظام الاسلامى من الناحية الاخرى ، وهذا مايتبين من اجتماع العلماء على المبادىء الاساسية للدستور الاسلامى فى عام ١٩٥١م وهكذا كان لاتحادهم فى عام ١٩٧٤م أن اضطرت الحكومة الى اصدار القرار الذى ينص على كون القاديانيين غير مسلمين . واخيرا كان لاتحادهم فى عام ١٩٧٧م الميلادى ان تمكنوا من انقاذ البلاد من دكتاتورية ذو الفقار على بوتو .

وجملة القول أن ذلك العصر كان عصر التحديات والتيارات المعادية للاسلام ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعتبر ذلك العصر عصر الصراع بين الحركة الاسلامية وبين الحركات المعادية للاسلام ، وذلك فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، ولولا الافتراق بين العلماء الذين ينتمون الى الفرق الاسلامية المختلفة ولولا تركيزهم على مخالفة الحركة الاسلامية لنجحت حركة اقامة النظام الاسلامى مهما كانت فى طريقها من التحديات، وسنفصل الكلام عن مؤثرات الصراع بين الاسلام والجاهلية فى ذلك العصر فيما بعد . وبالله التوفيق .

• • •

المبحث [illegible]):

الحالة الاجتماعيـــــــــة

لم تكن الحالة الاجتماعية فى ذلك العصر مختلفة عن الحالة الدينيـــــــة والحالة السياسية لاننا كما ذكرنا آنفا كان العالم الاسلامى كله فى تلك الأيـام تحت سيطرة الاستعمار الأوربى ، سياسيا وحضاريا ، ونتيجة لهذا ظهـــرت المخططات الاستعمارية التى اشرنا اليها وقد نشأ فى العالم الاسلامى جيـــل جديد متنور بالثقافة الغربية الحديثة لا يعرف عن الاسلام الا اسمه وكـــان هذا الجيل يؤمن بأن الحضارة هى الحضارة الغربية ، والثقافة هـــى الثقافة الغربية اللادينية والعلوم هى العلوم الغربية المادية كما كانـــوا يظنون ان ازدهار الأمة الاسلامية ينحصر فى اتباع الامم الغربية. وقـــد انتشر دعاة التغريب والتفرنج فى كل مكان وكان من هؤلاء الدعاة " ضياكوك ألب "(١) ومصطفى كمال باشا فى تركيا (٢) ،وقاسم أمين بك (٣) وطه حسين (٤)

---

(١) هو ضياء كوك الب (١٨٧٦-١٩٢٤م) كان من دعاة التغـــرب والتفرنج فى تركيا كما كان يدعو الى القومية التركية الطورانية ، فلهـذا هو يعتبر من مؤسسى الانقلاب الذى تم فى تركيا على يدى مصطفـــى كمال باشا . انظر محمد شفيق غربال ـ الموسوعة العربية الميسرة ص١١٤٥.

(٢) اسلفنا بترجمة مصطفى كمال باشا فى هذه الرسالة على صفحة

(٣) هو قاسم امين بك (المتوفى عام ١٩٠٨م) كان من دعاة التفرنج فـــى العالم العربى وكان لكتابيه " تحرير المرأة " و "المرأة الجديدة " اثر كبير فى انتشار الاباحية والسفور فى المجتمع العربى ولا سيما فى المجتمع المصرى

(٤) هو الدكتور طه حسين . ولد فى مصر عام ١٨٨٩م والتحق بالأزهر الشريـف بعد دراسته الابتدائية ثم حصل على الدكتوراه من باريس ثم عاد وعيـــن مديرا لكلية الاداب ثم عين وزيرا للتعليم عام ١٩٤٩م وكان أديبا ممتـــازا ولكنه استخدم ادبه للدعوة الى التغرب والتفرنج ولبث الشكوك والشبهات حول الاسلام ومبادئه . وقد توفى عام ١٩٧٤ الميلادى.
انظر محمد شفيق غربال ـ الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٦٤.

فى العالم العربى وسيد احمد خان (١) وزملاءه فى شبه القارة الهندية وهؤلاء وغيرهم كانوا لا ينظرون الى الحياة الا بمنظار الغرب ولا يفكرون فى شئون الحياة الا بتلك النظرة التى نظر اليها مؤسسو النهضة الجديدة الاوربية ويودون أن يتبنوا الحياة الاجتماعية فى بلادهم ايضا على الطراز الغربى . لأنّ هـذا هو طريق التقدم والرقى والازدهار ـ فى نظرهم ـ وان ما عداه فهو مـن الرجعية التى لا يمكن التقدم الى الامام الا بالقضاء عليها فاستبدلوا القيم الاخلاقية الجديدة بالقيم الاخلاقية الدينية المتوارثة وصار الازدهار المادى احظى وارجح عندهم من كل شىء بل هو وحده أصبح ذات قيمة وشرف حقيقى فى نظرهم . (٢)

ـ الحالة الاجتماعية فى شبه القارة الهندية :

واما شبه القارة الهندية فكما ذكرنا آنفا بدأت فيها الدعوة الـى التغرب والتفرنج بعد ان تمكن الاستعمار البريطانى بالقضاء على حكومـة المسلمين عام ١٨٥٧م . ووقعت شبه القارة تحت احتلال الاستعمـار البريطانى المباشر ، فرأى بعض القادة وعلى راسهم سيد احمد خان وزملاؤه أن نهضة المسلمين تنحصر فى اتباع الحضارة الغربية الحديثة ، ولـذا بدأوا يدعون الى اتباع الحضارة الغربية الحديثة فى كل دائرة من دوائر الحياة الشخصية والاجتماعية فى اكلهم وشربهم ، فى لباسهم وفى شخصيتهم ، وأخـذت هذه الدعوة تتسع يوما فيوما حتى وصل الأمر الى أن بعض علماء الاسـلام

---

(١) اسلفنا بترجمته فى هذه الرسالة على صفحة

(٢) الاستاذ ابوالحسن على الندوى ـ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية ص ٤٤ ، ٥٨ ، ١٢٧ ، ١٣٥ .

وعلى رأسهم الشيخ عبيد الله السندهى (١) قاموا بالدعوة الى التغرب والتفرنج وقالوا أن الشعب المسلم الهندى ليس له الا اتباع الحضارة الغربية فى كل دائرة من دوائر الحياة(٢) .

وكان لهذه الدعوة أن بدأ أكثر الناس ولا سيما البيوتات الارستقراطية يتبعون الحضارة الغربية فى حياتهم الشخصية والاجتماعية فاهتم بعض من القادة والمفكرين كالدكتور محمد اقبال واكبر الله آبادى(٣) والشيخ ابوالكلام بمقاومتها . ولكن ظاهرة التغرب والتفرنج لم تزل تزيد يوما فيوما .

وجدير بالذكر ان المجتمع الاسلامى فى شبه القارة الهندية بدأت فيه الخلاعة والسفور بعد ما التحقت الطالبات المسلمات بالكليات الحديثة ولا سيما بكليات التعليم المختلط فقامت كثيرات من تلك الفتيات المثقفات بنزع " الحجاب الشرعى " ليشاركن فى النشاطات الاجتماعية مع الرجال جنبا الى جنب وقد شاركن معهم فعلا فيما بعد خلال الكفاح لتحرير البلاد . ولو اقتصر على هذا لهان الامر ولكن بلغ الامر فيما بعد الى حد ان بدأت النساء من البيوتات الارستقراطية " يخرجن من بيوتهن فى ملابس شفافة عارية يخيل الى الناظر ان الواحدة منهن ممثلة او فنانة . . . واصبح يرى فيهن كل

---

(١) هو الشيخ عبيد الله السندهى . ولد فى عام ١٨٧٢م فى بيئة " سيخ " ، فهو اسلم وعمره لم يتجاوز (١٥) خمسة عشر سنة ثم التحق بدار العلوم ديوبند وتعلم على ايدى العلماء الكبار هناك ثم هاجر من الهند عام ١٩١٥م وبعد ان مكث فى افغانستان وروسيا وتركيا والحجاز حوالى ٢٣ عاما عاد الى البلاد عام ١٩٣٨م وهو قد اصبح داعيا الى التغرب والتفرنج (انظر شيخ محمد اكرام "موج كوثر" ص ٣٤٥—٣٥٠) .

(٢) انظر شيخ محمد اكرام "موج كوثر" ص ٣٤٥—٣٥٠ .

(٣) هو سيد اكبر حسين اكبر اله ابادى الشاعر الاسلامى الشهير كان يشتغل قاضيا وله دور كبير فى مقاومة حركة التغرب الذى قام بها سيد احمد خان وقد استخدم شعره لتحقيق هذا الهدف فجزاه الله خيرا .

الجسارة والصفاقة .بل يتبين للمرء من ملابسهن الفاضحة والوانها البراقة وعنايتهن بالتزين وحركاتهن من التثنى والتغنج انه لا مطمح أمام اعينهن الا ان يكن مغنطيسا جنسيا يجذبن الرجال اليهن جذبا وقد قل الحياء فيهن الى حد ان أصبحن لا يستحيين من الغسل مع الرجال شبه عاريات بل من عرض انفسهن فى تلك الحالة لتؤخذ صورهن وتنشر فى المجلات(١) .

وبعد ما أنشئت دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧م الميلادى تأسست " جمعية السيدات الباكستانية " "All Pakistan Women Association" برئاسة زوجة رئيس الوزراء انذاك وبدأت هذه الجمعية دعوتها بان المرأة متساوية مع الرجل فى جميع الحقوق والمسئوليات من التوظيف فى الدوائر الحكومية الى النيابة فى البرلمان ومن الالتحاق بالجيش الى الاشتراك فى المباريات المحلية والدولية(٢) . وقد تمكنت "الجمعية" من تحقيق تلك الاهداف فى السنوات الاخيرة وما زالت هذه الجمعية تشتغل حتى اليوم ولها فروع فى كل مدينة من مدن باكستان تشرف عليها زوجات المسئولين الكبار فى دوائر الحكومة او السيدات من الاسر الارستقراطية(٣) .

وجدير بالذكر ان الجماعة الاسلامية بباكستان لها دور كبير فى مواجهة هذا التحدى فاهتمت الجماعة وفرعاها " جمعية المسلمات " وجمعية الطالبات المسلمات " بالتوجيه والتوعية من هذه الناحية فكان لجهودها ان عددا غير قليل من السيدات المثقفات قررن بترك السفور والتبرج الجاهلى والاهتمام

---

(١) انظر الاستاذ المودودى ـ الحجاب ص : ١٢٨ .
(٢) انظر الشيخ امين احسن الاصلاحى باكستانى عورت دوراهى بر " ص ٥ ـ ٦ .

(٣) انظر المرجع السابق

بالحجاب الشرعى حتى الان . ولا تزال جهودها مستمرة .

ـ الادب والصحافة :

كان الادب والصحافة من اهم الوسائل التى استخدمها دعـــاة التغرب والتفرنج لتحقيق اهدافهم وذلك لاهميتها البالغة فى تربية العقـول وكان لاقامة الدولة الشيوعية فى روسيا عام ١٩١٧ الميلادى والغاء الخلافـــة العثمانية فى تركيا عام ١٩٢٤م اثر كبير فى التحول فى الادب والصحافـــة قام الشيوعيون والملاحدة بتخطيط مخططات ومؤامرات للنفوذ فى الادب والصحافة ليتمكنوا من بث الالحاد والاباحية والشيوعية فى المجتمع الاسلامـــى وفى عام ١٩٣٦م تأسست جمعية الكتاب المتطورين بالهند لتحقيق هـــذه الاهداف الشنيعة وبدأ الكتاب المتطورون يكتبون المقالات والبحوث والقصص يهاجمون فيها العقائد الاسلامية والقيم الدينية والاخلاقية ويدعون الـــى الالحاد والشيوعية والاباحية والسفور (١) .

وأما الصحافة فكان من مخططات الشيوعيين ان يتركزوا للنفوذ فـــى الصحافة والاذاعة فاكثر المجلات والجرائد كان يشتغل فيها الشيوعيـون وكانوا يستخدمونها لبث افكارهم الخبيثة وللقضاء على الحياء والعفة فى المجتمع الاسلامى بنشر الصور العارية للنساء الفاجرات والممثلات ليجعلوهن اســـوة للجيل الاسلامى الجديد .

ولكن مع ذلك لم يكن ذلك العصر خاليا عن الكتاب والشعراء الاسلاميين ومنهم الدكتور محمد اقبال الذى جعل شعره وسيلة لانقاذ الشباب المثقفين من

---

(١) انظر للتفصيل الاستاذ هارون الرشيد " اردو ادب اور اسلام "
الجزء الاول ص ٤٠٩-٤٧٦ .

العبودية الفكرية للحضارة الغربية ولاعادة ثقتهم فى الاسلام . ومنهم الشيخ ابوالكلام ازاد الذى مجلته " الهلال " تعتبرنموذجا حيا للصحافةالاسلامية ومنهم الشاعر الشهيراكبر ... ادى الذى اختص شعره لنقد حركة التغرب والتفرنج ومنهم القصاص الشهير نسيم الحجازى (١) الذى جعل التاريخ الاسلامى اساسا لقصصه ومنهم الاستاذ المودودى وزملاؤه الذين استخدموا الادب والصحافة لحقل الدعوة وتمكنوا من مواجهة هذا التحدى .

ـ الحياة الاقتصادية :

وأما الحياة الاقتصادية فكان حوالى ثمانين فى المائة من الشعب المسلم الهندى من سكان الريف وكانوا يعملون فى الزراعة وكانت هناك الاقطاعيات والضيعات الزراعيةالواسعة وكانت تلك الرقعات الشاسعة من الاراضى تتراوح بين آلاف ومئات الالاف من الهكتارات احتفظت بها بعض العائلات عبر الاجيال كالاقطاعيات او الضيعات منها ما اقطعته الحكومة الانكليزية عقب احتلال البلاد للخونة والعملاء بعد ان انتزعته من اصحابه الشرعيين ومنها ما اوتى لاسلاف الملاك الحاليين قبل العهد الانكليزى فى فترات مختلفة بطرق شرعية وغير شرعية ومنها ما اشترته اصحابه كله او بعضه ومنها ماسيطر عليه شيوخ القبائل فى القرون السالفة . فكانت هناك طبقة مستقلة تحترف حرفة الزراعة وقد قررت لها فى المجتمع القروى حقوق ممتازة من حيث المنزلة الاقتصادية والاجتماعية وحرم على سائر طبقات البلاد ان تضرب بسهم فى دائرة حرفة الزراعة وكل ذلك مما يخالف الاسلام والعقل ومنه تتفجر عيون الشر

---

(١) هو محمد شريف نسيم الحجازى القصاص الاسلامى الشهير وله عدد من القصص فى التاريخ الاسلامى .

والمظالم الكثيرة التى تعد من خصائص النظام الاقطاعى (١) .

وأما سكان المدن فاكثرهم كانوا يشتغلون فى التجارة او دوائر الحكومة اوالحرف المختلفة . فيجدر بنا ان نشير هنا بان مئات الالاف من العمال قد تركوا سكناهم فى الريف وهاجروا الى المدن الكبيرة لكى يشتغلوا فى المصانع التى كان عددها يزيد يوما فيوما فكانت نتيجتها ان كثرت المفاسد الخلقية فاستغل الشيوعيون تلك الفرصة وبدأ نفوذهم يزداد فى العمال يوما فيوما حتى حصلت لهم السيادة الكاملة على اكثر المنظمات العمالية فى المصانع وظاهرة اخرى برزت فى شعب الهند حيث كان هناك عدد غير قليل من سكان المدن والريف ولاسيما الفلاحين والعمال والتجار الصغار والموظفين ذوى الرواتب المحدودة وكانوا يضطرون الى ان يستقرضوا عند الشدة من المرابين الهندوس وكل من وقع فى شبك المرابى مرة لا يكاد يتخلص منه طوال حياته بل لا يزالون الابناء والاحفاد يتوارثون على ظهورهم رباهذا الدين عن ابائهم واجدادهم . ولا تزال صخرته جاثمة على صدورهم وقد لا يتخلصون منه بعد ما يؤدون عليه من الربا مايكون اكبر من راس المال بمرات عديدة وقد شوهد مرارا ان المدين اذا كان لا يستطيع اداء الدين مدة من الزمان جمع الدائن بين ماله على مدينه من راس المال والربا واقرضه هذا المدين نفسه بسعر اطلى ليسترد منه ماله مع رباه وذلك مايجعل المسكين اسوأ حالا من ذى قبل (٢) .

وما هو أكثر ألما وقلقا ان بعض العلماء المستغربين فسروا آيات الربا فى القرآن الكريم حسب اهوائهم وقالوا ان القران الكريم لا يحرم الربا الا ماكان رائجا

---

(١) انظر الاستاذ المودودى — ملكية الارض فى الاسلام ص ٩٧—٩٨ .

(٢) انظر للتفصيل السيد / محمد على QUAD -E -AZAM AND MUSLIM ECONOMIC RESURGENCE

من ص : ٣١ الى ص ٣٦ والاستاذ المودودى — الربا ص : ٤٦—٤٧ .

في العصر الجاهلي ، وان الربا الذي نراه رائجا اليوم في البنوك أو الأوساط التجارية فهذا لا يحرمه القرآن [1] .

وفي الجملة فان الحياة الاجتماعية لمسلمي شبه القارة الهندية في ذلك العصر كانت هزيلة في مواجهة التحديات والمؤامرات وقد اثرت الحضارة الغربية في كل نواحيها .

• • •

---

(١) انظر الشيخ محمد اكرام — موج كوثر ص ١٦ .

نظرة عابرة على الحالة الاجتماعية فى دولة باكستان الاسلامية

وبعد ما ذكرنا عن الحالة الاجتماعية لمسلمى شبه القارة الهندية قبل انشاء دولة باكستان الاسلامية عام ١٩٤٧ م يجدر بنا ان نشير هنا الى بعض النواحى للحالة الاجتماعية فى باكستان واليك موجز ذلك :

سكان البلاد : ان سكان المدن الذين كانوا يشتغلون فى التجارة او الدوائر الحكومية قبل انشاء دولة باكستان المسلمة مازالوا يشتغلون فى هذه الدوائر بعد انشاء باكستان أيضا الا أن عدد المصانع الصغيرة والكبيرة بدأ يزيد يوما فيوما ، وهذا ما أدى الى الصراع بين أصحاب المصانع وبين العمال من ناحية ، والى كثرة المفاسد الاخلاقية والمنكر والفواحش من الناحية الاخرى ، وأما فى القرى فلم يزل سكان القرى تحت سيطرة النظام الاقطاعى حتى بعد انشاء دولة باكستان المسلمة ،بل يمكننا أن نقول أن هذا النظام قد أصبح أكثر نفوذا وأشد ضررا حيث تمكن الاقطاعيون من الوصول الى السلطة عن طريق الانتخابات البرلمانية وهذا ماجعل المزارعين والفلاحين عندهم أسوأ حالا من قبل (١) ،وجملة القول ان سكان الباكستان يمكننا أن نقسمهم الى ثلاث طبقات :

اولا : طبقة الاغنياء التى يشملها اصحاب الاقطاع والمصانع الكبيرة والموظفون الكبار وعددهم لا يزيد عن ١٠ ٪ من مجموع سكان البلاد ، وهذه الطبقة مصطبغة بصبغة التفرنج والتغريب فى كل دائرة من دوائر الحياة .

وثانيا : الطبقة المتوسطة التى يشملها التجار والموظفون المتوسطون

---

(١) انظر الدكتور صفدر محمود - مسلم ليك كادور حكومت ص: ٣٦١-٣٦٣ .

وأصحاب هذه الطبقة عددهم يصل الى ٣٠ ٪ ، وهذه الطبقة هي أكثر تأثيرا لدعوة الحركة الاسلامية لكونها طبقة مثقفة .

وثالثا : طبقة الفقراء التي يشملها المزارعون والعمال وعددهم يزيد عن ٦٠ ٪ واصحاب هذه الطبقة هم أسوأ حالا واشد بعدا عن التعليمات الاسلامية ولذا يقعون فريسة سهلة للشيوعيين والاشتراكيين . وبهذا تمكن حزب الشعب للسيد بوتو من كسب حماية هذه الطبقة خلال الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٧٠م .

في مجال الصحافة والأدب : وأما مجال الادب والصحافة فكما ذكرنا آنفا كان يسيطر عليه الشيوعيون حينما أنشئت دولة باكستان المسلمةومازالت سيطرتهم مستمرة على ذلك المجال الى مدة طويلة بعد انشاء دولة باكستان المسلمة أيضا ، فأكثر المجلات والجرائد كان يشتغل فيها الشيوعيون . فكانوا يبثون افكارهم الفاسدة من ناحية ، وينشرون الاباحية والفواحش والمنكرات من الناحية الاخرى ، وجملة القول أن هذا المجال كان تحت سيطرة الشيوعيون الكاملة اذ أعتنيت الحركة الاسلامية بمواجهة ذلك التحدى فصدرت العديد من المجلات الشهرية والاسبوعية والجرائد اليومية تحت رعاية الحركة الاسلامية المباشرة او غير المباشرة ، وعدد هذه المجلات والجرائد الصادرة من مدن البلاد المختلفة يزيد عن عشرة وذلك فضلا عن عدد غير قليل من الصحفيين الاسلاميين يشتغلون في المجلات والجرائد الأخرى ، وبهذا تمكنت الحركة الاسلامية من مواجهة ذلك التحدى . فلله الحمد .

الصراع بين الشيوعيين وبين الاسلاميين في القطاع العمالي :

كما ذكرنا آنفا أن القطاع العمالي في شبه القارة الهندية كان تحت سيطرة الشيوعيين الكاملة ، فقد بدأ نفوذهم في العمال مباشرة بعد

الانقلاب الشيوعي في روسيا عام ١٩١٧ ، وكانت هناك أربع منظمات عالمية كل واحدة منها شيوعية ، فكان هناك نوع من التحالف فيما بينها . ثم كان قبل انشاء دولة باكستان المسلمة بقليل أن قرر الشيوعيون تأسيس منظمات عمالية ، خاصة للعمل في المجال العمالي في هذه الدولة المسلمة فتأسست ثلاث منظمات عمالية كل واحدة منها شيوعية ، وهكذا انشئت دولة باكستان الاسلامية عام ١٩٤٧ م والقطاع العمالي فيها تحت سيطرة الشيوعيين الكاملة وكان لتلك السيطرة الشيوعية ان النقابة العمالية في سكة الحديد قررت القيام بالاضراب العام عن العمل ، وذلك في الايام التي كان يسافر فيها المهاجرون من الهند الى باكستان نتيجة لمجازر المسلمين ومذابحهم هناك على أيدي الهندوس والسيخ فاستدعا حاكم دولة باكستان الاول ومؤسسها السيد محمد على جناح الملقب بالقائد الاعظم أن يؤجل ذلك الاضراب العام نظرا للظروف القاسية التي كانت هذه الدولة الجديدة فيها ، ولكن الشيوعيين لم يعتنوا بذلك الاستدعاء ولا يهمهم ماكان يواجهه المسلمون في الهند في تلك الظروف القاسية ، فقرروا ان يواصلوا الاضراب العام وهذا ما انتهى الى استشهاد مئات الالوف من المهاجرين على ايدي الهندوس والسيخ (١) ، وكان في مثل تلك الاوضاع ان قررت الجماعة الاسلامية ان تقوم لمواجهة ذلك التحدي فتأسست منظمة خاصة للعمل في قطاع العمال فكان بفضل الله ، ثم بفضل جهود هذه المنظمة المستمرة ان تمكنت الجماعة من انقاذ العمال المسلمين في الدوائر العمالية المختلفة من ايدي الشيوعيين فاكثر من مائتين وخمسين نقابة عمالية تنتمي اليوم الى الاتحاد العمالي الوطني التابع للجماعة الاسلامية ،

---

(١) انظر للتفصيل البروفسور محمد شفيع ملك ــ باكستان مزدور تحريك

وعدد العمال الذين ينتمون الى هذه النقابات العمالية يزيد عن خمسمائة ألف عامل (١) .

في دائرة الحياة الاجتماعية :

وأما دائرة الحياة الاجتماعية فنحن ذكرنا آنفا عن الصراع بين الحضارة الغربية وبين الحضارة الاسلامية فيها في دولة باكستان المسلمة خلال حديثنا عن ذلك الصراع في شبه القارة الهندية فلا حاجة لتكرار ذلك الحديث هنا ، بل يكفينا ان نشير هنا الى الحقيقة أن هذا الصراع مايزال مستمرا في المجتمع الباكستاني حتى اليوم .

وجملة القول أن الصراع الذي بدأ في دائرة الحياة الاجتماعية لمسلمي شبه القارة الهندية بين الحضارة الاسلامية وبين الحضارة الغربية مع بداية الاحتلال البريطاني لشبه القارة مايزال مستمرا في باكستان حتى اليوم ، وسنفصل الكلام عن مؤثرات ذلك الصراع في المجتمع المسلم الباكستاني فيمابعد . وبالله التوفيق .

. . .

---

(١) اخبرني عن هذا البروفسور محمد شفيع ملك رئيس الاتحاد العمالي الوطني .

المبحث السادس:

مؤثرات الصراع بين الاسلام والحضارة الغربية في عصر الأستاذ المودودي عرضا ومناقشة

وفي خاتمة حديثنا عن عصر الاستاذ المودودي ، من النواحي المختلفة ، يجدر بنا أن نشير هنا الى بعض الخصائص والمزايا التي يمتاز بها ذلك العصر وذلك لكي نعرف مؤثرات ذلك العصر في عمله في مجال الدعوة ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى لكي نتمكن من التعرف على مدى تأثيره العلمي والفكري على ذلك العصر ، واليك موجز أهم هذه الخصائص والمزايا :

ان العصر الذي بدأ الاستاذ المودودي دعوته فيه كان عصر الصراع العنيف بين العالم الاسلامي وبين الاستعمار الاوروبي الغاشم ، بين الاسلام وبين الحضارة الغربية الجاهلية وكان لانفصال الامة المسلمة عن مصدر قوتها (الاسلام) ووقوعها في الانحطاط الفكري والعملي من ناحية ، ولظهور النهضة العلمية والتكنولوجية في العالم الغربي من الناحية الاخرى أن تمكن الاستعمار من السيطرة على معظم البلاد الاسلامية ، ولم يبق من احتلاله الا من شاء الله .

ان سيطرة الاستعمار السياسية على العالم الاسلامي كان تمهيدا لسيطرته الحضارية ، وكما أسلفنا كانت هذه الحضارة ، حضارة مادية جاهلية وذلك من مبادئها الى مظاهرها ، ومن رأسها الى عقبيها ، وهكذا العلوم والفلسفات والنظم التي جاءت بها تلك الحضارة كانت مادية جاهلية ، من أصولها الى فروعها ، ولعبت حماية الاستعمار لتلك الحضارة دورا هاما في نشرها في المجتمعات الاسلامية ، فكانت لها كلمة مسموعة في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وفي كل بلد من البلاد الاسلامية .

ان التجاوب الناشيء في المجتمعات الاسلامية تجاه غارة الاستعمار الحضارية كان ذا اتجاهين :

أولا : التجاوب الانفعالي والمراد منه الخضوع الكامل أمام الحضارة الغربية في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وقبول كل ماجاءت به هذه الحضارة الجاهلية المادية في العقائد والاخلاق والتعليم والسياسة والاقتصاد والمدنية وما الى ذلك ، ولأن أصحاب هذا الموقف الخضوعي كانوا من المثقفين الجدد ، فتمكنوا من السيطرة على المجتمعات الاسلامية ، فكريا وعمليا ، فهذا ماجعل تأثير هذه الحضارة يتوسع الى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

ثانيا : التجاوب السلبي والمراد منه الرفض الكامل لكل ماجاء من الغرب من شتى العلوم والفنون والنظريات والفلسفات ، ولأن أصحاب ذلك الموقف كانوا ينتمون الى طبقة العلماء والمشايخ ، فعارضوا كل قادم من الغرب من نافع وضار فكان مصير جمودهم فقدان تأثيرهم في المجتمع والتفاف الشعب حول المثقفين لأعمالهم اليومية وقضاء حاجاتهم من ابتكارات العلم والتكنولوجيا وقبول وجهات نظرهم بخصوص الغرب وحضارته وعلومه ، وانحصر دور العلماء في رسوم دينية وفي بعض المناسبات فقط ، وهكذا ابتعدوا عن محركة الحياة وقيادة الشعب .

وكان لسيطرة الاستعمار السياسية والحضارية على العالم الاسلامي أن روجت فيه عدة من الحركات الهدامة والدعوات المعادية التي كانت تهدف الى نشر الحضارة الغربية الجاهلية والعلوم المادية والفلسفات اللادينية والنظم الجاهلية التي هي تحتضنها من ناحية ، والى القضاء على الاذعان في صلاحية الاسلام لقيادة البشرية وحل مشاكلها في الحياة الفردية والاجتماعية في هذا

العصر من الناحية الاخرى والى القضاء على وحدة كلمتهم من الناحية الثالثة ، وأهم تلك الحركات هى حركةالتغريب والتفرنج التى قادها السيد احمد خان فى شبه القارة الهندية ، والأستاذ قاسم أمين بك والدكتور طه حسين فى العالم العربى وضياء كوك ألب ومصطفى كمال فى تركيا ، وحركة العلمانية والديمقراطية والليبرالية ، والشيوعية ، والاشتراكية والتبشير ، والقاديانية ، والبهائية ، والدونمة ، والماسونية . . وما الى ذلك من الحركات الهدامة التى لا تزال تعمل لمصالح الدول الاستعمارية فى البلاد الاسلامية حتى اليوم.

وكان الغاء الخلافة العثمانية على أيدى عملاء الاستعمار ،وعلى رأسهم مصطفى كمال من أكبر الحوادث التى حدثت فى العالم الاسلامى خلال ذلك العصر ، وكان لذلك الحادث المؤلم دورا كبيرا فى تحقيق أهداف الاستعمار الشنيعة فى العالم الاسلامى .

ان حياة الأمة الاسلامية قد تأثرت بغارة الاستعمار السياسية والحضارية فى كل نواحيها ، ولكن تلك الغارة كانت أشد تأثيرا فى الدوائر الآتية :

ـ <u>الحياة السياسية :</u> كان لاهمية الحياة السياسية البالغة أن قرر الاستعمار أن يركز عليها بصفة خاصة ، فقد ألغيت الخلافة العثمانية وحلت محلها الجمهورية العلمانية فى تركيا حسب مخططات الاستعمار الهدامة ، كما خضعت البلاد الاسلامية الاخرى للدول الاستعمارية المختلفة؛ فشبه القارة الهندية قد سيطر عليها الانجليز وخضعت مصر لفرنسا ثم للانجليز ، وأندونيسيا استولت عليها هولندا ، وليبيا سيطرت عليها ايطاليا ، والجزائر وقعت تحت سيطرة فرنسا . . . وهكذا البلاد الاسلامية الاخرى . هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى تأثر المسلمون المثقفون آنذاك من النظريات السياسية الحديثة الجاهلية مثل الديمقراطية الليبرالية ، والعلمانية ، والشيوعية ، والاشتراكية ، والقومية الوطنية وما الى

ذلك من النظم السياسية الحديثة . كما تأثر هؤلاء المسلمون المثقفون بالقيم الاخلاقية المادية التي جاء بها المفكرون السياسيون كميكافيلي وروسو وماركس وانجلز ولينين وما الى ذلك من آباء السياسة اللادينية الحديثة .

وهذه النظريات والفلسفات السياسية الجاهلية من مستلزماتها نظرية فصل الدين عن الدولة وانكار حاكمية الله سبحانه وتعالى لتحل محلها نظرية حاكمية الجمهور الجاهلية ، وهذا مايؤدى الى تنحية القيم الدينية والاخلاقية السامية عن المجال السياسي واقتصار دائرة العمل السياسي على الدجل والكذب والخدعة والتزوير وما الى ذلك من أخلاق المدنية المادية الجاهلية ، فلذا كان لنشر هذه الفلسفات فى العالم الاسلامى أن الحركات التى بدأت فى ذلك العصر لاستخلاص البلاد الاسلامية المختلفة كانت قومية ووطنية ، ولم تكن تهدف الا الى اقامة الحكومات القومية العلمانية أو الاشتراكية أوالشيوعية في هذه البلاد الاسلامية وكانت زعامة تلك الحركات في أيدى المثقفين الجدد الذين قد وقعوا فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية . وقد فقدوا أذهانهم في صلاحية الاسلام للقيادة البشرية في ذلك العصر وبدأوا يعتقدون أن النظم السياسية الحديثة الجاهلية وحدها كانت تتمتع بهذه الصلاحية .

وأما شبه القارة الهندية وقد سيطر عليها الاستعمار الانجليزى بعد أن استمر فيها حكم المسلمين لاكثر من ثمانية قرون،ولان الثورة التى كانت ضد الاستعمار فى عام ١٨٥٧ قد قادها المسلمون ، فلذا اذا فشلت الثورة خطط الاستعمار المخططات للقضاء على الاسلام والمسلمين معا وذلك مع تعاون الهندوس ، وجدير بالذكر أن زعامة مسلمى شبه القارة الهندية السياسية كانت فى أيدى العلماء والمشايخ فى البداية ، ولكنها انتقلت الى أيدى المثقفين

الجدد تدريجيا فلذا العلماء والمشايخ الموجودون في حزب المؤتمر الهندي أو حزب رابطة المسلمين فقدوا السلطة التنفيذية في كليهما .

وجدير بالذكر أن حزب المؤتمر الهندي كان يهدف الى اقامة الحكومة الوطنية المتحدة التي تكون فيها أغلبية غير مسلمة وتكون السلطة الحقيقية في ايديهم ليتمكنوا من القضاء على الاسلام والمسلمين معا . وأما حزب رابطة المسلمين فكان هدفه اقامة دولة اسلامية مستقلة . ولكن الاسلام الذي كان قادتهم يتكلمون عنه لم يكن الا الاسلام الجغرافي ، ولم يكن لديهم اية فكرة للاستعداد لاقامة النظام الاسلامي بعد استقلال البلاد ، وهذا ما أثبته التاريخ بعد انشاء جمهورية باكستان الاسلامية في عام ١٩٤٧ الميلادي حيث بدأ قادة باكستان يظهرون الآراء المتضاربة حول تطبيق الشريعة الاسلامية في البلاد ، فخططت المخططات والمؤامرات لجعلها دولة علمانية وبدأ الصراع العنيف بين الحركة الاسلامية والاحزاب الاسلامية الاخرى وبين العلمانيين والشيوعيين والمتفرنجين ومنكري السنة الموجودين في الدوائر الحكومية حول هذا الموضوع ولا يزال هذا الصراع مستمرا حتى اليوم .

ـ الحياة الدينية : وأما الحياة الدينية في العالم الاسلامي ولاسيما في شبه القارة الهندية فقد دب فيه انحطاط والاضمحلال قبل مجيء الاستعمار الغاشم وذلك لاغلاق باب الاجتهاد وانفصال الدين عن الدولة واقتصار اثرته على شئون الحياة الفردية ، وحينما تمكن الاستعمار من السيطرة على البلاد الاسلامية خطط المخططات والمؤامرات للقضاء على الدين ورجال الدين معا وذلك باتخاذ القرار بأن أبواب المعيشة لا يمكن فتحها الا بمفتاح الثقافة

الغربية اللادينية ، وكان من الطبيعى أن أهملت المدارس الدينية وحلت محلها الكليات والمدارس الحديثة. وزاد الطين بلة حينما قرر العلماء والمشايخ أن لا يقبلوا اى تغيير فى منهجهم التعليمى الذى قد أكل عليه الدهر وشرب واتخذوا الموقف السلبى تجاه كل ماجاءت به الحضارة الغربية نافعا كان أو ضارا . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى خطط الاستعمار لانشاء الحركات الهدامة والدعوات المعادية للاسلام فى كل بلد من البلاد الاسلامية وذلك ليتمكن من القضاء على الاسلام من الداخل والخارج معا . فأهم تلك الحركات كما أسلفنا هى التبشير والاستشراق والعلمانية والشيوعية والماسونية من الخارج والقاديانية والبهائية والدونمة وانكار السنة النبوية وتطوير الاسلام " بالتوفيق " بين الاسلام والجاهلية الحديثة من الداخل ، ومن الناحية الثالثة اهتم الاستعمار باشعال نار الخلافات بين الفرق الاسلامية المختلفة وذلك للقضاء على وحدتهم بجانب ولفت نظرهم عن التحديات والقوات والمؤامرات التى كانت لهم بالمرصاد بالجانب الآخر.

ومن أشنع وأخطر آثار الحضارة الغربية فى العالم الاسلامى هو وقوع المسلمين ولاسيما المسلمين المثقفين فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية واتخاذهم الموقف الخضوعى تجاه هذه الحضارة الجاهلية واذعانهم بأن كل مايأتى من الغرب هو صحيح ولا مجال للشك والريب فيه ولولا هذا الموقف الخضوعى والعبودية الفكرية لم يتمكن الغزو الحضارى الاستعمارى من انجاز ماتراه اليوم فى العالم الاسلامى .

وأما الدعوة الاسلامية التى بدأ بها الشيخ أبو الكلام آزاد فى العقد الاول للقرن التاسع عشر الميلادى أو الدعوة التى حمل لواءها الدكتور محمد

اقبال رحمه الله من العقد الثانى الى العقد الرابع لهذا القرن أو الدعوات الاخرى التى ظهرت فى ذلك العصر كل واحدة من تلك الحركات لهما دور فى مواجهة التحدى الحضارى الغربى ، الا أن هذه الدعوات لم تصبح حركة اسلامية شاملة تتمكن من مواجهة ذلك التحدى فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ومن اعادة ثقة المسلمين المثقفين فى صلاحية الاسلام للقيادة البشرية فى ذلك العصر بجانب ، وتقوم بالجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية بالجانب الآخر.

وجدير بالذكر أنه بعد انشاء دولة باكستان الاسلامية فى عام ١٩٤٧ الميلادى ازدادت المؤامرات والتيارات لجعل دولة باكستان الاسلامية دولة علمانية أو شيوعية ، ودخل الصراع بين الحركة الاسلامية وبين الحركات الهدامة فى مرحلة عنيفة ولا تزال هذه الشدة تزداد يوما فيوما بانتصار الحركة الاسلامية وانهزام الحركات الجاهلية فى كل دائرة من دوائر الحياة الفرديةوالاجتماعية ، وهذا ماوعد به الله سبحانه وتعالى فى قوله تعالى : (قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) (١) .

ـ الحياة الاجتماعية : وأما الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر فقد تأثرت بالحضارة الغربيةالجاهلية فى كل نشاطاتها ومظاهرها فأنشئت الحركات ، وظهرت الدعوات لتعميم الحضارة الغربية الحديثة فى كل دائرة من دوائرالحياة الفردية والاجتماعية ، ومن أهم الحركات التى ظهرت فى هذا الصدد كانت " حركة تحرير المرأة " كما يسمونها فكانت تلك الحركة تهدف الى خروج المرأة المسلمة من حجابها وبيتها فى اتباع المرأة الاوربية وذلك للقضاء على كيان الاسرة المسلمة وقيم الحياة الاجتماعية الاسلامية السامية ، فمن أهم النتائج

---

(١) سورة الاسراء - ٨١ .

لتلك الدعوة هي بداية التعليم المختلط فى الكليات والجامعات الذى جاء بالمفاسد الاجتماعية لا تعد ولا تحصى ، وبداية خروج المرأة المسلمة للمشاركة فى أنشطة الحياة الاجتماعية مثل الوظائف فى دوائر الحكومة أو المشاركة فى المباريات القومية والدولية أو المشاركة فى مهرجانات الشباب والشابات المختلطة أو فى البرامج التمثيلية كالمسرح والسينما والتلفزيون أو فى حفلات الرقص والموسيقى المختلطة أو القيام بخدمة ركاب الطائرات أو بخدمة المسافرين النازلين فى الفنادق . . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى كان لتأثير الحضارة الغربية فى حياتنا الاجتماعية أن ظهرت فى المجتمعات الاسلامية الدعوات التى تخالف أحكام الشريعة الاسلامية مثل فكرة منع تعدد الزوجات وفكرة عدم وقوع الطلاق الا عن طريق المحكمة وحركة تحديد النسل . . . وما الى ذلك من الدعوات المعادية الاخرى .

وجدير بالذكر أن هذه الحركات والدعوات التى قد ظهرت فى شبه القارة الهندية بعد أن احتلها الاستعمار البريطانى الغاشم ازدادت أثرا ونفوذا بعد انشاء دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ م حيث تأسست جمعية السيدات الباكستانيات لحمل لوائها فقامت الحكومة بدعمها ماديا ومعنويا لتحقيق أهدافها الشنيعة ، الا أنه كان لاهتمام الحركة الاسلامية بمقاومتها بأنها لم تتمكن من تحقيق هذه الاهداف .

وأما مجال الأدب والصحافة ، فكان لاهميته البالغة أن ركز عليه الاستعمار بصفة خاصة والحركات والدعوات التى ظهرت فى العالم الاسلامى لتعميم الحضارة الغربية فى المجتمعات الاسلامية اعتنيت بصفة خاصة باستخدام الادب والصحافة لتحقيق أهدافها الشنيعة فصدرت المجلات والجرائد

وألفت وترجمت الكتب ، هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى بدأ الكتاب المتطورون الشيوعيون هجومهم العنيف ضد الاسلام وقيمه السامية للحياة الاجتماعية ولاسيما بعد ما تأسست جمعية الكتاب المتطورين في شبة القارة الهندية عام ١٩٣٦ م . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى خطط هؤلاء الكتاب للقضاء على قيم المجتمع الاسلامي السامية وذلك باصدار صور النساء العاريات أو شبه العاريات في المجلات والجرائد .

وجدير بالذكر أن الكتاب والصحفيين المتطورين كان لهم السيطرة الكاملة على مجال الادب والصحافة حينما أنشئت دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧ م . ولكن بفضل جهود الجماعة الاسلامية المتواصلة في هذا المجال انه لم يبق لهم فيه الآن أثر يذكر . فلله الحمد .

وأما في مجال التعليم والثقافة : فتركيز الاستعمار الغاشم لم يقل عن تركيزه على المجالات الاخرى الهامة للحياة الاجتماعية وذلك لاهمية هذا المجال البالغة في حياة الأمم الاجتماعية ، فخطط المخططات والمؤامرات وقام بتغيير التعليم الاسلامي بالتعليم الافرنجي اللاديني الذي قد أنجبته الحضارة الغربية المادية الجاهلية فالغيت المعاهد الدينية وأسست المعاهد والكليات والجامعات لتعميم الثقافة الجاهلية الحديثة في المجتمعات الاسلامية كما ظهرت الدعوات والحركات الخاصة لتحقيق ذلك الهدف وذلك فضلا عن عدد غير قليل من المعاهد والكليات التبشيرية التي أنشأها المبشرون المسيحيون تحت رعاية الاستعمار وبدعمه المادي والمعنوي . هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى قرر الاستعمار أن أبواب الرزق لا تفتح الا بمفتاح الثقافة الغربية ، فكانت النتيجة أن كلا سلالة جديدة

من المسلمين كانت أسرع اليها من سابقتها . وبدأ يتخرج في هذه المعاهد والكليات جيل جديد لم تكن له أية علاقة بالاسلام سوى الاسم ، جيل جديد فرنجي من حيث النظر والفكر والوجدان والسيرة ومسلم من حيث الاسم والسلالة واللون ، فيصدق الدكتور محمد اقبال حيث يقول عن هذه الثقافة :

" أوربه اهل كليسا كا نظام تعليم — ايك سازش هى فقط دين ومروت كيخلاف "

أى أن نظام التعليم الافرنجي ليس الا مؤامرة على الدين والخلق والمروءة .

أو يقول عن تأثيرها : " مباش ايمن ازآن علمي كه خواني كه ازوي روح قومي توان كشت

أى اياك أن تكون آمنا عن العلم الذى تدرسه فانه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها .

وأما الثقافة الدينية : فكان من الطبيعي أن يفقد تأثيره يوما فيوما وذلك لأن :

اولا : لاغلاق المدارس والمعاهد الدينية .

ثانيا : لاقفال باب الرزق على متخرجي المعاهد الدينية .

وثالثا : لكون منهج التعليم الديني منهجا قديما أكل عليه الدهر وشرب .

فكانت النتيجة تنحية العلماء والمشايخ من معترك الحياة ليصبح المجال خاليا للمثقفين الجدد الخاضعين للحضارة الغربية الجاهلية .

وأما في دائرة الاقتصاد والمعيشة : فكان نتيجة لغارة الحضارة الغربية الاستعمارية أن ظهرت في العالم الاسلامي الدعوات والحركات لنشر الفلسفات الاقتصادية الجاهلية الحديثة كالشيوعية والرأسمالية والنظم الاقتصادية الاخرى ومن أشنع النتائج التي جاءت بها هذه النظريات

الاقتصادية فقدان اذعان المثقفين الجدد فى صلاحية نظام الاقتصاد الاسلامى لحل المعضلات الاقتصادية المعاصرة وانحصارهم فى ذلك على الحلول المستوردة ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى فقدان الوعى والتمييز بين الحلال وبين الحرام ، فبدأ بعض من المسلمين يشتغلون فى الحرف المحرمة والبيوع الفاسدة حتى بلغ الامر الى حد أن كثيرا من المسلمين المثقفين بدأوا يعتقدون أن حالة المسلمين الاقتصادية لا يمكن تحسنها الا بجواز الربا ، وزاد الطين بلة حينما قام بعض من علماء السوء باصدار الفتوى بجوازها ، فكان من المرجو أن يتغير ذلك الوضع بنفاذ نظام الاقتصاد الاسلامى بعد انشاء دولة باكستان المسلمة عام ١٩٤٧م ولكن مع الاسف ، لم يأت ذلك التغيير وقرر قادة هذه الدولة المسلمة أن النظام الاقتصادى فى باكستان سيكون على نفس المنهج الذى كان عليه فى أيام الاحتلال الاستعمارى ، فلذا لا يزال هذا النظام قائما على الاسس الرأسمالية الجاهلية حتى اليوم ، وهذا ماتوسع به الخليج بين الاغنياء وبين الفقراء ، وهذا ما أدى الى نفوذ الشيوعيين فى المجتمع ولولا تمكنت الحركة الاسلامية من اعادة ثقة الشباب المثقف فى صلاحية النظام الاقتصادى الاسلامى لحل هذه المعضلات الاقتصادية لاصبحت دولة باكستان المسلمة دولة شيوعية او اشتراكية أعاذنا الله منه .

وأما المجال العمالى : فكان لتلك الاوضاع الاقتصادية من ناحية ولاهمية هذا المجال البالغة من الناحية الاخرى ان خطط الشيوعيون بصفة خاصة للنفوذ فى هذا المجال فتمكنوا من السيطرة عليه ، فالاتحادات العمالية فى شبه القارة الهندية قد سيطر عليها الشيوعيون سيطرة كاملة

وهكذا كان الوضع حينما أنشئت دولة باكستان الاسلامية فى عام ١٩٤٧م ، فقد قررت الحركة الاسلامية أن تتصدى لذلك التحدى فكان الفضل لله سبحانه ثم لجهودها المتواصلة أن تمكنت الحركة الاسلامية من انقاذ العالم المسلم الباكستانى من سيطرة الشيوعيين الغاشمة واكثر الاتحادات العالمية فى باكستان اليوم تسيطر عليها الحركة الاسلامية فلله الحمد .

وأما مجال القانون والتشريع فمن المعلوم أن القانون له صلة وثيقة بالمبادىء الاساسية للمجتمع ، هذا بصفة عامة ، وأما الشريعة الاسلامية الغراء فالغاية التى أنزلها الله لاجلها هى ليست الا أن يحكم بها المسلمون والتحكيم بما أنزل الله ليس تطوعا أو نافلة ، بل يعتبر أساسا لايمانهم بالله سبحانه لقوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)(١) وهذا مايتبين منه أهمية الشريعة الاسلامية فى حياة المسلمين الاجتماعية فكان لهذه الاهمية للشريعة الاسلامية أن خطط الاستعمار للقضاء عليها ، فأنشئت كليات الحقوق لتعليم القانون الافرنجى الوضعى فى كل بلد من البلدان الاسلامية ، كما أرسلت المبعوثين المسلمين الى البلاد الغربية للتعليم العالى فى القانون الوضعى الافرنجى ، وهذه هى كانت الخطة الاولى ، ثم أخذ الاستعمار الخطة الثانية وغير الشريعة الاسلامية الغراء بالقوانين الوضعية الافرنجية فى كل بلد من البلدان الاسلامية فكانت هذه القوانين الوضعية تخالف المبدأ بأن حق التشريع مختص لله سبحانه وتعالى وحده . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى كانت هذه القوانين الوضعية الافرنجية تختلف كل الاختلاف عن الشريعة الاسلامية فكانت تحل ماتحرم الشريعة الاسلامية الغراء وتحرم ماتحل الشريعة الاسلامية فأحلت الزنا والخمر والميسر وكثير من المحرمات والمنكرات الاخرى وقضت

---

(١) سورة المائدة الاية ٤٤ .

على كثير من الخيرات ، ولكن ما هو أشنع وأخطر من كل ذلك هو انتشار الفكرة الخاطئة بأن التشريع لا يخص الله سبحانه وتعالى بل يخص البرلمان أو مجلس النواب أو مجلس الوزراء أو رئيس الدولة أو الملك الذى يمكن له أن يحل أى حرام ويحرم أى حلال .

وجدير بالذكر ان شبه القارة الهندية قد تم فيها الغاء الشريعة الاسلامية ونفاذ القوانين الوضعية فى اواسط القرن التاسع عشر الميلادى (١) فكان من المقرر أن تلغى القوانين الوضعية الافرنجية وتطبق الشريعة الاسلامية بعد انشاء دولة باكستان الاسلامية ، ولكن العلمانيين والشيوعيين والمتفرنجين فى الحكومة لم يعجبهم تطبيق الشريعة الاسلامية فقاموا بالمخططات والمؤامرات المعادية للشريعة الاسلامية ، وبدأ الصراع بين الحركة الاسلامية والاحزاب الاسلامية الاخرى وبين العلمانيين والشيوعيين والمتفرنجين ومنكرى السنة الموجودين فى الحكومة ولا يزال هذا الصراع مستمرا حتى اليوم .

وأما دائرة القيم الاخلاقية ، فقد تأثرت بتلك الغارة الحضارية الاستعمارية تأثرا عظيما ومن المعلوم ان القيم الأخلاقية الاسلامية غايتها السامية هى كسب مرضاة الله سبحانه وتعالى بخدمة عباده حسب توجيهاته وتعليماته ، ولكن بعدما تأثر المسلمون بالحضارة الجاهلية الحديثة وعلومها وفلسفاتها اللادينية المادية ، انتشرت فيهم القيم الاخلاقية المادية التى تولدت من بطن الفلسفات المادية الجاهلية كالتفسير المادى الجدلى لماركس وفلسفة التطور لداروين ونظرية السياسة اللادينية لمكيافلى والتفسير

---

(١) انظر الاستاذ المودودى ، نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور ص : ١٣٩ .

الجنسى لعلم النفس لفرويد وما الى ذلك من الفلسفات والنظريات المادية الجاهلية ، وكان لانتشار هذه القيم الاخلاقية المادية فى المجتمعات الاسلامية أن أصبح النفع المادى هو المقياس الوحيد للحق والباطل وللصحيح والخطأ وللحلال والحرام وهذا مافسدت به حياتنا الفردية والاجتماعية فى كل دوائرها .

وهكذا الدوائر الاخرى لحياة المسلمين الفردية والاجتماعية قد تأثرت بتلك الغارة الحضارية للاستعمار الغاشم ولم يبق بلد من البلاد الاسلامية الا وقد وقع فى العبودية الفكرية لتلك الحضارة الاستعمارية الغاشمة .

فيتبين مما أسلفنا أن عصر الاستاذ المودودى كان عصر التحديات والتيارات المعادية للاسلام والمسلمين ، عصر قد تنحى فيه الاسلام من قيادة ركب البشرية لتحل محلها الجاهلية الحديثة ، عصر قد تمكن فيه الاستعمار من السيطرة السياسية والحضارية على العالم الاسلامى ، عصر قد وقع فيه المسلمون فى العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة وفقدوا اذعانهم فى صلاحية الاسلام للقيادة البشرية وحل مشاكل الحياة ومسائلها فى ذلك العصر ، عصر قد ظهرت فيه الحركات الهدامة والدعوات المعادية للاسلام ، عصر قد خططت فيه المخططات والمؤامرات الاستعمارية للقضاء على الاسلام والمسلمين من الداخل والخارج معا ، عصر اشتد فيه الصراع بين الاسلام والجاهلية الحديثة وبين الحركة الاسلامية والحركات المعادية للاسلام فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

وجملة القول أن العصر الذى عاش فيه الأستاذ المودودى وقـــام بعمل الدعوة الى الله كان عصرا مليئا بالتيارات والتحديات ،ولم ير التاريخ الاسلامى مثله قبل ذلك ، وبهذا يمكننا أن نتعرف على المؤثرات البيئيـــة والثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية فى تكوين شخص الاستاذ المـودودى وظهور دعوته من ناحية،وأن نعرف مدى مؤثرات هذه الدعوة الجليلـــة من النواحى المختلفة ونعين مكانته العلمية .

...

الفصل الثاني

حياة الأستاذ أبي الأعلى المودودي في سطور
وموجز جهاده في مجال الدعوة الإسلامية

المفكر الإسلامي الكبير الذي ردّ للإسلام إعتباره وأحل الفكر الإسلامي مكانه اللائق به .. يواجه في صلابة فكر التحديات الفكر الأجنبي المستورد، وتيصدى في قوة للفكر الدخيل المنتسب زورًا الى الاسلام.

كان المودودي يحمل فكرًا اسلاميًا أصيلًا وكان بهذا الفكر الاسلامي أن يؤسس مدرسة .. تلاميذها من شتى انحاء العالم الاسلامي..

ولم يقف المودودي عند حدود تقديم العطا من الفكر الاسلامي .. بل تصدى للأنظمة الحاكمة في ديار المسلمين، والتي تعتنق فكرًا جاهليًا وفي نفس الوقت تصدي للإستعمار الذي جثم على صدر الأمة المسلمة وتصدى لعملائه في ديار المسلمين.

وكان ما لقيه من الإستعمار الانجليزي أهون بكثير مما لقيه من عملاء الاستعمار البغيض واستطاع عملاؤه من الحكام، أن يقدموه للمحاكمة، وحكموا عليه بالإعدام، ثم خففوا حكم الإعدام إلى السجن .. ولبث في السجن بضع سنين وخرج منه أكثر ما يكون قوة إيمان .. وقوة عزيمة .. وواصل جهاده حتى لقي ربه .. بعد أن أسس مدرسة كبرى يواجه الآن تلامذتها في انحاء المعمورة بفكرهم النير ومفهوم السليم لحقيقة دينهم كل الذين جندوا أنفسهم لمناواة الإسلام.

حياة الأستاذ أبي الأعلى المودودى

أسرتــــه :

ينتسب الأستاذ أبو الأعلى المودودى الى أسرة عريقة الامجـــاد متميزة بالعلم والتقوى فجد هذه الأسرة الأعلى هو الشيخ قطب الدين بــن مودود جشتي الذى ترجع سلسلة نسبه الى سيدنا الحسين بن علي رضــى الله عنهما . وقد اتخذت هذه الاسرة مقراقامتها مدينة (جشت) القريبــة من مدينة (هرات) فى أفغانستان ،وكان الشيخ قطب الدين مودود جشــتى شيخ شيوخ السلسلة الجشتية بالهند ، وشيخ فرع الأسرة المودوديـــة الذى يرجع الاستاذ المودودى اليه قد هاجر الى الهند فى اواخر القــرن العاشر من الهجرة وهو الشيخ ابوالاعلى المودودى الجد الاعلى لصاحــب الترجمة وقد اتخذ اقامته فى مدينة (برناس) فى شمال الغربى من عاصمــة الهند (دهلى) ومنها انتقل الى "دهلى" وذلك فى ايام (شاه عالــم) ، أحد ملوك المغول فى الهند ، واستمر بها بنوه الى أن هجره والـــد الاستاذ المودودى حيث رحل الى مدينة (أرونك آباد) فى جنوب شبــه القارة الهندية ، وقد أيد الاستاذ المودودى هذه المعلومات عن أسرته الاولى حينما ترجم لنفسه (٣) لمؤلف الكتاب "منظرالكرام " عام ١٩٣٢ الميلادى .

---

(١) انظر الاستاذ اسعد جيلانى ـ أبوالأعلى المودودى ،فكره ودعوته ص ١٧ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٠ .
(٣) انظر الأستاذ محمد يوسف ـ "مولانا مودودى ابنى اوردوسرون كى نظرمين ص ٣٠ .

ـ والد الاستاذ المودودى :

والده هو سيد احمد حسن المودودى الذى ولد عام ١٢٧٣ من الهجرة الموافق عام ١٨٥٥ الميلادى . من هذه الاسرة ذات الدين والتقوى وكانت هناك صلة قرابة بين والدته وبين " سرسيد احمد خان " مؤسس جامعة (عليكره) الاسلامية . ولهذا اختار سيد احمد حسن المودودى للالتحاق بهذه الجامعة ،وهى فى مرحلة انشائها الاولى (١) فعارض اعضاء الاسرة هذا الاختيار ولم يوافقوا على تعليمه فى هذه الكلية التى تدرس الثقافة الانكليزية الاستعمارية الا انهم قد اضطروا على الموافقة رعاية لصلة القرابة مع سيد احمد خان وقبل ان يكمل سيد احمد حسن دراسته صادف مرة ان احد اقربائه قام بزيارة عليكرة ـ وشاهده يلعب الكراكيت ويلبس زى الانكليز فتأثر وتألم لمشاهدة ابن شيخ كبير فى هذه الحالة ، وما ان عاد الى " دهلى " حتى ذهب الى والده وقال " يا أخى ، انفض يدك من احمد حسن فلقد رايته فى عليكره يلبس ملابس الكفار وهو نصف عار يلعب العابهم " وبعد ما سمع والده هذا الخبر قام على الفور باستدعاء ابنه من جامعة عليكره وارسله الى جامعة (آله آباد) حيث درس المحاماة (٢) .

---

(١) انظر الاستاذ اسعد جيلانى ـ ابوالاعلى المودودى فكره ودعوته ص ١٩ .

(٢) انظر الشودرى عبدالرحمن عبد ـ سيد أبوالاعلى . مودودى ص ٤٨ .

وبعد تكميل دراسته عين سيد أحمد حسن المودودى معلما لولى العهد فى ولاية " ديوكره " وأقام هناك عدة سنوات وبعد وفاة ولى العهد فجأة ترك " ديوكره " وعمل فى المحاماة فى شتى المدن الهندية ــ كمدينة (ميرت) ومدينة (غازى آباد) ومدينة (بلند شهر) (١) . وفى عام ١٣١٤ هـ الموافق ١٨٩٦ م سافر الى مدينة (أورنك اباد) بولاية حيدر آباد الدكن الاسلامية فى جنوب شبه القارة الهندية للدفاع فى قضية وقابل هناك قريبه الشيخ محى الدين خان رئيس مجلس القضاء فى اورنك اباد ، وكان يمتاز بالورع والتقوى ، والدعوة الى الله وكان من اثار مصاحبته ان سيد احمد حسن المودودى الذى قد سيطرت عليه الثقافة الغربية وفقه الله ان يخلص نفسه من هذه السيطرة ويغير منهج حياته ، وأخذ يعيش الحياة الاسلامية ويعمل فى سبيل الدعوة الى الله مع عمله بالمحاماة . وكان ذلك فى عام ١٩٠٠ م الموافق عام ١٣١٨هـ .

وبعد اربع سنوات فى عام ١٣٢٢هـ الموافق عام ١٩٠٤م ترك المحاماة أو بتعبير أصح ترك الدنيا وقام بتقسيم متاع البيت وسافر الى دهلى واتخذ حى (عرب سراى) مقاما له وسكنا وقام بزراعة قطعة من الارض ليعيش عليها ، وكان يقضى معظم وقته فى العبادة ودراسة الدين وتدريسه واستمر فى هذه الحالة ثلاث سنوات ، وحينما عرف الشيخ محى الدين خان عن حاله هذا

---

(١) انظر الاستاذ محمد يوسف ــ مولانا مودودى اپنى اور دوسرون كى نظر مين ص ٣٦ .

استدعاه الى " أرونك آباد " وقال له " الرجوع الى الله لا يعنى ترك الدنيا بل عليك ان تجتهد فى الكسب بطرق مشروعة " فوافقه وعاد الى المحاماة فترة ثانية ولكنه غير طريقته ، فلم يوافق على الدفاع عن أية قضية الا بعد أن يتحقق فى ان صاحبها على حق ، فقلت القضايا عنده وازدادت مشكلاته المادية يوما فيوما حتى اضطر أن يغادر اورنك اباد فى عام ١٣٣٣ هـ وسافر الى حيدر اباد (١) حيث ساءت حالته الصحية ، ولم تمض على مكثه بحيدر أباد ستة أشهر حتى انتقل الى مدينة (بهو بهال) حيث ابنه الاكبر سيد ابو محمد كان يعمل مديرا لهيئة البلدية بها ، وهناك اصابه مرض الشلل الذى لازمه حتى انتقل الى الرفيق الاعلى بعد اربع سنوات فى عام ١٣٣٩ هـ الموافق عام ١٩٢٠ م .

― والدته :

والدته هى السيدة / رقية بيغم من أسرة غير أسرة أبيه وترجع سلسلة نسبها الى أتراك ماوراء النهر ، وقد هاجر جدها الاعلى ميرزا طولك بى من وراء النهر الى (دلهى) عاصمة الهند ، فى زمن (عالمكير) أحد ملوك المغول فى الهند وقد اتخذها مستقرا له . وكعادة اسرته التحق بالجيش ووالد السيدة / رقية بيغم ميرزا قربان على بيك خان سالك مع كونه جنديا كان شاعرا وأديبا . وكان تلميذا للشاعر الهندى الكبير ميرزا غالب ، وكان

---

(١) انظر الاستاذ خليل أحمد الحامدى ― الامام ابو الاعلى المودودى ― حياته دعوته ، جهاده ص ٤٠٧

رئيس التحرير لجريدة (مخزن الفوائد) ، احدى الجرائد القديمة باللغة الاردية[١] ، وسيدة / رقية بيغم أصغر بناته الأربعة [٢] ، وكانت رحمها الله عابدة زاهدة تعطى الفقراء والمساكين وتهتم بتربية اولادها اهتماما كبيرا وكانت شديدة العناية بخدمة زوجها وتقيم معه فى العسر واليسر راضية مرضية فى كل حال حتى قد رافقته بكل الرضا حينما ترك الدنيا وعاش حياته فى عوز مالى شديد [٣] . وقد هاجرت رحمها الله من الهند الى باكستان مع ابنيها الاستاذ ابى الاعلى المودودى والاستاذ ابى الخير المودودى ، وقامت معهما فى لاهور وتوفيت ودفنت هناك عام ١٩٥٨ الميلادى .[٤]

ـ اخوته :

كان لوالد الاستاذ المودودى ستة أولاد أربعة منهم من زوجته الاولى واثنان من والدة الاستاذ المودودى ، واكبرهم سيد ابومحمد المودودى ، ولا نعرف عنه شيئا الا انه كان مديرا لادارة البلدية لمدينة (بهوبهال) حينما انتقل والده هناك من حيدر آباد عام ١٣٣٣ هـ الموافق عام ١٩١٥م ، ومكث معه الى وفاته عام ١٣٣٩ هـ الموافق عام ١٩٢٠ م . وابنه الثانى فهو ابوالقاسم

---

(١) انظر مجلة " سيارة ذا ئجست " الشهرية لاهور عدد خاص فى ذكرى الاستاذ المودودى لشهر ديسمبر ١٩٧٩ م ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ــ سيد ابوالاعلى مودودى ص ٤٧ .

(٣) انظر الاستاذ خليل احمد الحامدى ــ الامام ابوالاعلى المودودى ــ حياته دعوته وجهاده ص ٧ .

(٤) انظر مجلة " ايشيا " الاسبوعية عدد خاص فى ذكرى الاستاذ المودودى لشهر نوفمبر ١٩٧٩ م ص ٣٢ .

المودودى ولا نعرف عنه شيئا والابنة الثالثة توفيت فى طفولتها والرابعة تزوجت وانجبت ابنتين ـ وهؤلاء الابناء الاربعة هم اخوة المودودى لاب فقط ولم يكن له أخ شقيق الا واحدا وهو سيد أبوالخير المودودى الذى كان يكبر الاستاذ المودودى بثلاث سنوات ، فلقد ولد فى اورنك اباد فى عام ١٣١٨ هـ الموافق عام ١٩٠٠ م(١) . ويقول الاستاذ المودودى عن أخيه هذا " كنت أصغر من فى البيت وكان لى أخ يكبرنى بثلاث سنوات وكنت أتناول الحاجات مايقع تحت يدى بينماكان اخى يختزن الحاجات ليتناولها فى الوقت المناسب ،وهكذا كنت انفق على الفور مايقع بيدى من قروش بينما كان اخى يوفر نقوده ليشترى بها شيئا ثمينا فكان هذا هو أساس العراك الذى كان يحدث دائما بيننا بصفة مستمرة وكنت أحاول دائما أن أنال شيئا من نصيبه ، وكان هو بدوره يضطر الى ان يعطينى ما أريد بعد ممانعة لا تستمر كثيرا . وفى البداية كنت افسر هذا باننى انتصرت عليه وغنمت منه ثمرة النصر الا اننى عرفت فيما بعد بأن اخى يحبنى وانه كان يجد فى عراكى معه متعة(٢) ،ومثل هذا يدل على ماكان بين المودودى وأخيه من مودة وحب وتعاطف .

---

(١) أخبرتنى عن هذا السيدة/ حميرا المودودى ابنة الاستاذ المودودى .

(٢) انظر الاستاذ أسعد جيلانى ـ ابوالاعلى المودودى ،فكره ودعوته ص ٢٤ .

وأبوالخير المودودى تلقى الدراسة الابتدائية فى بيته من والـــده سيد أحمد حسن المودودى (١) ، ومن الأساتذة الذين كانوا يدرسون للاستاذ المودودى لأن الشقيقين كانا يدرسان معا فى نفس الوقت . وبعد دراستـــه الابتدائية التحق بالمدرسة الفوقانية باورنك اباد (٢) ، لكنه قبل ان يكمـــل دراسته ساءت الحالة الصحية لوالده الذى اصابته الشلل عام ١٣٣٤ هـ الموافق عام ١٩١٦ م . فترك الدراسة واخذ يعمل ليكسب قوت عائلته ، ولهـــذا انضم الى جريدة (المدينة) اليومية التى كانت تصدر من مدينة (بجنور) وصار رئيس التحرير لها . وهذا كان فى عام ١٣٣٦ م الموافق عام ١٩١٨ م ، ولم يستمر عمله فى الجريدة الا لشهرين فقط ، ثم انضم بعدها الى جريـــدة (التاج) التى كانت تصدر من مدينة (جبل بور) ولكن هذه الجريـــدة لم تستمر الا لبضعة اشهر (٣) ، فاضطر الى ترك ميدان الصحافة (٤) وانضـــم الى دار الترجمة العثمانية بحيدر آباد ، عاصمة ولاية حيدر آباد الاسلاميـــة آنذاك ، واستمر فى عمله هناك الى سقوط هذه الدولة الاسلامية فى عـــام ١٩٤٨ م ، ثم هاجر الى باكستان واقام بمدينة لاهور ومكث هناك حتى وفاتـــه

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٠ .

(٢) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ـ سيد أبوالأعلى مودودى ص ٥٤ .

(٣) انظر الأستاذ أسعد جيلانى ـ أبوالأعلى المودودى ، فكره ودعوتـــه ص ٣٠-٣١ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٣٢ .

فى ٢٨ اغسطس عام ١٩٧٩ م اى ٢٥ يوم قبل وفاة الاستاذ المودودى ، ودفن بلاهور(١) .

وكان ابوالخير المودودى أديبا ممتازا فى اللغة الاردية ، وله عدة كتب فى الادب الاردى بجانب كثير من الكتب التى ترجمها من اللغة العربية وكما يقول فى مقابلته مع الشودرى عبدالرحمن عبد مؤلف كتاب " سيد ابوالاعلى مودودى " ـ كان متأثرا من شخصية الاستاذ المودودى ، فيحكى لنا من تأثره هذا أن فى عام ١٩٣٧ حينما كان الاستاذ المودودى يصدر مجلة " ترجمان القرآن " من حيدراباد استدعاه الشاعر الاسلامى الدكتور محمد اقبال لمقابلته واقترح عليه ان ينتقل من حيدراباد الى بنجاب ، ويعمل هناك ، فوافق الاستاذ على هذا الاقتراح وفى نفس الوقت عرضت عليه الجامعة العثمانية بحيدرآباد ان يعمل استاذا فى هذه الجامعة براتب كبير ، لكنه رفض هذا العرض مع ان وضعه المالى كان ضيقا جدا ، وهو لم يكن يعرف شيئا عن مصيره فى بنجاب ويقول ابوالخير بانه حاول اقناعه بقبول ذلك العرض نظرا لوضعه المادى وخوفا من انه لا يجد انصارا لدعوته فى بنجاب ، وناقش الموضوع معه لست ساعات ولكنه لم يوافق واثر الذهاب الى بنجاب لكى يعمل هناك فى سبيل الدعوة حسب القرار مع الدكتور محمد اقبال واتخذ اقامته فى قرية " دار السلام " بعيدا عن الحياة المدنية التى كان يعيشها هو وعائلته حتى الان . وهذه التضحية التى قدمها الاستاذ

---

(١) انظر مجلة " سيارة دائجست " الشهرية عدد خاص فى ذكرى الاستاذ المودودى لشهر ديسمبر ١٩٧٩م ص ١٠٥ ـ ١٠٧ .

المودودى في سبيل الدعوة أثرت فيه الى حد كبير (١) .

وهكذا يقول الاستاذ ابوالخير المودودى في مقابلته مع مندوب مجلة "اتش فشان" الاسبوعية السيد / فريد الدين احمد بانه يقرأ كل مايكتبه الاستاذ المودودى بالعناية واحيانا يكتب اليه ملاحظاته والحقيقة هو يتأثر عن اسلوبه الجذاب ولا سيما عن تفسيره "تفهيم القرآن" الا انه لا يعجبه دخوله في مجال السياسة . وذلك لان مجال السياسية في رأيه يتدنس بأدناس كل من يدخل فيه (٢) . "

ـ ولادة الاستاذ المودودى :

ولد الأستاذ أبوالأعلى المودودى في هذه الأسرة العريقة في ٢ من رجب عام ١٣٢١ هـ الموافق ٢٥ سبتمبر عام ١٩٠٣ م (٣) . وسماه والده باسم جده الاكبر ابوالاعلى المودودى . وكما ذكرنا انفا بانه في هذه الايام قد سيطرت على والد الاستاذ الافكار الاسلامية بتوجيه الشيخ محى الدين وبعد مولده بسنة ترك الدنيا وتفرغ للعبادة والاذكار واستمر على ذلك ثلاث سنوات ولما عاد بعدها الى حياته العادية تغلب عليه الطابع الدينى الذى ألفه خلال تلك الفترة وكانت والدته سيدة صالحة عابدة راضية برضاء ربها في العسر واليسر وكانت تعرف دينها . وفي هذا الجو تفتحت

---

(١) انظر مجلة سيارة دائجست الشهرية عدد خاص في ذكرى الاستاذ ابوالاعلى المودودى لشهر ديسمبر عام ١٩٧٩ م ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) انظر مجلة "آتش فشان" الاسبوعية لاهور لشهر نوفمبر ١٩٧٩ م ص ١٥ .

(٣) الاستاذ أسعد جيلانى ـ ابوالاعلى مودودى ، فكره ودعوته ص ١٧ .

عينا الصبى فرضع منه الدين عملا وسلوكا مما كان له اثر كبير فى تكوين شخصيته (١) .

ـ تربيته :

حرص والد الاستاذ المودودى حرصا تاما على تربية ولده بمنهج الاسلام فعلمه التربية الدينية الابتدائية فى البيت وتولى التدريس بنفسه واختار بعض الاساتذة لهذا الغرض . وقد تلقى المودودى دراسته الاولى فى البيت فدرس القرآن والحديث والفقه واللغة الاردية واللغة الفارسية واللغة العربية . وقد عرف بالذكاء وقوة الحافظة منذ صغره حتى انه حفظ الموطأ للامام مالك بظهر الغيب فى هذه المرحلة (٢) .وكان والده يرغب فى ان يجعله عالما متخصصا فى الدين وعاملا فى اطار الدعوة الى الله تعالى ، ولهذا ركز على تدريسه اللغة العربية مع اللغة الفارسية بالاضافة الى الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الدينية .ولم تكن هناك رغبة فى تدريس العلوم واللغة الانكليزية وما يتصل بها (٣) ، وبفضل هذا الاهتمام باللغة العربية استطاع ابوالاعلى المودودى ان يقوم بترجمة كتاب "الاسلام والاصلاح" للشيخ عبدالعزيز الشاويش من اللغة العربية الى اللغة الأردية وعمره لم يتجاوز ثلاث عشرة سنة (٤) ، واستمر ابوالاعلى

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٢١ .

(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدى ـ الامام ابوالاعلى المودودى حياته ودعوته وجهاده ص ٦ .

(٣) انظر الاستاذ اسعد جيلانى ـ ابوالاعلى المودودى فكره ودعوته ص ٢٦ـ ٢٧ .

(٤) انظر مقابلة السيد / فريد الدين احمد مع الاستاذ ابى الخير المودودى نشرت فى مجلة "اتشفشان" الاسبوعية (لاهور) نوفمبر ٧٩م ص ١٣ .

المودودى يدرس فى البيت حتى السنة التاسعة من عمره ، ودرس خلال هـذه المدة الكتب الابتدائية فى الصرف والنحو والادب العربى والفقه (١) . وقـد حرص والده على تعليمه فى البيت وتأخير دخوله المدارس النظامية محافظـة على أخلاقه ولغته وغرسا للاتجاه التعليمى الذى ينشده له . وكان والـده يتكلم باللهجة التى تروج فى بيوتات " دهلى " ولحرصه الشديد على تنشئـة ولده على العلم الصحيح واللغة السليمة ، وكان حينما تجرى على لسانـه كلمة سوقية يمنعه من استعمالها ويعلمه النطق السليم (٢) . وكان يهتـم اهتماما خاصا باصلاح أخلاقه وعاداته ولا يسمح له أن يلعب فى الشوارع .

ومع هذا الاهتمام بتعليم ابى الاعلى نجد الوالد قد اتبع مع ابنـه طريقة تربوية فى تنشئته وتربيته ومن ذلك :

١ ــ لم يكن يسمح له ان يلعب فى الشوارع بل كان يجعله يلعب مـع أخيه فى فناء البيت الذى أعدها الوالد لهما بصفة خاصة ، وذلـك لكى لا يلعبان فى الشوارع ولا يتعلمان العادات القبيحة (٣) .

٢ ــ كان يلازمه معظم الوقت كما كان يأخذه معه الى جلسات اصدقائـه العلمية لكى يتعلم العادات الطيبة منذ صغره ،هذا من ناحيـة ، ومن ناحية اخرى لكى يعلمه اللغة الاردية الفصيحة ولم تجر علـى لسانه الكلمات السوقية (٤) .

---

(١) انظر الاستاذ اسعد جيلانى ــ ابوالاعلى المودودى ، فكـره ودعوته ص ٢٨ .

(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدى ــ الامام ابوالاعلى المودودى ، حياتـه ودعوته وجهاده ص ٦ .

(٣) انظر الاستاذ اسعد جيلانى ــ " سيد مودودى " بچپن ، جوانى ، برهابا ص ٢٨ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٢٧ .

٣ — كان والده يحكي له قصص الانبياء والتاريخ الاسلامي والحكايات الاخلاقية وكان لهذا الاهتمام دورا هاما في تكوين سيرته (١) .

٤ — كان لا يسمح له ان يرفع يده على الضعيف والمظلوم . واذا عمل ذلك كان يؤدبه كما يحكي لنا الاستاذ بانه صادف مرة ان ضرب ابن خادمه فجاء والده بهذا الطفل وامره ان يضربه كما قد ضربه (٢) .

٥ — كان يأخذه الوالد معه الى المسجد لاداء الصلوات الخمس بالانتظام وذلك لكي يعلمه الصلاة ويدربه لاداء الصلوات الخمس بالانتظام والاهتمام (٣) .

٦ — كان يشجعه على الاعمال الخيرية وذلك لتعليمه من ناحية ، وليزيد ثقته في ذاته من ناحية اخرى . ونرى اهتمامه هذا فيما يحكي لنا شقيقه الاكبر سيد ابوالخير المودودى "انه صادف مرة ان كان الاستاذ مع والده في المسجد والمؤذن لم يكن موجودا فقال له ابوه : قم فأذن ، فأسرع ابوالاعلى وبدأ يؤذن في ثقة دون تردد (٤) . وعمره لم يتجاوز خمس سنوات .

وبعد هذا التعليم والتربية في بيته على ايدى والده والمدرسين الافاضل التحق ابوالاعلى المودودى بالمدرسة الفوقانية باورنك اباد وكان حينذاك في التاسعة من عمره (٥) . ومنهج هذه المدرسة كان يشمل المواد التعليمية

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٧ .

(٢) انظر الشودرى عبدالرحمن عبد — سيد ابوالاعلى مودودى ص ٥٣ .

(٣) انظر الاستاذ احمد ادريس — ابو الاعلى المودودى — صفحات من حياته وجهاده ص ٢٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٥) انظر الاستاذ اسعد جيلانى — ابوالاعلى المودودى فكره ودعوته ص ٢٩ .

فى المتوسطة والثانوية بالاضافة الى اللغة العربية والفقه والحديث والمنطق كمواد اجبارية (١) . وفى عام ١٩١٤ م حينما كان عمره احدى عشرة سنة فحسب اجتاز فى اختبار الصف " المولوى " فى هذه المدرسة وهذا الصف كان يشمل بالاضافة الى المواد الحديثة للثانوية المواد الدينية اللازمة وكان المنطق يدرس من كتاب (المرقاة) والفقه من كتاب (القدورى) والحديث من كتاب (سنن الترمذى) وكان يقوم بتدريس هذه المواد نخبة من الاساتذة الممتازين بثقافتهم العربية (٢) ثم انتقل والد الاستاذ المودودى من أورنك آباد الى حيدرآباد مع عائلته ، وانتقل ابوالاعلى من المدرسة الفوقانية باورنك آباد الى دار العلوم بحيدرآباد والتحق بصف " المولوى العالم " وهو يعلو الصف المولوى فى المرتبة العلمية وكان يدير دار العلوم آنذاك العالم الكبير ومفسر القرآن الشهير الشيخ حميد الدين الفراهى (٣) . ولم يمكث والد الأستاذ المودودى فى حيدرآباد طويلا ، لأن حالته الصحية لم تسمح ببقائه هناك ، وانتقل الى بهوبهال تاركا ولده أبا الاعلى مودودى مع والدته بحيدرآباد .

وقد استمر أبوالاعلى فى دراسته وسكن فى بيت يبعد عن دار العلوم خمسة عشر كيلو مترا ، وكان يذهب اليها ويعود منها ماشيا على الاقدام ،

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٨ .
(٢) انظر الاستاذ اسعد جيلانى — أبوالأعلى المودودى فكره ودعوته ص ٢٩ .
(٣) هو الشيخ حميد الدين الفراهى (عام ١٢٨٠ هـ — ١٣٤٩ هـ) كان عالما متحمسا تلقى تعليمه على يدى نخبة من العلماء الافاضل واشتغل استاذا فى كلية على كره وجامعة اله اباد ثم مديرا لدار العلوم بحيدر اباد ، ثم اسس مدرسة الاصلاح بسرآى مير " وله عدة تاليفات فى الادب العربى والحديث والتفسير .
(انظر نزهة الخواطر ج ٨ ص : ٢٢٩) .

وأحيانا كان لا ينال ما يأكله (١) ، ولكنه مع ذلك قد استمر فى دراسته ولم ينقطع عنها الا بعد ستة اشهر حينما بلغه بان والده اصيب بالشلل الشديد ، فترك ابوالاعلى الدراسة وسافر مع والدته الى (بهو بهال) وقام على خدمة والده ابنا بارا له . وفى عام ١٣٣٩ هـ الموافق عام ١٩٢٠ م توفى والده الى رحمة الله (٢) .

مطالعته للثقافة الانجليزية :

لم يتمكن الاستاذ المودودى ان يستمر فى دراسته الرسمية بعد اصابة والده بالشلل . وكان لابد له أن يبحث عن عمل لكى يحصل قوتيه فلهذا فى عام ١٣٣٦ هـ الموافق عام ١٩١٨ م دخل ميدان الصحافة مع شقيقه الاكبر ابى الخير المودودى . واجبره هذا العمل على دراسة اللغة الانجليزية وقد اتقنها فى مدة قصيرة لم تستمر اكثر من أربعة اشهر حصلت له فيها المقدرة على مطالعة وفهم كتب التاريخ والفلسفة والسياسة وعلم الاجتماع والحضارة والاديان وغيرها باللغة الانجليزية ولم تصادفه اى صعوبة فى فهم المقالات العلمية فى هذه اللغة (٣) .

---

(١) انظر الأستاذ خليل الحامدى ــ الامام ابوالاعلى المودودى ــ حياته ــ دعوته وجهاده ص ٧ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ٧ .
(٣) انظر الأستاذ أسعد جيلانى ــ أبوالأعلى المودودى ــ فكره ودعوته ، ص ٣٠ ــ ٣١ .

عنايته بالثقافة الاسلامية :

كانت الفترة مابين عام ١٩١٦ وعام ١٩٢١ م فترة الشدائد والمصائب في حياة الاستاذ المودودي فانقطع عن مواصلة الدراسة الرسمية عام ١٩١٦م ولكن حينما وفقه الله ان يتخذ اقامته في " دهلي " كرئيس التحرير لجريدة (المسلم) عام ١٩٢١م وجد الفرصة ان يتجه الى اكمال تعليمه مرة اخرى وهذه المدينة كانت فيها نخبة من اهل العلم في ذاك الوقت(١) وهذا الامر شجعه على دراسة العلوم الدينية على أيدي هؤلاء الاساتذة بجانب عمله في الجريدة ، وقد تعلم علوم المعاني والبلاغة والادب العربية والمنطق والفلسفة وعلم الكلام من الشيخ عبد السلام نيازي وكان الشيخ رئيسا لدار العلوم الأمينية بدهلي في ذلك الوقت وكان يجيد اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة الانجليزية واللغة الالمانية واللغة الفرنسية واللغة السنسكرتية وعدة لغات اخرى . وجدير بالذكر بانه كان يتلقى تلك الدروس قبل صلاة الفجر(٢) ، كما انه قرأ كتب الحديث كجامع الترمذي والموطأ والكتب الاخرى في الحديث على المحدث اشفاق الرحمن الكاندهلوي وقرأ التفسير والفقه على الشيخ شريف الله خان(٣) ، واستمر الاستاذ المودودي في دراسته حتى نهاية عام ١٩٢٨ م . ولا يستثنى من ذلك سوى بضعة اشهر التي

---

(١) انظر الأستاذ خليل الحامدي ـ الامام أبوالأعلى المودودي ـ حياته ، دعوته وجهاده ص ٩ .

(٢) جريدة "جسارت" اليومية ، الكراتشي عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودي ص ١٣٢ .

(٣) انظر الأستاذ خليل الحامدي ، المرجع السابق ص ١٠ .

قضاها الاستاذ فى مدينة (بهوبهال) بعد أن أغلقت جريدة (المسلم) فى عام ١٩٢٣م ولكنه خصص هذه المدة أيضا لمطالعة أمهات الكتب فى العلوم الدينية والعلوم الحديثة (١) .

وهكذا بعد ما ترك الاستاذ المودودى مجال الصحافة عام ١٩٢٩ م ، وافرغ نفسه للاستعداد لعمل الدعوة اهتم بتزويده بزاد علمى شامل وذلك بمطالعة امهات الكتب فى العلوم الدينية والعلوم الحديثة . واستمر الاستاذ فى مطالعة هذا الى عام ١٩٣٢م ولم يشغل الاستاذ عن مطالعته هذه الا الاعمال البسيطة التى كان يعتنى بها الاستاذ ليعيش عليها (٢) .

الاستاذ المودودى فى حياته العلمية :

بدأ الاستاذ المودودى حياته العملية حينما دخل مجال الصحافة عام ١٩١٨ م بعد ان اصاب والده بالشلل وانضم مع شقيقه الاكبر الى جريدة (المدينة) التى كانت تصدر من مدينة بجنور ، ولكن بعد حوالى شهرين ترك هذه الجريدة وانضم الى جريدة (التاج) التى كانت تصدر من مدينة جبل بور واشتغل فيها الى نهاية عام ١٩٢١ م وذلك ماعدا المدة التى منعتها الحكومة من الاصدار (٣) .

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ـ سيد ابوالاعلى المودودى ص ٦٣ .
(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدى ـ الامام ابوالاعلى المودودى حياته ، دعوته ، جهاده ص ١٨ ـ ١٩ .
(٣) انظر الاستاذ محمد يوسف ـ مولانا مودودى اپنى اور وسرون كى نظر مين . ص ٤٦ ـ ٤٧ .

وفى عام ١٩٢١م قررت جمعية العلماء بالهند اصدار جريدة (المسلم) من عاصمة البلاد (دهلى) وعين الاستاذ المودودى رئيس التحرير لهما ، واستمرت هذه الجريدة الى عام ١٩٢٣ م واستمر الاستاذ يشتغل فيها ثم حينما قررت الجمعية اصدار الجريدة (الجمعية) عام ١٩٢٤م اختير الاستاذ رئيسا لتحرير هذه الجريدة ايضا ،واستمر يشتغل فيها حتى نهاية عام ١٩٢٩م حينما قرر الاستاذان يترك مجال الصحافة(١) .

وجدير بالذكر ان الاستاذ مع عمله فى مجال الصحافة قرر أن ينضم الى حركة الخلافة فى بداية حياته العملية عام ١٩١٨م واستمر يعمل فيها حتى نهايتها فى عام ١٩٢٤م هذا من ناحية ،ومن ناحية اخرى الف الاستاذ كتاب "النشاطات التبشيرية فى تركيا "(٢) وترجم كتاب " مجازر اليونانيين فى سمرنا "(٣) من اللغة الانكليزية الى اللغة الاردية خلال الفترة بين عام ١٩١٨ وعام ١٩٢٠ م كما قام بتاليف الكتاب (مصدر قوة المسلم) عام ١٩٢٥م(٤) وكتاب " الجهاد فى الاسلام " عام ١٩٢٨م(٥) .

وفى عام ١٩٢٨م بعد ما قرر الاستاذ ان يترك مجال الصحافة ليستعد نفسه لحمل الدعوة سافر الى حيدر اباد الدكن حيث كان شقيقه الاكبر يشتغل فى دار الترجمة العثمانية وأفرغ نفسه للمطالعة استعدادا لهذا العمل

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٤٧ـ٤٨ .
(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدى ـ الامام ابوالاعلى المودودى حياته ودعوته وجهاده ص ٨ .
(٣) انظر مجلة " اتش فشان " الاسبوعية لاهور لشهر نوفمبر عام ١٩٧٩م ص ١٣ تحت عنوان " مقابلة السيد / فريد الدين مع الاستاذ المودودى "
(٤) انظر الاستاذ المودودى ـ جماعت اسلامى كى ٢٩ سال ص ١٤ .
(٥) انظر الاستاذ خليل الحامدى ـ الامام ابوالاعلى المودودى ـ حياته ـ دعوته ـ جهاده ص ١٦ .

الجليل . وذلك من عام ١٩٢٨ الى عام ١٩٣٢م . ومع أنه قضى معظم وقته فى المطالعة تمكن من تأليف أو ترجمة بعض الكتب خلال هذه الفترة ، وذلك ليكسب ما يعيش عليه ، فأما الكتب التى ألفها خلال هذه المدة فهى (تاريخ السلاجقة) و (تاريخ الدكن) . واما الكتب التى نقلها الى اللغة الاردية هى : تاريخ ابن الخلكان (الاجزاء المتعلقة بالفاطميين) والاسفار الاربعة للشيخ صدرالدين الشيرازى فى الفلسفة(١) .

— اصدار مجلة ترجمان القرآن :

فى عام ١٩٣٢ م تولى الاستاذ المودودى ادارة مجلة ترجمان القرآن الشهرية التى كانت تصدر من مدينة حيدر آباد (الدكن) وكان يصدره السيد / ابومحمدمصلح الدين ، ولم تكن عودته الى مجال الصحافة الا أن يستخدمها لنشر الدعوة الاسلامية(٢) ، كما يتبين من الافتتاحية التى كتبها الاستاذ للعدد الأول لهذه المجلة : " ان هذه المجلة تضع اليوم قدمها فى طريق محفوف بالمصاعب والمحن ،وتولى عبئها رجل يعترف لا اعتراف المجاملة بل اعتراف الحقيقة بأنه ضعيف فاقد القيمة صفر اليدين ، ولكنه على رغم وعورة الطريق استعد لحمل هذا العبء على يقين واضح بأن الله الذى نور قلبه بالاسلام ، وخلق فى نفسه حب الدعوة اليه هو الذى سوف يؤازره ، وينصره بنصر من عنده ويمنحه الرسوخ فى العلم والصحة فى الفكر والسلامة فى القلب والطهارة فى النفس والسمو فى الروح " (٣) .

---

(١) انظر الاستاذ محمد يوسف ، مولانا مودودى اپنى اور دوسرون كى نظرمين
(٢) انظر سيد اسعد جيلانى ،تاريخ جماعت اسلامى ج ص ١٢٢ — ١٢٣ .
(٣) الاستاذ خليل الحامدى — الامام ابوالاعلى المودودى — حياته ،دعوته جهاده ص ١٩ .

وظل الأستاذ المودودى يستخدم هذه المجلة لنشر الدعوة حتى وفاته عام ١٩٧٩ م بل لا تزال تصدر هذه المجلة على نفس المنهج حتى اليوم .

ـ عناية الاستاذ بالمهمتين الأساسيتين :

واعتنى الاستاذ المودودى فى بداية دعوته بالمهمتين الأساسيتين وهما :

أولا : أن ينتقد الحضارة الجاهلية الحديثة والعلوم المادية والفلسفات اللادينية التي جاءت بها ،هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينتقد الحركات الهدامة التى نشأت فى المجتمع الاسلامى كأثر لهذه الحضارة المادية الاستعمارية وذلك بالبراهين العقلية القاطعة .

ثانيا : أن يبين بالادلة من القرآن والسنة والبراهين العقلية القوية أن الاسلام هو دين كامل وتتسع دائرته الى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ولا يجوز للمسلم ان يتبع أى نظام آخر فى أى دائرة من دوائر حياته المختلفة . (١)

ومن أهم الكتب التى تحوى البحوث الصادرة خلال هذه المده هى الكتب التالية :

١ ـ نحن والحضارة الغربية ٢ ـ الحضارة الاسلامية أسسها ومبادئها

٣ ـ الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة .

٤ ـ مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة .

---

(١) انظر الأستاذ المودودى :" جماعت اسلامى كامقصد ، تاريخ اورلائحة عمل " ص ٢٣ ـ ٢٦ .

٥ ـ حقوق الزوجين .

٦ ـ حركة تحديد النسل .

٧ ـ مبادئ الاسلام .

٨ ـ الحجاب .

٩ ـ أسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة .

١٠ ـ مشكلة الجبر والقدر (١) .

١١ ـ ملكية الأرض في الاسلام (٢) .

١٢ ـ في محكمة العقل ـ التوحيد ، والرسالة ، والآخرة (٣) .

وجدير بالذكر أن هذه الكتب لها دور هام في انقاذ المسلمين المثقفين من العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة واعادة ثقتهم في الاسلام كدين كامل .

ـ الزواج :

وفي عام ١٩٣٧ م تزوج الاستاذ المودودي بالسيدة / محموده بنت السيد / نصيرالدين الشمسي . وجدير بالذكر ان السيد / نصيرالدين هذا كان يسكن في دهلي ، عاصمة الهند ، وكانت هناك صلة قرابة بين والدة الاستاذ المودودي وبين والدة السيد / نصيرالدين الشمسي (٤) .

---

(١) انظر الاستاذ المودودي : جماعت اسلامى كامقصد تاريخ اورلائحة عمل ص ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) انظر الاستاذ المودودي : مقدمة الكتاب" مسله ملكيت زمين باللغة الاردية .

(٣) الاستاذ خليل الحامدي ـ الامام أبوالأعلى المودودي ـ حياته ، دعوته جهاده ص ٢٣ .

(٤) اخبرتني عن هذا ابنة الاستاذ المودودي (السيدة / حميرا المودودي) .

نقده لسياسة حزب المؤتمر الهندى :

وكان فى هذه المناسبة أن سافر الاستاذ المودودى الى دهلى خلال سفره شاهد حالة المسلمين السيئة فى المناطق التى قد أقيمت فيها حكومات حزب المؤتمر الهندى حسب دستور عام ١٩٣٥م ، كما لاحظ عن قرب المخططات الاستعمارية الهندوسية للقضاء على الاسلام والمسلمين فى هذه المناطق ، فكانت نتيجة هذه المشاهد أن بعد عودته الى حيدرآباد بدأ الاستاذ يكتب فى هذا الموضوع فى مجلته " ترجمان القرآن " وظل يكتب فيه الى نهاية عام ١٩٣٨م والبحوث التى صدرت حول هذا الموضوع تشمل نقده العلمى لنظرية القومية الوطنية المتحدة التى كان يحمل لواءها حزب المؤتمر الهندى وتؤيدها جمعية علماء الهند . وذلك فضلا عن نقده لسياسة حزب المؤتمر الهندى تجاه الاسلام والمسلمين فى شبه القارة الهندية ، وجاء الاستاذ فى بحوثه تلك بالادلة من القرآن والسنة والبراهين العقلية القوية(١) .

وأعادت الجرائد والصحف الاسلامية هذه الحلقات المسلسلة، ثم طبعت تلك الحلقات فيما بعد فى كتابين مستقلين اولهما " الصراع السياسى الحاضروالمسلمون " (الجزء الاول والجزء الثانى) وثانيهما " المسألة القومية " ويقول السيد شريف الدين بيرزاده (٢) عن تلك المقالات " كتب المودودى سلسلة من المقالات فى مجلته ترجمان القرآن عامى ١٩٣٨و١٩٣٩م كشف القناع فيها عن حقيقة حزب المؤتمر وحذر المسلمين . . . وفضح علمانية

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد . سيد ابوالاعلى مودودى ص ١١٤ .

(٢) هو السيد شريف الدين بيرزاده . احد قادة حزب رابطة المسلمين قد اشتغل وزيرا للقانون فى حكومة الجنرال ايوب خان . وهو يشتغل الان كمستشار قانونى فى حكومة الجنرال ضياء الحق .

حزب المؤتمر وبين عدم صلاحية الحكم الديمقراطي في الهند نظرا لانه سيكون ثمة صوت اسلامي واحد مقابل اربعة اصوات هندوسية(١) .

ـ الهجرة الى دار الاسلام :

وكان في عام ١٩٣٧ م أن الشاعر الاسلامي الدكتور محمد اقبال وجه الدعوة الى الاستاذ المودودي ان يقابله في مدينة لاهور وسافر الاستاذ الى لاهور لمقابلة الدكتور محمد اقبال . وخلال هذه المقابلة اقترح الدكتور محمد اقبال ان يهاجر الاستاذ من حيدر اباد الى بنجاب فاتفق الاستاذ المودودي مع الدكتور محمد اقبال على ان يقيم في قرية " دار الاسلام " قرب مدينة (بتهانكوت) ويشرف على المركز الذي سينشأ هناك لتاليف الكتب القيمة لبيان اوجه النظام الاسلامي واعداد الرجال الذين يصلحون لقيادة المسلمين فكريا وعمليا (٢) . كما كان من المقرر أن الدكتور محمد اقبال أيضا سيأتي ويقيم في هذا المركز لبضعة شهور كل سنة (٣) .

وجدير بالذكر أن قرية " دار الاسلام " قد وقف أرضها الشودري نياز على أحد أصدقاء الدكتور محمد اقبال لخدمة الاسلام وكان في نفس الوقت أن عرضت عليه الجامعة العثمانية ان يعمل استاذا في هذه الجامعة براتب كبير ولكنه رفض هذا العرض مع ان وضعه المالي كان ضيقا جدا وهو لم يكن يعرف شيئا عن مصيره في بنجاب(٤) . وهاجر الاستاذ المودودي من حيدر أباد (الدكن) الى قرية دار الاسلام في بنجاب في ١٥ مارس عام ١٩٣٨ م ولم يمض

---

(١) السيد / شريف الدين بيرزاده ـ نشأة باكستان ـ ٢٢٥ .

(٢) انظر الشودري عبد الرحمن عبد ـ سيد ابوالاعلى مودودي ص: ١٣١ .

(٣) انظر الاستاذ اسعد جيلاني ـ تاريخ جماعت اسلامي ج : ص ١٣٢ .

(٤) انظر الاستاذ اسعد جيلاني : ابوالاعلى المودودي : فكره ودعوته ص ٦١ .

على هجرته الا شهر وبضعة ايام حتى توفى الدكتور محمد اقبال الى رحمة الله فى ٢١ ابريل عام ١٩٣٨م وكتب الاستاذ فى كلمة رثائه للدكتور الراحل : " فقدت أكبر سند لى فى الدنيا بموت الدكتور محمد اقبال "(١) .

وجدير بالذكر أن مشروع " دار الاسلام " قد انتشر فى مجلة " ترجمان القرآن " قبل هجرة الاستاذ المودودى من حيدرآباد ، فقد بين الاستاذ فيه أن تكون قرية " دار الاسلام " قرية اسلامية نموذجية تقام فيها الحياة الفردية والاجتماعية على الأسس الاسلامية السامية ، فوجه الاستاذ دعوته لكل من يعجبه هذا المشروع ويرغب فى الاقامة فى دار الاسلام(٢) ، والذين استجابوا لهذه الدعوة وانتقلوا الى دار الاسلام فى هذه المرحلة ، هم :

١ ــ الشيخ صدرالدين الاصلاحى ، ٢ ــ الشيخ عبدالعزيز الشرقى ،
٣ ــ الشيخ محمد صديق ٤ ــ الأستاذ نعيم الصديقى ، ٥ ــ السيد / محمد شاه (٣) .

ــ المسجد ــ المركز الاول للدعوة :

وجعل الاستاذ المودودى المسجد الجامع فى قرية دار الاسلام مركزا للدعوة يلقى فيه خطب الجمعة يبين فيها حقيقة عقائد الاسلام الأساسية واركانه مع بيان حكمتها وفلسفتها وذلك باسلوب سهل وجذاب ليفهمها عامة المسلمين بالسهولة فكانت تنشر هذه الخطب فى مجلة ترجمان القران الشهرية كما صدرت فى صورة كتاب مستقل فيما بعد (٤) .

---

(١) مجلة ترجمان القران الشهرية لشهر مايو عام ١٩٣٨ .
(٢) انظر الشودرى عبدالرحمن عبد ــ سيدأبوالأعلى مودودى ص١٣٦ .
(٣) انظر اسعد جيلانى : تاريخ جماعت اسلامى ــ ص١٣٤ .
(٤) انظر الشودرى عبدالرحمن عبد ــ سيدابوالاعلى مودودى ص ١٤٣ ــ ١٤٤ .

ـ في مدينة لاهور :

ولم يمض على هجرة الاستاذ المودودي الى قرية دار الاسلام الا عشرة شهور حينما حصل خلاف بين الاستاذ وزملائه الذين جعلوه مركزا للحركة الاسلامية وبين صاحب الوقف الذى كان يرغب فى جعله مركزا تعليميا ومهنيا للمسلمين . وقرر الاستاذ وزملائه ان ينتقلوا الى مدينة لاهور ويجعلوها مركزا للدعوة(١) .

ـ محاضر الشرف بالكلية الاسلامية بلاهور :

وبعد أن اتخذ الأستاذ اقامته بمدينة لاهور ، عرض عليه القائمون بالكلية الاسلامية بلاهور ان يكون محاضرا فى الكلية فوافق الاستاذ على ذلك ولكن كمحاضر شرف ، وظل الأستاذ يلقى محاضراته فى الكلية حول مبادىء الاسلام والدعوة لمدة سنة ، ولكن الحكومة لم يعجبها هذا العمل ،واضطر القائمون بها على الغاء عمله هذا (٢) .

ـ **نقد الاستاذ المودودي لسياسة حزب رابطة المسلمين :** كما ذكرنا آنفا أن نقد الاستاذ المودودى للنظرية القومية الوطنية الهندية كان له أثرا عظيما فى انقاذ المسلمين من شباك حزب المؤتمر وانضمامهم الى حزب رابطة المسلمين وهذا ما اعترف به كثير من قادة حزب الرابطة ومنهم الشيخ ظفر احمد الانصارى (٣) ، ومنهم السيد شريف الدين بيرزاده الذى

---

(١) انظر سيد احمد جيلانى جـ تاريخ جماعت اسلامى جـ ص ٤٤٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤٥٣ .

(٣) هو الشيخ ظفر احمد الانصارى قد اشتغل كالامين العام المساعد لحزب الرابطة وقد اختير عضوا للمجلس التاسيسى لرابطة العالم الاسلامى وله دور هام فى اصدار قرار المبادىء لدولة الباكستان الاسلامية كما له دور بارز فى صوغ مبادىء أساسية للدولة الاسلامية التى قدمها العلماء عام ١٩٥١ وهو تناول الموضع فى مقالته "نشأة باكستان والعلماء" صدرت فى مجلة جراغ راه الشهرية عدد خاص عن نظرية باكستان الاساسية ص ٢٣٣ .

بعد اقتراحاته من علامات على الطريق الى باكستان (١) ، ولكننا كما اسلفنا أن الاستاذ المودودى وزملاءه اتخذوا احياء الحركة الاسلامية واقامة الحكومية الاسلامية على منهاج الخلافة الراشدة هدفا لهم واما حزب رابطة المسلمين الذى كان هدفه اقامة دولة المسلمين القومية فى المناطق فيها اكثريتهم كان حزبا سياسيا فحسب ، وكان أكثر قادته وأعضائه ذو ثقافة انكليزية ولم يعرفوا شيئا عن الاسلام ولم يظهر اى اثر منهم فى حياتهم الشخصية فكان من الواضح انهم لن يقدروا على اقامة الحكومة الاسلامية على منهاج الخلافة الراشدة الا ان يستعدوا لها ولكن مع الاسف لم تكن لديهم اية فكرة عن هذا الاستعداد فرأى الاستاذ ضرورة عرض الطريق الصحيح عليهم لاقامة الحكومة الاسلامية على منهاج الخلافة الراشدة بالادلة من القران والسنة والبراهين العقلية القوية ، وبدأ يكتب فى مجلته الحلقات المتتالية فى هذا الموضوع (٢) ، وصدرت هذه الحلقات فى صورة كتاب مستقل تحت عنوان " المسلمون والصراع السياسى الحاضر " (الجزء الثالث) فيما بعد وهذا الكتاب قد اهتم الاستاذ فيه ببيان الفرق بين الاسلام الحقيقى وبين الاسلام الجغرافى وبين الحركة الاسلامية وبين احزاب المسلمين السياسية والكتب الاخرى الفها الاستاذ خلال تلك الايام هى :

١ـ نظرة فاحصة على العبادات الاسلامية (١٩٣٩) (٢) موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه (١٩٤٠) . ـ ٣ ـ المصطلحات الاربعة فى القران (١٩٤١) وذلك ماعدا المحاضرات التى القاها الاستاذ المودودى خلال هذه المدة والتى صدرت فيما بعد فى صورة كتيبات مستقلةوهى كالاتى :

١ ـ الجهاد فى سبيل الله (ابريل عام ١٩٣٩) ١٠

---

(١) انظر السيد / شريف الدين بيرزاده " نشأة باكستان " ص ٣١٠ .

(٢) انظر الاستاذ مسعود الندوى ـ تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ٢٤٨ ـ ٢٥٥ .

(٣) انظر الاستاذ المودودى ـ جماعت اسلامى كامقصد ـ تاريخ أور لائحة عمل ص ٢٦ـ٢٧ .

٢ــ نظرية الاسلام السياسية (اكتوبر عام ١٩٣٦) .

٣ــ كيف تقيم الحكومة الاسلامية (سبتمبر عام ١٩٤٠) .

٤ ــ منهج جديد للتعليم والتربية (ديسمبر عام ١٩٤٠م) .

٥ ــ الاسلام والجاهلية (فبراير عام ١٩٤١) .

٦ ــ معضلات الانسان الاقتصادية وحلها في الاسلام (عام ١٩٤١م)(١) .

ــ تأسيس الجماعة الاسلامية :

وبعد أن استمر الاستاذ المودودي في نشر الدعوة الاسلامية عن طريق مجلته " ترجمان القرآن " الشهرية وكتبه ومحاضراته لأكثر من ثمان سنوات وتأثر عدد غير قليل من العلماء والمثقفين الجدد من دعوته وجه دعوته اليهم لتأسيس الجماعة الاسلامية وفي اول شعبان عام ١٣٦٠ هـ الموافق ٢٥ من اغسطس عام ١٩٤١م اجتمع خمسة وسبعون شخصا واتفقوا على تأسيس الجماعة الاسلامية لمواصلة الحركة الاسلامية ، وفي ٢ من شعبان عام ١٣٦٠ هـ ، الموافق ٢٦ من اغسطس عام ١٩٤١م تأسست الجماعة الاسلامية واختير الاستاذ المودودي أميرا لها (٢) . وجدير بالذكر أن الجماعة الاسلامية لم تكن جماعة سياسية او جمعية دينية بالمعنى العام ، بل حركة اسلامية بمفهومها الشامل تؤمن بالاسلام كدعوة عالمية شاملة للحياة الانسانية ، وتريد تنفيذه في كل دائرة من دوائر الحياة الانسانية (٣) .

---

(١) انظر الاستاذ المودودي : جماعت اسلامى كا مقصد ، تاريخ اورلائحة عمل : ٢٧

(٢) انظر سيد اسعد جيلانى : تاريخ جماعت اسلامى ج١ ص: ١٦٥ــ١٦٦ .

(٣) الاستاذ خليل أحمد الحامدي ــ نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية بباكستان ص ٦ .

ـ التركيز على التكوين والتربية :

وتعتبر الفترة مابين عام ١٩٤١م وعام ١٩٤٧م فترة التكوين والتربية للجماعة الاسلامية ، فركز الاستاذ على ثلاثة أمور خلال تلك الفترة وهى :

اولا : اعداد الرجال الذين يحملون لواء الحركة الاسلامية يتميزون بالقوة والصمود مهما تكن الظروف قاسية ، ويجعلوا حياتهم ومواردهم وقفا لنشر الدعوة الاسلامية واقامة النظام الاسلامى .

ثانيا : تنظيم الجماعة على اقوى الاسس لكى تتمكن من مواجهة الاوضاع الراهنة فى سبيل الدعوة .

ثالثا : اعداد الكتب القيمة الاسلامية عن كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية فى اسلوب عصرى متين (١) .

ـ فكرة تأليف (تفهيم القرآن) :

وجدير بالذكر أن هذا التركيز على التكوين والتربية جعل الاستاذ يفكر بأنه مهما يبذل جهوده فى سبيل الدعوة بقلمه ولسانه لا ينجح فيه الا اذا جعل القرآن الكريم وسيلة للوصول الى ذلك الهدف القيم ، وهذا ماجعله ان يقوم بتفسير القرآن فى فبراير عام ١٩٤٢ م ، اى بعد ستة اشهر من تاسيس الجماعة الاسلامية(٢) .

ـ قرية دار الاسلام مقرا جديدا للجماعة الاسلامية :

وفى يونيو عام ١٩٤٢ م انتقل المقر الرئيسى للجماعة الاسلامية من لاهور الى دار الاسلام وذلك بالموافقة مع صاحب الوقف (٣) . وهذا المقر الجديد ، لكونه بعيدا عن المدن ووسائل الحضارة الحديثة ومفاسدها كان

---

(١) الأستاذ خليل أحمد الحامدى : نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية بباكستان ص ٨ .

(٢) انظر مجلة " آئين " الأسبوعية (لاهور) عدد خاص فى مناسبة اكمال تفهيم القران ص ١١٥ .

(٣) سيد اسعد جيلانى ـ تاريخ جماعت اسلامى ـ ص ١٩٢ .

مناسبا لتكوين أعضاء الجماعة الاسلامية وتربيتهم علميا وعمليا فاستغلت الجماعة تلك الفرصة السعيدة لتحقيق ذلك الهدف وكان بفضل تلك التربية والاستعداد ان تمكنت الجماعة من مواجهة التحديات التى واجهتها فيمابعد وكان خلال تلك الفترة أن القى الاستاذ عدد من المحاضرات فى المؤتمرات السنوية للجماعة او المناسبات الاخرى ، ركز فيها على التكوين والتربية ، وقد صدرت هذه المحاضرات بصورة الكتب المستقلة فيمابعد : وأهمها هى :

١ـ طريق السلام .

٢ـ الدين القيم .

٣ـ الاسس الاخلاقية للحركة الاسلامية .

٤ـ الجهاد فى سبيل الله .

٥ ـ شهادة الحق .

٦ ـ الدعوة الاسلامية ومتطلباتها .

٧ ـ دعوة الجماعة الاسلامية .

٨ ـ الصلاح والفساد .

٩ ـ عقوبة المرتد فى الاسلام (١) .

ـ استقلال البلاد وتقسيم الجماعة الاسلامية الى شطرين :

وفى اغسطس عام ١٩٤٧م وافق الاستعمار على تحرير البلاد ، وتقسيمها الى دولتين مستقلتين وذلك تلبية لمطالبة حزب المؤتمر الهندى وحزب رابطة المسلمين فأنشئت الدولة الهندية وجمهورية باكستان الاسلامية ، فانقسمت الجماعة الاسلامية الى ثلاث جماعات وهى : الجماعة الاسلامية بباكستان ، والجماعة الاسلامية بالهند ، و الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير (٢) .

(١) انظر الاستاذ المودودى ـ جماعت اسلامى كامقصد تاريخ اورلائحه عمل ص ٣٩ .
(٢) انظر الاستاذ المودودى ـ جماعت اسلامى كى ٢٩ سال ص ٥٢ .

الجماعة الاسلامية بالهند ومواجهة التحديات للاسلام والمسلمين :

دخل الاسلام والمسلمون فى الهند بعد تقسيم البلاد فى متاعب ومشاكل لا نهاية لها فقامت الجماعة الاسلامية بالهند لمواجهة تلك التحديات وذلك بالدعوة والتبليغ فى المسلمين وغير المسلمين معا ، وبنشر الكتب والمجلات والجرائد بلغات الهند المختلفة وبانشاء المدارس والمعاهد وبتنظيم وتربية العاملين فى مجال الدعوة ، وبتوعية عامة المسلمين وبترجمة القران الكريم والكتب الاسلامية فى لغات الهند المختلفة وببذل الجهود لاتحاد المسلمين وما الى ذلك (١) . واما الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير فاختارت لها نفس المنهج لكون ظروفها نفس الظروف التى تواجهها الجماعة الاسلامية بالهند (٢) .

الجماعة الاسلامية بباكستان والجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية :

واما فى باكستان فمن المؤسف أن بعد وفاة مؤسس باكستان محمد على جناح عام ١٩٤٨ م بدأ قادة باكستان يظهرون الآراء المتضاربة حول منهج الحكم فى باكستان مع انه كان من المقرر أن يكون الاسلام هو منهج الحكم فى الدولة المسلمة الجديدة ، وجدير بالذكر ان الشيوعيين من المسلمين الذين قد انضموا الى حزب رابطة المسلمين فى السنوات الاخيرة

---

(١) انظر تقرير عن انشطة الجماعة الاسلامية بالهند قدمه الاستاذ افضل حسين الامين العام للجماعة فى مؤتمرها السنوى لعام ١٩٨٠ الميلادى .

(٢) اخبرنى عن هذا الشيخ سعد الدين امير الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة .

لحركة انشاء باكستان لتحقيق أهدافهم الشنيعة بدأوا مؤامراتهم ضد النظام الاسلامى فى باكستان ومنهم علماء الاستعمار المتفرنجون والقاديانيون ومنكروا السنة فقامت الجماعة الاسلامية بباكستان بمطالبة وضع الدستور الاسلامى وتطبيق القوانين الاسلامية والغاء القوانين التى تخالف القرآن والسنة(١) .

ــ الاتهام والاكاذيب والسجون :

لم تعجب الحكومة تلك المطالبات فخططت للقضاء عليها فعملت على ترويج الاشاعات والاكاذيب ضد الجماعة ومنها الاتهام الصريح ان الاستاذ المودودى يحرم الجهاد لتحرير كشمير المسلمة(٢) ، بينما الحقيقة عكس ذلك فقد طالب الاستاذ من الحكومة ان تعلن الجهاد لتحرير كشمير المسلمة فورا حتى يستطيع مسلموا باكستان مد يد المساعدة الى اخوانهم المجاهدين فى كشمير(٣) ، فحاول ان يوضح تلك الحقيقة عن طريق الجرائد والاذاعة ولكن الحكومة لم تسمح للجرائد أن تنشر بيانه ولا للاذاعة ان تذيعه لانها لم يهمها الجهاد لتحرير كشمير بل كان يهمها القضاء على الحركة التى قد بدأت لتطبيق النظام الاسلامى فى باكستان والقى القبض على الاستاذ المودودى وزملائه فى ٤ اكتوبر عام ١٩٤٨ م ولم يطلق سراحهم الا بعد عشرين شهرا (٤) .

---

(١) انظر الاستاذ المودودى : تحريك اسلامى كاآئنده لائحة عمل ص ١٤٥ .

(٢) انظر الشودرى عبدالرحمن عبد ــ سيد ابوالاعلى مودودى ص ٢٢٣ــ٢٢٦ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٢٥ .

(٤) انظر احمد ادريس ــ ابوالاعلى المودودى ــ صفحات من حياته وجهاده ــ ص ٥٤ ــ ٥٧ .

ـ اصدار قرار المبادئ لدولة باكستان الاسلامية :

ولكن بالرغم من اعتقال الاستاذ المودودي استمرت الحركة لتطبيق النظام الاسلامي حتى اضطرت الحكومة الى الموافقة ان تقوم المجلس التأسيسي للدولة باصدار القرار المعروف بقرار المبادئ . ويفيد هذا القرار " ان الحكم في باكستان لله سبحانه وتعالى وان الحكومة ملتزمة بتطبيق ما يريد الحاكم الاعلى وهو الله . ولا يزال هذا القرار يعتبر اساس الدولة الباكستانية حتى اليوم . وجدير بالذكر ان مشروع القرار عرض على الاستاذ في السجن بطريقة سرية لاخذ الموافقة منه (١) .

ـ اتفاق العلماء والمشايخ على مبادئ أساسية للدولة الاسلامية :

وفي سبتمبر عام ١٩٥٠ م صدرت توصيات المجلس التاسيسي لمبادئ الدولة وكانت منافية للروح الاسلامي ومتناقضة لقرار المبادئ فقام الاستاذ المودودي والعلماء الاخرون باستنكار تلك التوصيات بكل قوة وصراحة ، واضطرت الحكومة الى سحبها وجاءت بالمؤامرة الاخرى فطلبت عن العلماء ان يقدموا مبادئ أساسية للدولة الاسلامية حيث لا تكون محل خلاف بين الفرق الدينية المختلفة ولعلها كانت تظن ان مادام العلماء يمثلون الفرق الدينية المختلفة في باكستان ، لن يتفقوا على تلك المبادئ اطلاقا . فذلك سيكون دليلا قاطعا لاقامة الدولة العلمانية ولكن وفق الله العلماء يمثلون الفرق الدينية المختلفة في باكستان ان يجتمعوا تحت رئاسة الشيخ سيد سليمان الندوى (٢)

---

(١) الاستاذ خليل احمد الحامدى ــ الامام ابو الاعلى المودودى ــ حياته ، دعوته ،جهاده ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) هو الشيخ سيد سليمان الندوى (المولود عام ١٣٠٢ هـ) العالم الكبير قد تعلم في المعهد الديني الشهير (ندوة العلماء) بالهند ثم عمل فيه استاذا لمدة طويلة ثم هاجر الى باكستان بعد استقلال البلاد وله عدة من الكتب القيمة في الموضوعات الدينية المختلفة اهمها كتابه الشهير في السنة النبوية (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم) . (نزهة الخواطر ج ٨ ص ١٦٣-١٦٨) .

ويتفقوا على اثنين وعشرين مبدأ أساسيا للدولة الاسلامية وكان للاستاذ المودودى دوراهاما فى صوغ تلك المبادى (١) .

ـ فى مجال الانتخابات :

ثم أعلنت الحكومة اجراء الانتخابات فى منطقة بنجاب فى مارس عام ١٩٥١م فقررت الجماعة ان تخوض معركة الانتخابات ولكن هذا القرار لم يعجب المتفرنجون والعلمانيون والشيوعيون فى الحكومة وذلك لانهم كانوا يخافون عن اقامة النظام الاسلامى اشد خوفا فبدأوا يخططون المخططات والمؤامرات لمضايقة الاستاذ المودودى وتقليل قيمته فى اعين الناس وذلك بافتراء الاتهامات والاكاذيب عن طريق الصحفيين المأجورين بان المودودى كان معاديا لفكرة باكستان وعن طريق عملاء الاستعمار السوفيتى والامريكى بانه عميل امريكى وعن طريق رجال الدين الرسميين بان المودودى لم يحصل على الشهادة الرسمية فى العلوم الدينية ،فلهذا اراءه الدينية لا تساوى شيئا وعن طريق المتفرنجين والاشتراكيين بانه رجعى وكانت تلك الاكاذيب والاتهامات تنشر فى الصحف الحكومية وتذاع من الاذاعة , وجدير بالذكر بانه كان للقاديانيين والشيوعيين دورا كبيرا فى تلك الحملات العدائية وكان من حسن حظ الحكومة ان اتحدت الاحزاب السياسية والدينية لمخالفة الجماعة الاسلامية فى الانتخابات فلم تتمكن الجماعة من الفوز ولكنها تمكنت بعون الله تعالى من ابلاغ رسالتها الى الشعب خلال حملتها الانتخابية (٢) .

---

(١) انظر المستشرق الانكليزى باثندر ـ Region and Politics in Pakistan Page:120.

(٢) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ـ سيد ابوالاعلى مودودى ـ ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢ .

ـ المؤتمر العام للجماعة الاسلامية لعام ١٩٥١ الميلادى :

قرر مجلس الشورى للجماعة الاسلامية بباكستان ان يقوم المؤتمر العام للجماعة فى مدينة (كراتشى) من ١٠ ـ ١٣ من نوفمبر عام ١٩٥١م ، وذلك للاعتماد على المنهج العملى الذى اختارته الجماعة بعد استقلال البلاد والمحاضرات التى القاها الاستاذ فى ذلك المؤتمر تضم معالم السياسة اختارتها الجماعة لمواصلة جهادها لاقامة الدولة الاسلامية وانتشار دعوتها وتربية اعضائها وقد صدرت هذه المحاضرات فيما بعد بصورة الكتب المستقلة وهى :

١ ـ شئون باكستان الداخلية والخارجية.

٢ ـ واقع المسلمين فى سبيل النهوض بهم .

٣ ـ الصفات اللازمة للعاملين فى مجال الدعوة . (١)

والكتب الاخرى التى صدرت خلال تلك الفترة هى :

١ ـ نظام الحياة فى الاسلام .

٢ ـ القانون الاسلامى وطرق تنفيذه فى باكستان .

٣ ـ حقوق اهل الذمة فى الاسلام.

٤ ـ الربا . (٢)

ـ الاستاذ يتصدى للتحدى :

وكان فى تلك الآونة أن قام المحامى الشهير السيد /أ.ك. بروهى بالتحدى ان " من استطاع ان يثبت لى أن القرآن يشمل مبادىء دستورية فله جائزة خمسة الاف روبية " فظنت الحكومة ان الرجل سيخدم اهدافها

---

(١) انظر تقرير عن الجماعة الاسلامية بباكستان (الجزء السادس) ص ٩٥ـ ١٧٠ ،ص ٤١ ، ٣٤٧ ، ٤١٩ .

(٢) انظر الاستاذ المودودى ـ جماعت اسلامى كامقصد ، تاريخ اورلائحة عمل ص: ٧٧ .

الشنيعة في اقامة الدولة العلمانية فاختارته وزيرا للقانون . ويرى الاستاذ ضروريا أن يقوم بالقضاء على تلك المؤامرة فألف كتابه الشهير (اسس الدستور الاسلامي في القرآن) كما القى محاضرة في عاصمة البلاد آنذاك (كراتشي) بعنوان (تدوين الدستور الاسلامي) وبين فيها طريقة تدوين الدستور الاسلامي فلما بلغ السيد / بروهي كتاب الاستاذ المودودي (أسس الدستور الاسلامي في القرآن) قام باعلان اقتناعه بان القران كتاب هداية في جميع نواحي الحياة وان فيه مبادئ دستورية تقام عليها الدولة في العصر الحديث كما وفقه الله تعالى أن يقدم فيما بعد في المجلس التاسيسي مشروعا دستوريا موافقا للدستور الاسلامي (١) ، وهكذا قدر الله ان تخيب تلك المؤامرة ويعترف السيد / بروهي بفضل الاستاذ المودودي هذا حيث يقول : " انه قد عمل في باكستان ما لم يستطع أن يعمل اى حزب من الاحزاب وعلى الشعب الباكستاني كله ان يعترف له بهذا الجميل " (٢) .

ـ المطالبة بتطبيق الدستور الاسلامي :

وفي مايو عام ١٩٥٢ م حمل الاستاذ المودودي لواء مطالبة تطبيق الدستور الاسلامي وذلك بالقيام بجولات في البلاد من شرقها الى غربها فكان يلقي المحاضرات في المؤتمرات الجماهيرية ، وتلك المحاضرات كانت تختم باقتراحات هامة لتنفيذ الدستور الاسلامي كما ان الجماعة الاسلامية بدأت تاخذ التوقيعات من الشعب في تأييد الدستور الاسلامي وقد بلغت

---

(١) الاستاذ خليل الحامدي ـ الامام ابوالاعلى المودودي ، حياته ، دعوته ، جهاده ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٩ .

أوراق التوقيعات من الكثرة بحيث انها اذا الصقت بعضها ببعض لبلغت اكثر من عشرين كيلومترا ، وقدمت تلك الاوراق الى المجلس التأسيسي وذلك فضلا عن مئات الالاف من البرقيات والرسائل التى ارسلت اليها ،حتى اضطرت الحكومة بالاعلان بانها ستقدم التوصيات الدستورية فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٥٢ م (١)
وفى ٢١ نوفمبر عام ١٩٥٢ م اى بيوم واحد قبل الموعد خرجت فى كراتشى — عاصمة البلاد انذاك — مظاهرة اسلامية كبيرة كان يقودها الاستاذ المودودى حيث كان المتظاهرون يهتفون بالمطالبة بالدستور الاسلامى ويرفعون اللافتات التى كتبت عليها عبارات المطالبة بالدستور الاسلامى فاضطرت الحكومة الى تاجيل اعلان التوصيات لكونها غير الاسلامية ثم آتت فى ديسمبر عام ١٩٥٢ م بالتوصيات الدستورية الجديدة تضم بعض المبادئ الدستورية وضعها العلماء(٢) .

— الحكم بالاعدام :

وفى بداية عام ١٩٥٣ م قام المسلمون فى منطقة بنجاب بالمطالبة من الحكومة باعتبار القاديانيين اقلية غير مسلمة فبدأت اشتباكات عنيفة بين المسلمين والقاديانيين حيث استشهد فيها مئات من المسلمين وألف الاستاذ المودودى كتيبه الشهير (المسألة القاديانية) كشف فيها عن عقائد هذه النحلة الضالة ومؤامرتها ضد الاسلام والمسلمين فاغتنمت الحكومة تلك الفرصة للقضاء على الدستور الاسلامى من ناحية والقضاء على الرجل الذى كان يقود

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد — سيد ابوالاعلى مودودى ص ٢٥٦ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٥٦ — ٢٥٩ .

حركة التطبيق للدستور الاسلامي من ناحية اخرى وكان رئيس باكستان آنذاك السيد غلام محمد وكان معروفا لميوله اللادينية ، وامر بتشكيل محكمة عسكرية خاصة للحكم على الاستاذ المودودي ، وجعلها ان تصدر القرار لاعدام الاستاذ المودودي لتأليف كتابه (المسألة القاديانية) (١) .

— لا أسترحم أحد سوى الله :

وجدير بالذكر أنه حينما جاءه مامور السجن ليبلغه هذا القرار سمعه بالهدوء والوقار الذي يليق بالداعية وكان القرار يسمح له ان يقدم التماسا للعفو ولكنه رفض تقديم الالتماس بالعفو ، وقال : لا استرحم احدا سوى الله لأن أحكام الموت لا تصدر في الارض وانما تصدر من السماء . ثم قال الاستاذ متوجها الى زملائه : " لا يقدم احدكم التماسا للعفو، لا والدتي ولا اخي ولا زوجتي ولا احد من اولادي وارجو كذلك من زملائي . . ان لا يقدموا لاجلي التماسا للعفو " (٢) .

— استنكار العالم الاسلامي لحكم الاعدام :

وظهر رد الفعل في صورة برقيات الاستنكار من سائر انحاء العالم الاسلامي وكلها تستنكر وتطلب من الحكومة سحب هذا الحكم على الفور وكان من الذين أرسلوا برقيات الاستنكار من العالم الاسلامي الشيخ محمد بشير ابراهيمي الجزائري والشيخ امين الحسيني مفتي فلسطين الاعظم ورئيس المؤتمر الاسلامي والشيخ امجد الزهاوي امام اهل السنة والجماعة في العراق واية الله محمد الخالص مجتهد الشيعة الاعظم في العراق والشيخ عيسى

---

(١) انظر احمد ادريس — ابوالاعلى المودودي — صفحات من حياته وجهاده ص ٦٣ — ٦٥ .

(٢) انظر مجلة جراغ راه الشهرية (كراتشي) لشهر اكتوبر عام ١٩٥٣ م من ص ٧٢ ، ٩٨ ، ١١٠ .

الانصاري نيابة عن الاحزاب الاسلامية في اندونيسيا ، والاخوان المسلمون من مصر ، والمسلمون المقيمون في انجلترا ، كما انتشرت المقالات الخاصة في الصحف الاسلامية . وهكذا اضطرت الحكومة ان تغير حكم الاعدام الى حكم السجن المؤبد (١) ، ولكن قدر الله أن يطلق صراحه بعدما قضى في السجن ثلاث سنوات ، وذلك حسب قرار المحكمة العليا بلاهور في يناير عام ١٩٥٦م (٢) .

ـ الدستور الاسلامي الجديد للبلاد :

وفي اغسطس عام ١٩٥٥ م اصبح السيد / الشودري محمد علي رئيسا للوزراء وكان يشتهر بميوله الاسلامية كما كانت له صلة بالاستاذ المودودي وذلك بعد ان اوصاه الشاعر الاسلامي الكبير الدكتور محمد اقبال ان يطالع كتاب (الجهاد في الاسلام) (٣) فبذل جهوده لتدوين الدستور الاسلامي وفي عام ١٩٥٦م وفقه الله ان يعطي البلاد الدستور الاسلامي الشامل الذي رحبت به كافة طبقات الشعب وقال الاستاذ المودودي في تصريح له " نبدأ اليوم حياة جديدة حياة شعب حر ، شعب قد قرر بلسان ممثليه ان الحكم في باكستان لله عز وجل وان السلطة أمانة من الله في عنقه لا يزاولها الا في حدود وضعها الله ورسوله فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله " (٤) .

---

(١) انظر اسعد كيلاني . سيد مودودي ، بجين ، جواني بڑهاپا ص: ١١٦ ـ ١١٨ .

(٢) انظر احمد ادريس . ابوالاعلى المودودي . صفحات من حياته وجهاده ، ص ٦٦ .

(٣) انظر الشودري عبد الرحمن عبد ـ سيد ابوالاعلى مودودي ص ٢٦٧ .

(٤) الاستاذ خليل الحامدي ـ الامام ابوالاعلى المودودي ـ حياته ـ دعوته جهاده ص ٦٥ .

ـ حضور الاستاذ فى مؤتمر العالم الاسلامى بدمشق وأداء فريضة الحج :

وفى يونيو عام ١٩٥٦م تلقى الاستاذ المودودى الدعوة قبل مؤتمر العالم الاسلامى بدمشق لحضور جلسات المؤتمر هناك وسافر الاستاذ الى سوريا لحضور المؤتمر والتقى بزعماء الحركات الاسلامية فى أقطار العالم وبعد انتهاء المؤتمر سافر الاستاذ الى الاردن ليلتقى بالعاملين فى مجال الدعوة هناك ثم توجه الى الحرمين الشريفين ليؤدى فريضة الحج ويتشرف بزيارة المسجد النبوى الشريف (١) .

ـ اعتماد أعضاء الجماعة على منهج عملها :

وفى فبراير عام ١٩٥٧م انعقد مؤتمر هام لاعضاء الجماعة الاسلامية فى قرية (ماجى كوت) بلوأبهاولبور ، وذلك لكى يعتمد أعضاء الجماعة المنهج الذى قد اختارته الجماعة فى مواصلة جهادها لاقامة النظام الاسلامى فوافق المؤتمر على القرار الذى قدمه الاستاذ المودودى حول منهج الجماعة فى مجال الدعوة الا ان خالفه فيه خمسة عشر عضوا من تسعمائة وعشرين عضوا وقد صدر هذا القرار وتعليق الاستاذ عليه فيما بعد فى صورة كتاب مستقل تحت عنوان " الحركة الاسلامية ومنهجها للمستقبل " (٢) .

ـ الانقلاب العسكرى لعام ١٩٥٨م والغاء الدستور الاسلامى :

وكان من سوء حظ مسلمى باكستان بانه قبل ان يطبق ذلك الدستور الاسلامى فى البلاد قام المتفرنجون واللادينيون والشيوعيون فى الحكومة والسياسية بمؤامرة القضاء على حكومة رئيس الوزراء الشودرى محمد على واختير

---

(١) انظر احمد ادريس ـ ابوالاعلى مودودى ـ صفحات من حياته وجهاده ، ص ٦٨ .

(٢) انظر الاستاذ المودودى ـ مقدمة الكتاب " تحريك اسلامى كا أئنده لائحة عمل " .

السيد / شهيد السهروردى كرئيس الوزراء الا ان حكومته لم تستمر لاكثر من تسعة شهور وحل محله السيد / اسماعيل جندريكر ثم اختير السيد / فيروزخان نون كرئيس الوزراء الجديد وهكذا اصبحت الحكومة لعبة في ايدى السياسيين اللادينيين وكان خلال تلك الآونة ان قام رئيس الاركان انذاك الجنرال ايوب خان بالانقلاب العسكرى في البلاد واعلن الغاء الدستور والبرلمان والاحزاب السياسية(١) .

ـ بصيرة الاستاذ السياسية :

وجدير بالذكر ان الاستاذ المودودي كان لبصيرته السياسية حيث تنبأ عن الانقلاب قبل بضع ساعات خلال محاضرته في مؤتمر الجماهير في لاهور حيث قال : " ان الوضع في باكستان الان قد ساء الى حد اننا لا نستبعد أن نستيقظ من نومنا في الصباح لنجد انقلابا عسكريا قد وقع واعتلى السلطة حاكم يجمع كل اعنة الحكم في يديه "(٢) .

ـ رحلة الاستاذ الى أرض القرآن :

وفي ٣ نوفمبر عام ١٩٥٩م قام الاستاذ المودودى بالرحلة الى ارض القرآن ليشاهد الاماكن التى ورد ذكرها في القران الكريم او كتب السيرة وذلك ليتمكن الأستاذ من فهم الآيات التى ورد فيها ذكر هذه الاماكن فهما جيدا ومن ثم يتمكن من تفسيرها وتفهيمها بخرائط هذه الاماكن وصورها كما نراها في تفسيره اليوم . ورحلته هذه تمتد من ٣ نوفمبر عام ١٩٥٩ الى ٥ فبراير عام ١٩٦٠م وشاهد الاستاذ خلالها الاماكن التى تقع في المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية ، وفلسطين ، وسوريا ، وجمهورية مصر العربية ، الا أنه

---

(١) انظر السيد شهاب الدين رئيس مجلس القضاء الاعلى الاسبق . مقالته صدرت في مجلة " أردو دائجست " الشهرية لشهر اغسطس عام ١٩٧٩ ص ٧٢ .

(٢) احمد ادريس ـ ابوالاعلى المودودى ـ صفحات من حياته وجهاده ، ص ٧٢ .

لم يتمكن من حصوله على التأشيرة للعراق [1] .

ـ الاستفتاء حول الدستور الجديد للبلاد :

وفي عام (١٩٦١ م) عين ايوب خان لجنة دستورية لتشكيل الدستور الجديد وذلك برئاسة السيد / شهاب الدين عضو مجلس القضاء الاعلى آنذاك [2] فقامت اللجنة بطرح الاستفتاء حول الدستور الجديد للبلاد واجاب الاستاذ / المودودى اسئلة الاستفتاء اجابات مفصلة مؤيدا بالادلة العقلية والقانونية وبالبراهين من الكتاب والسنة [3] .

والحقيقة ان تشكيل اللجنة الدستورية ونشر اسئلة الاستفتاء حول الدستور لم تكن الا الطريقة الروتينية والحكومة قد قررت ان تاتى بالدستور العلمانى الدكتاتورى وجاءت به فعلا فى مارس عام ١٩٦٢ م [4] وقد غير فيه اسم البلاد الى (دولة باكستان) بدلا عن (جمهورية باكستان الاسلامية) كما ركز السلطة فى ايدى الدكتاتور الرئيس الذى كان ينتخب عن طريق ثمانين الف شخص اختيروا من سكان البلاد البالغ عددهم مائة وعشرون مليون [5] .

---

(١) انظر للتفصيل الاستاذ عاصم الحداد ـ سفرنامه ارض القرآن ـ

(٢) انظر السيد / شهاب الدين . رئيس اللجنة الدستورية ـ مقالة نشرت فى مجلة " اردو دائجست " الشهرية لشهر اغسطس عام ١٩٧٩ م ص ٧٣ .

(٣) احمد ادريس ـ ابوالاعلى المودودى ـ صفحات من حياته وجهاده ، ص ٧٨ .

(٤) انظر السيد شهاب الدين ، رئيس اللجنة الدستورية ـ مقالة نشرت فى مجلة اردو دائجست الشهرية لشهر اغسطس عام ١٩٧٩ م ص ٧٤ .

(٥) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ـ سيد ابوالاعلى مودودى ص ٣١٠ .

- عضوية مجلس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة :

وفى عام ١٩٦١م تلقى الأستاذ المودودى الدعوة من قبل حكومة المملكة العربية السعودية ليعرض عليها مشروع انشاء الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وسافر الأستاذ الى الرياض فى ديسمبر عام ١٩٦١م وعرض المشروع على القائمين بالجامعة وناقش الموضوع معهم حتى تم الاتفاق على المنهج الدراسى والتربوى فى الجامعة واختير الاستاذ عضوا لمجلس الجامعة(١) .

- عضوية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامى :

وفى عام ١٩٦٢م تلقى الاستاذ المودودى دعوة اخرى من قبل حكومة المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر العالم الاسلامى بمكة المكرمة. وفى ١٨ من مايو عام ١٩٦٢م سافر الاستاذ الى المملكة العربية السعودية لحضور ذلك المؤتمر والقى فيه محاضرة قيمة بعنوان " العدالة الاجتماعية فى الاسلام " ثم قرر المؤتمر تأسيس رابطة العالم الاسلامى لمواجهة التحديات والمؤامرات التى يواجهها الاسلام والمسلمون واختير الاستاذ عضوا للمجلس التاسيسى للرابطة (٢) .

- رفع القيود عن الاحزاب السياسية :

وفى يوليو عام ١٩٦٢م اضطرت الحكومة الى رفع القيود عن انشطة الاحزاب السياسية فكانت الجماعة الاسلامية أول جماعة بدات أنشطتها السياسية وذلك خلال أربع وعشرين ساعة فحسب(٣) وكان ذلك غير عادى فى تاريخ الأحزاب

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٣ .

(٢) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد - سيد ابوالاعلى مودودى ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٣) احمد ادريس - ابوالاعلى المودودى - صفحات من حياته وجهاده ص ٧٩ .

السياسية فى باكستان .

ـ أساليب الحكومة لمضايقة الأستاذ المودودي :

وكانت الحكومة تراقب انشطة الجماعة الاسلامية منذ رفع القيود وكانت ترى أن استمرار الجماعة ونجاحها فى مجال السياسة يعرقل الحكومة فى تحقيق اهدافها ولهذا استخدمت الطرق القديمة للقضاء عليها . فبدأت تنشر الاشاعات والاكاذيب والاتهام ضد الجماعة الاسلامية واميرها بواسطة عملائها من الشيوعيين والعلمانيين والمتفرنجين والقاديانيين ومنكري السنة النبوية والعلماء الرسميين والصحفيين الماجورين وذلك عن طريق الصحف والجرائد والاذاعة معا (١) .

ـ المؤتمر العام للجماعة الاسلامية لعام ١٩٦٣م :

وكان فى تلك الفترة ان قرر مجلس الشورى المركزى للجماعة الاسلامية ان يقيم المؤتمر العام للجماعة فى اكتوبر عام ١٩٦٣م فى مدينة (لاهور) واختار لجنة خاصة للاهتمام بذلك المؤتمر فقدموا الطلب للموافقة لاستخدام (حديقة اقبال) لعقد المؤتمر وذلك حوالى شهرين قبل موعد المؤتمر

ولكن بعد حوالى شهر ونصف اعتذرت الحكومة وحينما لم يبق فى المؤتمر الا اسبوعين وافقت بلدية لاهور على السماح لعقد المؤتمر فى أحد الميادين الصغيرة القريبة من مسجد سيد على الهجويرى وقد قام اعضاء الجماعة باعداد المكان بكل مايلزم من مقاعد وسرادق وكهرباء وأماكن للاكل والصلاة

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ـ سيد ابوالاعلى مودودى ص ٣١٩ ـ ٣٢١

(٢) انظر احمد ادريس ـ ابوالاعلى المودودى ـ صفحات من حياته وجهاده ، ص ٨٠ .

والحاجات الاخرى كما طلبوا للموافقة على استخدام مكبر الصوت ولكن الحكومة رفضت ولم يكن هناك أى سبب لذلك الرفض الا ان الحكومة لم يعجبها انعقاد ذلك المؤتمر.

— مواجهة مشكلة مكبر الصوت :

فقررت الجماعة ان تواجه تلك المشكلة باستخدام طريقة قديمة للتبليغ وهى طريقة المكبرين وحينما بدأ المؤتمر فى صباح ٢٥ من اكتوبر عام ١٩٦٣ م قام الأستاذ المودودى ليلقى خطابه الافتتاحى وكان الاستاذ المودودى يلقى خطابه كلمة كلمة وكان المكبرون يتناولونها متناوبين ويبلغونها الى آخر الصفوف(١) وما ذلك الا دليلا على ان الموانع والعراقيل لا تقدر أن تصد طريق الداعية الحكيم.

— من الذى يبقى واقفا لو جلست أنا :

وحينما رأت الحكومة أن مؤامرتها لمنع المؤتمر لم تنجح قامت بالمؤامرة الجديدة فجاءت بجماعة من المشاغبين وزودتهم بالاسلحة فدخلوا المخيم تحت رعاية رجال الشرطة وبعد حوالى ١٢ دقيقة من بدء الخطاب قام المشاغبون يهتفون ضد الاستاذ المودودى والجماعة الاسلامية فاخذوا يطلقون النار نحو المنصة التى كان الاستاذ يقف عليها فنصحه بعض من زملائه ان يجلس ولكنه رفض وقال " من الذى يبقى واقفا اذا جلست انا" فلم يزل واقفا على المنصة فى ذلك الوضع الحرج (٢) ومن البين الواضح أنه لم يكن هناك اى هدف من اطلاق النار الا اغتيال الاستاذ المودودى ولكن الله انقذه منهم فاستشهد احد من اعضاء الجماعة دفاعا عن الجزء النسوى للمخيم فجزاه الله احسن الجزاء فكان

---

(١) الاستاذ خليل احمد الحامدى — الامام ابوالاعلى المودودى — حياته — دعوته — جهاده ص ٦٩.

(٢) سيد اسعد الجيلانى " قافلة سخت جان " ص ٣٢٧.

من الطبيعي بعد هذه الحادثة المؤلمة ان يصير الوضع حرجا كما كان من المؤكد ان تحصل مجابهة مسلحة بين اعضاء الجماعة وبين المشاغبين ولكن الاستاذ بادر الى تدارك الامر وأمر ان يبعدوا المشاغبين من المخيم بدون أي تعرض لهم(١) . وهكذا قدر الله أن تخيب تلك المؤامرة للقضاء على الجماعة فلله الحمد .

__ـ الحركة الاسلامية مثل الماء الجاري :__

لم يزل المؤتمر مستمرا حسب برنامجه كما لم يزل المشاغبون يحاولون افساد المؤتمر فقررت الجماعة ان تستخدم حوالي (ألفا واحدا) من اعضائها لحراسة المخيم ليلا ونهارا ليمنعوا المشاغبين من الدخول في المخيم . وفي اليوم التالي جاء الاستاذ بفكرة حكيمة جديدة قال لزملائه : " ان الحركة الاسلامية مثلها مثل الماء الجاري وهو اذا وجد صخرة في طريقه لا يحطم عليها راسه وانما ينعطف بطبيعته يمينا او يسارا يتابع جريانه ويترك الصخرة وراءه تمضغ انا ملها بالغيظ وهكذا مكره سوف يبور والله خير الماكرين "(٢) . وتنفيذا لتلك الفكرة الحكيمة قام بتقسيم اعضاء الجماعة الى مجموعات صغيرة من ثلاثة او اربعة افراد فانطلقت تلك الجماعات الى مدينة لاهور والمدن والقرى المجاورة لها فكانت تحمل للناس رسالة الجماعة ودعوتها وتوقظ فيهم الوعي الاسلامي . ولان خبر مؤامرة الحكومة لافساد المؤتمر والمحاولة لاغتيال الاستاذ المودودي قد انتشر في جرائد ذلك اليوم فكانت لتلك الدعوة استقبال حار من قبل الناس فقدر الله

---

(١) انظر الأستاذ خليل الحامدي ـ الامام أبو الأعلى المودودي ـ حياته جهاده ص ٦٩ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٦٩ .

أن حوالى خمسة الاف من سكان مدينة (لاهور) والقرى المجاورة لهـا اصبحوا مؤيدين للجماعة (١) . وفى ٢٧ من اكتوبر ١٩٦٣ م عقدت الجلسة الختامية للمؤتمر وألقى الاستاذ المودودى الكلمة الاخيرة . وهكذا انتهى المؤتمر محققا لاهدافه فلله الحمد .

ـ مواصلة الجهاد للدستور الاسلامى :

وفى نوفمبر عام ١٩٦٣ م قامت الجماعة الاسلامية بالمطالبة بتعديل الدستور وتغيير اسم الدولة الى (جمهورية باكستان الاسلامية) بدلا من (باكستان) واعادة الحقوق الانسانية الاساسية الى الشعب واجراء الانتخابات العامة وبدأت بحركة شعبية لتحقيق تلك الاهداف وذلك بالتعاون مع الاحزاب والجماعات الاخرى وبدأ أعضاء الجماعة يأخذون التوقيعات من الشعب على تلك المطالبات وقد اصبحت تصرفات الحكومة مجنونة بعد فشلها فى مؤامرة القضاء على الجماعة الاسلامية واغتيال اميرها خلال مؤتمرها السنوى .

ـ حل الجماعة الاسلامية واعتقال الاستاذ المودودى وزملائه :

اغتنمت الحكومة تلك الفرصة للقضاء على الجماعة الاسلامية ، ففى ٦ يناير عام ١٩٦٤ م اصدرت قرارا لجعل الجماعة الاسلامية جماعة مخالفة للقانون ، فألقى القبض على ٤٤ من اعضاء مجلس الشورى للجماعة الاسلامية وعلى رأسهم الاستاذ المودودى واغلقت مكاتبها كما صودرت اموالها فشكلت لجنة خاصة للحكم فى تلك القضية . وجدير بالذكر ان احد اعضاء تلك اللجنة وهو السيد / محمود كان المستشار القانونى للجنة الخاصة التى كانت قد

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ـ سيد ابوالاعلى مودودى ص ٣٣١ .

أصدرت قرار اعدام الاستاذ المودودى عام ١٩٥٣م والثانى هو السيد / شهرزاد تعالمكير الذى اصدر قرار القبض على الاستاذ وزملائه بصفته مديرا للأمن العام (١) ولهذا لم يكن هناك اى ابهام فى الحكم الذى سيصدر ضد الأستاذ فى القضية .

ــ عمل الدعوة يستمر فى السجن :

ولم يترك الاستاذ المودودى وزملاؤه مهمتهم فى سبيل الدعوة وهم فى السجن فكان الاستاذ المودودى يلقى دروسا فى تفسير القران الكريم والاستاذ معين الدين كان يعلم اصول الفقه ، والشودرى نذير احمد كان يعلم تجويد القرآن الكريم (٢) وهكذا وفقهم الله أن يؤدوا فريضة الدعوة كما اوجبها الله سبحانه .

ــ فى المحكمة العليا ــ قرار الحكومة قرار باطل :

قررت الجماعة ان تقدم القضية امام المحكمة العليا فى شطرى باكستان اى باكستان الشرقية وباكستان الغربية وبادرت الحكومة أن تأتى بتعديل خاص فى الدستور فى مارس ١٩٦٤ وكان هذا التعديل يسمح للحكومة ان تأخذ الاجراءات اللازمة لحل أى حزب سياسى والقاء القبض على أعضائه . وجدير بالذكر ان ذلك التعديل فى الدستور كان مؤثرا بالماضى منذ عام ١٩٦٠م ، ففى ١٣ من يوليو عام ١٩٦٤ م صدر قرار المحكمة العليا بباكستان الشرقية أن قرار الحكومة لحل الجماعة الاسلامية مخالفة للقانون قرار باطل وبهذا فالقبض على اعضائها غير قانونى (٣) وهنا اضطرت الحكومة ان تقدم القضية

---

(١) انظر احمد ادريس ــ ابوالاعلى المودودى ــ صفحات من حياته وجهاده ص ٨٤ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٨٥ .

(٣) انظر الشودرى عبدالرحمن عبد ــ سيد ابوالاعلى مودودى ص ٣٤ .

الى محكمة الاستئناف فجاءت بالاتهام الجديد وهو " تلقى المساعدة المالية من دولة أجنبية " وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٤م اصدرت محكمة الاستئناف قرارها التاريخى " ان الحكم على الجماعة الاسلامية بانها جماعة غير شرعية يتعارض مع حق تشكيل الجماعة الذى اعطاه لها الدستور فان قرار الحكومة غير قانونى وحكمت الحكومة بالفائه (١) ، فأعادت الجماعة الى الميدان جماعة قانونية فرفعت دعوى اخرى الى المحكمة العليا للموافقة على اطلاق سراح المسجونين فصدر قرار المحكمة فى ٩ اكتوبر عام ١٩٦٤م. وذلك فى ثلاث جمل فحسب " الحكم بالاجماع على ان الحبس غير قانونى فيفرج عن المسجونين فورا " (٢) .

ـ انتخابات الرئاسة للبلاد :

وكان الافراج عن قادة الجماعة فى الوقت الذى حان فيه موعد الانتخابات العامة لرئاسة جمهورية باكستان الاسلامية ، وقد اتفقت الاحزاب السياسية المعارضة فيما بينها على ترشيح السيدة/ فاطمة جناح لتلك الانتخابات وذلك لكونها شخصية بارزة كشقيقة القائد محمد على جناح مؤسس باكستان فاضطر مجلس الشورى للجماعة الى الموافقة على ذلك القرار لانه لم يبق هناك اى طريق لانقاذ البلاد من النظام الدكتاتورى الايوبى الذى قد جعل وسائل الدولة لنشر المنكرات فى البلاد (٣) .

---

(١) انظر مجلة " آئين " الاسبوعية (لاهور) عدد ١٧/١٠/١٩٦٤م.
(٢) انظر الشورى عبد الرحمن عبد ـ سيد ابوالاعلى مودودى ص ٣٤٣.
(٣) انظر المرجع السابق ص ٣٤٩.

أجريت الانتخابات فى ٢ يناير عام ١٩٦٥م وقد استخدم ايوب خان وسائل الدولة خلال حملته الانتخابية فضلا عن الغش والتزوير فاضطرت اللجنة الانتخابية ان تاتى بالنتائج المزورة وتعلن بنجاح ايوب خان وفشل فاطمة جنا . ولكن تمكنت الجماعة خلال حملتها الانتخابية ان تبلغ رسالتها السامية الى الشعب .

ـ الدفاع عن البلاد :

كان الاستعمار الهندوسى يراقب الفرصة المناسبة يغتنمها للهجوم على جمهورية باكستان الاسلامية ففى ٦ سبتمبر عام ١٩٦٥ م اعتدت على باكستان وذلك لان باكستان كان تؤيد جهاد مسلمى كشمير لتحرير بلادهم من الاستعمار الهندوسى فاصدر الاستاذ المودودى بيانا قال فيه ان باكستان بصفتها دار الاسلام فرض على كل مسلم فيها ان يصد العدو حتى اخر قطرة من دمه (١) ، فقررت احزاب المعارضة القيام بتاييد الدولة لمقاومة ذلك الهجوم فاستدعى ايوب خان قادة المعارضة لمقابلته ليشاورهم فى ذلك الامر فقابلوه فاتفقوا معه على خطة مقاومة الهجوم الاستعمارى (٢) فاعتنى الاستاذ بالقاء المحاضرات المتتالية لنشر وعى الجهاد فى الشعب كما القى الخطب والمحاضرات من الاذاعة فى موضوع الجهاد ومتطلباته (٣) .

ـ الجهاد في سبيل الله ـ الحل الوحيد لقضية كشمير المسلمة :

قررت الجماعة ان يقوم اعضاءها لجمع التبرعات لمئات الالوف من اللاجئين الذين هاجروا الى كشمير الحرة من كشمير المحتلة . وانى لأحد أولئك شاهد

---

(١) مجلة " ايشيا " الاسبوعية (لاهور) عدد ١٥/٩/١٩٦٥م .

(٢) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ـ سيد ابو الاعلى المودودى ص ٣٥٢ .

(٣) انظر سيد اسعد جيلانى ـ سيد مودودى ، بجپن ،جوانى ،بروها پا ، ص ١٥٢ .

عيان للخدمات التي قامت بها الجماعة فأقيمت حوالي عشرة مراكز في شتى مدن كشمير الحرة لتوزيع تلك التبرعات على هؤلاء اللاجئين كما انشئت عدة " مستشفيات " لعلاجهم . وفي نوفمبر عام ١٩٦٥م قام الاستاذ المودودي بزيادة كشمير الحرة والتقى بهؤلاء اللاجئين وسمع منهم حكايات الظلم والوحشية التي ارتكبها الاستعمار الهندوسي في كشمير المحتلة والقى عدة محاضرات من اذاعة كشمير الحرة كما خطب في المؤتمرات الجماهيرية ووضح فيهما ان الطريق الوحيد لتحرير كشمير من الاستعمار البرهمي هو الجهاد في سبيل الله (١) .

ـ تأليف كتاب " قضية كشمير المسلمة " وتوزيعه في مسلمي العالم :

وكتب الاستاذ المودودي خطابات مفصلة الى قادة الدول المسلمة وزعماء الحركات الاسلامية في شتى بلاد اسلامية وطلب منهم أن يقوموا بدعم حكومة باكستان ومسلمي كشمير في ذلك الجهاد كما الف كتابه الشهير (قضية كشمير المسلمة) عن ذلك النزاع فأوضح فيه حقيقة قضية كشمير وذكر المظالم الوحشية التي كان يرتكبها الاستعمار الهندوسي مع مسلمي الكشمير وبين واجب العالم الاسلامي تجاه تلك القضية فطبعت خمس وعشرون الف نسخة من ذلك الكتاب باللغة العربية وعشرون الف نسخة باللغة الانجليزية ووزعت بين الحجاج في موسم الحج لعام ١٩٦٦م . وقد ترجمه الحجاج بعد عودتهم الى بلادهم الى اللغة التركية واللغة الفرنسية واللغة السواحلية (٢) .

ـ رفض الاستاذ الموافقة على العيد بدون رؤية الهلال :

وفي عام ١٩٦٧م القى القبض على الاستاذ للمرة الرابعة وتلك المرة كان اعتقاله لرفضه الموافقة على عيد الفطر بدون رؤية الهلال فقررت الحكومة

---

(١) انظر الاستاذ المودودي ـ مسألة كشمير ص ٩٨ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٧ .

ان يكون عيد الفطر بيوم واحد قبل رؤ يةهلال العيد فرفض الاستاذ الموافقة على ذلك فألقى فى السجن وتم اطلاق سراحه بعد شهرين (١) .

ـ اتحاد الاحزاب السياسية والجماعات الدينية ضد النظام الدكتاتورى :

وفى عام ١٩٦٧م اتحدت الاحزاب السياسية والجماعات الدينية المختلفة ومنها الجماعة الاسلامية باسم " حركة الديموقراطية ضد دكتاتورية أيوب خان وبدأ الصراع العنيف بين الشعب والدكتاتور وانعقدت المؤتمرات الشعبية فى شتى مدن البلاد وقام الاستاذ المودودى مع قادة الاحزاب الاخرى بالقاء الخطابات المتتالية فى تلك المؤتمرات (٢) . وهكذا انتشر الوعى السياسى والاسلامى بين الشعب .

ـ اتحاد الشيوعيين واللادينيين ضد الاسلام والمسلمين :

كان الشيوعيون والقاديانيون والمتفرنجون واللادينيون يخافون نتيجة ذلك الوعى فاجتمعوا تحت راية حزب الشعب فى باكستان الغربية وحزب مؤتمر الشعب فى باكستان الشرقية ،وجدير بالذكر أن مؤسس حزب الشعب ورئيسه آنذاك السيد / ذو الفقار على بوتو كان وزيرا للشئون الخارجية فى حكومة ايوبخان من عام ١٩٥٩م الى عام ١٩٦٧م وقد عزل من منصبه للخيانات التى ارتكبها وكان يعرف بميوله اللادينية والشيوعية ورئيس حزب مؤتمر الشعب هو السيد / مجيب الرحمن الذى كان فى تلك الأيام مسجونا بتهمة العمالة

---

(١) انظر احمد ادريس ـ ابوالاعلى المودودى ـ صفحات من حياته وجهاده ص ٩١ــ٩٢ .

(٢) انظر سيد اسعد جيلانى : سيد مودودى بحيثيت سياسى رهنما ص : ١٥٢ــ ١٥٤ .

للاستعمار الهندوسي [1] . وكلا الحزبان دخلا في الميدان يحملان راية الاشتراكية ويسردان نعرات القوميات الجاهلية . ولان تمويلهما كان من قبل الدول الاستعمارية قد استخدما اموالا طائلة لنفوذهما في الشعب فبدأ الصراع بين الاسلاميين واليساريين في كلا شطري باكستان وذلك فضلا عن الصراع القائم بين الشعب والحكومة .

ـ باكستان بلد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليس بلد أمة ماركس أو ماو :

وجدير بالذكر ان الاستاذ المودودي في تلك الايام قد سافر الى لندن لاجراء عملية جراحية في المثانة وكان تحت ملاحظة الاطباء ولكن حينما بلغه خبر ذلك الصراع اضطر الى العودة الى باكستان واعلن فور وصوله بلاهور في يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٦٨م " اننا مادمنا احياء فلن يجرؤ احد على تطبيق نظام اخر في هذا البلد غير نظام الاسلام لان هذا البلد بلد امة محمد صلى الله عليه وسلم وليس بلد امة ماركس أو ماو ، واذا اضطررنا للقتال في سبيل ديننا فلن نجبن او نقعد عن القتال ولو في عشر جبهات وسنقاتل في آن واحد كلا من الدكتاتورية والعلمانية اللادينية " [2] .

ـ المفاوضات :

وكان نتيجة للضغط من قبل حركة الديموقراطية اضطر الدكتاتور ايوب خان الى أن يدعو المعارضة للمفاوضات وفي ١٠ مارس ١٩٦٩ بدأت المفاوضات بين أيوب خان وبين المعارضة والاستاذ المودودي أوضح خلال تلك المفاوضات ان ما يجري في البلاد من الفوضى لم يكن الا نتيجة عدم تطبيق النظرية

---

(١) انظر احمد ادريس ـ ابو الاعلى المودودي ـ صفحات من حياته وجهاده ص ٩٤ـ ٩٥ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٩٤ـ ٩٥ .

التى قامت باكستان من أجلها (١) ، ونتيجة لتلك المفاوضات وافقت الحكومة على منح البالغ حق الانتخاب واقامة النظام البرلمانى .

ـ الفوضى وسياسة النهب والسلب :

ولكن ذلك القرار بين الحكومة وبين الاحزاب السياسية لم يعجب قادة اليساريين كالسيد / ذوالفقار على بوتو رئيس حزب الشعب والسيد / عبد الحميد بهاشانى رئيس حزب الشعب القومى وذلك لأنهم اعتمدوا على سياسة الفوضى والنهب والسلب والتخريب ،وبيوم واحد قبل المفاوضات وصل السيد بهاشانى من داكا الى لاهور وسأل عن أعضاء حزبه :" هل أحرقتم بيت المودودى " فكانت نتيجة ذلك الخطاب بان فى اليوم التالى توجه حوالى ثلاثمائة نفر الى مكتب الجماعة الاسلامية بلاهور فنهبوا المكتب وكسروا كل شىء يقبل التكسير ثم احرقوا الكتب وفيها المصحف الشريف والتفاسير والكتب الدينية الاخرى (٣) .

ـ الصراع بين الاسلاميين واليساريين واغتيال الشهيد عبد المالك :

وفى تلك الاوضاع قدم ايوب خان استقالته فى ٢٥ من مارس عام ١٩٦٩م وسلم السلطة الى يحيى خان رئيس اركان الجيش آنذاك . وهكذا وقعت البلاد تحت سيطرة الحكم العرفى مرة اخرى ولم تنقطع الفوضى بل استمرت وزادت مع مرور الايام كما اشتد الصراع بين الاسلاميين وبين اليساريين حتى اواسط اغسطس عام ١٩٦٩م اذ قام الشيوعيون باغتيال الشهيد عبد المالك

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ـ سيد ابوالاعلى مودودى ص ٣٨٧ .

(٢) انظر سيد اسعد جيلانى ـ سيد مودودى ـ بجين ـ جوانى ـ برهاپا ص ١٥٤ـ١٥٧ .

(٣) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ـ سيد ابوالاعلى مودودى ص ٣٨٦ .

مسؤول جمعية الطلبة الاسلامية بجامعة داكا بباكستان الشرقية . ولم تكن جريمته سوى أنه طالب الحكومة بتطبيق نظام التعليم الاسلامي بدلا عن نظام التعليم العلماني (١) .

— في جامعة القزوين بالفاس (المغرب) :

وفي سبتمبر عام ١٩٦٩م سافر الاستاذ المودودي الى الرباط بالمغرب ليحضر مؤتمر التعليم الاسلامي الذي عقد بجامعة القزوين بفاس وبعد ما ألقى محاضرته في المؤتمر واجتمع مع القائمين بالمؤتمر وناقش الموضوع معهم حضر الحفلات التي اقيمت من قبل الحركة الاسلامية بالفاس .

— اعلان عن موعد الانتخابات البرلمانية وقيام الاستاذ بجولة في باكستان الشرقية :

وفي يناير عام ١٩٧٠م اعلن يحيى خان عن موعد الانتخابات البرلمانية فقام الاستاذ بجولته لباكستان الشرقية وفي ١٩ يناير ١٩٧٠م انعقد مؤتمر الجماهير الكبير في داكا عاصمة باكستان الشرقية فدخل الشيوعيون مخيم المؤتمر يهتفون ضد الاسلام والجماعة الاسلامية وفي أيديهم السكاكين والمسدسات والقنابل اليدوية وما الى ذلك من الادوات الفتاكة وكل ذلك تحت اشراف رجال الشرطة وبدأوا يضربون الحضور حتى أخرجوهم من المخيم وهكذا انتهى المؤتمر قبل بدئه فكانت النتيجة شهادة اثنين من اعضاء الجماعة كما جرحوا اكثر من خمسمائة من اعضاء ومؤيدي الجماعة الاسلامية(٣) .

---

(١) انظر مجلة "آئين" الاسبوعية (لاهور) ٢٩/٨/١٩٦٩م .
(٢) المرجع السابق عدد ٣٠/٩/١٩٦٩م .
(٣) انظر مجلة آئين الاسبوعية عدد ٢٩/٨/١٩٦٩م .

وعلق الاستاذ المودودى على ذلك الحادث فى خطابه فى داكـــا فى اليوم الثانى قائلا : " اذا كانت الأمور تسير على هذا المنوال فان هؤلاء المتطرفين اذا نجحوا لن يعطوا من اجل وحدة باكستان وسلامتها بــل من اجل تفتيتها وتجزئتها "(١) وذلك ما أثبتته الأيام فيما بعد .

— يوم شوكة الاسلام :

اعلن احد قادة اليساريين السيد /بهاشانى انه سيبدأ الحركـــة المباشرة للنظام الشيوعى فى اول يونيو عام ١٩٧٠م فدعا الاستاذ المودودى الشعب لاقامة يوم " شوكة الاسلام " فى ٣١ من مايو عام ١٩٧٠م اى بيوم واحـــد قبل موعد بهاشانى وكان هدف تلك المسيرات الكبرى ابراز القوة الشعبيـــة لمقاومة الشيوعية والمطالبة بتطبيق النظام الاسلامى . وقدر اللـــــه أن وافقت اكثر الاحزاب السياسية على اقامة ذلك اليوم وفى ٣١ مايو عام ١٩٧٠ خرج الالاف من الناس الى شوارع المدن بباكستان الغربية وباكستان الشرقية فى مسيرات ضخمة يهتفون " مرحبا مرحبا ،مصطفى مصطفى " و " لا شرقيـــة ولا غربية اسلامية اسلامية " ويحملون لافتات " لا اله الا الله محمد رسول الله " و " جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا " وفى مدينة لاهـــور كان الاستاذ المودودى يقود تلك المسيرة بنفسه ومعه بعض القادة ويقـــال انها كانت اكبر مسيرة فى تاريخ لاهور فقال الاستاذ فى نهاية تلك المسيـــرة " أهنئكم على مسيرتكم التى لم تر باكستان مثلها والتى اثبتت للعالم أن شعـــب باكستان المسلم لا يقبل غير نظرية الاسلام ولا صيحة ولا صوت يعلو فى باكستـــان غير صيحة لا اله الا الله "(٢) .

---

(١) مجلة ايشيا الاسبوعية (لاهور) عدد ١/٢/١٩٧٠م .

(٢) مجلة "ائيين" الاسبوعية فى ٦/٦/١٩٧٠م .

وجدير بالذكر انه لم يكن هناك اى حريق اواطلاق نار او ارتكاب عنف فى تلك المسيرات الكبرى . وهكذا قدر الله أن تفشل دعوة السيد / بهاشانى لاقامة المسيرة فى تأييد الشيوعية فى اول يونيو عام ١٩٧٠ الميلادى .

ـ الاستاذ يحذر الشعب من خطورة التحدى :

وكان موعد الانتخابات للبرلمان المركزى فى ٧ من ديسمبر عام ١٩٧٠م فبدأت الاحزاب السياسية حملاتها الانتخابية ولكن حالة الاستاذ الصحية لم تسمح له ان يخوض تلك المعركة ويحضر ويخطب فى المؤتمرات الجماهيرية فى انحاء البلاد . ولكنه مع ذلك قام بجولات فى المدن الكبرى فى باكستان الغربية والقى خطابات فى المؤتمرات الجماهيرية وبين للناس بكل الصراحة ان الاسلام والقومية الاسلامية هما اساسان اصليان لباكستان ، واذا نجح الشيوعيون او الذين يدعون الى القوميات الجاهلية كالقومية البنغالية او القومية البلوخية او القومية السندية لن تكون نتيجتها الا تقطيع البلاد (١) . ومع الاسف ان نفس النتيجة ظهرت فيما بعد لعدم عنايتهم بنصيحة الاستاذ المودودى .

ـ لو اتحدت الاحزاب الاسلامية والجماعات الدينية :

وكان من سوء حظ مسلمى باكستان ان الاحزاب السياسية والجماعات الدينية التى قد اتحدت ضد النظام الدكتاتورى الايوبى وتمكنت من انقاذ البلاد منه والجماعات الدينية والسياسية التى قد اتحدت لاقامة يوم شوكة الاسلام وتمكنت من الاثبات أن الشعب المسلم الباكستانى لا يقبل غير نظرية الاسلام بدأت فيها الخلافات المذهبية والسياسية ولم تتمكن من الاتحاد فى

---

(١) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ـ سيد ابوالاعلى المودودى ص ٤١٠ـ ٤١١

مرحلة الانتخابات وذلك لان قادة تلك الاحزاب لم يتمكنوا من ادراك خطورة التحدى الذى كان فى المرصاد هذا من ناحية ومن ناحية أخرى وقع بعض القادة فريسة لمؤامرة الشيوعيين والقوميين والقاديانيين الذين كانوا يخافون عن مصيرهم لو اتحد الاسلاميون فخططوا المخططات والمؤامرات لاشعال نار الخلافات المذهبية والسياسية بين الجماعات الدينية والسياسية . ومع الاسف تمكنوا من تحقيق هدفهم الشنيع . وفى الوقت الذى قد اتحد الشيوعيون والعلمانيون والقوميون والمتفرنجون والقاديانيون رغم خلافاتهم العديدة لم تتمكن الجماعات الدينية والاحزاب الاسلامية من تكوين الاتحاد او الانضمام تحت راية واحدة تشطهم جميعا فكانت نتيجة ذلك ان نجح حزب الشعب للسيد / ذو الفقار على بوتو فى باكستان الغربية مع ان عدد الاصوات التى حصل عليها هذا الحزب لم يتجاوز ٣٧ ٪ ونجح حزب موءتمر الشعب للشيخ مجيب الرحمن فى باكستان الشرقية مع ان عدد الاصوات التى حصل عليها هذا الحزب ايضا لم يتجاوز عدد الاصوات التى حصل عليها الاسلاميون . ونتيجة لتركيز الاحزاب السياسية الشيوعية واللادينية والقاديانيين والعلمانيين والعلماء الرسميين والفرق المذهبية المتعصبة لمخالفة الجماعة الاسلامية لم تتمكن الجماعة الا من الحصول على ٤ مقاعد فى البرلمان فحسب (١) .

ـ حادث انفصال باكستان الشرقية :

فلاشك ان تلك النتائج كانت مؤلمة جدا ولكن الذى كان اكثر ألما من ذلك هو حادث انفصال باكستان الشرقية عن باكستان الغربية فى ديسمبر عام ١٩٧١ م (٢) وذلك نتيجة لمؤامرة الاستعمار الروسى والاستعمار الهندوسى

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٤١٢ .

(٢) انظر الشودرى عبد الرحمن عبد ، سيد ابوالاعلى مودودى ص: ٤١٢ .

بالاتفاق مع القوميين والشيوعيين الذين نجحوا فى تلك الانتخابات. وكما ذكرنا آنفا قد تنبأ الاستاذ المودودى عن ذلك الحادث فى خطاباته ومحاضراته خلال حملته الانتخابية ، ولكن كان من سوء حظنا ان الاحزاب السياسية والجماعات الدينية الاخرى لم تمتن بذلك وفشلت فى الانتخابات ونجح القوميون والشيوعيون فحدث هذا الحادث المؤلم .

ـ استمرار على الدعوة :

ولكن مع ذلك الحادث المؤلم لم يزل الاستاذ المودودى يقود الحركة الاسلامية بالصمود والاستمرار فحينما اجريت الانتخابات لجمعيات الاتحادات الطلابية فى الجامعات بعد بضعة شهور نجحت فيها جمعية الطلبة الاسلامية نجاحا بارزا .

ـ اكمال التفسير (تفهيم القرآن) :

وفى ٢٤ من ربيع الثانى عام ١٣٩٢ هـ الموافق ٧ يونيو عام ١٩٧٢م تمكن الاستاذ المودودى من اكمال تفسيره (تفهيم القرآن) وذلك بعد أن استمر الاستاذ فى تاليفه ثلاثين عاما وأربعة أشهر(١) .

ـ المرض والتنحى عن الامارة :

وفى ٤ نوفمبر عام ١٩٧٢م اضطر الاستاذ المودودى ان يتنحى عن امارة الجماعة الاسلاميةوذلك نتيجة لشدة مرضه من ناحية ولتمنيته لاكمال كتابه فى السيرة النبوية من ناحية اخرى وهكذا بعد ما تحمل الاستاذ المودودى مسئولية امارة الجماعة الاسلامية لاكثر من ثلاثين سنة ، اختير

---

(١) انظر الاستاذ المودودى ـ خاتمة تفهيم القرآن .

الاستاذ طفيل محمد أميرا للجماعة الاسلامية ولكنه لم يزل مركزا حقيقيا للحركة الاسلامية ، حتى ان توفى الى رحمة ربه عام ۱۹۷۹م .

ـ حصول الاستاذ المودودي على جائزة الملك فيصل العالمية الاولى لخدمة الاسلام :

وجدير بالذكر أن جهاد الاستاذ المودودى فى مجال الدعوة وخدمة الاسلام لم يكن أثره مقصورا على شبه القارة الباكهندية فحسب بل قد توسعت دائرته فلله الحمد الى البلاد الاسلامية كلها وكان تقديرا لجهاده الطويل فى سبيل الدعوة وخدمة الاسلام ان قررت هيئة جائزة الملك فيصل العالمية ان تمنحه جائزة الملك فيصل العالمية الاولى لخدمة الاسلام والمسلمين (۱) وذلك فى ضوء الترشيحات من قبل الحركات الاسلامية العالمية .

ـ الجائزة لخدمة الاسلام وقفت لخدمة الاسلام :

ويجدر بنا ان نشير هنا الى أن هذه الجائزة عبارة عن مائتى ألف ريال سعودي وميدالية ذهبية ، قرر الاستاذ ان يمنحها لمجمع المعارف الاسلامية بمنصورة (لاهور) لتصرف فى مشاريعه الاسلامية وقال " ان الجائزة التى اعطيت لى لاجل خدماتى للاسلام لا ينبغى صرفها الا لخدمة الاسلام" (۲)

ـ المرض والوفاة :

وبعد ما اشتد المرض قرر الاستاذ المودودى أن يسافر لعلاجه الى امريكا حيث كان ابنه الدكتور احمد فاروق المودودى طبيبا فى مدينة (بفالو) وذلك فى مايو عام ۱۹۷۹م (۳) ومكث هناك لعلاجه الى ۲۲ سبتمبر

---

(۱) انظر قرار هيئة جائزة الملك فيصل العالمية الصادرة فى ۲ ربيع الثانى عام ۱۳۹۹هـ .

(۲) انظر الاستاذ خليل احمد الحامدى ـ مجمع المعارف الاسلامية ص ۷ .

(۳) انظر مجلة " اتشفشان " الاسبوعية بلاهور عدد خاص فى ذكرى الاستاذ المودودى لشهر نوفمبر ۱۹۷۹م ص ٤٥ .

عام ١٩٧٩م حيث توفى الى رحمة الله (١) .

ثم انتقلت جثة الاستاذ المودودى من امريكا الى باكستان فى طائرة محجوزة خاصة ودفنت هناك فى فناء بيته بحى الاجهرة بمدينة (لاهور) فى ٢٦ سبتمبر عام ١٩٧٩م (٢) .

وجدير بالذكر أن كان من أثر دعوته فى العالم الاسلامى أن اهتم المسلمون فى كل انحاء العالم الاسلامى ان يصلوا عليه غائبا ، وفى المملكة العربية السعودية صدرت موافقة سامية لاهتمام الصلاة عليه غائبا فى الحرمين الشريفين وفى سائر المساجد فى المملكة ، وهكذا فى بعض البلاد العربية والاسلامية الأخرى .

...

---

(١) انظر جريدة " الجسارت " اليومية بكراتشي عدد خاص فى ذكرى الاستاذ المودودى ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

الفصل الثالث

دعوة الأستاذ أبي الأعلى المودودي

المبحث الأول	أصول دعوة الأستاذ المودودي
المبحث الثاني	خصائص دعوة الأستاذ المودودي
المبحث الثالث	منهج دعوة الأستاذ المودودي
المبحث الرابع	مراحل دعوة الأستاذ المودودي

١ ـ دعوتنا للبشر كافة وللمسلمين خاصة، أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً ولا يتخذوا إلهاً ولا رباً غيره.

٢ ـ ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالإسلام دينا أن يخلصوا دينهم لله، ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض.

٣ ـ ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يحدثوا انقلاباً عاماً في أصول الحكم الحاضر الذي استبدّ به الطواغيت والفجرة الذين ملأوا الأرض فساداً، وأن ينتزعوا هذه الإمامة الفكرية والعملية من أيديهم، حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله وباليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.

الأستاذ أبو الأعلى المودودي

"تذكرة دعاة الإسلام" صفحة ٥

المبحث الأول :

أصول دعوة الاستاذ المودودى

الدعوة التى قام بها الاستاذ المودودى هى نفس الدعوة الجليلة التى جاء بها رسل الله عليهم السلام من ابى الانبياء آدم (عليه السلام) الى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) واذا قلنا بانه قام باحيائها فحسب لكان صحيحا ، ومن المعلوم ان غاية هذه الدعوة هى اقامة دين الله كاملا فى جميع نواحى الحياة الفردية والاجتماعية وكذلك كانت اصول هذه الدعوة هى نفس الاصول التى قامت بها الدعوة الاسلامية لاول مرة وهى باجمال كالاتى :

١ ـ الايمان بالتوحيد ٢ ـ الايمان بالرسالة

٣ ـ التزكية عن النفاق والتناقض ٤ ـ اقامة الامامة الصالحة .

وتفصيل هذه الامور فيما يلى :

١ ـ الأصل الأول : الايمان بالتوحيد :

والايمان بالتوحيد هو الاصل الاول لهذه الدعوة ومن مقتضياته الاولى بان لا يعتقد الانسان فيما دون الله ربا ولا معبودا ويخلص " العبودية " بكل انواعها لله تعالى فحسب وهذه كانت الغاية التى جاء رسل الله من سيدنا آدم عليه السلام الى خاتمهم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) لتحقيقها فلذلك حينما قرر الاستاذ المودودى ان يقوم باحياء الدعوة الاسلامية كان لابد من أن يجعلها الاصل الاول لدعوته فيقول : " دعوتنا للبشر كافة وللمسلمين خاصة ان يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذوا الها غيره "(١).

والمراد من العبودية هو ان يخص الانسان عبادته ودعوته بكل أنواعها لله تعالى فحسب وذلك فى كل ناحية من نواحى الحياة حيث لا يخرج من دائرة

---

(١) ابوالاعلى المودودى ـ تذكرة دعاة الاسلام ـ ص ٩ .

طاعته ولو جزء قليل من حياته الفردية والاجتماعية ، هذا هو التصور الصحيح للعبودية الذى جاء به الاسلام . واما تصور العبودية الذى يخصها بناحية من نواحى الحياة الفردية او الجماعية ويترك الحياة الباقية خارجة من دائرتهما فهذا ليس التصور الصحيح للعبودية بل فى الحقيقة هذا التصور للعبودية مسخ فكرة الدين الاسلامى ، ولا يمكن القيام بالدعوة الاسلامية الا بالقضاء التام على ذلك التصور للعبودية فلذلك ينتقد الاستاذ المودودى هذا التصور الناقص كما يلى : " والذى نراه ونجزم به ونعتقده وندعوا الناس اليه أن العبودية التى دعت اليها رسل الله الكرام من آدم عليه السلام الى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) المراد بها ان يقرر العبد ويعتقد انه مامن اله الا الله الفرد الصمد الحاكم بين عباده السيد المطاع فى بريته المشرع للدستور والقوانين والمالك لا مورهم المتصرف فى شئونهم ، المجازى على اعمالهم وان يسلم نفسه لذلك الله العزيز المقتدر ، ويخلص دينه له ويذعن لعبوديته فى كل شأن من شئون حياته الفردية منها والجماعية الخلقية منها والسياسية الاقتصادية منها والاجتماعية ، وبهذا المعنى ورد قوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) (١) الذى يأمر فيه عباده أن يدخلوا فى دين الله بمجموع حياتهم (٢) .

ولان الدعوة الى العبودية الكاملة هى الغاية الاصلية فقد اتخذت الجماعة الاسلامية كلمة شهادة " لا اله الا الله محمد رسول الله " عقيدة لها (٣) ،

---

(١) سورة البقرة : الاية ٢٠٨ .

(٢) الاستاذ المودودى ــ تذكرة دعاة الاسلام ص ١٢ .

(٣) دستور الجماعة الاسلامية بباكستان ــ المادة الثالثة .

فيتطلب الجزء الاول من هذه العقيدة :

١ ـ " أن لا يعتقد الانسان فيما دون الله وليا له ووكيلا وقاضيا لحاجاته وكاشفا لمشكلاته ومجيبا لدعواته فغير الله لا يملك بتاتا سلطة من السلطات المطلقة .

٢ ـ أن لا يعتقد في غير الله أنه ينفعه او يضره ، وان لا يتقي احدا غيره ، ولا يخاف الا اياه ولا يطمع الا منه ولا يتوكل الا عليه ، فالله وحده مصدر جميع السلطات .

٣ ـ أن لا يدعو الا الله ولا يتعوذ الا منه ولا يستعين الا به ولا يعتقد في غيره ان له ضلعا ونفوذا في التدابير الالهية أو أن شفاعته تبدل قضاء الله وقدره . فالجميع في مملكة الله سواء من الملائكة او الانبياء او الاولياء ليسوا الا رعية التي لا تملك شيئا الا باذنه .

٤ ـ أن لا يطأطئ راسه امام غير الله ولا يعبد الا اياه ولا ينذر الا له ، ولا يتعامل مع احد غير الله ماكان يتعامله المشركون مع آلهتهم . فالله هو وحده يستحق ان يؤدى له كل أنواع العبادة .

٥ ـ أن لا يسلم غير الله بانه ملك ، أو مالك الملك ، اومصدر السلطة العليا ولا يعترف لاحد غير الله بحقه في الامر والنهي بناء على سلطته الذاتية وكذلك لا يؤمن بغير الله شارعا ومقننا مستقلا بذاته ويرفض كل طاعة لا تتبع طاعة الله ولا تلتزم باحكام الله ، فالله وحده هو مالك حقيقي لملكه وخالق حقيقي لمخلوقه وليس لغيره أبدا حق الملكية والحاكمية بصفة مطلقة .

ـ ويستوجب بعد قبول هذه العقيدة :

١ ـ أن يتنازل الانسان عن حريته وسيادته وان يتخلى عن اتباع اهوائه وان يكون عبدا منقادا مخلصا لله الذى آمن به الها دون منازع.

٢ ـ أن لا يزعم لنفسه مالكا حقيقيا لاى شىء بل يؤمن بأن كل ماعنده من الاشياء حتى نفسه وجوارحه ومواهبه الذهنية وقواه الجسدية ملك لله عزوجل ووديعة له عنده .

٣ ـ ان يعتبر نفسه مسئولا امام الله ومحاسبا عنده ولا يغيبن عن باله ، ولا للحظة من البصر حين استخدامه قواه ومواهبه وعند سائر تصرفاته ومعاملاته انه سوف يحاسب على كل شىء من ذلك .

٤ ـ وان يجعل رضى الله مقياس مايحبه وسخط الله مقياس لما لا يحبه .

٥ ـ وان يجعل ابتغاء مرضات الله والتقرب اليه غاية جهوده ومناط حياته

٦ ـ وان يتخذ هدى الله هو الهدى فى اخلاقه ومعاملاته وحياته الاجتماعية والمدنية والاقتصادية والسياسية حتى فى كل امر من امور الدنيا ، وأن يرفض كل طريق او ضابطة يخالف شريعة الله (١) .

ـ الأصل الثانى : الايمان بالرسالة :

الايمان بالرسالة هو الاصل الثانى لهذه الدعوة الجليلة فيقول الاستاذ المودودى : " والرسالة هى العقيدة الثانية فى الاسلام بعد التوحيد فكما أن التوحيد هو أصل الدين من ناحية الاعتقاد وكذلك ان الرسالة هى أصله من ناحية الاتباع " (٢) ، ويقول الاستاذ عن مقتضيات هذه العقيدة

---

(١) دستور الجماعة الاسلامية بباكستان ـ المادة الثالثة

(٢) الأستاذ المودودى ـ الحضارة الاسلامية ، أسسها ومبادئها ص ١٦٧ .

ومتطلباتها : " ومن النتيجة المحتومة لعقيدة الرسالة ان يتبع الانسان ذلك الطريق الذى سلكه انبياء الله ورسله لا فى العقائد والعبادات فحسب ولكن فى كل شأن من شئون الحياة العملية ، لان نور العلم والبصيرة الذى قد أنعمه الله عليهم كانوا يعرفون به الفرق بين الطرق الصحيحة والباطلة على وجه اليقين ولاجله ماكانوا يتركون شيئا او يتبعونه او يامرون به او ينهون عنه الا من عند الله "(١) .

ولهذه الاهمية البالغة تعتبر عقيدة الرسالة الاصل الثانى للدعوة الاسلامية فيقول دستور الجماعة عن مقتضيات هذه العقيدة ومتطلباتها :
" والمراد من الجزء الثانى من هذه العقيدة ان محمد رسول الله أى أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) هو آخر الانبياء وبواسطته ارسل الله رب العالمين ومالك هذا الكون الهداية الحقيقية والاحكام المعتمدة الى الناس كافة وأمره (صلى الله عليه وسلم) ان يكون بتطبيق هذه الهداية والاحكام المعتمدة فى حياته العملية مثالا يحتذى وقدوة يقتدى بها .

ومن مستلزمات الايمان بهذا الجزء من العقيدة :

١ ـ ان يقبل الانسان بدون تلكؤ كل ماثبت عن محمد (صلى الله عليه وسلم) من تعليم أو هدى .

٢ ـ وأن يكون له الكفاية بصدد الاخذ بشىء أو الكف عنه فى ان ذلك الامر مما أمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) او نهى عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا تستند طاعته على أى دليل آخر سواه .

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٥ .

٣ ـ وأن لا يقبل احدا سوى الرسول (صلى الله عليه وسلم) هاديا ومرشدا مستقلا بالذات ولا تكون طاعته لاحد غيره الا تابعة لكتاب الله وسنة رسوله ولا منفصلة عنهما .

٤ ـ وان يتخذ كتاب الله وسنة رسوله مصدرين للاحتجاج والاستناد في كل شأن من شئون الحياة وكل رأى اوعقيدة او طريق يوافق الكتاب والسنة يأخذ به رأى او عقيدة اوطريق يخالفهما يرفضه ويجب أن يرجع اليهما في كل معضلة تتطلب الحل .

٥ ـ وان ينزع من قلبه كل نوع من العصبيات سواء أكانت شخصية او عائلية أو قبلية أو عنصرية أو قومية أو وطنية ولا يشغف بأحد حبا او تقديرا يفوق حب وتقدير الحق الذى جاء به النبى (صلى الله عليه وسلم) أو يدانيه .

٦ ـ وان لا يتخذ بشرا سوى الرسول صلى الله عليه وسلم مقياسا للحق وكذلك لا يرى احدا يفوق الانتقاد والسؤال عما يفعل وان لا يقع فى العبودية الفكرية لاحد من الاشخاص سواه (صلى الله عليه وسلم) بل يضع كل شخص على ذلك المقياس الكامل الذى وضعه الله سبحانه وتعالى ويضع كل شخص فى نفس المكانة التى هى له بموجب ذلك المقياس .

٧ ـ وان لا يقبل لاحد جاء بعد النبى صلى الله عليه وسلم مقاما يكون الاقرار به او انكاره حاسما لكون المرء مؤمنا او كافرا (١) .

---

(١) دستور الجماعة الإسلامية بباكستان ـ البند الثالث .

والحقيقة بان الايمان بالرسول (صلى الله عليه وسلم) واطاعته واتباعه هو طريق وحيد للوصول الى مرضات الله لانه لا يمكن التعرف على احكامه الا عن طريقه صلى الله عليه وسلم ولا تعتبر اية طاعة طاعة الله الا ان تكون عن هذا الطريق . وهذا مايتبين من تفسير الاستاذ المودودى لقوله سبحانه وتعالى :" يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا "(١) .

يقول الاستاذ المودودى " والاصل الثانى فى الاسلام هو اطاعة الرسول وهى ليست اطاعة مستقلة بل فى الحقيقة هذه هى طريقة وحيدة للوصول الى طاعة الله ، والرسول مطاع لانه واسطة وحيدة التى تصل الينا منها التعليمات من الله ، فالطريق الوحيد الذى يمكننا ان نطيع به الله هو اطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا تعتبر اية اطاعة ، اطاعة لله الا أن تكون عن هذا الطريق وكذلك معصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) هى فى الحقيقة معصية الله وهذا مايتضح من قوله (صلى الله عليه وسلم) " من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله "(٢) ، وهذا مايتبين من القرآن الكريم .(٣)

والمراد من اطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما يفهمه الاستاذ المودودى رحمه الله " ليس اطاعته (صلى الله عليه وسلم) فى دائرة معينة من دوائر الحياة الفردية أو الاجتماعية كما يفهم بعض الناس ، بل المراد الحقيقى منه هو اطاعته فى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ولا يجوز للمسلم الحقيقى كان فرداً أو جماعة اوكيان ممثلا فى الادارة اوالمحكمة اوحتى

---

(١) سورة النساء الاية ٥٩ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الامارة - باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية الله وتحريمها فى المعصية .

(٣) تفهيم القرآن ج١ ص ٣٦٣ .

لو كان عضو مجلس النواب او رئيس الدولة بأنه يستخدم رأيه الحر فى تدبير شئون الحياة الفردية والاجتماعية بدون الاعتناء بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ولا يمكن لذى عقل ان يجمع بين الاسلام وبين الاستقلال الكامل عن اطاعة الله واطاعة الرسول ، بل فى الحقيقة هذا هو الفرق الحقيقى بين المسلم الحقيقى وبين الكافر والمنافق . فيقول الاستاذ فى تفسيره لقوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم) (1) .

" ومن مقتضيات الايمان الأساسية ومتطلباته بأن الذى يؤمن بالله ربا وبمحمد رسولا وهاديا لا يمكن له اذا كان صادقا فى ايمانه أن يقدم رأيه على مرضاة الله ورسوله ، أو أن يحكم فى المعاملات بدون أن يرجع الى الله ورسوله" ثم يقول مستمرا فى تفسيره : " وجدير بالذكر ان هذا الحكم لا ينحصر على الامور التى تتعلق بالحياة الفردية فحسب بل يكون اطلاقه على الامور التى تتعلق بالحياة الاجتماعية أيضا ، ولذلك هذا الحكم يعتبر اصل الاصول فى التشريع الاسلامى ولا يجوز لحكومة المسلمين ولا لمحكمتهم ولا لمجلس نوابهم ان يكونوا أحرارا فى تدبير امورهم بدون الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم " . ثم يذكر حديث معاذ بن جبل المشهور (2) ويقول : والحقيقة بأن تقديم كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) على الاراء الشخصية هو الفرق الحقيقى بين حكام المسلمين وقضاتهم وبين غير المسلمين من الحكام والقضاة وهذا أمر متفق عليه فى التشريع بأن المصدر الأساسى للقانون الاسلامى هو كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ولا قياس ولا اجتهاد ولا اجماع يقبل خلاف ذلك " (3) .

---

(1) سورة الحجرات الاية ١ .

(2) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الى اليمن فقال كيف تصنع ان عرض لك قضاء قال أقضى بما فى كتاب الله قال فان لم يكن فى كتاب الله قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم يكن فى سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال اجتهد رأيى قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ثم قال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم (مسند الامام احمد : مرويات معاذ بن جبل رضى الله عنه)

(3) تفهيم القرآن ج ٥ ص : ٧٠ .

فيثبت كما قلنا بأنه لا يمكن لاى فرد أو قوم بأنه ينتسب الى الاسلام ، ومع ذلك يختار طريقا للحياة بدون أى لحتفاء الى ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) من عند الله ، ومن يرغب ان يعيش مسلما حقيقيا فعليه ان يجعل هواه تبعا لما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) والذى لا يقدر ذلك فهو ليس مسلما مهما يدعى بانه مسلما بل هو فى الحقيقة منافق .

فيتحقق من كل ذلك بان الايمان بالتوحيد والرسالة والعمل بمتطلباته هو أصل الاصول فى الدين ، فهذا هو كان السبب بان الاستاذ المودودى جعله حجر الزاوية لدعوته واتخذ الكلمة الشهادة عقيدة لجماعته " الجماعة الاسلامية " .

ـ الاصل الثالث : التزكية عن النفاق والتناقض:

من المعلوم بان النفاق هو عدم الاخلاص فى الايمان ، اى دعوى الايمان بدين أو بنظام مع علاقة الاخلاص أو الرضا بنظام آخر ، وهو عدم مطابقة العمل مع القول اى يكون عمل الانسان مناقضا بما يدعيه ، فلذلك من الواضح بانه لا يمكن للانسان أن يعمل بمتطلبات الايمان بالتوحيد والرسالة ، الا اذا تخلى ايمانه عن النفاق وعمله من التناقض فلذلك لا يمكن القيام بواجب الدعوة الا بعد أن تخلو من كليهما . فلذلك جعل الاستاذ المودودى " التزكية عنهما اصلا ثالثا لدعوته كما يقول :" ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالاسلام دينا ان يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض " ويجدر بنا أن نذكر هنا ماهو المراد من كلمتى " النفاق " و " التناقض " عند الاستاذ المودودى حيث يجعل التزكية عنهما احدى النقاط الاساسية لدعوته فاما " النفاق " فهو ان يدعى الرجل الايمان بنظام خاص ويتظاهر بالانتساب اليه والتمسك بأذياله ثم يعيش راضيا مطمئنا فى نظام للحياة مناقض للنظام الذى يؤمن به ولا يجتهد لقلب ذلك

النظام المعارض لعقيدته واستبدال النظام الصالح به ، بل ربما يبذل جهوده ويستنفد قواه ومساعيه فى توطيد دعائم ذلك النظام الفاسد الجائر أو اقامة نظام باطل آخر يسد مسد ذلك النظام الجائر الذى يعيش فى كنفه هادئا مغتبطا فمثل هذا الطراز من الناس كمثل المنافق (١) ".

وأما "التناقض" فهو "أن يكون عمل الرجل مناقضا لما يدعيه بلسانه ويظهره فى أقواله ، كما انه من التناقض فى صميمه ان تختلف اعمال المرء باختلاف شئون الحياة ويناقض بعضها بعضا فليس من الاسلام فى شئ أن يتبع الرجل أوامر الله ويتمسك باهداب الشريعة فى ناحية من نواحى حياته ويعصى أمر الله ويتعدى حدوده فى شعبها الاخرى (٢) .

فالحقيقة اذا فكرنا فى مقتضيات هذا التفسير لكلمتى " النفاق " و " التناقض " وجدناهما السببان الاصليان لجميع أمراض المسلمين ، الخلقية والاجتماعية كما انهما السببان الحقيقيان لانتشار الافكار الباطلة والحركات الهدامة كمثل الشيوعية والاشتراكية والعلمانية والقومية الوطنية بينهم وهكذا هذان هما سببان بان المسلمين مع ايمانهم بالله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ومع مداواتهم على الصلاة والصيام والزكوة حينما يدخلون فى معركة الحياة العملية ويبحثون عن الحلول لمشاكلهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لا يمنعهم أى مانع عن قبول الحلول المستوردة اللادينية كالشيوعية والاشتراكية والعلمانية والديمقراطية الراسمالية وما الى ذلك مع كونها مناقضة بالاسلام ، فلهذا لابد لمن يقوم بواجب الدعوة الاسلامية أن يدعو التزكية الكاملة عن كليهما

---

(١) ابوالاعلى المودودى ـ تذكرة دعاة المسلمين ص ١٣ـ١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

والا لا يمكن له ان يسير على طريق الدعوة ولو خطوة واحدة ، فكان لهذا أن جعل الاستاذ التزكية عنهما الاصل الثالث للدعوة .

٤ ـ الأصل الرابع : اقامة الامامة الصالحة :

واقامة الامامة الصالحة هى الاصل الرابع لهذه الدعوة فيقول دستور الجماعة " ان غاية الجماعة الاسلامية ومناط جميع جهودها هو : اقامة دين الله (أو اقامة الحكومة الالهية او اقامة النظام الاسلامى) واقعا وكسب مرضاة الله والنجاة فى الاخرة اصلا (١) .

وهذا الهدف الجليل لا يتحقق الا باستبدال امامة الطواغيت والفجرة بامامة المؤمنين الصالحين ، فلذلك قرر الاستاذ المودودى أن يجعله الاصل الرابع لدعوته . كما يقول :" ودعوتنا لجميع اهل الارض أن يحدثوا انقلابا عاما فى اصول الحكم الحاضر الذى استبد به الطواغيت والفجرة الذين ملأوا الارض فسادا . وان تنتزع هذه الامامة الفكرية والعملية من ايديهم حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الاخر ويدينون دين الحق ولا يريدون فى الارض علوا ولا فسادا (٢) .

والحقيقة بان العمل بمقتضيات الايمان بالتوحيد والرسالة والتزكية عن النفاق والتناقض لا يمكن كما يفهم الاستاذ المودودى " الا باحداث انقلاب عام فى نظام الحياة الحاضر الذى يدور قطبه حول رحى الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان والذى يديره ويدبر امره ويسير دفة شئونه رجال انحرفوا عن الله ورسوله واستنكفوا عن عبادته واستكبروا فى ارضه بغير الحق فمادامت أزمة أمور العالم بأيدى هوءلاء وما دامت العلوم والآداب والمعارف والصحف

---

(١) دستور الجماعة الاسلامية بباكستان ـ المادة الرابعة .

(٢) الاستاذ المودودى ـ تذكرة دعاة الاسلام ص ٢٠ .

والتشريع والتنفيذ والشئون الدولية والمالية والمسائل التجارية والصناعية تتحرك دواليبها بحركاتهم وتتمشى عجلاتها حسب ارشادهم ورغباتهم لا يمكن للمسلم ان يعيش فى الدنيا مسلما ، متمسكا بمبادئه ، متبعا الشريعة الا منفذا لقوانينها فى حياته العملية "(١) ويقول مستمرا فى حديثه " وكذلك ثبت لنا باليقين والبرهان والمشاهدة انه لا أمل فى صلاح العالم ولا رجاء فى استقامة الامور على موازين الرشاد والحق مادام اولئك الطغاة المنحرفون عن الله ورسوله يتصرفون فى شئون الملك ويدبرون اموره ويتصرفون على جليلها وصغيرها "(٢) .

فيتبين من هذا ان النظام الاسلامى لا يمكن اقامته الا اذا كانت الحكومة فى ايدى المؤمنين الصالحين . وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه الا بالقضاء التام على حكومة الفجرة والطواغيت واستبدال امامتهم الفاسدة بالامامة الصالحة وهذا مايجعل اقامة الامامة الصالحة اساسا من أسس الدعوة الاسلامية . وهذا مايتبين من كثير من الايات القرانية ومنها قوله سبحانه (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)(٣) وقوله سبحانه (ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم)(٤) وهذا مايدل عليه اسوة النبى صلى الله عليه وسلم خلال حياته المدنية .

---

(١) الاستاذ المودودى ــ تذكرة دعاة الاسلام ص ٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣) التوبة - ٣٣ .

(٤) يوسف - ٤٠ .

المبحث الثاني :

خصائص دعوة الاستاذ المودودي ومزاياها

تتميز دعوة الاستاذ المودودى بالمزايا الخاصة نشير الى بعضها فى السطور التالية :

١ ــ الدعوة العالمية :

وأولى هذه المزايا واهمها ان دعوة الاستاذ المودودى ، وان نشأت فى شبه القارة الباكهندية فانها لم تكن دائرتها مقصورة على حدود البلاد المعينة او الملة المعينة بل كانت دعوته موجهة الى كل شخص من النوع الانسانى فى كل مكان وفى كل زمان ، لان الاسلام هو دين عالمى والدعوة الاسلامية دعوة عالمية فلابد للداعية ان يقدم دعوته الى كل شخص مسلما كان او كافرا شرقيا او غربيا ويقول الاستاذ المودودى " لان دعوتنا هى دعوة اسلامية فلذا لكون الاسلام دين عالمى هى دعوة عالمية فلذلك دائرة هذه الدعوة هى ليست محدودة الى ملة معينة ومشاكلها او بلاد معينة ومسائلها بل هى موجهة الى كل انسان ومسائل النوع الانسانى كلها هى مسائلنا ، ونحن نقدم حلها من الكتاب والسنة وهو حل فيه سعادة كل واحد منا فلذلك اذا قبلها المسلمون نامل ان يقبلها " السعداء " من غير المسلمين ايضا ".(١)

٢ ــ اقامة الدين بكامله :

والثانية من هذه المزايا الاهتمام باقامة الدين بكامله فى حين أن الحركات المعاصرة الأخرى كانت تتسع دائرة كل واحدة منها الى جزء أو على الاكثر الى بعض اجزاء الدين وهكذا لان الدين تتسع دائرته الى كل

---

(١) تقرير عن الجماعة الاسلامية (الجزء الاول) ص ٨ .

ناحية من نواحى الحياة الانسانية فتهتم دعوة الاستاذ المودودى بكل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ، وهذا هو فرق اساسى بين دعوة الاستاذ المودودى وبين الدعوات المعاصرة الاخرى كما يقول الاستاذ : "ان غايةهذه الحركات الاخرى هى اقامة جزء معين من اجزاء الدين اوتحقيق هدف من اهداف الدنيوية ولكن نحن نقوم بالدين الاسلامى بكامله وغايـة دعوتنا فى ذلك هى اقامة الاسلام بكامله "(١) .

٣ـ القضاء على اسطورة فصل الدين عن الدولة :

وثالثة هذه المزايا أن الجماعات والحركات الاخرى اذا كانت " الدينية مثلا " فلاتهمها الامور التى تتعلق بالنواحى الاخرى من الحياة الاجتماعية كمثل الناحية السياسيةوالناحية الاقتصادية وغيرها من نواحى الحياة الاجتماعية بل يقال بان هذه النواحى الاخرى من الحياة تتعلق بأهل الدنيا ولا يجدر بنا ان نلوث فيها وهكذا اذا كانت تلك الحركات السياسية اوالاجتماعية فلا تهمها الناحية الدينية من الحياة ويقال بان هذه الناحية من الحياة تتعلق بالعلماء والمشايخ فحسب ولا يجدر بنا ان ندخل فيها قط ، هكذا لا يجوز للعلماء والمشائخ بان يدخلوا فى حظيرتنا ويتكلموا عن السياسة والحكومة هم فى واد ونحن فى واد اخر . والمعلوم بان هذا الفكر الخاطىء نتج من اسطورة فصل الدين عن الدولة التى جاءت بها الحضارة الاستعمارية الغربية ولكن الجماعة الاسلامية بكونها حركة اسلامية تستهدف انقلابا كاملا فى جميع دوائر الحياة الاجتماعية فاهتمت بالقضاء على هذه الاسطورة ، فيقول الاستاذ المودودى" هذه الجماعة ليست جماعة سياسية او جماعة دينية او جماعة اصلاحية بمفهومها العام ، بل هى جماعة اصولية بمفهومها الواسع وتتسع دائرة النظام الذى قامت به الجماعةالى كل ناحية من نواحى الحياة الانسانية" (٢) .

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٧ .
(٢) منهج الحركة الاسلامية فى المستقبل ص ٤٠ .

٤ ـ القضاء على ثنوية الحياة :

والرابعة من هذه المزايا ان الجماعة الاسلامية تضم فى صفوفها "المثقفون" بالثقافة الدينية القديمة ، و "المثقفون" بالثقافة العصرية الحديثة . وكلا العنصرين تحت راية الجماعة الاسلامية يبذلان جهودهما سويا لاقامة النظام الاسلامى الذى لا يمكن اقامته الا بالتعاون الكامل بينهما . وهذا التعاون بين العنصرين لا يوجد الا فى الجماعة الاسلامية واما الجماعات المعاصرة الاخرى فنرى بانها اذا كانت دينية لا تسمح للمثقفين الجدد ان يدخلوا فى صفوفها وهكذا اذا كانت سياسية او اجتماعية لا يدخل فيها المثقفون بالثقافة الدينية القديمة الا قليلا وكانت زعامة تلك الجماعات السياسية بأيدى المثقفين الجدد وكان اكثرهم من العلمانيين او الشيوعيين ولكن الجماعة الاسلامية بحمد الله تمكنت من جمع كلا العنصرين تحت رايتها وهكذا تمكنت من القضاء على ثنوية الحياة واسطورة فصل الدين عن الدولة التى هى من اشنع المفاسد التى جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة (١) .

٥ ـ التقوى أساس للعضوية :

والخامسة من هذه المزايا ان المقياس الذى اختاره الاستاذ المودودى لعضوية جماعته كان مستنبطا من الكتاب والسنة وكانت التقوى والعلاقة بالله والمجاهدة فى سبيله والاهتمام بحسن السيرة والسلوك من متطلباته الاولى والذى يكون مقصرا فيها لا تقبل عضويته مهما تكن مكانته فى المجتمع والحقيقة ان الاستاذ المودودى كان اكثر اهتماما بصالحية اعضاء الجماعة الاسلامية من اهتمامه بعددهم ، ويقول : " انه ليس من المهم ان نكثر من رجال الدعوة ،

---

(١) انظر الاستاذ المودودى ـ جماعت اسلامى كى ٢٩ سال ص: ٤٣ـ٤٤ .

وانما المهم ان نستجمع افراد يصيرون مضرب المثل فى طهارة الذيل ونظافة التصرف ونسلمهم مانشاء من الامانات ثم نطمئن باننا قد أدينا الامانة الى أهلها "(١) .

٦ ـ الاهتمام باستحكام النظام :

والسادسة من هذه الخصائص هو اهتمام الاستاذ المودودى بأن يكون نظام الدعوة محكما قويا لانه كان يرى ان التساهل والضعف فى نظام الجماعة يؤدى الى انهيار الدعوة وفشلها فقرر ان يكون شديدا فى تطبيق النظام بكل الشدة ولم يسمح للاهمال والتخلخل فيه مهما كانت الاوضاع والحقيقة ان هذا الاهتمام هو سر حقيقى لقوة الجماعة الاسلامية كما ان كثيرا من المفاسد التى نراها فى الجماعات الاخرى كنتيجة الاهمال من هذه الناحية لا توجد فى الجماعة الاسلامية قط . فيقول الاستاذ المودودى" من اسباب انهيار الدعوات ايضا تخلخل نظامها فقررنا ان يكون نظام دعوتنا فى غاية الشدة ولا نتحمل ولو شيئا يسيرا من التخلخل والضعف فيه نقبل ان ينفصل عنا أعز عزيز لدينا ولكن لا نقبل ان يدخل الى نظامنا ولو ابسط جانب من الاسترخاء ، ان فئة قليلة فى عددها قوية فى نظامها مرصوصة فى صفها تغلب الحشد الهائل من غثاء السيل "(٢) . وهذا ما اثبته تاريخ الجماعة الاسلامية .

٧ ـ نظام النقد والاصلاح :

والسابعة من المزايا اختيار الاستاذ المودودى نظاما محكما مستقلا للنقد والاصلاح داخل الجماعة ودائرة ذلك النظام تتسع من الافراد الى الجماعة ومن الاعضاء الى الامير سويا واما النظام الذى اختارته الجماعة لاصلاح

---

(١) الاستاذ خليل الحامدى . الامام ابو الاعلى المودودى ، حياته ، دعوته ، جهاده ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .

الفرد ، فالجزء الاول منه هو الاهتمام بالاصلاح عن طريق احتساب النفس وطريقته ان كل واحد من الاعضاء لابد له ان يقدم الى اميرالفرع في المجالس الاسبوعية تقريرا مفصلا عن اعماله خلال الاسبوع وذلك من مداومته على الفرائض والواجبات الى اهتمامه باعمال الدعوة . والجزء الثاني منه هو نقد ذات البين وطريقته بان كل واحد من الاعضاء يهتم باصلاح أخيه واذا خالجه شيء عن اخيه عليه أن يتحدث اليه في الخلوة ويدعوه الى اصلاح نفسه واذا لم يتحقق الاصلاح فيعرض على امير الفرع الذى يحاول الاصلاح واذا لم يتمكن من النجاح يعرض الامر على مجلس الشورى وعلى هذا القياس ، واما النظام الذى اختير لاصلاح الجماعة فهو بان امير الجماعة والمسؤولين الاخرين يقدمون انفسهم للنقد في المؤتمرات السنوية وفي اجتماعات مجلس الشورى واعضاء الجماعة واعضاء مجلس الشورى ينتقدونهم وذلك النقد تتسع دائرته من سلوكهم الفردية الى اعمالهم الجماعية والحقيقة ان هذا الاهتمام بالنقد والاصلاح لا يسمح للمفاسد الاخلاقية ان تنتشر في الجماعة او في اعضائها . يقول الاستاذ المودودى عن هذا الاهتمام " فالنقد اذا روعيت فيه الحدود والاداب فانه لا يعود علينا بالنفع فحسب بل هو ضرورى لا غنى عنه لاصلاح الحياة الاجتماعية وبدونه لا تستطيع اى جماعة من الجماعات المنظمة ان تبقى متمسكة بالحق سالكة طريق الصواب لمدة طويلة ويجب ان لا يكون في جماعتكم احد يستثنى من النقد سواء كان هو اميركم او مجلسكم للشورى او جماعتكم باجمعها . وانى لأعتقد ان النقد بهذه الصفات لا مندوحة عنه للاستبقاء على صحة الجماعة . فاذا انسد بابه في حياتنا الجماعية ـ لا سمح الله ـ فلابد ان ينفتح على الفور باب الفساد والاضطراب الداخلى فيها (١) .

---

(١) الاستاذ المودودى ـ تذكرة دعاة الاسلام ص ٩١ .

٨ ـ تجنب الوقوع في الخلافات بين المسلمين ، والسمة الثامنة لهذه الدعوة هي تجنب الوقوع في الخلافات الفرعية بين المسلمين كانت فقهية أو عقائدية . فكانت الجماعات الدينية تقوم على اساس هذه الخلافات ومع الاسف هذه الحالة لم تزل تستمر وتلك الجماعات لا يهمها الدين نفسه كما تهمها هذه الخلافات الفرعية الواهية . فلذا لم تكن مهمتها الا بذل كل ما يمكن لانتشار تلك الخلافات مهما تكن اوضاع المسلمين والعلماء والمشايخ في دروسهم وخطبهم بعضهم يكفرون البعض ويبذلون ما في وسعهم لاشعال نار تلك الخلافات الفرعية حتى تقام المجادلات والمناظرات الخاصة بينهم لتحقيق ذلك الهدف الشنيع . ومن المؤلم ان المدارس والمساجد التي تقيمها تلك الجماعات لم تكن ابوابها مفتوحة للاخرين (١) . ولكن الاستاذ المودودي حذر جماعته من الوقوع في تلك الخلافات وقال : " على اعضاء الجماعة ان يتجنبوا الامور التي تجعلهم فرقة من فرق المسلمين فلا يجعلون مساجد خاصة لصلاتهم ولا يقعون في المناظرات والمجادلات مع المسلمين الاخرين " (٢) .

ولذلك نرى بان الجماعة الاسلامية تضم في صفوفها الحنفية وأهل الحديث سويا ، وهكذا انضم بها عدد غير قليل من الذين كانوا في اول امرهم من الديوبنديين او البريلويين ، كما يستعملان هذان الاصطلاحان في شبه القارة الهندية .

٩ ـ البعد عن العنف والتخريب :

والسمة التاسعة التي تمتاز بها دعوة الاستاذ المودودي هي بعدها عن العنف والتخريب وتجنبها عن استخدام طرق غير قانونية وسرية مهما تكن الاوضاع لان استخدام طرق غير قانونية وسرية اووسائل العنف والتخريب هي من سمات الحركات الهدامة كالشيوعية والاشتراكية ولا يجدر

---

(١) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ١٩٦ .
(٢) تقرير عن الجماعة الاسلامية . الجزء الاول ص ١٣ .

بالحركة الاسلامية قط ، وتاريخ الدعوة الاسلامية في دورها المكي خير شاهد على ذلك . والحقيقة بان استخدام تلك الطرق والوسائل يبعد الناس عن الدعوة وينفرهم منها لانهم لا يجدون اى فرق بينها وبين الحركات الهدامة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان استخدام وسائل التخريب وطرق غير قانونية يتيح الفرصة للطواغيت ان يتمكنوا من تشوية صورة الحركة في اعين الناس والقضاء عليها . فلذلك تتجنب الجماعة عنها تجنبا كاملا . فيقول دستور الجماعة : " لا يقوم كفاحها للوصول الى غايتها على النشاط السرى على غرار الحركات السرية في العالم بل انها تعمل كل ما تعمل علنا وفي وضح النهار "(١) .

١٠ — موقف الجماعة الاسلامية من الجماعات الدينية الاخرى :

والعاشرة من هذه المزايا هو موقف الجماعة الاسلامية من الجماعات الدينية الاخرى . ونرى بان الجماعات الدينية الاخرى تظن كل واحدة منها بان الحق كله معها والذى لم يدخل فيها حقق عليه قوله " من شذ شذ في النار " ولكن الاستاذ المودودى في اول امره حذر اعضاء الجماعة الاسلامية من الوقوع في هذه الفكرة الخاطئة في اول خطابه بعد قيام الجماعة : " ان الذين يوفقهم الله بالقيام باداء واجب الدعوة ولاقامة النظام الاسلامي ليس من الضرورى ان تكون لهم جماعة واحدة فحسب بل قد تكون هناك اكثر من جماعة واحدة فلا يجوز لاى واحدة منها ان تقوم بالدعوة بانها وحيدة هي جماعة اسلامية واميرها وحيدا هو امير المؤمنين فلذلك لابد لمن يدخل في جماعتنا يجتنب من الغلو فيها فنحن لسنا فرقة من هذه الفرق ونستعيذ بالله بان بدلا من ان نتمكن من خططها بين نكون سببا من اسباب الفساد والفتنة في الامة الاسلامية(٢)

---

(١) انظر المادة الخامسة (٤) من دستور الجماعة الاسلامية بباكستان .

(٢) تقرير الجماعة الاسلامية (الجزء الاول) ص ٩ .

المبحث الثالث :

منهج دعوة الاستاذ المودودى

ان منهج الاستاذ المودودى فى الدعوة ، كأصول دعوته مأخوذ من الكتاب والسنة ، فيقول الاستاذ المودودى " والحقيقة أن منهاجنا كدعوتنا ، انما هو مأخوذ من القرآن الكريم وسيرة الانبياء عليهم السلام " (١) .

والاجزاء التى يشملها هذا المنهج للدعوة كالاتى :

١ـ الجزء الاول : القدوة قبل الكلمة : فيتطلب هذا الجزء للمنهج ان لابد لكل من يقبل هذه الدعوة ان يعمل بمقتضيات الاسلام ويدخل فى دين الله كافة لقوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) (٢) ويبذل جهوده لتزكية حياته من كل ما يخالف بمقتضيات الاسلام ومتطلباته فيقول الاستاذ المودودى :

" فالذين يقبلون دعوتنا ويظهرون استعدادهم لحمل اعبائها وتبليغ رسالتها معنا . فان اول ما نطالبهم به ان يدخلوا فى دين الله كافة ويصطبغوا بصبغته بجملة شئون حياتهم من فكرية وعملية ويجعلوا سلوكهم العام فى الحياة هو الدليل على اخلاصهم وتجردهم ، ويبذلون سعيهم لتزكية حياتهم وتطهيرها من كل شىء يخالف ايمانهم " (٣) .

فمن مقتضيات هذا الجزء للمنهج ان الداعية يبذل ما فى وسعه لتزكيته وتربيته وتكوين شخصيته على المنهج الاسلامى ويجتنب فى معيشته وسائل الحرام وفى معاملاته الخداع والتزوير ولا يهم بلومة لائم فى سبيل الدعوة حتى تكون حياته العملية شاهدة على صدقه واخلاصه لدعوته ولا يمكن للمرء ان يستمر فى عمل الدعوة

---

(١) انظر الاستاذ المودودى ــ تذكرة دعاة الاسلام ص : ٢٥ .

(٢) سورة البقرة الاية ٢٠٨ .

(٣) الاستاذ المودودى ــ تذكرة دعاة الاسلام ص ٢٥ ــ ٢٦ .

الا اذا اهتم بالعمل بمقتضيات الاسلام . فيقول الاستاذ المودودى :

" هذه هى المرحلة الاولى التى قد هيأتها لنا المشيئة الالهية بنفسها لتربية الافراد على مايحتاج سلوك هذا الطريق من الصلاح والتقوى والاخلاص والاخلاق القوية الطاهرة . والذين يفشلون فى محن المرحلة الاولى يبتعدون عنا بانفسهم دون ان نعمل شيئا فى فحصهم ونفكر فى فصلهم "(١) .

والحقيقة ان هذا الجزء للمنهج له اهمية بالغة فى العمل بمتطلبات الدعوة ولا يمكن العمل فى مجال الدعوة الا بالتمسك بها فيقول الاستاذ المودودى :

" لا تنقص الامة الاسلامية كلمات عن الاسلام متلألئة واحاديث فى الخلق ممتعة وبحوث عن حكمة الدين تنسحب على اللؤلؤ والمرجان وحكايات عن ابطال الاسلام تأخذ باللب والجنان ، وانما تنقصها النماذج الحية للمثل العليا ، ينقصها رجال جسدوا فى حياتهم تلك الكلمات وصدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وتنقصها جماعات تصدق أعمالها دعاويها فلاينطبق عليها قول الله عز وجل (لم تقولون مالا تفعلون)(٢) (٣) .

الجزء الثانى : القيام بعمل الدعوة ومقتضياته : ويتطلب الجزء الثانى لهذا المنهج ان يقوم الداعية فعلا بعمل الدعوة ويدعو الناس الى الحق الذى قد شرح الله صدره له . وذلك لقوله سبحانه (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)(٤) فيقول الاستاذ المودودى :

" والامر المهم الثانى الذى نلزمه اعضاءنا بعد قبولهم هذه الدعوة هو ان يعرفوا بالحق الذى شرح الله له صدورهم وهداهم الى نوره من حولهم من الناس ممن

---

(١) الاستاذ المودودى ـ تذكرة دعاة الاسلام ص ٢٧ .
(٢) الصف ـ ٢
( ) الاستاذ خليل الحامدى ـ الامام ابوالاعلى المودودى حياته ، دعوته وجهاده ص : ٥٢ .
(٤) ال عمران ـ ١١٠ .

ممن يرتبطون بهم بروابط القرابة اوالصداقة او الجوار او البيع او الشراء ويدعوهم الى الاستظلال بظله الوارف المريح "(١) .

ومن متطلبات الاهتمام بهذه المبادىء ان يعتنى الداعية بالامور الاتية :

اولا : الاهتمام بالحكمة والموعظة الحسنة : والمراد من الاهتمام بالحكمة والموعظة الحسنة خلال العمل فى مجال الدعوة ان معاملة الداعية مع الناس تكون معاملة الطبيب مع المرضى وهو يصف المرض ويدرس طبيعة المريض ويختار له الدواء حسب المرض وطبيعة المريض ـ وهو لا يكون كالطبيب الذى لا يعرف الا استعمال ابرة واحدة ويطعمها كل من يراجعه ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى هو يكون كالطبيب الذى يحارب المرض ولا يحارب المريض. ويقول الاستاذ عن الاهتمام بتنشئة هذه الاوصاف الحكيمة فى الداعية :

" وبهذا الصدد قد بذلنا اقصى ما كنا نملك من الجهد والتفكير لان نرشد أعضائنا والعاملين معنا الى الطريق الذى قد دعا الله اليه سبحانه وتعالى فى القران حيث يقول : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)(٢) أى أن يعرضوا الناس قبل كل شىء على مبادىء الدين الاساسية ثم يدعوهم الى مطالبه ومقتضياته ولوازمه شيئا فشيئا وان لا يجرعوا احدا منهم غذاء يستعصى على قوة هضمه ... وان لا يقابلوا الواقعين فى الغفلة والضلال الاعتقادى والعملى بالكراهة والاحتقار والازدراء ، بل عليهم ان يوجهوا فكرهم الى علاجهم ومواساتهم وبذل النصيحة لهم بمثل مايعامل به الطبيب مريضه "(٣) .

---

(١) الاستاذ المودودى ـ تذكرة دعاة الاسلام ص ٢٩ .
(٢) سورة النحل : ١٢٥ .
(٣) الاستاذ المودودى ـ تذكرة دعاة الاسلام ص ٣٢ .

ثانيا : الاهتمام بمبدأ الأهم فالأهم : والمراد منه الاهتمام بالامور حسب أهميتها ومكانتها في الدين ، ومن متطلبات هذه المبدأ : أن لا تقدم الفروع على الاصول ولا تقدم الاحكام الجزئية على الكليات والقواعد الشاملة وان تعالج المفاسد الاساسية قبل تهذيب المفاسد الظاهرة وقطع الفروع الخارجية وشذبها قبل ان يعالجوا المفاسد الاساسية الثابتة من الداخل "(١)

وانطلاقا من هذا المبدأ لا يقع اعضاء الجماعة الاسلامية وانصارها في الخلافات الفقهية ولا يهتمون بالفروعات خلال عملهم في مجال الدعوة بل يركزون كل التركيز على الاصول والكليات ، كما كان انطلاقا من هذا المبدأ ان قررت الجماعة الاسلامية ان تجعل اقامة الحكومة الاسلامية هدفا اساسيا لجهودها في مجال الدعوة . وذلك لان احكام الاسلام وتعليماته لا يمكن العمل بها الا باقامة الحكومة الاسلامية ، وهكذا المفاسد الاجتماعية لا يمكن القضاء عليها الا اذا كانت السلطة بايدى المؤمنين الصالحين ،و " ملخص القول ان فساد البشرية وانحراف المجتمعات وتسكع الحضارات ياتى كل ذلك من مصدر السلطة لا يخضع لوحى الله ، نعم ، واذا صلح ذلك المصدر صلحت الحياة البشرية، واذا فسد ذلك المصدر فسدت الحياة حسب تعبير الامام المودودى رحمه الله . . . . . فدخول الامام المودودى بجماعته في المعارك الانتخابية واستخدامه كل الوسائل السلمية لاصلاح الحكم دون اللجوء الى التخريب يرجع الى نفس المنطلق "(٢) .

---

(١) الاستاذ المودودى - تذكرة دعاة الاسلام ص ٣٢ .

(٢) الاستاذ خليل الحامدى - الامام أبوالاعلى المودودى ، حياته ، دعوته ، جهاده ص : ٥١ .

ثالثا : الاهتمام بالصبر والصمود : ومن متطلبات العمل فى مجال الدعوة ان يهتم الداعية بالصبروالصمود ، ويتحمل بالصبر والثبات ماياتى فى طريق الدعوة من الاستهزاء والسخرية والايذاء والشدائد والحقيقة ان العمل فى مجال الدعوة لايمكن الا بالاهتمام بالصبروالثبات لقوله سبحانه (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)(١) . فيقول الاستاذ المودودى : " ومما لامجال فيه للريب ان اكبر مايحتاج اليه الانسان لسلوك هذا المنهج هو الجهد المستمر مع الصبر على الشدائد والثبات فى المصاعب ، اذ هو لايرى فيه الى مدة طويلة زرعا اخضر من النتائج المرضية الرائعة كما يراه متمثلا بين يديه يعجب نظره ويثلج صدره فى عشية او ضحاها اذا ماقام باعمال سطحية عاجلة ، وبذلك ينشأ فى الداعى من جهة من قوة الايمان والبصيرة النافذة ، والجد والوقار والمروءة وسمو الاخلاق والترفع عن سفاسف الامور ماسيكون فى أشد حاجته اليه فى مراحل الدعوة المقبلة التى لايكون زاده فيها الا الصبر والجد والحكمة والبصيرة . ومن جهة اخرى فان الدعوة وان كانت لاتتقدم بهذا الطريق بخطوات سريعة الا ان كل خطوة من خطواتها فيه تكون فى غاية من الرسوخ والاستحكام "(٢) .

والحقيقة ان الداعية لا يمكن له ان يستمر فى عمله ولا يمكن له ان يتمكن من تحقيق هدفه الا اذا اهتم بمقتضيات هذه المبادئ ، واسوة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فى عمل الدعوة هى خير شاهد على هذا الاهتمام .

---

(١) سورة العصر - ٣

(٢) الاستاذ المودودى - تذكرة دعاة الاسلام ص : ٣٣-٣٤ .

الجزء الثالث : الاهتمام بالاستحكام في نظام الدعوة : وهكذا من متطلبات العمل في مجال الدعوة ان يكون نظام الدعوة محكما وقويا حيث لا يدخل فيه التساهل والضعف ، وذلك لان هذا مايؤدي الدعوة الى الفشل والانهيار فيقول الاستاذ المودودي : " من اسباب انهيار الدعوات ايضا تخلخل نظامها ، فقررنا ان يكون نظام دعوتنا في غاية الشدة والقسوة ، ولا نتحمل ولا شيئا يسيرا من الضعف والتخلخل نقبل ان ينفصل عنا أعز عزيز لدينا ولا نقبل ان يدخل الى نظامنا ولو ابسط جانب من الاسترخاء ، ان فئة قليلة في عددها قوية في نظامها مرصوصة في صفها تغلب الحشد الهائل من غثاء السيل ولذلك جعلنا من شروط العضوية ان يكون عضو الدعوة يلتزم بالفرائض ويجتنب الكبائر ويحل ما احله الله ويحرم ما حرمه الله . هذه الشروط اقل مايلزم به المسلم من عند الله ورسوله ، ومن لا يستطيع حتى الالتزام بذلك فليس منا "(١) .

الجزء الرابع : الاهتمام بالتكوين والتربية : ومن متطلبات العمل في مجال الدعوة هو الاهتمام بالتكوين والتربية ، وذلك لان الداعية لا يمكن له ان يستمر في عمل الدعوة الا اذا كان قويا في العقيدة وموثوقا في سلوكه الفردي ، وهذا مايحتاج اليه الاهتمام بالتكوين والتربية . فيقول الاستاذ المودودي :

" مما يدل عليه مشاهداتي ان الشيء الذي ضرب في النهاية الحركات والدعوات هو انضمام اليها رجال غير مستقيمي السيرة . . . . وفي ضوء هذه المشاهدات والتجارب أرى انه ليس من المهم ان نكثر من رجال الدعوة . وانما المهم أن

---

(١) الاستاذ خليل الحامدي - الامام ابوالاعلى المودودي ، حياته ، دعوته وجهاده ، ص ٤٣ .

أن نستجمع افرادا يصيرون مضرب المثل فى طهارة الذيل ونظافة التصرف ونسلمهم ماتشاء من الامانات ثم نطمئن باننا قد أدينا الامانة الى اهلها"(١).

ويقول الاستاذ المودودى متكلما عن اهمية التربية فى الدعوة :

" الذين تنظمهم فى سلك التنظيم الواحد نعنى بتربيتهم الفكرية والخلقية حتى تكون فكرتهم اكثر وضوحا وقلوبهم اكثر نزاهة وقوة واجدر بالثقة والاعتماد ، ولا يخفى علينا منذ اول أمرنا انه من المستحيل ان يقوم النظام الاسلامى بمجرد رسم الخطط على القرطاس والدعاوى الفارغة بل الذى يتوقف عليه قيامه ونفاذه هو : هل يستند هذا النظام الى مواهب فكرية انسانية وطباع فردية صالحة ام لا " (٢) .

وجدير بالذكر ان الاسلوب الذى اختاره الاستاذ المودودى لاعداد الرجال للوصول الى هذه الغاية لم يكن اللجوء الى الكهوف والخانقاهات والحجرات اوممارسة الاساليب الخاصة المروجة عند شيوخ الطرق بل كان نفس الاسلوب الذى قد اختاره القائمون بعمل الدعوة فى كل زمان ، وهو الانشغال بعمل الدعوة فعلا والاهتمام المستمر بالتمسك بمتطلبات الدعوة فى الحياة العملية ، كما يقول الاستاذ المودودى : " لانحتاج فى اعداد الرجال اللجوء الى المغاور والكهوف ، ولا الى اختيار اساليب معينة فى تزكية القلوب بل الطريق الصحيح للتربية ان ينهض الرجل للدعوة الى دين الله ، فانه بمجرد ان يقوم بهذا الامر يتسارع الناس الى وضع اصابعهم على مافيه من نقص وعيب متسائلين : كيف ان فضيلة الداعية ينصحنا بكذا وكذا من العيوب . هذه هى التربية التى ينالها كل من يتولى مهمة الدعوة يوميا ، فيكون مثله كمثل اناء تدلكه

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢) الاستاذ المودودى - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٨٤ .

الايدى الكثيرة الى أن تصقله جيدا ولا تترك عليه شيئا من الاوساخ .....
ولا أعرف اسلوبا آخر اكثرنفعا واقوىتاثيرا لاعداد الرجال غير هذا الاسلوب
ولا ارى كذلك ان هذا النمط من التربية يمكن الحصول عليها فى الخانقاهات
والحجرات "(١).

٤ ـ الجنبز الخامس ـ الاهتمام باصلاح المجتمع : والمراد منه اصلاح
المجتمع فى كل ناحية من نواحيه ، وتتسع دائرته الى كل طبقة من طبقاته
المختلفة ، والحقيقة ان الدعوة الاسلامية لا يمكن تحقيق اهدافها الا بالعناية
باصلاح المجتمع ، والنظام الاسلامى لا يمكن اقامته حتى تليق الحالة الاجتماعية
لاقامته ، فلذا لابد لمن يقوم بواجب الدعوة الاسلامية ان يهتم باصلاح المجتمع
بكل العناية والاهتمام فكان من هذا المنطلق ان قرر الاستاذ المودودى أن
يهتم باصلاح المجتمع بصفة خاصة ويجعله احدى المبادىء الاساسية لبرنامج
دعوته (٢) ، وفى هذا الصدد راى الاستاذ مناسبا ان يختار اسلوب التصنيف
وذلك ليكلف الرجل المناسب للعمل فى مكانه المناسب، فكان من هذا المنطلق
أن قسم الاستاذ المودودى العاملين فى مجال الدعوة للعمل فى الدوائر
المختلفة ، وذلك حسب مواهبهم الشخصية ودائرة عملهم فى المجتمع .....
فمنهم من كلف للعمل فى طلاب الجامعات والكليات الحديثة ، ومنهم من
بدأ عمله فى طلاب المعاهد الدينية ، ومنهم من اعتنى بالعمال فى المصانع
ومنهم من بدأ عمله فى الفلاحين واهل القرى ، ومنهم من بدأ يعمل فى
الموظفين فى الدوائر الحكومية المختلفة ، ومنهم من بدأ يبذل جهوده للعمل
فى اساتذة الجامعات والكليات الحديثة ، ومنهم من بدأ عمله فى العلماء والمشايخ

---

(١) الاستاذ خليل الحامدى ـ الامام ابوالاعلى المودودى ـ حياته ودعوته ، وجهاده ص ٤٤-٤٥ .
(٢) انظر للتفصيل الاستاذ المودودى ـ واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، ص ١٨٤ .

ومنهم من دخل فى ميدان الشعر والادب ومنهم من دخل فى مجال الصحافة ومنهم من بدأ يعمل فى رجال القانون والمحامين ومنهم من بدأ يشتغل فى الدكاترة والمهندسين وهؤلاء العاملين فى الدعوة فى دوائر المجتمع المختلفة كل واحد منهم يعمل للوصول الى نفس الهدف فيقول الاستاذ المودودى : " فهؤلاء جميعا وان كانوا قائمين باعمالهم فى دوائرهم الخاصة ، ولكن قد وضعوا امام اعينهم مقصدا وحيدا ومشروعا بعينه يريدون ويجتهدون ليوجهوا اليه جميع طبقات الامة " (١) . فكان بفضل الله ثم بفضل هذا الاسلوب الحكيم ان تمكنت الجماعة من نشر دعوتها فى كل طبقة من طبقات المجتمع المختلفة ومن انقاذهم من الشيوعية والاشتراكية والعلمانية وما الى ذلك من الحركات الهدامة .

الجزء السادس : اصلاح الحكومة : من المعلوم ان الدعوة الاسلامية لا يمكن العمل بمتطلباتها الا باقامة النظام الاسلامى ، وهذا الهدف السامى لا يمكن تحقيقه الا اذا كانت السلطة فى ايدى المؤمنين الصالحين الذين تكون غاية حكمهم الاهتمام بتنفيذ الحدود الشرعية والعمل بالتعليمات الاسلامية من ناحية ، والقضاء التام على المفاسد الاجتماعية والحركات الهدامة فى المجتمع الاسلامى من الناحية الاخرى ، فاصلاح الحكومة اذن واجب دينى لا يمكن للداعية ان ينصرف عن ادائه مهما تكـ الاوضاع فيقول الاستاذ المودودى متكلما عن اهمية اصلاح الحكومة : " فان الفساد الذى يبث فى الناس اثاره معتمدا على قوى التعليم والقانون والادارة وتوزيع الرزق لا يمكن ان يجدى شيئا فى قمعه ما يبذل من الجهود للاصلاح والبناء بالاعتماد على وسائل الوعظ والتلقين والدعوة والارشاد فحسب ، فان كنا نريد اليوم

---

(١) الاستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٨٥ .

أن نصرف بنظام الحياة فى بلادنا عن طريق الضلال والفساد والفسق والعصيان ونسير به فى طريق الاسلام المستقيم ، فلابد لنا ان نبذل جهودنا بطريق مباشر فى ازاحة الفساد عن منصة النفوذ والسلطة واحلال الصلاح مكانه " (١).

وكان من هذا المنطلق ان قررت الجماعة الاسلامية ان تخوض فى معارك الانتخابات لكى تربى الرأى العام وتطهر طريقة الانتخاب من الغش والتزوير ، وبهذا تتمكن من الوصول الى السلطة لاقامة الحكومة الاسلامية وتنفيذ الحدود الشرعية .

فيتبين مما اسلفنا ان منهج الاستاذ المودودى فى الدعوة كان مستنبطا من الكتاب والسنة واسوة النبى صلى الله عليه وسلم . هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى يتسع نطاق دائرته الى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية .

...

---

(١) الاستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص : ١٨٧ .

المبحث الرابع:

المراحل التي مرت بها دعوة الاستاذ المودودى

كما أسلفنا ان الاستاذ المودودى بدأ عمله فى مجال الدعوة عام ١٩٢٩م حينما افرغ نفسه ليستعد لمهمة الدعوة السامية وظل يقود الحركة الاسلامية فى شبه القارة الهندية ،فكريا وعمليا ،لحوالى نصف قرن . ومرت الحركة خلال هذه المدة بعدة مراحل حسب مقتضيات الظروف والاوضاع ، ولا يمكن لنا أن نفهم هذه الدعوة فهما صحيحا الا اذا فهمنا مراحلها المختلفة فنرى ضروريا ان ندرس هنا هذه المراحل دراسة اجمالية. فيمكن لنا ان نقسم هذه المراحل كالاتى :

١ ـ الاستعداد للدعوة .

٢ ـ بداية الدعوة.

٣ ـ التكوين والتربية .

٤ ـ الجهاد لاصلاح المجتمع واقامة الحكومة الاسلامية .

واليك موجز هذه المراحل :

ـ المرحلة الاولى : استعداد الاستاذ المودودى لعمل الدعوة :

فى أواخر عام ١٩٢٨م قرر الاستاذ المودودى ان يترك مجال الصحافة ويفرغ نفسه ليستعد لمهمة الدعوة الجليلة استعدادا كاملا وكان لهذا القرار ان ترك الاستاذ عمله كرئيس التحرير لجريدة " الجمعية " وغادر " دهلى " الى " حيدر اباد الدكن " حيثما بدأ يقضى معظم اوقاته فى المطالعة استعدادا للقيام بواجب الدعوة . واستمر فى ذلك حتى نهاية عام ١٩٣٢م فيقول الاستاذ عن ذلك الاستعداد " افرغت من عام ١٩٢٩م الى ١٩٣٢م العديد من خزانات الكتب والمراجع فى ذهنى استعدادا للمهمة الجديدة ،مهمة الدعوة الى الاسلام فى عصر ملىء بالافكار والتيارات ،عصر يفرض على الداعية ان يتزود بزاد علمى شامل ، وان يحمل بعصا من البرهان يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ويحقق بها

مآرب أخرى "(١) . والحقيقة كان بفضل ذلك الاستعداد التام لعمل الدعوة ان تمكن الاستاذ المودودى من قيادة الحركة الاسلامية فى هذا العصر الملئ بالتيارات والتحديات . كما تمكن من مواجهة التحديات يواجهها الاسلام والمسلمون نتيجة لاستيلاء الاستعمار الاوربى الفاشم وحضارته الجاهلية على العالم الاسلامى .

٢ ـ المرحلة الثانية : بداية الدعوة والاهتمام بالنقد للجاهلية الحديثة :

وبعد استعداده لحمل الدعوة قرر الاستاذ المودودى عام ١٩٣٣م أن يقوم بواجب الدعوة بتوليه ادارة مجلة (ترجمان القرآن) الشهرية التى كانت تصدر من حيدر اباد الدكن . ويشير الاستاذ الى هذه المهمة الجديدة فى الافتتاحية للعدد الاول لهذه المجلة حيث يقول : " ان هذه المجلة تضع اليوم قدمها فى طريق محفوف بالمصاعب والمحن وتولى عبئها لرجل يعترف لا اعتراف المجاملة بل اعتراف الحقيقة بانه ضعيف فاقد القيمة صفر اليدين ، ولكنه رغم وعورة الطريق استعد لحمل هذا العبء على يقين واضح بان الله الذى نور قلبه بالاسلام وخلق فى نفسه حب الدعوة اليه هو الذى سوف يؤازره بنصره من عنده ويمنحه الرسوخ فى العلم والصحة والفكر والسلامة فى القلب والطهارة فى النفس والسمو فى الروح (٢) .

وقرر الاستاذ كأن يبدأ عمله فى هذا المجال بالنقد للنظريات اللادينية والفلسفات المادية التى جاءت بها الحضارة الحديثة تحت رعاية الاستعمار الاوربى الفاشم لانقاذ المسلمين من عبوديتها الفكرية . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى بعرض مبادئ الاسلام الاساسية لكل دائرة من دوائر

---

(١) الاستاذ خليل الحامدى : الامام ابوالاعلى المودودى ، حياته ، دعوته ، جهاده ص ١٨ـ١٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩ .

الحياة المختلفة ولاعادة ثقتهم فى الاسلام لقيادة البشرية فى هذا العصر وذلك بالاسلوب العصرى الجذاب مؤيدا بالبراهين العقلية القوية والادلة من الكتاب والسنة . وهذا ماكان يشير اليه غلاف المجلة فى كل اعدادها بالعبارة التالية :

" ان هذه المجلة فريدة فى نوعها فى انحاء شبه القارة الهندية وغايتها الوحيدة اعلاء كلمة الله والدعوة الى الجهاد فى سبيل الله ومهمتها الاصلية هى نقد الافكار الحديثة ومبادىء الحضارة والمدنية السائدة بمحك القرآن ، ثم عرض المبادىء التى جاء بها كتاب الله وسنة رسوله فى كل مجال من مجالات الفلسفة والعلم والسياسة والاقتصاد والمدنية والاجتماعية وتطبيق تلك المبادىء على ظروف العصر الحاضر وان هذه المجلة تدعو الامة المسلمة الى حياة جديدة وخلاصة دعوتها " ايها الناس اجعلوا قلوبكم واذهانكم مسلمة خاضعة لله وتخلوا عن نظم الجاهلية واسلكوا صراط الله المستقيم وخذوا كتاب الله بالقوة لتكونوا سادة العالم وائمة الحضارات " (١) .

وجملة القول ان تناول الاستاذ الجاهلية القديمة والجاهلية الحديثة بكل انواعها وانتقدها بالبراهين والادلة القوية كما اخذ النظريات اللادينية والفلسفات المادية التى جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة وانتقدها بالادلة والبراهين كما انتقد الدعوات والحركات التى انشئت فى المجتمعات الاسلامية تحت رعاية الاستعمار ولتحقيق اهدافها كما انتقد القائمين بتفسير القران لتاييد ماجاء به الحضارة الجاهلية الغربية وكذلك انتقد المنكرين للسنة النبوية . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى اهتم الاستاذ ببيان النواحى المختلفة لنظام الحياة الاسلامى ، وبين أن الاسلام دين كامل يشمل كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ويحل مشكلات الحياة الانسانية كلها ، وذلك

---

(١) الاستاذ خليل الحامدى : الامام ابو الاعلى المودودى حياته ، دعوته ، جهاده ص ٢٠ .

بأسلوب يفهمه الانسان المصرى ، وبالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القاطعة (١) .

تمتد تلك المرحلة للدعوة من عام ١٩٣٣ م الى عام ١٩٤١م والكتب والبحوث التى اصدرها الاستاذ المودودى خلال تلك الفترة حول مقتضيات تلك المرحلة للدعوة هى كالاتى :

١ ـ الحضارة الاسلامية ـ اسسها ومبادئها .
٢ ـ مسألة الجبر والقدر
٣ ـ نحن والحضارة الغربية .
٤ ـ الاسلام فى مواجهة التحديات
٥ ـ مبادىء اسلامية حول الدين والدولة
٦ ـ حقوق الزوجين
٧ ـ حركة تحديد النسل .
٨ ـ مبادىء الاسلام
٩ ـ فى محكمة العقل ـ التوحيد والرسالة والاخرة .
١٠ ـ اسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة .
١١ ـ الحجاب
١٢ ـ الخطب
١٣ ـ نظرية الاسلام السياسية
١٤ ـ نظرة فاحصة على العبادات الاسلامية
١٥ ـ تجديد الدين واحيائه
١٦ ـ كيف تقام الحكومة الاسلامية
١٧ ـ استفسار ذو بال
١٨ ـ المصطلحات الاربعة فى القرآن
١٩ ـ الاسلام والجاهلية
٢٠ ـ منهج جديد للتعليم والتربية
٢١ ـ معضلات الانسان الاقتصادية وحلها فى الاسلام . (٢) .

وجدير بالذكر ان هذه الكتب لها دور هام فى انقاذ المسلمين من العبودية الفكرية للحضارة الغربية ، واعادة ثقتهم فى صلاحية الاسلام لقيادة البشرية فى هذا العصر . ويقول الاستاذ احمد ادريس عن تلك المرحلة للدعوة

---

(١) انظر الاستاذ المودودى : جماعت اسلامى كامقصد ، تاريخ اورلائحة عمل ص: ٢١-٢٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٦-٢٧ .

" والواقع أن الدارس للحركة التى أسسها الاستاذ المودودى يلاحظ أن (ترجمان القرآن) كانت المشعل الذى أضاء طريقها ، فبها ربى الاستاذ عقولا وبها نشر دعوته وأزال كثلا من التصورات الخاطئة ، وفتح قلوبا وغزا أفئدة ، نزل الاستاذ ميدان الجهاد وفى يده سلاح واحد اعتمد عليه فى تأسيس الجماعة الاسلامية التى تعتبر من اكبر وانجح الحركات الاسلامية فى العالم كله ، وجعل مقالاته جيوشا تغزو العقول وتخضع القلوب ،وهو امر فريد فى ذاته وترجمان القرآن التى اسس بها الاستاذ حركته هى بلاشك حجر الزاوية فى هذه الحركة "(١) .

ويقول الاستاذ مسعود الندوى : " وجملة القول ان بضع السنين الاولى من مجلة ترجمان القرآن ، كانت اعوام نشر الفكرة وبث مبادئ الدعوة كأن صاحبها مهد السبيل بذلك وهيأ الاسباب لماكان يريده من اقامة حركة دينية شاملة ،وكأن مساعيه فى تلك الاعوام كانت بمثابة نواة للحركة الاسلامية الخالصة "(٢) .

وكان خلال تلك المرحلة للدعوة الاسلامية بان الاستاذ المودودى اهتم ببيان موقف (الحركة الاسلامية) من كل من حزب المؤتمر الهندى وسياسته تجاه الاسلام والمسلمين وحركة القومية الهندية الوطنية وحزب رابطة المسلمين وسياسته كما كان خلال حديثه حول هذه الموضوعات بانه بين الفرق بين الاسلام وبين ما ينتسب الى المسلمين وبين الجماعة الاسلامية وبين احزاب المسلمين السياسية وذلك بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية وقد صدرت بحوثه حول هذه الموضوعات فيما بعد بصورة كتب مستقلة

---

(١) احمد ادريس : ابوالاعلى المودودى ،صفحات من حياته وجهاده ، ص ٣٨ .

(٢) الاستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ٢٨١ .

وهي : ١ـ المسلمون والصراع السياسي الحاضر ـ ثلاثة اجزاء ، و مسألة القومية(١) . كما كان خلال تلك المرحلتان هاجر الاستاذ الى قرية " دار الاسلام " ليجعلها مستقر الدعوة وذلك تلبية لدعوة الدكتور محمد اقبال (٢) .

ـ المرحلة الثالثة : تاسيس الجماعة والاهتمام بالتكوين والتربية ونشر الدعوة :

تبدأ تلك المرحلة للدعوة الاسلامية من تأسيس الجماعة الاسلامية في اغسطس عام ١٩٤١ الميلادي وتمتد الى استقلال البلاد عام ١٩٤٧ م ، وتمتاز هذه الفترة للدعوة الاسلامية بالعناية بالتكوين والتربية والاهتمام بنشر الدعوة الاسلامية . واختارت الجماعة برنامجا خاصا لتربية اعضائها من النواحي الفكرية والعلمية والعملية . ويشمل هذا البرنامج دراسة القرآن والحديث والعلوم الدينية الاخرى فضلا عن دراسة العلوم الاجتماعية الحديثة هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يركز هذا البرنامج على تربية عملية لاعضاء الجماعة الاسلامية من النواحي الخلقية والدينية والسلوكية ، وذلك ليتمكنوا من اداء واجب الدعوة ومن مواجهة التحديات التي كان لابد ان تواجههم في طريق الدعوة .

وكان لذلك التركيز على التكوين والتربية للاعضاء ان قرر مجلس الشورى للجماعة الاسلامية نقل مقرها الرئيسي من مدينة (لاهور) الى قرية (دار الاسلام) التي ذكرنا عنها انفا وذلك لكونها بعيدة عن المدن في وسط

---

(١) انظر الاستاذ المودودي : جماعت اسلامي كا مقصد تاريخ اور لائحة عمل ص ١٣ ـ ٢٣
(٢) انظر احمد ادريس : ابو الاعلى المودودي : صفحات من حياته وجهاده ، ص ٤١ ـ ٤٢ .

الغابات . ويقول الاستاذ المودودى عن ذلك القرار لمجلس الشورى : " كنا نستهدف من وراء هذه الهجرة ان نجلس فى قريتها دئة لنقوم على تربية أعضاء الجماعة ومؤيديها تربية ثقافية ومعنوية وتنظيمهم على اقوى قواعد وأصد خطوط ليتمكنوا من مواجهة الظروف التى سوف تنشأ فى المستقبل لو فشلت حركة انشاء باكستان ـ لا سمح الله ـ وكذلك لمواجهة الظروف من نوع آخر اذا نجحت تلك الحركة وانقسمت شبه القارة الى الهند وباكستان . لانه من المحتمل بنسبة قوية بعد هذا التقسيم ان يدخل المسلمون فى الهند فى المتاعب والمشاكل التى لا نهاية لها ، فيكونون فى حاجة الى من يواسيهم وينعشهم من جديد وينظم امرهم على قاعدة صامدة تحافظ على كيانهم وتمنعهم من ان يتلاشوا فى المجتمع الوثنى العنيد ، وأن يدخل الاسلام فى باكستان فى محنة قاسية على ايدى قادة باكستان فتكون باكستان احوج ما تكون الى جماعة ترغم القيادة الباكستانية على انجاز وعودها لتطبيق الاسلام فى ناحية ، ومن ناحية اخرى تسهر على اعداد الشعب الباكستانى شعبا مسلما واعيا لا يقبل سوى الاسلام بديلا "(١) .

وتمتاز تلك المرحلة للدعوة بالمزايا العديدة يذكر منها بعض زملاء الاستاذ المودودى فيقول الاستاذ مسعود الندوى : " وجملة القول أن الجماعة فى السنين الاولى من حياتها عنيت بوجه خاص بنشر الدعوة وتعميم كلمتها فى الديار الهندية واداء الشهادة القولية على أتم طريق واحسنه وذلك فى مختلف اللغات الهندية الرائجة فى اقطارها المترامية الاطراف ، الا أن معظم كتبها ومؤلفاتها باللغة الاردية ، لغة مسلمى الهند عامة ، وكذلك اهتمت الجماعة اهتماما بالغا بأداء الشهادة العملية بان يظهر أعضاؤها فى أخلاقهم ومعاملتهم وسائر اعمالهم بمظهر وضىء وقور يكون حجة قاطعة

---

(١) الاستاذ خليل الحامدى ـ الامام ابوالاعلى المودودى ـ حياته ، دعوته جهاده ص ٣٩ـ٤٠ .

فالاسلام على اهل هذا العصر بانهم اذا شوهدوا فى متاجرهم واسواقهم وعوملوا فى معاملتهم او امتحنوا فى انديتهم ومدارسهم يتجلى لمن يشاهدهم الدين ويعاملهم ويستحسنهم ان الذى ينجب ويكون مثل هؤلاء الرجال الصادقين فى معاملتهم والصالحين فى شوءنهم لابد ان يكون دينا الهيا ربانيا صالحا للمجتمع والعمران فى كل عصر ومن أجل ذلك بالغت الجماعة فى الاهتمام بتربية اعضائها وتنشئتهم على الاداب الاسلامية والاخلاق الفاضلة واختارت لذلك طرقا ومناهج نافعة ومثمرة (١) .

ويقول الاستاذ خليل الحامدى : " شرعت الجماعة الاسلامية فى مهمتها بتعميم الدعوة ونشر فكرة الاسلام ففى جانب كان الاستاذ المودودى لا يزال ينشر آراءه وافكاره فى مجلة (ترجمان القران) ويلقى المحاضرات فى مواضيع اسلامية امام طلاب الجامعات واساتذتها كما ظهر فى الجماعة نخبة من المؤلفين وقفوا حياتهم ومواهبهم لاستجلاء محاسن الاسلام باسلوب عصرى متين . وفى الجانب الاخر عنيت الجماعة بتربية اعضائها على الاخلاق الاسلامية وحثهم على اداء شهادة الحق قولا وعملا اى الشهادة التى انيطت بها الامة المسلمة فى قول الله عزوجل : (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (٢) . وكان جل اعتمادها فى هذه المرحلة على امور ثلاثة :

١ ــ الدعوة : من واجب كل عضو أن يزود نفسه بما يقدر عليه من العلم والدراسة ويعرض الدعوة ومطالبها وتفاصيلها على كل من يتصل به من اقربائه واصدقائه وغيرهم من المسلمين ويلزم نفسه بالصدق والامانة وقول الحق والكسب الحلال .

---

(١) الاستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ٢٨٩ .

(٢) سورة البقرة الاية ١٤٣ .

٢ ـ المحافظة على نظام الجماعة .

٣ ـ ممارسة النقد في داخل الجماعة وخارجها (١) .

وكان بفضل ذلك الاهتمام بالتكوين والتربية لاعضاء الجماعة ان تمكنت الجماعة من مواصلة جهادها في الظروف القاسية التي واجهتها فيما بعد .

والكتب والبحوث التي صدرت حول مقتضيات تلك المرحلة للدعوة الاسلامية هي كالاتي :

١ ـ الاسس الاخلاقية للحركة الاسلامية .

٢ ـ الدعوة الاسلامية ومتطلباتها .

٣ ـ دعوة الجماعة الاسلامية

٤ ـ شهادة الحق

٥ ـ الصلاح والفساد

٦ ـ الدين القيم

٧ ـ الطريق الى الاسلام

٨ ـ نظرية الاسلام الخلقية

٩ ـ الدعوة الاسلامية ومنهجها

١٠ ـ عقوبة المرتد في الاسلام

١١ ـ بداية تاليف تفهيم القرآن

١٢ ـ رسائل ومسائل (الاجزاء الابتدائية)

١٣ ـ الدعوة الاسلامية ومستقبلها في الهند

١٤ ـ تقرير عن الجماعة الاسلامية (من الجزء الاول الى الجزء الخامس) (٢)

ولا تزال تعتبر هذه الكتب حجر زاوية للبرنامج التربوي للجماعة الاسلامية حتى اليوم .

ـ المرحلة الرابعة : الجهاد لاصلاح المجتمع واقامة الحكومة الاسلامية :

تبدأ هذه المرحلة للحركة الاسلامية بعد استقلال البلاد عام ١٩٤٧م ولا تزال مستمرة حتى اليوم ، قد انقسمت شبه القارة بعد الاستقلال الى دولتين مستقلتين : الهند وباكستان . ومع هذا التقسيم لشبه القارة الهندية انقسمت

---

(١) الاستاذ خليل الحامدي : نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية بباكستان .(٩ ـ ١٠) .

(٢) الاستاذ المودودي : جماعت اسلامي كا مقصد ، تاريخ اور لائحة عمل صفحة ٣٩ ـ ٥٤ .

الجماعة الاسلامية الى :

١ــ الجماعة الاسلامية بالهند ٢ــ الجماعة الاسلامية بباكستان

٣ــ الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة (١) .

ولأن الاوضاع فى كل من تلك البلاد كانت تختلف فيما بينها ،فاختارت كل من تلك الجماعات برنامجا للعمل حسب اوضاع بلادها ، فأما الجماعة الاسلامية بالهند والجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة فاختارتا نفس البرنامج للعمل فى مجال الدعوة الذى قد اختارتها الجماعة الاسلامية قبل تقسيم البلاد . واما الجماعة الاسلامية بباكستان . اختارت لها البرنامج الجديد حسب أوضاع دولة أنشئت لاقامة الحكومة الاسلامية ،فنحن نشير هنا الى بعض المزايا لمنهج الحركة الاسلامية فى كل من تلك البلاد فى تلك المرحلة للدعوة .

وأما الجماعة الاسلامية بالهند ، فكما ذكرنا انفا لم تزل تسير على نفس الخط الذى قد اختاره الجماعة قبل تقسيم البلاد ، فيقول الاستاذ مسعود الندوى : " لا تزال الجماعة الاسلامية فى الهند قائمة على مدشها ثابتة على خطتها تدعو الناس على اختلاف اديانهم ومشاربهم الى عبادة الله واقامة نظام الحق ، شأن المجاهدين الصادقين الذين يقومون بواجباتهم فى كل حال ولا يكترثون للاخطار والاضطهادات مهما كانت شديدة وقاسية ومنهاجهم فى كل ذلك هو منهاج النبى (صلى الله عليه وسلم) فى حياته المكية ، يتبعون معالمه الكريمة (٢) .

---

(١) الاستاذ المودودى : جماعت اسلامى كى ٢٩ سال ص ٥٢ .

(٢) الاستاذ مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ص ٢٩٩ .

وكان بفضل جهود الجماعة الاسلامية بالهند في مجال الدعوة الاسلامية أن صدرت ترجمة القرآن الكريم فى أكثر من سبع عشرة لغات الهند المحلية وهكذا نقلت ونشرت كثير من الكتب الاسلامية القيمة فى لغات الهند المختلفة ، كما صدرت المجلات والجرائد الاسلامية فى هذه اللغات . والحقيقة أن الجماعة الاسلامية بالهند كان لها دور بارز فى المحافظة على شخصية مسلمى الهند وحضارتهم (١) .

وأما الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة ، ولانها واجهت نفس الاوضاع القاسية التى واجهتها الجماعة الاسلامية بالهند ، فاختارت لها نفس البرنامج للعمل الذى قد اختارته الجماعة الاسلامية بالهند ، وكانت لجهودها نفس النتائج التى كانت لجهود الجماعة الاسلامية بالهند .

وأما الجماعة الاسلامية بباكستان فتمتاز تلك المرحلة من تاريخها بجهادها المسلسل لتطبيق النظام الاسلامى فى هذه الدولة الجديدة والبرنامج الذى اختارته الجماعة الاسلامية خلال هذه المرحلة ، يشمل اربعة اجزاء وهى :

١ ــ الجزء الاول : هو تطهير الافكار وتمهيدها بالغرس والتنمية ليحدث الانقلاب فى الافكار ومجرى الحياة بتغييرها .

٢ ــ الجزء الثانى : هو السعى فى استخلاص الافراد الصالحين وجمعهم فى نظام واحد وتربيتهم وذلك بالعمل فى مجال الدعوة .

٣ ــ الجزء الثالث : هو السعى فى الاصلاح الاجتماعى وهو يشمل اصلاح كل طبقة فى المجتمع حسب احوالها وتتسع دائرته على قدر ما تتوفر الوسائل .

---

(١) انظر تقرير عن انشطة الجماعة الاسلامية بالهند قدمه الامين العام للجماعة الاسلامية بالهند فى المؤتمر العام للجماعة فى سبتمبر عام ١٩٨٠ . ومجلة "اردو دائجست" الشهرية لشهر مارس ١٩٨٢ م .

٤ ـ الجزء الرابع : هو اصلاح الحكم والادارة ، وذلك لان هدف اقامة الدين لا يمكن تحقيقه الا اذا كانت السلطة في ايدى المؤمنين الصالحين[١] .

وكان لتحقيق هذه الاهداف ان قررت الجماعة الاسلامية ان تخوض في المجال السياسى مع عملها في مجال الدعوة ومازالت الجماعة تسير على هذه الخطوط[٢] .

وجدير بالذكر أن الاساليب والوسائل التى اختارتها الجماعة الاسلامية خلال هذه المرحلة للدعوة تتسع الى كل جزء من اجزاء هذا البرنامج . ونحن تحدثنا عن بعض النواحى لجهاد الجماعة لاقامة الحكومة الاسلامية خلال حديثنا عن حياة الاستاذ المودودى ،ولهذا لا حاجة لذكرها مرة ثانية ، فيتبين بما ذكرنا هناك ان الجماعة الاسلامية كان لجهادها لاقامة الحكومة الاسلامية على منهاج الخلافة الراشدة دورا هاما في الكفاح الطويل لنفاذ الدستور الاسلامى بباكستان " وذلك لان الدستور بمثابة الاساس ، فاذا وضع الاساس على غير الاسلام لابد ان يرتفع كل البناء على الطراز غير الاسلامى ، وخذ لذلك مثلا من التركيا بأن علمانية دستور التركى عرقلت ، ولا تزال ، النهضة الاسلامية ، وكلما حاول مسلمو تركيا تغيير اوضاعهم المنحرفة عن الاسلام ، استعانت الفئات اللادينية بعلمانية الدستور وابطلت كل مشروع يتبنى تكريس حياة اسلامية فيها "[٢] .

---

(١) انظر الاستاذ المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، ص ١٨٢ ، ١٨٩ .

(٢) الاستاذ خليل الحامدى : نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية بباكستان ، صفحة ١٢ .

وأما الاساليب والوسائل الاخرى التي اختارت الجماعة الاسلامية في هذه المرحلة للدعوة فنحن نذكر بعضها فيما يلي :

اولا : اصدار الكتب والبحوث لبيان اهمية اقامة الحكومة الاسلامية وشرح الجوانب المختلفة للحياة الاسلامية :

أصدرت الجماعة عددا من الكتب والبحوث لبيان اهمية اقامة الحكومة الاسلامية ولشرح الجوانب المختلفة في النظام الاسلامي . ومن اهم الكتب التي صدرت حول مقتضيات هذه المرحلة كالاتي :

١ ـ نظام الحياة في الاسلام
٢ ـ القانون الاسلامي وطرق تنفيذه في باكستان .
٣ ـ حقوق اهل الذمة في الدولة الاسلامية
٤ ـ تدوين الدستور الاسلامي
٥ ـ الصفات اللازمة للعاملين في مجال الدعوة .
٦ ـ الربا
٧ ـ المقترحات الدستورية
٨ ـ اسس الدستور الاسلامي في القرآن
٩ ـ الجماعة الاسلامية ،هدفها ،تاريخها ، وبرنامجها .
١٠ ـ المسألة القاديانية
١١ ـ الحركة الاسلامية ومنهجها في المستقبل
١٢ ـ العدل الاجتماعية في الاسلام
١٣ ـ حقوق الانسان الاساسية
١٤ ـ مكانة السنة في التشريع
١٥ ـ المطالبة بالنظام الاسلامي
١٦ ـ الخلافة والملك
١٧ ـ الدولة الاسلامية
١٨ ـ السيرة النبوية
١٩ ـ واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم
٢٠ ـ قضية كشمير المسلمة

ثانيا : اصدار الجرائد والمجلات :

والوسيلة الثانية التى اختارت الجماعةالاسلامية لنشر دعوتها هى الجرائد والمجلات منها الجرائد اليومية كجريدة (تسنيم) اليومية وجريدة (كوهستان) اليومية ، وجريدة (جسارت) اليومية ومنها المجلات الاسبوعية كمجلة (آسيا) الاسبوعية ومجلة (أئين) الاسبوعية ومجلة (نور) (للاطفال) ومنها مجلات شهرية كمجلة (ترجمان القرآن) الشهرية ومجلة (بتول) الشهرية (للسيدات) ومجلة الحسنات الشهرية (للسيدات) ومجلة الرسالة The message باللغة الانجليزية ، وفضلا عن ذلك هناك عدد من الجرائد والمجلات تصدرها بعض اعضاء الجماعة أو أنصارها شخصيا .

ثالثا : الدروس والمحاضرات :

والوسيلة الثالثة التى اختارت الجماعة لنشر الدعوة وتعميمها هى تنظيم اللقاءات والندوات والمؤتمرات الاسبوعية والشهرية والسنوية تلقى فيها الدروس والمحاضرات عن القرآن والسنة والسيرة وجوانب النظام الاسلامى المختلفة وما الى ذلك ، وكان عدد المراكز لدروس القرآن فى أنحاء البلاد عام ١٩٨٢ م اكثر من ٢٤٦٥ مركزا (١) وذلك ما عدا الجوامع التى يخطب فيها رجال الجماعة والتى كان عددها ١٥١٧ جامعا عام ١٩٧٨م (٢) .

---

(١) انظر دستور الجماعة الاسلامية بباكستان ــ توطئة ص : ك .

(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدى ــ نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية بباكستان ص : ٤٤ــ٤٨ .

رابعا : انشاء دور المطالعة والمكتبات :

والوسيلة الرابعة اختارتها الجماعة لنشر دعوتها خلال هذه المرحلة هي انشاء دور المطالعة والمكتبات في انحاء البلاد تضم كل دار ومكتبة عددا كبيرا من الكتب والجرائد والمجلات الاسلامية يقرأها الرواد في قاعات مخصصة للمطالعة ويستعيرونها حسب النظام . وكان عدد هذه الدور للمطالعة والمكتبات في انحاء البلاد ٢٢٢٧ في عام ١٩٧٨م[1] .

خامسا : انشاء المدارس والمعاهد :

ويعتبر انشاء المدارس والمعاهد الدينية الوسيلة الخامسة التي اختارتها الجماعة لنشر دعوتها ، وهذه المعاهد تضم مناهجها العلوم الاجتماعية العصرية فضلا عن المواد الدينية كالتفسير والحديث والرجال والفقه والتاريخ الاسلامي واللغة العربية والنحو والبلاغة والعناية الخاصة بالتكوين والتربية ليتخرج منها الدعاة . وكان عدد هذه المعاهد والمدارس الدينية في عام ١٩٨٢م ٤٨٦ معهدا[2] .

ـ في مجال الخدمات الخيرية :

وهكذا اهتمت الجماعة في هذه المرحلة للدعوة بالخدمات الخيرية تشمل اقامة المستشفيات والمستوصفات يوزع منها العلاج على الفقراء والمساكين ، ومساعدة الايتام والارامل والفقراء والطلاب الفقراء في الكليات والجامعات والعناية بالمنكوبين في الحوادث او اللاجئين من الهند والكشمير وافغانستان . وكان عدد المستشفيات والعيادات تحت رعاية الجماعة (٨٠) وحدة عام ١٩٨٢م . وللجماعة خدمات جليلة في اغاثة المنكوبين واللاجئين وقد بدأت الجماعة انشطتها في هذا المجال

---

(١) انظر الاستاذ خليل الحامدي ـ نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية بباكستان ، ص ٤٤ـ٤٨ .

(٢) انظر دستور الجماعة الاسلامية بباكستان : توطئة ص : ك .

من القيام في خدمة اللاجئين من الهند عام ١٩٤٧م، ثم قامت بخدمة اللاجئين من كشمير المحتلة عام ١٩٦٥م ثم اهتمت باغاثة المنكوبين من الفيضانات عام ١٩٧٣ وباغاثة المنكوبين من الزلازل عام ١٩٧٤م(١) . ولكن ابرز خدمات الجماعة في هذا المجال واهمها هي خدماتها تجاه الجهاد في افغانستان فقامت الجماعة بما في وسعها لخدمة اللاجئين من افغانستان فاهتمت بتوفير الحاجات الاساسية للمهاجرين بصفة عامة وللمجاهدين بصفة خاصة ، وبانشاء المدارس والمعاهد الدينية لاولاد المجاهدين والمهاجرين . وهناك (٢٦٦) مدرسة ابتدائية وخمسة معاهد دينية للتعليم العالي تشتغل في مخيمات المهاجرين تحت رعاية الجماعة الاسلامية ، وأنشأت الجماعة (١٣٣) مسجدا في هذه المخيمات كما اهتمت الجماعة بانشاء (٤) مستشفيات وعددا من المستوصفات لعلاج المجاهدين والمهاجرين وقامت باصدار عدد من الكتب القيمة في لغاتهم الخاصة كما تعتني الجماعة بعقد مؤتمرات الجهاد لتحقيق هذا الهدف القيم(٢) . وفضلا عن هذه الخدمات تجاه المهاجرين والمجاهدين الافغان أنشأت الجماعة وكالة خاصة بانباء الجهاد الاسلامي بافغانستان باسم " وكالة الانباء الافغانية(٣) .

---

(١) انظر الاستاذ خليل الحامدي ، نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية بباكستان ص ٤٦-٤٧ .

(٢) انظر الاستاذ طفيل محمد - امير الجماعة الاسلامية بباكستان . تقرير عن خدمات الجماعة الاسلامية نحو مهاجرين الافغان لعام ١٩٨٢ الميلادي .

(٣) انظر الاستاذ طفيل محمد امير الجماعة الاسلامية بباكستان . مشروع خدمة الجهاد الاسلامي الافغاني في مجال الاعلام .

الاهتمام بالمجالات الاخرى المختلفة :

واهتمت الحركة الاسلامية فى هذه المرحلة بعدة مجالات اخرى نذكر منها على سبيل المثال كالآتى :

- الاهتمام بالجيل الجديد : اعتنت الحركة الاسلامية فى هذه المرحلة بصفة خاصة بالجيل الجديد وفى عام ١٩٤٨م انشئت جمعية الطلبة الاسلامية بباكستان للعمل فى هذا المجال . فكان لجهودها العميلة بأن المدارس والمعاهد والكليات والجامعات التى قد أنشئت لتعميم الثقافة الانجليزية اللادينية بدأ يتخرج فيها الشباب المثقفون الذين جعلوا الاسلام غاية حياتهم وجدير بالذكر انه ليس هناك معهدا او كلية او جامعة فى باكستان الا وقد تمكنت الجمعية من انشاء فرعها فيها . واكثر من ٨٠ ٪ من هذه الكليات والمعاهد والجامعات تسيطر عليها جمعية الطلبة الاسلامية سيطرة كاملة . فلله الحمد . وجدير بالذكر ان جمعية الطلبة الاسلامية تقوم باصدار مجلة (همقدم) الشهرية .ولها دار خاصة للطباعة والنشر.

وأما محيط الطالبات ، فقد أنشئت جمعية الطالبات المسلمات للعمل فيها ، وهذه الجمعية دورها فى الطالبات لا يقل عن دور جمعية الطلبة الاسلامية فى الطلاب .

وهكذا قد انشئت جمعية الطلبة العربية للعمل فى المدارس والمعاهد الدينية ليتخرج فيها العلماء والخطباء والكتاب يجعلون العمل فى مجال الدعوة غاية جهدهم وحياتهم وتقوم الجمعية باصدار مجلة " المصباح" الشهرية (١) .

---

(١) اخبرنى بهذا الاخ بشير احمد خان رئيس جمعية الطلبة الاسلامية السابق .

- الاهتمام بالمدرسين والاساتذة :

وأما مجال التعليم والتربية فتشتغل فيه "منظمة الاساتذة" وهي تتسع دائرتها من المدارس الابتدائية والثانوية الى الكليات والجامعات وتركز هذه الجمعية جهودها لنشر الدعوة فى الاساتذة والمعلمين من ناحية وتمارس ضغطها على السلطات لاجل تنفيذ منهج اسلامى للتعليم والتربية من ناحية أخرى ، وجملة القول تعمل (منظمة الاساتذة) للانقلاب الاسلامى الكامل فى مجال التعليم (١).

- الاهتمام بالعمال :

وهكذا اعتنت الحركة الاسلامية فى هذه المرحلة بصفة خاصة بالعمال الذين يشتغلون فى المصانع والشركات فكانوا فيما قبل فى شباك المؤامرة الشيوعيين والاشتراكيين فركزت الحركة الاسلامية على هذا المجال وتأسس (الاتحاد الوطنى للعمال) يضم الاتحادات العمالية تحت رعاية الحركة الاسلامية فتمكنت الحركة الاسلامية من انقاذ اكثر العمال المسلمين من شباك مؤامرة الشيوعيين وكان بفضل هذه الجهود ان اكثر من ٢٥٠ اتحاد عمالى فى اكثر قطاعات العمال فى المؤسسات الكبيرة كوزارة الكهرباء والماء ووزارة البرق والبريد وسكة الحديد الباكستانية ومصانع الحديد الباكستانية تنتمى الى الحركة الاسلامية وعدد العمال المنتمين لهذه الاتحادات العمالية يزيد عن خمسمائة الف (٢).

- الاهتمام بالفلاحين :

يمثل الفلاحون نسبة ٨٠ ٪ من سكان الباكستان واكثرهم لا يعرفون القراءة والكتابة . فأنشئت (مؤسسة الفلاحين) للعمل فيهم وتعمل هذه المؤسسة لتوعية الفلاحين من الناحية الدينية (٣).

---

(١) اخبرنى بهذا الاخ / نصير الدين همايون الامين العام للمنظمة.
(٢) اخبرنى عن هذا الاخ / محمد شفيع ملك رئيس الاتحاد الوطنى للعمال .
(٣) الاستاذ خليل الحامدى - الامام أبو الاعلى المودودى ، حياته ، دعوته ، جهاده ص ٤٨ .

- الاهتمام بالاتحـاد بين العلماء والمشايخ :

ويعتبر النزاع الطائفى بين العلماء والمشايخ أحد عوامل فشـل الاحزاب الاسلامية والجماعات الدينية فى الانتخابات . فأنشئت جمعية اتحاد العلماء لتوحيد كلمة العلماء والمشائخ وبالتالى توحيد صفوف عامة المسلمين ولها دور بارز فى هذا المجال ،هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى اهتمت الجمعية بقيام مجمع العلماء الذى ينظم دورات تدريبية لتربية الائمـة والخطباء (١) .

- عمل الدعوة فى مجال السيدات :

ويشتغل فى مجال السيدات القسم النسائى للجماعة الاسلاميـة ،ودوره فى هذا المجال لا يقل عن دور الرجال فى مجالهم . ويضم برنامج هذا القسم للجماعة اللقاءات الاسبوعية والمؤتمرات الشهرية والسنوية ،والقاء الـدروس والمحاضرات بالعناية الخاصة ببيان دور المرأة فى الاسلام . ويصدر هـذا القسم مجلة " بتول " الشهرية ومجلة " الحسنات " الشهرية للسيدات ومجلـة " النور " للاطفال .

وهكذا هناك عدة منظمات اخرى فى مجال الصحافة ورجال القانون والمحاماة والاطباء والمهندسين وموظفى الحكومة كلها تعمل لتحقيق نفس الهدف وهـى نشر الدعوة واقامة الحكومة الاسلامية .

- مدى تأثير الدعوة الاسلامية فى المجتمع بلغة الارقام :

بعد ان ذكرنا موجزا عن انشطة الجماعة الاسلامية فى المجالات المختلفـة وتحدثنا عن اسلوبها لعمل الدعوة فى دوائر الحياة المختلفة ناتى هنا بفكرة عامـة عن مدى تاثير الدعوة الاسلامية فى المجتمع المسلم الباكستانى وذلك بلغة الارقام

---

(١) اخبرنى عن هذا الشيخ /گلزار احمد المظاهرى الامين العام للجمعية .

كما كانت فى اواخر عام ١٩٨٢ الميلادى :

١ ـ عدد أعضاء الجماعة ٤٥٦٦ عضوا . وذلك مع ان عضوية الجماعة لا تتحصل الا بعد ان يستمر المرء مؤيدا لها وناصرا عدة سنوات ويثبت لنفسه أهلا لتحمل عبء العضوية .

٢ ـ عدد انصار الجماعة (مسجلين) ٤٥٦٢٢٧ شخصا وذلك فضلا عن مئات الالوف من الانصار والمؤيدين الذين لم تسجل أسماءهم .

٣ ـ الفروع المتكونة من الاعضاء ٥٢٩ فرعا .

٤ ـ الفروع المتكونة من الانصار والمؤيدين ٤١٧٥ فرعا (١)

ذلك فضلا عن ما ذكرناه عن مدى تاثير الدعوة الاسلامية فى الدوائر المختلفة للمجتمع مثل الطلاب والاساتذة والعمال والفلاحين وما الى ذلك من طبقات المجتمع المختلفة .

• • •

---

(١) انظر دستور الجماعة الاسلامية بباكستان ـ توطئة ص : ك .

الدعوة الاسلامية دعوة عالمية

ولا يتم الحديث عن هذه المرحلة للدعوة الا اذا تحدثنا عن انشطة الجماعة الاسلامية على المستوى العالمى ولولا ضيق المجال لتكلمنا فى هذا الموضوع بالتفصيل ولكننا سنكتفى بالاشارة الى الأمور التالية :

١ــ العلاقات مع الحركات الاسلامية العالمية :

وتمتاز هذه المرحلة للجماعة الاسلامية بباكستان ببداية علاقاتها الوثيقة مع الحركات الاسلامية العالمية الاخرى وذلك لان هذه الحركات كلها تنطلق من نفس المنطلق وهو (الكتاب والسنة) وتهدف الى نفس الهدف وهو اقامة الحكومة الاسلامية ، واهم هذه الحركات الاسلامية العالمية هى :

١ــ حركة الاخوان المسلمين بالعالم العربى .

٢ــ حزب الملى السلامة بتركيا .

٣ــ مجلس الشورى لمسلمى اندونيسيا .

٤ ــ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

٥ ــ حزب الاستقلال بالمغرب .

٦ ــ الاتحاد الاسلامى لمجاهدى افغانستان وعدد من الحركات الاسلامية الاخرى فى العالم الاسلامى .

ــ اصدار الكتب فى اللغات العالمية الاخرى :

والامر الثانى الذى اهتمت به الجماعة الاسلامية فى هذه المرحلة للحركة الاسلامية هو نقل كتب الجماعة الاسلامية باللغات العالمية الاخرى ، فكان لتحقيق هذا الهدف ان اهتمت الجماعة بقيام عدة من المؤسسات أهمها كالآتى :

– دار العروبة للدعوة الاسلامية :

وقد أقيمت هذه الدار لنقل كتب الجماعة الاسلامية باللغة العربية ولنقل كتب الاخوان المسلمين من اللغة العربية الى اللغة الاردية . هذا من ناحية - ومن ناحية اخرى تعطى هذه الدار كالواسطة بين الجماعة الاسلامية وبين الاخوان المسلمين والحركات الاسلامية الاخرى فى العالم العربى ، فتمكنت هذه الدار من نقل الكثير من الكتب للاستاذ المودودى من اللغة الاردية الى اللغة العربية كما تمكنت من ترجمة كثير من الكتب للامام الشهيد حسن البنا والشهيد سيد قطب والاستاذ محمد قطب وغيرهم من قادة الحركة الاسلامية فى العالم العربى من اللغة العربية الى اللغة الاردية (١)

– مجمع المعارف الاسلامية :

يهتنى مجمع المعارف الاسلامية باخراج البحوث وتربية الباحثين وتغذية الحركة بما يلزم من الغذاء الفكرى والزاد العلمى" (١) هذا من ناحية ومن ناحية اخرى قرر من الغايات المجمع واهدافه ان يهتم بصفة خاصة بالامور الاتية :

١ – احياء التراث الاسلامى العظيم ونقله الى اللغة الاردية واللغات الحية الاخرى باسلوب عصرى متين .

٢ – نقل الافكار والبحوث التى ينتجها المفكرون المسلمون المعاصرون باللغة الاردية واللغات الاخرى ونقل وترويج كتب الاستاذ المودودى حول الدعوة ومقتضياتها او حول جوانب النظام الاسلامى المختلفة الى اللغات العالمية المختلفة .

---

(١) اخبرنى عن هذا الاستاذ خليل الحامدى ، المدير العام للدار العروبة للدعوة الاسلامية .

٣ ـ دراسة المشكلات التى اوجدتها الحضارة العصرية ثم وضع الحلـــول لها فى ضوء الاسلام بتوجيه من المفكرين المسلمين .

٤ ـ اعداد دراسات حول مايمر به العالم الاسلامى من ظروف سياسيـــة واقتصادية واجتماعية .

٥ ـ بذل المحاولات فى توحيد المذاهب الفقهية الاسلامية على اســـاس كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٦ ـ انشاء العلاقات مع الاكاديميات والجامعات والمؤسسات العلمية فـى البلاد العربيةوالاسلامية لايجاد اوجه التعاون فيما يتعلق بترويـج الافكار الاسلامية واحياء التراث الاسلامى ولتنسيق المشاريع فـــى مجال الدعوة ". (١)

وكما أسلفنا أن الاستاذ المودودى قد منح للمجمع الجائزة التى قد اعطيت له من قبل هيئة جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٣٩٩ هـ لخدماته فـــى مجال الدعوة .

وجدير بالذكر أن مجمع المعارف الاسلامية له فرع فى كراتشى ايضـــا وقد صدرت من مجمع المعارف الاسلامية حتى الآن اكثر من اربعين كتابا قيمـا تشتمل على المواضيع الاسلامية المختلفة (٢) .

ـ المؤسسة الاسلامية ببريطانيا :

وقد تأسست هذه المؤسسة لنقل وترويج كتب الاستاذ المودودى ، ومفكرى الاسلام المعاصرين الى اللغة الانجليزية ولغات اوربا المختلفة الاخـــرى وللرد على مايكتبه المستشرقون ضد الاسلام والنبى صلى الله عليه وسلـــم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لدراسة مخططات مبشرين الاستعمـارية

---

(١) انظر للتفصيل الاستاذ خليل الحامدى : التعريف عن مجمع المعارف الاسلامية بلاهور ص ٩ ـ ١٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٦ ـ ٧ .

ومؤامراتهم في العالم الاسلامى ، ولتخطيط مخططات ايجابية لمواجهة هذه المؤامرات . وقد تمكنت المؤسسة من اصدار عدد غير قليل من كتب الاستاذ المودودى ومفكرى الاسلام المعاصرين باللغة الانجليزية ولغات اوربا الاخرى . كما تمكنت من دراسة انشطة المبشرين ومخططاتهم في العالم الاسلامى ولاسيما في اندونيسيا ، وافريقيا ، والشرق الاوسط وبنغلاديش وباكستان والبلاد الاسلامية الاخرى وقد صدرت تقارير عن هذه الدراسة باللغة الانجليزية واللغة العربية . هذا وللمؤسسة دور هام في نشر الدعوة الاسلامية في المسلمين المقيمين في انجلترا وبلاد اوربا الاخرى وفي المحافظة على شخصيتهم الاسلامية في مركز الحضارة الجاهلية الحديثة(١) .

وجدير بالذكر ان للمؤسسة فرع في نيروبي (الافريقية الشرقية) ويعمل هذا الفرع على نفس المنهج لمواجهة مخططات ومؤامرات المبشرين المسيحيين والقاديانيين في القارة الافريقية . وقد انشأت المؤسسة عشرات من المدارس الابتدائية والثانوية لتعليم أولاد المسلمين المقيمين هناك وذلك لكى لا يقع المسلمون في مؤامرات المبشرين المسيحيين والقاديين في المجال التعليمى .(٢)

---

(١) اخبرنى عن هذا الاستاذ خورشيد احمد ، رئيس المؤسسة الاسلامية والاستاذ خرم جاه مراد المدير العام لها .

(٢) اخبرنى عن هذا الاستاذ محمد اختر رأو ، المدير العام للفرع .

ـ الاهتمام بترويج الكتب الاسلامية فى اللغات العالمية الاخرى :

وكان خلال هذه المرحلة أن تمكنت الجماعة الاسلامية من نقل واصدار عدد غير قليل من كتب الاستاذ المودودى وقادة الحركات الاسلامية المعاصرة فى اكثر من اربعين لغةعالمية اهمها اللغة العربية، واللغة الانجليزية، واللغة الفرنسية، واللغة الايطالية، واللغة الالمانية، واللغة الاسبانية، واللغة الفارسية، واللغة البشتوية، واللغة الروسية، واللغة اليابانية، واللغة الكورية، واللغة الماليزية، واللغة الاندونيسية، واللغة التركية، واللغات العالمية الاخرى .

ويتبين مما أسلفنا أن الدعوة الاسلامية فى هذه المرحلة لم تزل تسير على نفس السياسة التى قد اتخذت لها فى البداية والبرنامج الذى اختارته الجماعة فى بدايةهذه المرحلة كان مطابقا مع غايتها كل المطابقة ، وحققت فى هذا السبيل ما حققت من المآرب والغايات بما قد يسر الله لها من الوسائل المعنوية والمادية .

...

الفصل الرابع

تأليفات للأستاذ أبي الأعلى المودودي

كتابات الأستاذ الكبير أبي الأعلى المودودي تعتبر من المنارات الفكر الإسلامي المعاصر، وأدت دوراً كبيراً في تقديم حقائق الإسلام للمسلم المعاصر بطريقة مبسطة مبلورة ليسهل فهمها واستيعابها.

الأستاذ محمد قطب في مقابلة مع مندوب مجلة "اردو ڈائجسٹ" الشهرية

كانت كتاباته وبحوثه موجهة إلى معرفة طبيعة هذه الحضارة الغربية وفلسفتها للحياة، وتحليلها تحليلاً علمياً قلما يوجد له نظير في الزمن القريب، وقد عرض الإسلام ونظام حياته، وأوضاع حضارته وحكمه، وصياغته للمجتمع والحياة، وقيادته للركب البشري والمسيرة الإنسانية في أسلوب علمي رصين وفي لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف ومستوى العصر العلمي، وملأ الفراغ الذي كان يوجد في الأدب الإسلامي المعاصر من زمن طويل، وتقضي حاجات في نفس الشباب الطموح إلى مجد الإسلام والمسلمين وقيام دوله ومجتمعاته الشريفة المعتزة بنفسها ودينها ورسالتها ومقومات حياتها في الأقطار الإسلامية أولاً وفي العالم بالتالي.

الشيخ ابو الحسن على الندوى

مؤلفات الاستاذ المودودى

لم يكن الأستاذ المودودى مؤلفا عاديا كغيره من المؤلفين الذين يؤلفون الكتب لكى يخدموا العلم والادب . وهكذا يضيفون فى ذخيرة الكتب ولكن مع ذلك لا يزيدون اى شىء يذكر فى ذخيرة العلم . وهو لم يكن من المؤلفين الذين يتخذون من التأليف والتصنيف حرفة لهم يكسبون بها ، بل كان من المؤلفين الكبار الذين يدخلون فى ميدان التأليف والتصنيف لتحقيق الهدف الذى يتخذونه لحياتهم وللوصول الى الغاية التى يعيشون لها .
فلذلك تختلف مكانة مؤلفات هؤلاء المؤلفين مع اختلاف الأهداف التى يتخذونها لحياتهم . ومن المعلوم أن الأستاذ المودودى اتخذ نشر الدعوة الاسلامية واقامة النظام الاسلامى هدفا لحياته وذلك فى عصر طغى بالافكار والنظريات التى جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة . فلذلك هو لم يكتب كتابا ولم يصدر بحثا الا وكان يتعلق بذلك الهدف القيم كما يقول الأستاذ المودودى نفسه :" لم اقصد اصدار بحوث علمية فى المواضيع الاسلامية فحسب بل استهدفت من ذلك أن يؤمن الانسان العصرى بالاسلام بالشعور والقناعة لا بالقشور والعاطفة ثم يندفع تلقائيا الى اقامته وتحليه ، ويستميت فى سبيل تنكيس كلمة الباطل ورفع كلمة الحق وفى سبيل استئصال امامة الكفر ونصب امامة الاسلام "(١) .

فنرى بأن الكتب والكتيبات التى أصدرها الأستاذ المودودى والتى تصل عددها الى ١٢٨ كتابا(٢) مع أنها متنوعة فى موضوعاتها ، هناك رابط

---

(١) الأستاذ خليل الحامدى ــ الامام أبوالأعلى المودودى ــ حياته ــ دعوته ــ جهاده ص ٢٥ .

(٢) انظر جريدة "جسارت" اليومية (كراتشى) عدد خاص فى ذكرى الاستاذ المودودى ص ١٧ــ١٨ .

يربط بينها وذلك الرابط هو وحدة الغاية فكل من تلك الكتب مربوطـة بها ، وهناك كتب انتقد الاستاذ المودودى فيها الجاهلية القديمة والجاهلية الحديثة التى قد جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة واثارها الفكريـة والدينية وضارها الاجتماعية والحضارية فى المجتمعات الاسلامية كمـا ان هناك كتب انتقد فيها الاستاذ الجمود الفكرى عند علماء المسلمين كما انتقد الاوهام والخرافات التى اتخذت سبيلها فى عامة المسلمين وهكـذا هناك كتب قدم الاستاذ فيها الدعوة الاسلامية ،وبين متطلباتها ومقتضياتهـا كما ان هناك كتب شرح الاستاذ فيها ماهو نظام الحياة للاسلام وماهـى متعلقاته وماهى عقيدته ،وماهى عباداته ،وماهى أسس حضارته وماهـى تعليماته فى الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، ولكن مع ذلك التنوع الكبيـر فى الموضوعات كانت هذه الكتب مربوطة بذلك الرابط اى رابط وحـدة الغاية .

ويجدر بنا أن نذكر هنا بعضا من المزايا التى تمتاز بها تلك الكتـب

أولها : أن الأستاذ المودودى كان يأتى بالأدلة من الكتاب والسنـة والبراهين العلمية والعقلية فى تأييد كل مايقول ، فلذلك نجد كتبه تؤثـر فى الاذهان تاثيرا كبيرا .

ثانيها : كانت الأدلة العلمية العقلية التى يأتى بها الأستاذ المودودى فى كتبه تتعلق بالأشياء التى يراها كل واحد منا حوله كل يوم ،وهذا مايمكنه من فهمها بالسهولة .

ثالثها : ان الله قد وهبه بالاخلاص الذى قد جعل أسلوبه مؤثرا جدا ، يؤثر الاذهان والقلوب سويا ،فلا يمكن ان يقرأ الانسان كتبه ولا يتأثر بهـا ، فكانت نتيجة لذلك ان مئات الالاف من الناس الذين قد قرأوا كتبه قد تأثـروا

عنها واصبحوا أنصارا لدعوته .

رابعها : أن كتب الاستاذ المودودى ،مع كونها علمية ،لا توجد فيها الاصطلاحات العلمية التى لا يفهمها الا اصحاب العلم ،وذلك لان دعوته كانت للمسلمين كافة خاصتهم وعامتهم فكان لابد ان لا تفوق عن فهمهم.

خامسها : ان الاستاذ المودودى لم يتناول موضوعا من الموضوعات المتنوعة التى تتسع اليها دائرة كتبه ، الا وقد قرأ فيه كل ماكتب قديما وحديثا ، ثم كتب فيه ،وجاء بالادلة من كل ما قرأ من القديم او الحديث فى تأييد موقفه هذا ما يجعل كتبه تمتاز بالجامعية التى لا توجد فى المؤلفين الا قليلا .

سادسها : ان الاستاذ المودودى كان يعتنى بصفة خاصة بان تكون كتبه صغيرة الحجم حتى تسهل قراءتها كما يسهل انتشارها ،فنرى ان معظم مؤلفاته قد صدرت فى صورة كتيبات صغيرة الا انها تحمل معان كبيرة فهو تمكن من جمع الأنهار فى كوب .

سابعها : ان الاستاذ المودودى قد وهبه الله باممعان النظر فى الكتاب والسنة فضلا عن البصيرة العميقة فى شؤون الحياة الفردية و الحياة الاجتماعية المختلفة فلذا حينما كان يكتب كتابا او يصدر بحثا كان يلاحظها كلها بالاهتمام ، فلذلك كانت كتبه تفوق كتب الاخصائيين الذين لا يعرفون شيئا خارجا عن دائرة تخصصهم .

ومن المعلوم ان اللغة التى كتب الاستاذ المودودى كتبه كانت هى اللغة الاردية ،ولكن اكثر تلك الكتب قد نقلت الى اللغات الاخرى مثل اللغة الانجليزية واللغة العربية واللغة البنغالية واللغة الهندية ،واللغة الفرنسية وكثير من اللغات العالمية الاخرى ،وبعضها كمبادئ الاسلام قد نقلت الى اكثر من ٣٠ لغة ،وهذا خير شاهد على القبول العام الذى قد نالته كتب الاستاذ المودودى فى العالم .

والان نتعرف على اهم هذه الكتب :

(١) تفهيم القرآن

وهو تفسير للقرآن الكريم الذى اخترناه موضوعا لرسالتنا هذه ،وسنفصل الكلام فيه فيما بعد ان شاء الله .

(٢) مبادىء الاسلام

هذا الكتاب الذى قد صدر لاول مرة فى عام ١٩٣٧ [١] قد نال القبول العام فى العالم الى حد انه قد نقل الى الان الى اكثر من ٣٠ لغة [٢] من اللغات العالمية وقد نشرت الملايين من نسخه فى اللغات العالمية المختلفة ووزعت فى البلاد الاسلامية والعالمية المختلفة ولا تزال ترجمته فى اللغات الاخرى المختلفة مستمرة .

ويشمل هذا الكتاب المعلومات الابتدائية عن الاسلام فى اسلوب سهل وجذاب لكى يتمكن عامة المسلمين من فهم ما هو الاسلام وما هى متطلباته ويبلغ تاثيره الى حد انه حينما يبدأ القارىء قراءته لا يقدر ان يتوقف الا ان يكمله ويحطم هذا الكتاب فكرة اتخاذ الدين طقوسا يقين فحسب ،بل يؤدى الفكرة بان الاسلام هو دين كامل ويجعل القارىء ان يقوم لاقامته ، فصدق الشيخ المفتى عتيق الرحمن رئيس المجلس الاستشارى بالهند ورئيس ندوة المصنفين ، بدلهى حيث قال بانه لا يعرف كتابا اخر ينال الكتاب " مبادىء الاسلام " لفهم الصحيح الابتدائى للاسلام [٣]

---

(١) مبادىء الاسلام ــ مقدمة الناشر للطبعة الثامنة والثلاثين ص ٧ .

(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدى ــ الامام ابو الاعلى المودودى ــ حياته دعوته ــ جهاده ص ٢٥ .

(٣) جريدة "جسارت" اليومية ــ عدد خاص بذكرى الاستاذ المودودى ص ٦٥ .

ومن أهم اللغات العالمية التى نقل اليها هذا الكتاب هى اللغة العربية ، واللغة الانكليزية ،واللغة البنغالية ، واللغة الفارسية ، واللغة الهندية ، واللغة التركية ،واللغة الاندونيسية ، واللغة السواحلية واللغة الفرنسية ، واللغة الهاوسة ، واللغة الالمانية ،واللغة الاسبانية ، واللغة اليابانية ،واللغة السندية ،واللغة البشتوية ، واللغة الماليبارية واللغة الهولندية ، واللغة البرتغالية ، واللغة الكورية ، واللغة الروسية ، واللغة الكجراتية ،واللغة التاملية ،واللغة الماليزية ، وغيرها كثير من اللغات العالمية المختلفة ،وقد نال هذا الكتاب رواجا عظيما فى البلاد الغربية وعدد غير قليل من غير المسلمين ، قد هداهم الله الى الاسلام بقراءته (١) ، ومئات الالاف من المسلمين ،قد عادت ثقتهم فى الاسلام به . فلله الحمد .

نحن والحضارة الغربية

يشمل هذا الكتاب الكلمات الافتتاحية والمقالات التى نشرها الاستاذ المودودى فى مجلته الشهيرة " ترجمان القران " من العام ١٣٥٢ الى عام ١٣٥٧ هـ الموافق عام ١٩٣٢م الى عام ١٩٣٨ م والتى نشرت فيما بعد فى عام ١٣٥٨هـ/ عام ١٩٣٩ م بصورة كتاب اسماه الاستاذ المودودى "التنقيحات" باللغة الاردية والذى نقل فيما بعد الى اللغة العربية باسم " نحن والحضارة الغربية " . والموضوع الذى تناوله الاستاذ فى المقالات التى يضمها هذا الكتاب هو مواجهة الحضارة الغربية ومؤثراتها فى العالم الاسلامى وهذا هو الرابط الذى يربط بينها ويجعلها كتابا مستقلا وموقف الاستاذ المودودى فى الصراع الذى قد بدأ بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية بعد استيلاء الاستعمار الغاشم على العالم الاسلامى لم يكن موقف الخضوع والعبودية الفكرية الذى قد اتخذه المثقفون الجدد ولا كان موقف

---

(١) انظر الاستاذ خليل الحامدى ــ الامام ابوالاعلى المودودى ــ حياته ، دعوته ،جهاده ص ٢٦

الرفض والاعتزال الذى قد اتخذه اكثر العلماء والمشايخ ، بل كما يتبين من محتويات الكتاب كان موقف الايمان والثقة موقف الشجاعة والجرأة ، وذلك لبصيرته فى الكتاب والسنة مع معرفته العميقة بالنظريات والفلسفات اللادينية التى قد جاءت بها الحضارة الاستعمارية الحديثة ، فلذلك تمكن من نقد الجاهلية الحديثة التى تقوم عليها اسس الحضارة الغربية وطموحها ، وهكذا انتقد مؤثرات الحضارة الغربية ومضارها فى المجتمعات الاسلامية ، كما انتقد موقف الخضوع والعبودية الفكرية ودعوات التجدد والتحرر فى الاسلام مع نقده موقف الرفض والجمود الذى اتخذه العلماء والمشايخ ، هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى تمكن الاستاذ من عرض الاسلام ومتطلباته باسلوب عصرى جذاب وكل ذلك بالبراهين العقلية والعلمية والادلة من القران والسنة والحقيقة انه كان لهذا الكتاب دوراهاما فى اعادة ثقة المثقفين الجدد فى صلاحية الاسلام ، لا فى شبه القارة الباكهندية فحسب ، بل فى العالم الاسلامى كله ، ويجدر بنا ان ننقل ... من هذا الكتاب ، وذلك من المقالة بعنوان : شرعة الابطال ، لا شرعة الضعاف ، لكى نرى ماهو الاسلوب الجذاب الذى قد اختاره الاستاذ المودودى فى هذا الكتاب :

" ان الشريعة الربانية لم تنزل للأقزام الخانعين ، ولا لعبدة الاهواء وهواة الدنيا ، ولا للذين مثلهم كمثل الريشة فى مهب الرياح او كالغثاء الجارى مع تيار الماء ولا للحربائيين الذين يتلونون بكل لون من الوان الظروف ، وانما انزلت لأولئك الليوث الابطال الذين يملكون بشجاعتهم تغيير مهب الرياح وتحويل مجرى المياه الى مايريدون ويحبون صبغة الله على سائر الاصباغ والألوان ، وقد عزموا ان يصبغوا بها جميع العالم "(١) .

---

(١) نحن والحضارة الغربية ص ٢٧٧ .

الخطب

هذا الكتاب الذى صدر فى عام ١٣٥٩ هـ الموافق عام ١٩٤٠م[1] لاول مرة يشمل المحاضرات التى القاها الاستاذ المودودى فى جامع دار الاسلام فى ولاية بنجاب فى عام ١٣٥٧ هـ الموافق ١٩٣٨م كخطب الجمعة[2]، وذلك بعدما انتقل الاستاذ المودودى هناك مهاجرا من حيدر اباد الدكن على دعوة المفكر الاسلامى الكبير، الدكتور محمد اقبال، وتشمل هذه المحاضرات القيمة الموضوعات الاتية : حقيقة الايمان، حقيقة الاسلام، حقيقة الصلاة، حقيقة الزكاة، حقيقة الصوم، حقيقة الحج وحقيقة الجهاد. وكان مخاطبوا الاستاذ فى تلك المحاضرات مسلمى القرى الذين لم يكن مستوى علمهم وفهمهم عاليا فاهتم الاستاذ المودودى بأن تكون لغتها واسلوبها سهلا جدا حتى يتمكن هؤلاء المسلمون من فهمها، فوفقه الله لتحقيق ذلك الهدف، ومن مزايا تلك المحاضرات أن الاستاذ يدعم مايدعو اليه بالأدلة من القرآن والسنة وبالبراهين العقلية والعلمية وجدير بالذكر بان هذه الادلة، مع كونها علمية وعقلية، يأتى بها الاستاذ من الأشياء التى يراها كل واحد من حوله فى حياته اليومية، وهذا مايجعلها سهلة الفهم، فلذا أسلوبها، مع كونه داعيا وعلميا، لم يزل سهلا وجذابا ومؤثرا. والحقيقة بان القارئ حينما يبدأ قراءته لا يقدر ان يتوقف الا اذا اكمله، ويشعر خلال قراءته بان الحجاب الذى كان بينه وبين الاسلام قد رفع وهو عرف ماهو الاسلام الحقيقى الذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا مايجعله يقوم للعمل الاسلامى، ومن مئات الالاف من الامثلة لذلك يكفى بنا أن نذكر هنا مايحكى الشيخ غلام نبى نائب

---

(١) مقدمة الخطب ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢.

امير الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير : اننى بعدما تخرجت فى دارالعلوم ديوبند (الهند) وعدت الى كشمير ،صادفنى ذات مرة أن احدا من اصدقائى جاءنى بكتيب يحمل اسم " حقيقة الايمان " واقترح لى ان اقرأه ، ولم يعجبنى هذا قط ، فكيف يجدر بعالم كبير مثلى انا ان يقرأ كتيبا صغيرا مثل هذا الكتيب ، ولكننى لم اقدر ان ارفض لذلك الصديق ، وبدأت قراءته ولم اقدر ان اتوقف حتى انتهيت منه ، وشعرت باننى مع اكمال دراستى فى العلوم الدينية لم افهم حقيقة الايمان وحقيقة الاسلام الا بعدما قرأت ذلك الكتيب (١) .

الجهاد فى الاسلام

هذا الكتاب الذى صدر لاول مرة فى عام ١٩٢٧ م كان يعتبر أول كتاب ألفه الأستاذ المودودى ولكن بعدما صدر الكتاب " مصدر قوة المسلم " قد تحولت الاولية اليه ، ولكن اوليته فى الاصدار لم تزل باقية والف الاستاذ المودودى هذا الكتاب خلال عام ١٩٢٦ حينما كان عمره ٢٣ سنة فحسب ، وكان سبب تاليف هذا الكتاب بانه فى عام ١٩٢٦ قام احد من المسلمين بقتل شرادهانند رئيس حركة التهنيد (اى جعل المسلمين هندوسا) الذى قد اصدر كتابا طعن فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقامت حركة عنيفة تهجم الاسلام والمسلمين وبدأ الهندوس يطعنون فى الاسلام قائلين بانه دين العنف والارهاب ، وانتشر فى العالم على حد السيف ، فكان خلال تلك الايام حينما قال الشيخ محمد على الجوهر رئيس حركة الخلافة بالهند فى احدى محاضراته فى الجامع بدهلى "ليت شخصا من المسلمين

---

(١) أخبرنى عن هذا الشيخ سعد الدين أمير الجماعة الاسلامية بولاية جامو وكشمير المحتلة .

يقوم ويفند الافتراءات التي يوجهها الهندوس الى الاسلام ، فعزم الاستاذ المودودي وهو شاب لم يتجاوز عمره ٢٣ عاما بانه يواجه ذلك التحدي ان شاء الله (١) . فبدأ يطالع أمهات الكتب في ذلك الموضوع كما بدأ يقرأ تاريخ الحروب في الاديان الأخرى وفي الحضارة الغربية الحديثة ، فبدأ يكتب حلقات متتالية في جريدته "الجمعية" ، وصدرت تلك الحلقات فيما بعد بصورة كتاب سماه الاستاذ "الجهاد في الاسلام" ومن اهم مزايا هذا الكتاب هي :

أولا : نرى بانه نتيجة للعبودية الفكرية التي قد وقع فيها المسلمون خاصتهم وعامتهم بعد استيلاء الاستعمار الأوروبي على معظم العالم الاسلامي قد اصبح موقفهم تجاه اعتراضات المستشرقين ضد الاسلام ولا سيما في باب الجهاد ، موقف الخضوع والاعتذار ولكن الأستاذ المودودي في تأليفه هذا تمكن من مواجهة هذه العقلية ، وقدم الصورة الحقيقية لفلسفة الجهاد الاسلامي ، وكان موقفه في ذلك موقف الايمان والثقة ، موقف الشجاعة والجرأة ، وهو أيد موقفه هذا بالبراهين العلمية والعقلية وبالادلة من القرآن والسنة .

ثانيا لم يكتف الاستاذ المودودي بتقديم فلسفة الجهاد الاسلامي بصورته الصحيحة فحسب بل اهتم ان يقارن بين فلسفة الجهاد الاسلامي وبين فلسفة الحروب في الاديان الاخرى ، بين الجهاد الاسلامي وبين الحروب في البلاد المتقدمة الحديثة ، وهكذا تمكن من الاثبات بالشواهد التاريخية بان الجهاد الاسلامي يهدف الى انقاذ النوع الانساني من الظلم والجور والطغيان وذلك باقامة الامة الصالحة حيث الحرب في الاديان

---

(١) انظر الاستاذ المودودي "جماعت اسلامى كى ٢٩ سال" ص ١٥ .

الاخرى والحضارة الغربية الحديثة ؛ ليس هدفه الا قتل الابرياء والسلب والنهب واستيلاء القوى على الضعيف .

ثالثا : خلال حديثه في موضوع الجهاد اهتم الاستاذ المودودى أن يتناول موضوعا هاما اخر ايضا وهو ماهى الغاية التى اخرجت الامة الاسلامية لأجلها ؟ وبين بالبراهين والادلة من الكتاب والسنة بأن غايتها الاصلية هى استئصال امامة الكفر والطغيان واقامة الامامة الصالحة محلها .

رابعا : اسلوب الاستاذ المودودى فى هذا الكتاب ،مع كونه اول تاليفه المستقل هو اسلوب علمى جذاب مؤثر والقارئ بعد ما يبدأ قراءته لا يمكن له ان يتوقف قبل ان يكمله .

والحقيقة بان الانسان ياخذه العجب والحيرة حينما يرى بأن شابا لم يتجاوز عمره ٢٢ سنة يؤلف كتابا مثل هذا الكتاب وبهذا الاسلوب الذى قال الدكتور محمد اقبال فيه : " لم يمر امام نظرى مثل اهذا الكتاب العلمى الجامع الذى كتب عن هذا الموضوع فى اللغة الاردية "(١) . فلذلك كان دائما ينصح الشباب المسلمين باقتناء هذا الكتاب (٢) ، ويجدر بنا ان نذكر هنا مثالا عن تاثير هذا الكتاب على القارئ فيذكر لنا الصحافى والكاتب الشهير السيد / آغا شورش الكاشميرى بانه قد اصبح شيوعيا ولكن بعد ما صادفه ان قرأ كتاب " الجهاد فى الاسلام " وذلك حينما كان فى السجن فى عام ١٩٤٥ م قد أنقذه الله من الشيوعية(٣) .

(١) انظر الاستاذ اسعد جيلانى ـ ابوالاعلى المودودى ـ فكره ودعوته ص ٣٩٩ .

(٢) انظر الاستاذ خليل الحامدى ـ الامام ابوالاعلى المودودى ـ حياته ، دعوته جهاده ص ١٦ .

(٣) انظر الاستاذ محمد يوسف ـ " مولانا مودودى ابنى اوروسرئى كى نيظرمين" . ص ٥٣٨-٥٣٩ .

ونختم حديثنا في هذا الكتاب بما قال الاستاذ المودودى نفسه :
" ان كتاب الجهاد فى الاسلام " نفعنى أكثرمن أى شخص آخر ، دخلت فى تأليفه وكنت على الحمية القومية وخرجت وانا على حمية الاسلام ، عرفت طريقة احيائه "(١) .

المصطلحات الاربعة فى القرآن

صدر هذا الكتاب لاول مرة عام ١٣٦٠ هـ الموافق عام ١٩٤١ م اى نفس العام الذى تأسست فيه الجماعة الاسلامية وهو من أهم الكتب التى ألفها الاستاذ المودودى . ويشمل تفسير المصطلحات الاربعة الاساسية للقرآن وهى الاله والرب ، والعبادة ، والدين ، كما يفهمها الأستاذ المودودى من القرآن والسنة واللغة . والحقيقة بأن هذه المصطلحات هى مفاتيح القرآن لان كل ماجاء به القرآن يدور حول هذه المصطلحات الأربعة أى أن الله وحده هو الاله والرب ، فاياه ينبغى ان يعبد الانسان ، وله وحده ينبغى ان يخلص الدين ، واذا كانت هذه هى الحقيقة فيمكننا ان نقول بأن الفهم الصحيح للقرآن ينحصر على الفهم الصحيح لهذه المصطلحات الأربعة ، فلذلك لابد لمن يقوم لاحياء الدعوة الاسلامية أن يحتنى بالتفسير الصحيح لتلك المصطلحات الأربعة الأساسية فى القرآن فالأستاذ المودودى كالداعية الاسلامى الكبير كان لابد له أن يهتم بذلك فجاء بالتفسير الصحيح لها وبين بأن كلمة الاله ليس المراد منها المعبود بمفهومه العام فحسب بل يشمل مفهومها المالك والملك والحاكم والشارع ايضا ، وهكذا كلمة الرب ليس المراد منها المربى فحسب بل يشمل مفهومها كل من تلك

---

(١) انظر الاستاذ محمد يوسف ــ مولانا مودودى ، اپنى اور دوسرں كى نظرمیں ص ٣٦٣ .

المعانى التى تشملها كلمة الاله ، وكلمة العبادة ليس المراد منها أداء الطقوس فحسب ، بل فى الحقيقة تتسع دائرتها الى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ، وهكذا كلمة الدين ليس المراد بها المعاملة الشخصية بين الانسان والاله كما يفهم بعض الناس بل يشمل مفهومها كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية والحقيقية التى لابد ان نشير اليها هى بأن هذه المعانى لتلك المصطلحات الأربعة الأساسية لم تكن جديدة بل كما بين الأستاذ المودودى بالأدلة من القرآن والسنة وبالشواهد من الأدب الجاهلى بأنها كانت معروفة لدى أهل اللغة العربية فى القرون الاولى ولكن مع الاسف نسى المسلمون او تناسوا هذه المعانى فى القرون الأخيرة ، فكانت النتيجة بان المفهوم الصحيح للاسلام قد اختفى من العيون فالاستاذ المودودى حينما قرران يقوم لاحياء الدعوة الاسلامية كان لابد له ان يعتنى باحياء المفهوم الصحيح لهذه المصطلحات الاربعة الاساسية التى ينحصر فيها احياء التصور الصحيح للاسلام .

وجدير بالذكر ان بعض من العلماء والمشايخ لهم بعض الملاحظات على هذا التفسير لتلك المصطلحات الاربعة الاساسية ولكن الحقيقة بان الادلة التى جاء بها هؤلاء العلماء لاتساوى ولا تنال بالأدلة التى قد جاء بها الأستاذ المودودى ، فأدلة الاستاذ المودودى لاتزال تفوق .

تجديد الدين واحيائه

يشمل هذا الكتاب المقال الهام الذى كتبه الأستاذ المودودى لمجلة " الفرقان " الشهرية التى تصدر من بريلى (الهند) وذلك بعددها الخاص فى ذكرى الامام ولى الله الدهلوى فى عام ١٩٤٠م ، ثم صدر هذا المقال بصورة كتاب فى عام ١٣٦٠ هـ الموافق ١٩٤٠ م وهذا المقال مع ان موضوعه كان يدور حول قضايا التجديد التى قام بها الامام ولى الله الدهلوى ، ولكن الاستاذ المودودى خلال حديثه فى الامام ولى الله الدهلوى

تناول موضوعا هاما آخر أيضا ، وهو بيان حقيقة عمل التجديد ومقتضياته كما اهتم ببيان تاريخ عمل التجديد ، وبين بأنه كلما تمكنت الجاهلية من ايجاد طريق داخل النظام الاسلامى فلابد من ظهور شخصية او شخصيات تهتـم باجلاء وجه الاسلام بكل الاهتمام ، وتستمر فى الجهاد للوصول الى الغاية ، مهما تكن الاوضاع ، حتى تتمكن من تصفية ما تكاثف عليه من بدع وخرافـات وتكلم خلال ذلك بالايجاز عن عمل التجديد الذى قام بها بعض من المجددين الكبار كالخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، والائمة الاربعـة والامام الغزالى والامام ابن تيمية ، والامام أحمد السرهندى ، والامام ولـى الله الدهلوى ، والامامين الشهيدين اى الامام احمد البريلوى والامـام اسماعيل " وبين بالايجاز ماهو دور كل واحد منهم فى القضاء على الجاهليـة التى قد تمكنت من الدخول فى النظام الاسلامى فى عصره ، كما ذكر ملاحظاتـه على بعض الأفكار لبعض من هؤلاء الائمة الكبار كالامام الغزالى والامام احمـد السرهندى والامام ولى الله الدهلوى والامامين الشهيدين ، وفى بدايـة هذا الكتاب بين الأستاذ المودودى ماهو الفرق بين الاسلام والجاهليـة بأنواعها المختلفة ، كما يشتمل اخر الكتاب الضميمة التى فيها ردود الاسئلة الموجهة اليه فيما بعد فى هذا الموضوع .

• • •

مكانة السنة فى التشريـــــع

من المعلوم ان حركة انكار حجية السنة النبوية فى التفسير والتشريع هى من الحركات الهدامة المعادية للاسلام التى أنشئت اثر غزو الاستعمار الحضارى على العالم الاسلامى للتوفيق بين الاسلام وبين الحضارة الغربية الجاهلية وانتشرت هذه الحركة فى شبه القارة الباكهندية تحت رعاية الاستعمار الغاشم . وهكـــذا كانت فترة حكام باكستان العلمانيين فترة خصبة لانتشار دعوة هذه الفئة الضالةولاسيما فى عهد الرئيس ايوب خان حصلت لهم السلطة التنفيذية فى شئون الدولـــة ، فتأسست خلال هذه الفترة ادارة التحقيقات الاسلامية باسلام اباد ، ليتمكـــن منكروا السنة من نشر افكارهم على حساب الدولة . وبدأ كتابهم الهجوم العنيـــف على مكانة السنة النبوية فى التفسير والتشريع . . وهكذا كان لتشجيع الحكومـــة لمجلة منكرى السنة الرسمية (طلوع اسلام) (١) أن حصل لها نفوذا كبيرا فـــى الدوائر الحكومية العسكرية والمدنية . . . فهنا قرر الاستاذ المودودى ان يعتنى بالقضاء على هذه الحركة الهدامة ، فقام بتاليف كتابه الشهير (مكانة السنـــة فى التشريع) وفضح فيه الوجه الحقيقى لهذه الفئة الضالة وجاء بالادلة مـــن القران الكريم والبراهين العقلية القوية على ان القرآن لا يمكن العمل بمقتضياتـــه وتعليماته الا عن طريق السنة النبوية . وهكذا بين كون السنة النبوية مصـــدرا ثانيا للتفسير والتشريع ردا على اعتراضات منكرى السنة على مكانتها فى الديـــن

---

(١) مجلة (طلوع اسلام) الشهرية تعتبر مجلة رسمية لفئة منكرى السنـــة ويصدرها الشودرى غلام احمد برويز ، اكبر دعاة انكار السنة فى باكستان فى هذه الايام ، وكانت هذه المجلة تصدر من (الدهلى) فى اوائل امرها ثم نقل مركزها الى كراتشى عام ١٩٤٧ الميلادى ثم فى عام ١٩٥٨ نقل مركزها الى لاهور.

وجدير بالذكر ان هذا الكتاب يشمل جزئين ، الجزء الاول : ردود الاستاذ المودودى على الخطابات التى وجهت اليه من قبل احد اعضاء ادارة (طلوع اسلام) البارزين الدكتور عبد الودود ، والجزء الثانى يشمل مناقشة الاستاذ المودودى لما كتبه احد قضاة المحكمة العليا بلاهور السيد القاضى محمد شفيع هجوما على مكانة السنة فى التشريع فى حكمه فى احدى القضايا ، والحقيقة ان الكتاب (مكانة السنة فى التشريع) له دور هام فى القضاء على سيطرة فئة منكرى السنة فى المجتمع الباكستانى ، فيقول الطالب / خادم حسين الهى بخش فى رسالته للماجستير (فرقة اهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها) عن دور هذا الكتاب فى الدفاع عن السنة النبوية فى باكستان :

" واصبحت مدينة لاهور ، مدينة اقبال — مقرا دائما لدعوة (طلوع اسلام) عام ١٩٥٨م لكن القوى الالهية كانت له بالمرصاد ، اذا جعل مولانا المودودى لاهور نفسها مقرا للجماعة الاسلامية وسلط اضواء مستفيضة على دعوة برويز وحذر الناس من اتباعه وعواقبه الوخيمة التى تنتظر متبعيه يوم القيامة ، فلولا وجود مولانا المودودى فى لاهور لكان لطلوع اسلام وصاحبه شان غيرما عليه الان "(١) .

فيمكننا من هذا أن نعين مكانة هذا الكتاب القيم ونقدر عن دورها فى الدفاع عن السنة النبوية ، فصدر هذا الكتاب لاول مرة عام ١٩٦٣م من قبل " الناشرين الاسلاميين " بلاهور ، واما ترجمته باللغة العربية فلم تصدر حتى الان .

• • •

---

(١) خادم حسين الهى بخش — فرقة اهل القران بباكستان وموقف الاسلام منها ص٣٧ .

" الحجـــاب "

لقد أسلفنا فى هذه الرسالة ان حياة مسلمى الاجتماعية كان لاهميتهـــا البالغة ان ركز عليها الاستعمار وعملائه بصفة خاصة ، فقد ظهرت الدعوات والحركات تحت رعاية الاستعمار المباشرة او غير المباشرة فى البلاد الاسلامية المختلفـــة وكانت هذه الحركات والدعوات تهدف الى ان تسير المرأة المسلمة على نفس المنهج الذى كانت تسير عليه المرأة الغربية وتترك الحجاب الشرعى وتختار الخلاعـــة والسفور وتخرج من البيت سافرة الوجه بل شبه العارية وتشارك الرجال فى أنشطـة الحياة الاجتماعية وذلك من التوظيف فى الدوائر الحكومية المدنية والعسكريـــة الى المشاركة فى المباريات القومية والدولية ومهرجانات الشباب والشابات المختلطة ، ومن خدمة الركاب فى الطائرات الى تمريض المرضى فى المستشفيات ومن استقبـــال النزلاء فى الفنادق والمقاهى الى المشاركة فى حفلات الرقص والموسيقى المختلطة ، وكل ذلك باسم حقوق المرأة وتحريرها من سيطرة الرجال . فكان من الطبيعـــى أن يترك ذلك الاختلاط بين الرجال والنساء فى دوائر الحياة المختلفة اثـــاره الطبيعية فاكثرت الفواحش والمنكرات فى المجتمعات الاسلامية المختلفـــة ، وزاد الطين بلة اذ قام بعض من " علماء السوء " باصدار الفتوى ان حجاب المرأة المسلمة ليس له اى اساس فى الشريعة الاسلامية ، وهذا ما اضطر به الاستاذ المودودى الـــى ان يقوم لمواجهة ذلك التحدى بتاليف كتابه الشهير " الحجاب " والكتاب يشمـــل عدة مباحث فالمبحث الاول ياتى فيه الاستاذ بالسياق التاريخى لهذه المسألـــة من الحضارة اليونانية الى الحضارة الاوربية الحديثة ويبين بالبراهين القويـــة أن اختلاط النساء بالرجال ومشاركتهن فى انشطة الحياة الاجتماعية يودى الـــى انهيار المجتمع ، ثم يتكلم الاستاذ عن الاسباب التى جعلت المسلمين يقعـــون فريسة لغزو الاستعمار الحضارى ، ثم يذكر الخلفية التى اضطرت بها المرأة فـــى

فى المجتمعات الغربية الى الخروج من البيت والمشاركة فى أنشطة الحياة الاجتماعية . ويذكر الاستاذ المؤثرات التى جاء بها خروج المرأة من البيت ومشاركتها فى أنشطة الحياة الاجتماعية فى المجتمع الغربى المعاصر ثم يبين بالتفصيل النتائج التى سيأتى بها سفور المرأة فى المجتمع الاسلامى ويحذر الامة الاسلامية عنها ، ثم يذكر متطلبات المدنية الصالحة ومقتضياتها ثم يتكلم عن المبادئ الاساسية لحياة مسلمى الاجتماعية ثم يذكر احكام حجاب المرأة المسلمة مستدلا من الكتاب والسنة ،وبهذا يختم الاستاذ هذا الكتاب القيم الذى صدر لاول مرة عام ١٩٣٩ الميلادى ثم صدرت ترجمته باللغة العربية عام ١٩٥٦م .

الدولة الاسلامية

كما أسلفنا أن اقامة الحكومة الاسلامية هى من اهم اهداف الحركة الاسلامية . والاسلام لا يمكن العمل بمتطلباته ومقتضياته الا باقامة الحكومة الاسلامية ولكن كان لمؤثرات غارة الاستعمار السياسية والحضارية ان نسى المسلمون او تناسوا اهميتها البالغة فى الدين فاختفيت عليهم اوجه النظام الاسلامى المختلفة ، فكان من الطبيعى ان يعتنى بها الاستاذ بصفة خاصة ويبين اهميتها فى الدين ويوضح بالتفصيل اوجه النظام الاسلامى فالمختلفة ، والكتاب (الدولة الاسلامية) يشمل مختارات كل ماكتبه الاستاذ المودودى فى هذا الموضوع فى المناسبات المختلفة من بداية الدعوة الى عام ١٩٦٢م حيث قام البروفسور خورشيد احمد (١)

(١) هو البروفسور خورشيد احمد بن محمد نذير القريشى قد تاثر بدعوة الاستاذ المودودى وهو طالب فانضم الى جمعية الطلبةالاسلامية بباكستان وانتخب رئيسا لها فى عام(١٩٥٣م) حصل على شهادة الماجستير فى الاقتصاد من جامعة الكراتشى عام ١٩٥٥ وعين استاذا فيه وفى الوقت ذاته انضم الى الجماعة الاسلامية وانتخب عضوا للمجلس الشورى للجماعة وأمين عام لمجمع المعارف الاسلامية التابع للجماعة ثم فى عام ١٩٦٨ ترك عطه فى الجامعة وقام بتاسيس المؤسسة الاسلامية بلسستر(انجلترا) تحت رعاية الجماعة الاسلامية . ثم فى عام ١٩٧٨ عين وزيرا للتخطيط فى حكومة (=)

احد تلاميذ الاستاذ البارزين بتدوين هذا الكتاب ونشره فى صورته الحالية والكتاب يشمل اربعة أجزاء : الجزء الاول يشمل خمسة ابواب والباب الاول يبين فيه الاستاذ بالادلة من الكتاب والسنة ان الاسلام دين ودولة وان الاسلام لا يمكن العمل به الا باقامة الحكومة الاسلامية . والباب الثانى يشمل محاضرة الاستاذ المودودى الشهيرة (نظرية الاسلام السياسية) التى يقول فيها الكاتب الاسلامى الكبير الدكتور محمد المبارك " ولعلها من اجود ماكتب فى الموضوع مع سعة فى الاطلاع وفى افق التفكير وسلامة فى الاتجاه ودقة فى تمييز نظام الاسلام من غيره "(١) والباب الثالث يتكلم فيه الاستاذ عن فلسفة القرآن السياسية . والباب الرابع يتحدث عن المراد من كون الانسان خليفة الله على الارض والباب الخامس يشمل ماكتبه الاستاذ نقدا لنظرية القومية الوطنية الجاهلية . واما الجزء الثانى فيشمل ستة ابواب : الباب الاول يتحدث عن المصادر الاساسية للدستور الاسلامى والباب الثانى يتكلم فيه الاستاذ عن المبادىء الاساسية للدولة الاسلامية والباب الثالث يتحدث فيه الاستاذ عن مبادىء الدستور الاسلامى الاساسية . والباب الرابع يتحدث عن الحكومة الاسلامية النموذجية وهى الحكومة فى عهد النبوة والخلافة الراشدة . والباب الخامس يتكلم فيه الاستاذ عن مقتضيات التشريع والاجتهاد . والباب السادس يشمل بعض المباحث الدستورية الهامة . واما الجزء الثالث فيشمل اربعة ابواب والباب الاول يتحدث عن حقوق الانسان الاساسية فى الاسلام. والباب الثانى يتكلم فيه الاستاذ عن حقوق اهل الذمة . واما الباب الثالث يتكلم عن العدالة الاجتماعية فى الاسلام . والباب الرابع يتحدث فيه الاستاذ عن اهم مبادىء الدولة الاسلامية

(=) الجنرال ضياء الحق ثم مستقل عن الوزارة حينما قررت الجماعة الاسلامية الانسحاب من الحكومة. ثم قام بتاسيس المعهد للدراسات الاستراتيجية باسلام اباد ومازال رئيسا للمعهد حتى اليوم.

(١) الدكتور محمد المبارك ـ الحكم والدولة ص : ٨٠

الاساسية . وأما الجزء الرابع فيشمل محاضرة الاستاذ المودودى الشهيرة (كيف تقام الحكومة الاسلامية) ، وهكذا اصبح هذا الكتاب موسوعة قيمة لما يتعلق بالدولة الاسلامية ، وصدر هذا الكتاب لاول مرة عام ١٩٦٢ الميلادى ونقله الى اللغة العربية الاستاذ احمد ادريس وقامت مكتبة المختار الاسلامى بمصر بنشر هذه الترجمة وتوزيعها .

• • •

قائمة بمؤلفات الاستاذ المودودى حسب التصنيف الموضوعي

وبعد ان تكلمنا عن بعض من أهم مؤلفات الاستاذ المودودى يجدر بنا أن نأتى هنا بقائمة مؤلفاته حسب التصنيف الموضوعي مع الاشارة الى بعض المزايا لكل صنف. واليك بيان ذلك :

الكتاب والسنة

من المعلوم ان الكتاب والسنة هما المصدران الاساسيان للدعوة الاسلامية ولا يمكن القيام بعمل الدعوة الاسلامية الا بالاهتداء بهما . ولذا كان من مقتضيات القيام بعمل الدعوة ان يعتنى الاستاذ بصفة خاصة بفهمهما ويقدم الحلول لمشاكل الحياة الفردية والاجتماعية فى ضوءهما ويرد على الاعتراضات التى ياتى بها المستشرقون وتلامذتهم على القرآن والسنة من النواحى المختلفة ولاسيما على الاعتراضات الواردة على العلاقة بين الكتاب والسنة ومكانة السنة فى التشريع والكتب التى ألفها الاستاذ حول هذا الموضوع هى كالاتى :

١ــ تفهيم القران (ست مجلدات) وهو تفسيره للقران الكريم الذى اخترناه موضوعا لهذه الرسالة .

٢ــ ترجمة القران باللغة الاردية وهى تشمل ترجمة الاستاذ المودودى للقران الكريم مع موجز الهوامش التى كتبها الاستاذ المودودى لتفسيره (تفهيم القران) وصدرت هذه الترجمة عام ١٩٧١م.

٣ــ مبادىء اساسية لفهم القران : هذا الكتاب يشمل مقدمة تفسيره للقران الكريم (تفهيم القران) ثم صدر بصورة كتاب مستقل وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٦٨ الميلادى.

٤ــ القران والحديث : هذا الكتاب يشمل ماكتبه الاستاذ المودودى دفاعا عن السنة النبوية ومبينا العلاقة بين القران والسنة من بداية دعوته الى عام ١٩٥٣ الميلادى .وصدر من لاهور عام ١٩٥٣م.

٥ ـ فضائل القران : كتاب نشر عام ١٩٧٧ الميلادى .

٦ ـ المصطلحات الاربعة فى القرآن : هذا الكتاب ذكرنا عنه بالتفصيل .

٧ ـ كتاب الصوم : كتاب يشمل دروس الاستاذ المودودى من كتاب الصوم لمشكواة المصابيح وقد اهتم بتدوينه واصداره الاستاذ حفيظ الرحمن احسن عـــام ١٩٧٣ الميلادى .

٨ ـ مكانة السنة فى التشريع : هذا الكتاب اسلفنا عن ذكره بالتفصيل .

٩ ـ تفهيم الحديث : موسوعة كبيرة فى الاحاديث النبوية الشريعة تشمل الاحاديث الشريفة التى اوردها الاستاذ المودودى فى تفهيم القران وتاليفاته الاخـرى واهتم بتدوينها واصدارها مجمع المعارف الاسلامية بلاهور .

السيرة النبـويـــــة

ان السيرة النبوية هى سيرة مؤسس الحركة الاسلامية وقائدها ولا يمكـــن فهمها فهما صحيحا الا بدراسة السيرة النبوية دراسة شاملة ولا يمكن العمل فـــى مجال الدعوة الا بالاهتداء بها . فكان من هذا المنطلق ان قرر الاستاذ المودودى القيام بدراسة السيرة النبوية دراسة شاملة قبل بداية الحركة الاسلامية ثم قـــرر أن يقوم بتاليف الكتب فى السيرة النبوية باسلوب يهتدى بها العاملون فى مجـــال الدعوة والكتب التى ألفها الاستاذ المودودى حول هذا الموضوع كالاتى :

١ ـ سيرة سيد العالم : هذا الكتاب موسوعة كبيرة يشمل كل ماكتبه الاستاذ المودودى فى السيرة النبوية وصدر منه القسم الاول والثانى حتى عام ١٩٧٢ م والقسم الاول يشمل المبادىء الاساسية للموضوع . والقسم الثانى يتنـــاول العهد المكى ، واما القسم الثالث الذى يشمل العهد المدنى وهو الان تحت الطبع ، واما ترجمته باللغة العربية لم تصدر حتى الآن .

٢ـ النبوة المحمدية فى محكمة العقل : وهو كتاب صغير جاء الاستاذ فيــه بالبراهين العقلية القوية على النبوة المحمدية ليقنع الجيل المثقف الجديــد وهذا الكتاب صدر فى اللغة الاردية عام ١٩٣٧ الميلادية ثم صدرت ترجمتــه باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٨ الميلادى .

٣ـ رسالة السيرة النبوية : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٦ الميلادى .

٤ـ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٠ الميلادى .

٥ـ سيرة ختم المرسلين : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٦ الميلادى .

٦ـ السيرة الطاهرة : كتيب صغير صدر عام ١٩٧٨ الميلادى .

٧ـ القرآن والرسول : كتيب صدر فى عام ١٩٥٤ الميلادى .

٨ ـ سيد العالم : كتيب صغير يشمل حديث الاستاذ المودودى من الاذاعــة عام ١٩٤١ الميلادى .

العقائد والالهيات ومبادىء الاسلام الاساسية

ان العقائد والالهيات والمبادىء الاساسية الاخرى مكانتها فى الدين كمكانــة القلب فى الجسم ،ولكن كان لظهور الانحطاط الفكرى والعلمى فى المسلمين مــن ناحيــة ، ولوقوعهم فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية الجاهلية من الناحيــة الاخرى ، ان اذعانهم فى العقائد الاسلامية الاساسية اصبح طقسا فارغا عــن الروح الحقيقى ، كما تأثر اكثرهم من الشبهات التى جاء بها المستشرقون والمبشرون فى العقائد والالهيات الاسلامية فلهذا كان من متطلبات القيام بعمل الدعــوة أن يعتنى الاستاذ ببيان هذه العقائد الاساسية باسلوب جذاب مدلل يقتنــع به الجيل المثقف الجديد فقام بعديد من التأليفات القيمة حول ذلك الموضــوع ومن مزايا هذه الكتب ان ياتى فيها الاستاذ بالادلة من الكتاب والسنة علاوة عــن البراهين العقلية القوية وذلك باسلوب سهل جذاب ، وكان بفضل الله ثم بفضـل

هذا الاسلوب السهل الجذاب ان تمكن الاستاذ من ازالة الشبهات عن اذهان الشباب المثقفين واعادة ثقتهم فى العقائد الاسلامية الاساسية كما كان بفضل هذا الاسلوب المبرهن الحكيم ان عددا غير قليل من غير المسلمين هداهم الله الى الاسلام ومنهم الدكتور ضياء الرحمن الاعظمى الاستاذ بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الذى كان هندوسيا وهداه الله بنعمة الاسلام بقراءة الكتاب (الدين القيم) والكتب التى ألفها الاستاذ المودودى حول هذا الموضوع كالآتى :

١ـ مبادىء الاسلام : هذا الكتاب قد فصلنا القول فيه فى هذه الرسالة.

٢ـ الخطب : هذا الكتاب أيضا فصلنا القول فيه فى هذه الرسالة.

٣ـ نظرة فاحصة على العبادات الاسلامية : هذا الكتاب ألفه الاستاذ فى عام ١٩٣٩ الميلادى .

٤ـ خطبات الحرم الشريف : كتاب يضم الخطب التى ألقاها الاستاذ المودودى فى الحرم المكى الشريف خلال موسم الحج عام ١٩٦٣ الميلادى .

٥ـ الاسلام والجاهلية : كتيب صغير يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى ألقاها فى الكلية الاسلامية ببشاور عام ١٩٤١ الميلادى .

٦ـ طريق السلام : هذا الكتاب يشمل محاضرة الاستاذ التى القاها عام ١٩٤٠ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٦ الميلادى .

٧ـ الحضارة الاسلامية ـ اسسها ومبادئها : هذا الكتاب ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٣٣ وصدرت ترجمته باللغة العربية فطبعت من قبل دار الخلافة للطباعة والنشر .

٨ ـ الدين القيم : كتاب هام يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى ألقاها في الجامعة الطبية بالدهلى عام ١٩٤٣ الميلادى ، وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت .

٩ ـ البعث بعد الموت : كتيب صغير يشمل حديث الاستاذ المودودى من الاذاعة عام ١٩٤١ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٨ الميلادى وتضم الكتاب " فى حكمة العقل " .

١٠ ـ مسألة الجبر والاختيار : هذا الكتاب ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٣٣ الميلادى ردا على اعتراضات أحد قادة حركة جحود حجية السنة النبوية الشودرى غلام احمد برويز على هذه العقيدة الاساسية .

١١ ـ فى حكمة العقل : هذا الكتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودى فى التوحيد والرسالة والبعث والقدر ، وقام بتدوينه وترجمته باللغة العربية الاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٨ الميلادى .

الدعوة الاسلامية ومتطلباتها

من المعلوم أن الاستاذ المودودى لم يكن مؤلفا عاديا بل كان مؤلفا داعيا فلذا من الطبيعى ان عددا غير قليل من تأليفاته يدور حول موضوع الدعوة ، ومنها الكتب التى ألفها الاستاذ المودودى مبينا مبادىء الدعوة الاسلامية وأسسها ومنها الكتب التى تتحدث عن خصائص الدعوة الاسلامية ومزاياها . ومنها الكتب التى ألفها الاستاذ المودودى لبيان منهج الدعوة الاسلامية وبرنامجها . كما أن منها الكتب التى يتكلم فيها الاستاذ عن الصفات اللازمة للدعاة وهكذا منها الكتب المستقلة التى ألفها الاستاذ حول هذا الموضوع ، ومنها الكتب التى تضم المحاضرات التى ألقاها الاستاذ فى مؤتمرات الجماعة الاسلامية السنوية توجيهها للعاملين فى مجال الدعوة ومنها ماكتبه الاستاذ ردا على الاسئلة حول الدعوة

ومتطلباتها . واليك بيان تأليفات الاستاذ المودودى حول ذلك الموضوع :

١ـ الدعوة الاسلامية ومتطلباتها : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الاستاذ المودودى فى المؤتمر السنوى للجماعة الاسلامية عام ١٩٤٥م وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى تضم الكتاب تذكرة دعاة الاسلام.

٢ـ الاسس الاخلاقية للحركة الاسلامية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى ألقاها فى مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٥ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل الاتحاد العام لطلاب مصر.

٣ـ الجهاد فى الاسلام : هذا الكتاب فصلنا القول فيه فى بداية الفصل.

٤ـ الجهاد فى سبيل الله : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى القاها عام ١٩٣٩ م. فقد صدرت ترجمة الكتاب باللغة العربية .

٥ـ تجديد الدين واحيائه : هذا الكتاب ذكرنا عنه بالتفصيل .

٦ـ شهادة الحق : هذا الكتاب يشمل محاضرة الاستاذ القاها فى مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٦ م فقد صدرت ترجمته باللغة العربية من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت .

٧ـ الصفات اللازمة للعاملين فى مجال الدعوة الاسلامية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى القاها فى المؤتمر العام للجماعة الاسلامية عام ١٩٥١م وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى تضم الكتاب " تذكرة دعاة الاسلام ".

٨ ـ الشروط اللازمة لنجاح الحركة الاسلامية : كتاب يشمل توجيهات الاستاذ المودودى للعاملين فى مجال الدعوة وصدر فى عام ١٩٦٧ الميلادى.

٩ـ واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ القاها فى المؤتمر العام للجماعة الاسلامية عام ١٩٥١ م فقد صدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ عاصم الحداد ونشرت من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت.

١٠ـ الجماعة الاسلامية ـ هدفها ، تاريخها وبرنامجها : كتاب ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٥١ الميلادى .

١١ـ دعوة الجماعة الاسلامية : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الاستاذ المودودى فى مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٧ الميلادى .

١٢ـ دور المرأة المسلمة فى الحركة الاسلامية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى ألقاها فى مؤتمر السيدات الذى انعقد تحت رعاية الجماعة الاسلامية بلاهور عام ١٩٤٨ الميلادى .

١٣ـ مصدر قوة المسلم : كتاب ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٢٥ الميلادى حين كان عمره ٢٢ عاما وصدر هذا الكتاب لاول مرة عام ١٩٦٩ الميلادى

١٤ـ ماهى الدعوة الاسلامية : كتيب صغير يشمل دعوة الجماعة الاسلامية .

١٥ـ مستقبل الحركة الاسلامية فى الهند : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الاستاذ المودودى فى مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٧ ، قبل تقسيم البلاد الى دولتين مستقلتين : الهند وباكستان .

١٦ـ الدعوة الاسلامية ومنهجها : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى القاها فى مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٥ الميلادى .

١٧ـ برنامج الحركة الاسلامية للمستقبل : كتاب يشمل المحاضرة الطويلة التى القاها الاستاذ المودودى فى المؤتمر العام للجماعة عام ١٩٥٦ الميلادى .

١٨ـ الجماعة الاسلامية خلال ٢٩ سنة : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى القاها عام ١٩٧٠ الميلادى فى ذكرى تاسيس الجماعة الاسلامية .

١٩ـ تذكرة دعاة الاسلام : كتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ حول الدعوة الاسلامية ومتطالباتها فى المناسبات المختلفة ، وقام باختيارها وترجمتها باللغة العربية الاستاذ خليل الحامدى .

٢٠- العلم والعمل : كتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودى حول الدعوة ومتطلباتها فى المناسبات المختلفة وقام باختيارها الاستاذ عاصم النعمانى .

٢١- هلموا نقوم بتغيير هذا العالم : كتيب صغير يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ حول الدعوة ومتطلباتها واهتم بتدوينه واصداره باللغة الانجليزية الاستاذ كوكب الصديقى .

٢٢- الحركة الاسلامية - دعوتها وتاريخها : كتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودى حول الدعوة ومتطلباتها وقام باختيارها البروفسور خورشيد أحمد .

٢٣- تقرير عن الجماعة الاسلامية (ستةمجلدات) : موسوعة كبيرةتشمل التقارير عن انشطة الجماعة الاسلامية من تاسيسها فى عام ١٩٤١ الى عام ١٩٥١م .

الحكومة الاسلامية وما يتعلق بهــــا

ان الاسلام دين كامل يشمل كل دائرة من دوائر الحياة المختلفة ولا يمكن العمل به الا اذا اقيمت الحكومة الاسلامية ، فاقامة الحكومة الاسلامية اذن تعتبر من اهم اهداف الحركة الاسلامية وهذا ماتدل عليه اسوة النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ولكن كان لانحطاط المسلمين الفكرى والسياسى من ناحية ، وانفصال الدين عن الشئون الحكومية من الناحية الثانية وخضوع المسلمين للنظم السياسية الغربية اللادينية من الناحية الثالثة ان نسى المسلمون او تناسوا اهمية اقامة الحكومة الاسلامية ، فكان من متطلبات القيام بعمل الدعوة ان يعتنى الاستاذ بصفة خاصة بالجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية ويبين بكل الوضوح اهمية اقامة الحكومة الاسلامية مع بيان منهجها ويوضح بكل الصراحة نظرية الاسلام السياسية مع بيان الفروق بينها وبين النظم السياسية العلمانية الحديثة . وهذا مانراه فى

تأليفاته القيمة فى هذا الموضوع. وجدير بالذكر أن تأليفاته فى ذلك الموضوع تمتاز باسلوبها الجذاب المبرهن الذى يتأثر به القلب والذهن معا . فلذا هذه الكتب كان لها دورا كبيرا فى انقاذ الجيل المثقف الجديد من العبودية الفكرية للنظم السياسية الغربية واقناعهم باهمية اقامة الحكومة الاسلامية واعادة ثقتهم فى نظام الاسلام السياسى والكتب التى ألفها الاستاذ فى هذا الموضوع كالاتى :

١ـ كيف تقام الحكومة الاسلامية : كتاب يشمل المحاضرة التى القاها الاستاذ المودودى فى جامعة على كره الاسلامية عام ١٩٣٩ الميلادى فصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل دار العروبة للدعوة الاسلامية عام ١٩٤٦ باسم (منهاج الانقلاب الاسلامى) .

٢ـ نظرية الاسلام السياسية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى ألقاها فى لاهور عام ١٩٣٩ الميلادى فصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل دار العروبة للدعوة الاسلامية التابعة للجماعة الاسلامية عام ١٩٤٦م .

٣ـ استفتاء ذوبال : كتيب هام كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٤٠ الميلادى ردا على احدى الاسئلة ومبينا فيه اهمية الاحتكام بما أنزل الله .

٤ـ الشريعة الاسلامية وطرق تنفيذها فى باكستان : كتاب يشمل المحاضرة التى ألقاها الاستاذ المودودى فى كلية الحقوق بلاهور عام ١٩٤٨ الميلادى فصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ عاصم الحداد باسم (القانون الاسلامى وطرق تنفيذه فى باكستان) .

٥ـ أسس الدستور الاسلامى فى القرآن : هذا الكتاب ألفه الاستاذ عام ١٩٥٢ مواجهة للتحدى الذى طرحه المحامى الشهير السيد / بروهى ان القران الكريم لا توجد فيه اسس الدستور الاسلامى قط .

٦ـ تدوين الدستور الاسلامى : كتاب يشمل محاضرة للاستاذ المودودى التى ألقاها لمواجهة نفس التحدى من قبل السيد / بروهى عام ١٩٥٢م وصدرت

ترجمته باللغة العربية للاستاذ عاصم الحداد عام ١٩٥٣م .

٧ــ عقوبة المرتد في الشريعة الاسلامية : كتاب الفه الاستاذ المودودى عـــام ١٩٤٣م .

٨ــ حقوق اهل الذمة في الدولة الاسلامية : كتاب الفه الاستاذ المودودى عام ١٩٤٨ م وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ عاصم الحداد عام ١٩٦٠ الميلادى .

٩ــ المقترحات الدستورية : كتاب يشمل المقترحات الدستورية التي قدمهـــا الاستاذ المودودى لتدوين الدستور الاسلامي لدولة باكستان الاسلامية . عام١٩٥٢م

١٠ــ حقوق الانسان الاساسية : كتاب يشمل المحاضرة التي القاها الاستـــاذ المودودى في لاهور عام ١٩٦٣ الميلادى .

١١ــ حول تطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان : كتاب يشمل الحوار بيـــن الاستاذ المودودى وبين مندوب اذاعة جمهورية باكستان الاسلاميـــة حول تطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان في عام ١٩٧٨ م .

١٢ــ نظام الحياة في الاسلام : كتاب يشمل محاضرات الاستاذ المودودى مـــن اذاعة باكستان في عام ١٩٤٨ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربيـــة من قبل مؤسسة الرسالة .

١٣ــ الخلافة والملك : كتاب ألفه الاستاذ المودودى مبينا الفرق بين الخلافـــة الراشدة والملك فقد صدر ذلك الكتاب لاول مرة عام ١٩٦٦ الميـــــلادى ثم صدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ احمد ادريس من قبل المختـــار الاسلامى بالقاهرة عام ١٩٧٨ الميلادى .

١٤ــ الاسلام والديمقراطية العلمانية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التي القاها في مؤتمر الجماعة الاسلامية عام ١٩٤٧ الميلادى .

١٥ــ المطالبة باقامة النظام الاسلامى : كتاب يشمل المحاضرة التي القاها الاستاذ المودودى عام١٩٤٨ خلال جهاده لاقامة النظام الاسلامى .

١٦ـ نظام الحياة للاسلام ومبادئه الاساسية : كتاب يشمل عديد من المحاضرات التى ألقاها الاستاذ المودودى حول هذا الموضوع فى المناسبات المختلفة.

١٧ـ الدولة الاسلامية : هذا الكتاب اسلفنا عن ذكره بالتفصيل .

١٨ـ حقوق الانسان الاساسية فى الاسلام : كتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودى فى الموضوع فى المناسبات المختلفة ،وهذا الكتاب قام بتدوينه واصداره باللغة الانجليزية السيد / ايم ـ ايم ـ شريف .

١٩ـ مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة : كتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ فى الموضوع فى المناسبات المختلفة . وهذا الكتاب قام بتدوينه واصداره باللغة العربية الاستاذ خليل الحامدى .

٢٠ـ نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور : كتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودى فى السياسة والشريعة والدستور. واهتم بتدوينه واصداره باللغة العربية الاستاذ عاصم الحداد سنة ١٩٦٠ الميلادى.

الاقتصاد والمعيشة

من المعلوم أن الفلسفات الاقتصادية الحديثة كان لانتشارها اثر كبير فى المسلمين المثقفين حيث انهم فقدوا اذعانهم فى صلاحية نظام الاقتصاد الاسلامى لحل المعضلات الاقتصادية المعاصرة بل فى الحقيقة لم يدرك هؤلاء الناس ماهو نظام الاقتصاد الاسلامى ولم يعرفوا عنه الا اسمه فاعتمدوا جل الاعتماد على النظم الاقتصادية الجاهلية فى حل معضلاتهم الاقتصادية وراوا ان نهضة المسلمين الاقتصادية مرتبطة باختيار هذه النظم الاقتصادية الجاهلية . فبدأ البعض يشتغلون فى الحرفة المحرمة حتى بلغ الامر الى ان قام بعض من علماء السوء باصدار الفتوى بجواز الربا . وزاد الطين بلة اذ اقيمت الحكومات الديمقراطية فى البلاد الاسلامية فقاموا بنفاذ النظام الاقتصادى الشيوعى او النظام الاقتصادى

الاشتراكى او النظام الاقتصادى الراسمالى . فاهتم الاستاذ المودودى بهـــذا الموضوع بصفة خاصة فقام بتأليف عديد من الكتب القيمة فيه ومنها الكتب التى انتقد فيها الاستاذ المودودى النظم الاقتصادية المعاصرة نقدا علميا مدعما بالبراهيـــن العقلية القوية ومنها الكتب التى بين فيها الاستاذ اوجه نظام الاقتصاد الاسلامـــى المختلفة ومنها الكتب التى انتقد فيها الاستاذ الربا والحرف المحرمة الاخـــرى وكل ذلك باسلوب عصرى جذاب ليقتنع به الجيل الجديد فى صلاحية نظام الاقتصاد الاسلامى لحل المعضلات الاقتصادية العصرية واهم هذه الكتب مايلى :

١ـ معضلات الانسان الاقتصادية وحلها فى الاسلام : كتاب يشمل محاضـــرة الاستاذ المودودى ألقاها فى جامعة على كره الاسلامية عام ١٩٤١ الميلادى ، فقد صدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ مسعـــود الندوى من قبل دور العروبة للدعوة الاسلامية .

٢ـ أسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة : كتاب هام ألفه الاستـــاذ المودودى عام ١٩٣٧ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستـــاذ عاصم الحداد من قبل الدار السعودية للنشر .

٣ـ الربا : كتاب هام الفه الاستاذ المودودى عام ١٩٤٩ م وصدرت ترجمتـــه باللغة العربية للاستاذ عاصم الحداد من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت ودار الانصار بالقاهرة .

٤ـ مسألة ملكية الارض فى الاسلام : كتاب ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٣٤ م ولكنه صدر لاول مرة عام ١٩٥٠ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربيـــة للاستاذ خليل الحامدى من قبل دار القلم بالكويت .

٥ ـ مبادىء الاقتصاد فى القرآن : كتاب الفه الاستاذ المودودى عام ١٩٦٩ م ،

٦ـ مبادىء اساسية للاقتصاد الاسلامى : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى القاها فى جامعة بنجاب عام ١٩٦٥ .

٧ ـ الرأسمالية والشيوعية : كتاب نشر عام ١٩٥٣ الميلادى .

٨ ـ الاسلام والعدالة الاجتماعية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى القاها فى المؤتمر الاسلامى بمكة المكرمة عام ١٩٦٢ م وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل مكتبة دار البيان بالكويت .

٩ ـ نظام الاقتصاد الاسلامى : كتاب هام يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودى فى المسائل الاقتصادية فى المناسبات المختلفة ، وهذا الكتاب قام بتدوينه البورفسور خورشيد احمد عام ١٩٦٩ م .

الاخلاق والتزكيـــــــــة

كما ذكرنا خلال حديثنا عن مؤثرات الحضارة الغربية الحديثة أن انتشـــار الفلسفات المادية الجاهلية فى المجتمعات الاسلامية انتهى الى تغيير القيـــم الاخلاقية المادية ، وهذا التغيير كان له تاثيرا بالغا فى حياة مسلمى الفرديــة والاجتماعية وذلك لان القيم الاخلاقية الاسلامية تهدف الى كسب مرضات اللـــه حيث القيم الاخلاقية المادية تهدف الى حصول النفع المادى بصرف النظر عن كـون الفعل صحيحا او غير صحيح وجائزا او غير جائز ، وهذا مايغير حياة الانسان الفردية والاجتماعية كلها فكان لهذه الاهمية للقيم الاخلاقية ان اهتم الاستاذ المـــودودى بتاليف الكتب الاتية :

١ ـ نظرية الاسلام الاخلاقية : كتاب ألفه الاستاذ المودودى عام ١٩٤٤ الميلادى ونشر عام ١٩٥٥ الميلادى .

٢ ـ الصلاح والفساد : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى ألقاها فى المؤتمر العام للجماعة الاسلامية عام ١٩٤٧ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٦ الميلادى .

٣ ـ الاسلام والعناية بتزكية النفس : كتاب هام نشر باهتمام الجماعة الاسلاميــة

بالهند عام ١٩٦٧ م .

الحياة الاجتماعية

لقد ذكرنا آنفا أن دائرة الحياة الاجتماعية كانت أكثر تاثرا من غزو الاستعمار الحضاري ، وذلك لتركيز الاستعمار عليها بصفة خاصة ، فقد أنشئت الحركات والدعوات الخاصة لاخراج المرأة المسلمة من البيت واختلاطها مع الرجال للمشاركة فى انشطة الحياة الاجتماعية وذلك باسم تحرير المرأة ، فكان لهذه الدعوات والحركات ان بدأت المرأة المسلمة ولاسيما فى البيوتات الارستقراطية تسير على خطوات المرأة الاوربية ،وبدأ ظهور نفس المفاسد فى المجتمع الاسلامى التى قد ظهرت فى المجتمعات الغربية ومنها بداية السفور والخلاعة ومنها شيوع الاختلاط بين النساء والرجال ومنها مشاركة المرأة فى انشطة الحياة الاجتماعية ، ومنها بداية حركة تحديد النسل وما الى ذلك من المفاسد الاجتماعية فكان من الطبيعى ان يعتنى الاستاذ المودودى بالقضاء على هذه المفاسد الاجتماعية فألف عديد من الكتب القيمة فى ذلك الموضوع . وتمتاز هذه الكتب بالاسلوب الجذاب المبرهن بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية الذى يسخر الذهن والقلب معا ، فكان لتاثير هذه الكتب القيمة ان عددا غير قليل من المثقفين الجدد أعادت ثقتهما فى القيم والتعليمات الاسلامية السامية للحياة الاجتماعية واليك ذكر بعض من هذه الكتب :

١ ـ الحجاب : هذا الكتاب أسلفنا عن ذكره بالتفصيل .

٢ ـ حقوق الزوجين : كتاب هام الفه الاستاذ المودودى عام ١٩٣٥ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ أحمد ادريس عام ١٩٧٩ الميلادى من قبل المختار الاسلامى بالقاهرة .

٣- حركة تحديد النسل في الميزان : كتاب ألفه الاستاذ المودودي عام ١٩٣٥ م ثم صدرت ترجمته باللغة العربية فيما بعد من قبل مؤسسة الرسالة ببيروت .

٤- الاسلام وتنظيم الاسرة : كتاب صغير ألفه الاستاذ المودودي عام ١٩٦٠م.

٥- مسألة اللباس : كتاب يشمل البحث القيم الذي كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٢٩م وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي عام ١٩٧٦ الميلادي .

٦- مسألة تعدد الزوجات : كتاب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ عام ١٩٦٣ م ردا على اعتراضات منكري السنة النبوية .

التعليم والثقافة

ان التعليم هو من أقوى الوسائل التي اختارها الاستعمار الغاشم خلال غزوه الحضاري للعالم الاسلامي ، والحقيقة انه عن طريق التعليم تمكن الاستعمار من النفوذ الحضاري في المجتمعات الاسلامية كما انه عن طريق التعليم انتشرت الفلسفات الجاهلية والنظريات اللادينية في الجيل المثقف ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى كان لتعميم الثقافة الانجليزية في المسلمين ان ثقتهم في عقائد الاسلام الاساسية بدأت تضمحل يوما فيوما حتى بلغ الامر الى ان عددا غير قليل من المثقفين الجدد فقدوا اذعانهم في عقائد الاسلام الاساسية فجحدوها فكان لهذه المؤثرات للثقافة الغربية اللادينية ان اضطر الدكتور محمد اقبال رحمه الله ان يقول :

مهاش ايمن از ان علمى كه خوانى ، كه ازوى روح قومى مى توان كشت

أي " اياك ان تكون آمنا في العلم الذي تدرسه فانه يستطيع ان يقتل روح أمة بأسرها"

فلذا كان من الضرورى أن يقوم الاستاذ لمواجهة هذا التحدى نقدا هذه الثقافة اللادينية ومبينا موقف الاسلام منها ومقدما المنهج الاسلامى للتعليم والتربية . واليك بيان أهم مؤلفات الاستاذ المودودى فى هذا الموضوع :

١ـ منهج جديد للتعليم والتربية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى ألقاها فى دار العلوم لندوة العلماء بلكهنو فى ديسمبر عام ١٩٤٠م .

٢ـ المنهج الاسلامى للتعليم وطرق تنفيذه فى باكستان : كتيب يشمل المحاضرة التى القاها الاستاذ المودودى فى المؤتمر العام لجمعية الطلبة الاسلامية عام ١٩٥٢م .

٣ـ منهج التعليم الاسلامى : كتاب يشمل ماكتبه الاستاذ المودودى ردا على الاسئلة الصادرة من قبل اللجنة التعليمية عام ١٩٦٣ الميلادى .

٤ـ خطبة توزيع الشهادات : كتيب صغير يشمل خطبة الاستاذ المودودى التى القاها فى حفل التخرج لاحدى الكليات الاسلامية عام ١٩٤٠م .

٥ـ التعليمات : كتاب هام يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودى حول نواحى التعليم المختلفة فى مناسبات مختلفة ، وصدر هذا الكتاب عام ١٩٦٣ الميلادى .

• • •

فى مواجهة التحديات المعاصرة

يعتبر عصر الاستاذ المودودى عصر التحديات للاسلام وللامة الاسلامية وذلك لان الحضارة الجاهلية الحديثة التى سيطرت على العالم الاسلامى فى ذلك العصر تحت رعاية الاستعمار الغاشم كانت مادية لا دينية من باطنها الى ظاهرها ، وهكذا العلوم والفلسفات والنظريات التى جاءت بها هذه الحضارة كانت مادية جاهلية من رأسها الى قدميها ، فكان نتيجة سيطرة هذه الحضارة الجاهلية ان راجت فى العالم الاسلامى النظريات والفلسفات المادية الجاهلية مثل التفسير الجدلى للتاريخ لهيجل والتفسير الجدلى المادى لماركس ونظرية النشوء والارتقاء لداروين والتفسير الجنسى لعلم النفس لفرويد والشيوعية والعلمانية والرأسمالية ، والديمقراطية اللادينية ، والقومية الوطنية الجاهلية وما الى ذلك من الفلسفات والنظريات الجاهلية اللادينية فوقع الجيل المثقف الجديد من المسلمين فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية والعلوم التى هى جاءت بها وثقتهم فى عقائد الاسلام الاساسية بدأت تضمحل يوما فيوما فرأى الاستاذ ضرورة لمواجهة هذا التحدى وانقاذ الجيل المثقف الجديد من هذه العبودية الفكرية واعادة ثقتهم فى صلاحية الاسلام لقيادة البشرية فى ذلك العصر وجاء بالكتب القيمة الاتية فى ذلك الموضوع :

١ــ نحن والحضارة الغربية : هذا الكتاب ذكرنا عنه بالتفصيل .

٢ــ الاسلام والمدنية الحديثة : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٤٧ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى من قبل الدار السعودية للنشر بجدة ودار الانصار بالقاهرة .

٣ــ الاسلام اليوم : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى القاها عام ١٩٦٣ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى من قبل دار العروبة للدعوة الاسلامية بلاهور .

٤ـ المحاضرات فى اوربا : كتاب يشمل محاضرات الاستاذ المودودى القاهـا فى اوربا وامريكا فى المناسبات المختلفة وصدر هذا الكتاب عام ١٩٨١ الميلادى من قبل ادارة ترجمان القرآن بلاهور .

٥ـ الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة : كتاب هام يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودى فى هذا الموضوع فى المناسبات المختلفة . وهذاالكتاب القيم قام بتدوينه وترجمته باللغة العربية واصداره الاستاذ خليل الحامدى .

بين يدى الشبـاب

ان الجيل المثقف الجديد فى العالم الاسلامى قد ركز عليه الاستعمار الغاشم بصفةخاصة ليجعله فريسة لمؤامراته ومخططاته الشنيعة . ولكن كان من فضل الله ثم من فضل جهود الحركات الاسلامية فى البلاد الاسلامية المختلفة أن عددا غير قليل من الشباب انقذهم الله من العبودية الفكرية للحضارة الغربية الجاهلية حيث انضموا الى الحركة الاسلامية وبدأوا العمل فى مجال الدعوة بتأسيس منظمات اسلامية مستقلة وهؤلاء الطلاب علاقتهم مع الاستاذ المودودى كانت علاقة الابناء مع الاب او علاقة التلاميذ مع الاستاذ فهم كانوا يراجعون الاستاذ لتوجيهاته الحكيمة للعمل فى مجال الدعوة . فالاستاذ المودودى كان يعتنى بهم بصفة خاصة ويرشدهم بتوجيهاته القيمة والمحاضرات اوالكلمات التى القاها الاستاذ فى هذاالصدد صدرت فيمابعد فى صورة كتب مستقلة . واهم هذه الكتب كالاتى :

١ـ واجب الشباب المسلم اليوم : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودى التى القاها امام جمع من الشباب المسلم فى مسجد الدهلوى بمكة المكرمة فى موسم الحج عام ١٣٨١ الهجرية الموافق ١٩٦٢ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية من قبل المكتب الاسلامى ببيروت .

٢- تحديات العصر الجديد والشباب : كتاب يشمل المحاضرة التي القاها الاستاذ المودودي في المؤتمر السنوي لجمعية الطلبة الاسلامية عام ١٩٧٥م وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي من قبل دار العروبة للدعوة الاسلامية بلاهور.

٣- دور الطلبة المسلمين في بناء مستقبل العالم الاسلامي : هذا الكتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي ألقاها في المؤتمر السنوي لجمعية الطلبة الاسلامية عام ١٩٦٦ م وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي من قبل الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الاسلامية بالكويت .

٤- دور الطلبة في بناء مستقبل دولة باكستان الاسلامية : كتاب يشمل محاضرة الاستاذ المودودي التي القاها في المؤتمر السنوي لجمعية الطلبة الاسلامية عام ١٩٦٥ الميلادي .

٥- التصريحات : كتاب يشمل ماقاله الاستاذ المودودي في محاضراته اوكلماته في المؤتمرات الطلابية او ردا على اسئلة الطلاب في المناسبات المختلفة ولذا يضم هذا الكتاب توجيهات الاستاذ الحكيمة للشباب الاسلامي وقامت بتدوينه واصداره جمعية الطلبة الاسلامية عام ١٩٧٩ الميلادي .

٦- بين يدي الشباب : كتاب يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ لتوجيه الشباب الاسلامي في المناسبات المختلفة . وهذا الكتاب قام بتدوينه واصداره الاستاذ خليل الحامدي .

...

قضايا العالم الاسلامي

كان لمخططات الاستعمار ومؤامراته الشنيعة أن شهد العالم الاسلامي عديدا من الحوادث المؤلمة خلال ذلك العصر ، ومن أهم هذه الحوادث سقوط الخلافة الاسلامية على يد العميل الاستعماري مصطفى كمال ، ومؤامرة احتلال فلسطين واقامة دولة اسرائيل الصهيونية عام ١٩٤٨م واحتلال دولة كشمير المسلمة من قبل الاستعمار الهندوسي عام ١٩٤٨ م وسقوط بيت المقدس عام ١٩٦٧ الميلادي ، وسقوط باكستان الشرقية عام ١٩٧١م وما الى ذلك من المآسي التي شهدتها الامة الاسلامية خلال ذلك العصر. والاستاذ المودودي عاش هذه القضايا وشهدها بالقلب المتألم وكان لكونه داعية ومفكرا اسلامية كبيرا انه اعتنى بتاليف العديد من الكتب القيمة التي تكلم فيها عن المخططات الاستعمارية وراء هذه القضايا وجاء بالاقتراحات الحكيمة لحلها . واهم ماكتبه الاستاذ المودودي في هذا الصدد كالاتي :

١ـ مسألة الخلافة : كتيب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ المودودي على مسألة الخلافة عام ١٩٢٢ م خلال انضمامه الى الحركة بالمحافظة على الخلافة الاسلامية.

٢ـ مجازر اليونانيين في سمرنا : كتيب آخر كتبه الاستاذ المودودي خلال تلك الفترة لحياته .

٣ـ النشاطات التبشيرية في تركيا : هذا الكتاب ايضا الفه الاستاذ المودودي خلال نفس الفترة .

٤ـ قضايانا الداخلية والخارجية : هذا الكتاب يشمل محاضرة القاها الاستاذ المودودي في المؤتمر السنوي للجماعة الاسلامية لعام ١٩٥١ م .

٥ - بين الدعوة القومية والرابطة الاسلامية : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٣٩ م نقد اللقومية الوطنية الهندية التى يرفع لواءها المؤتمر الوطنى الهندى . وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٦٧ م من قبل دار العربية للطباعة والنشر ببيروت .

٦ - أضواء على حركة التضامن الاسلامى : كتاب يشمل خطاب الاستاذ المودودى الذى ألقاه فى ندوة المؤتمر الاسلامى بلاهور عام ١٩٦٥ م، وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٦٧م من قبل الدار السعودية للنشر بجدة .

٧ - مأساة الشرق الاوسط : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٦٧ م بعد سقوط بيت المقدس على ايدى الاستعمار الصهيونى وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى يشملها الكتاب (طائفة من قضايا الامة الاسلامية) .

٨ - فاجعة المسجد الاقصى : كتاب يشمل خطاب الاستاذ المودودى الذى ألقاه فى اجتماع عقدته الجماعة الاسلامية بلاهور عقب حدوث جريمة حريق المسجد الاقصى عام ١٩٦٩ الميلادى . وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى يشملها الكتاب (طائفة من قضايا الامة الاسلامية) .

٩ - قضية كشمير المسلمة : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٦٥ الميلادى بعد وقوع الحرب بين الهند وباكستان حول هذه القضية وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى فى نفس الوقت من قبل دار العروبة للدعوة الاسلامية بلاهور .

١٠- نحن وبنغلاديش : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٧٢ م بعد سقوط باكستان الشرقية وانشاء دولة بنغلاديش الجمهورية عام ١٩٧١ الميلادى وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى يشملها الكتاب (طائفة من قضايا الامة الاسلامية) .

١١- عرض موجز للوضع الذى تعيش فيه الاقلية الاسلامية فى الهند : كتيب يشمل المقال الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٦٩ م قبيل انعقاد مؤتمر القمة الاسلامى الاول فى الرباط ، وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى يشملها الكتاب (طائفة من قضايا الامة الاسلامية) .

١٢- قضايا اسلامية هامة تنتظر الحلول : كتيب يشمل نص المذكرة التى قدمها الاستاذ المودودى الى مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور عام ١٩٧٤ م وترجمته باللغة العربية يشمل الكتاب (طائفة من قضايا الامة الاسلامية)

١٣- طائفة من قضايا الامة الاسلامية فى القرن الحاضر : كتاب هام يشمل مختارات ماكتبه الاستاذ المودودى حول قضايا العالم الاسلامى فى المناسبات المختلفة . وهذا الكتاب قام بتدوينه واصداره باللغة العربية الاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٨١ م من قبل دار العروبة للدعوة الاسلامية بمنصوره ، لاهور .

الحركات الهدامة المعادية للاسلام

كان ظهور الدعوات والحركات الهدامة المعادية للاسلام فى العصر الحاضر حسب مخططات الاستعمار الغاشم ولتحقيق اهدافه الشنيعة للقضاء على الاسلام والمسلمين معا . وهذا مايتبين من اهتمام الاستعمار بانشاء هذه الحركات ودعيمها بكل مافى وسعه من ناحية ، ومن دور هذه الحركات فى العالم الاسلامى من الناحية الثانية . وأهم هذه الحركات الهدامة هى حركة القاديانية وحركة انكار حجية السنة النبوية ، وحركة التفرنج والتغرب ، وحركة القومية الوطنية وما الى

ذلك من الحركات الهدامة ، فكان من مقتضيات القيام بعمل الدعوة ان يعتني الاستاذ بالنقد لتلك الحركات الهدامة نقدا علميا مبرهنا بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية ويحذر الامة الاسلامية من الانضمام اليها . واهم الكتب التي الفها الاستاذ المودودي نقدا للحركات الهدامة هي كالآتي :

١- المسألة القاديانية : كتيب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٥٣م خلال ثورة المسلمين ضد القاديانيين . وكان لتأليف هذا الكتاب ان صدر حكم اعدامه ، وصدرت ترجمة هذا الكتاب باللغة العربية فيما بعد .

٢- ختم النبوة : هذا الكتاب يشمل ماكتبه الاستاذ المودودي في تفسيره للاية الكريمة (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)(١) . وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي من قبل دار العروبة للدعوة الاسلامية بالمنصورة ، لاهور .

٣- البيانات : هذا الكتاب يشمل بيانات الاستاذ المودودي الثلاثة امام المحكمة الخاصة التي شكلتها الحكومة للحكم عليه بعد ثورة المسلمين ضد القاديانيين عام ١٩٥٣ الميلادي .

٤- التعليق على تقرير القاضي محمد منير حول الاضطرابات لعام ١٩٥٣م : كتاب يشمل ماكتبه الاستاذ المودودي نقدا وتعليقا على التقرير الذي قدمه القاضي محمد منير حول الاضطرابات والمجازر التي اقيمت خلال ثورة المسلمين ضد القاديانيين عام ١٩٥٣ الميلادي .

٥- مكانة السنة في التشريع : هذا الكتاب كتبه الاستاذ المودودي ردا على اعتراضات منكري السنة الباطلة وقد اسلفنا ذكره بالتفصيل .

---

(١) سورة الاحزاب : الاية ٤٢ .

٦ - اثبات الذبح بـآيات الذبح : كتاب يشمل ماكتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٣٧ م ردا على اعتراضات منكري السنة حول الذبح .

٧- الذبح - في محكمة العقل والشريعة : كتاب يشمل البحث الذي كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٥٠م نقدا لموقف منكري السنة عن الذبح .

٨ - بين المودودي والبابا : كتيب يشمل ماكتبه الاستاذ المودودي عن الانشطة التبشيرية في العالم الاسلامي عام ١٩٦٧م ردا على الرسالة من البابا وترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدي يشملها الكتاب (طائفة من قضايا الامة الاسلامية) .

٩ - مسألة القومية : كتاب هام كتبه الاستاذ المودودي عام ١٩٣٩ م نقدا لحركة القومية الوطنية الجاهلية التي قد تأثر بها كثير من المثقفين وصدرت ترجمته باللغة العربية فيمابعد .

حول قضايا البلاد الداخلية

لم يعش الاستاذ المودودي حياة بعيدة عما كان يجري في بلاده من النواحي المختلفة ، بل عاش حياة شاملة لكل جوانبها مكافحا ضد ماكان يجري في البلاد ضد الاسلام والمسلمين . فكان يهتم كل العناية بالقضايا التي كانت لها ايةعلاقة بوطنه الاسلامي ، وكان يدرسها بوجهة النظر الاسلامية مبينا بكل صراحة موقف الاسلام عنها . وجدير بالذكر انه لم يكتف بالنقد فحسب بل كان ياتي باقتراحاته القيمة لحل هذه القضايا ، وذلك بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية . والحقيقة ان توجيهاته الحكيمة واقتراحاته القيمة لحل تلك القضايا تدل على بصيرته السياسية مع سعة نظره وعمق فكره من ناحية ، وعلى قلبه الحنون المتألم على ماكان يجري في بلاده ضد الاسلام والمسلمين

من الناحية الاخرى ، وأهم الكتب التى ألفها الاستاذ المودودى مبينا موقف الاسلام عن هذه القضايا الداخلية كالاتى :

١- حركة تحرير الهند والمسلمون : كتاب هام ألفه الاستاذ المودودى خلال عام ١٩٣٧ الميلادى وعام ١٩٤١ الميلادى . وجدير بالذكر ان هذا الكتاب الذى يشمل جزئين قد صدر لاول مرة فى ثلاثة أجزاء باسم " المسلمون والصراع السياسى الحاضر " .

٢- النشاط الانتخابى : كتاب يشمل البحث الصغير الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٥١ الميلادى .

٣ - الانتخابات المختلطة . . لماذا لا ؟ كتاب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٥٦ الميلادى .

٤- الحركة لاعادة الديموقراطية : كتيب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٦٨ الميلادى تعريفا بالحركة لاعادة الديمقراطية .

٥ - مقتضيات الحرية والاسلام : كتيب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٤٨ الميلادى .

٦ - التعليق على التوصيات الدستورية : كتيب صغير كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٥٠ الميلادى .

٧ - تحليل لاوضاع باكستان الشرقية : كتاب يشمل التقرير الذى كتبه الاستاذ المودودى عام ١٩٥٥ م عن الاوضاع السائدة فى باكستان الشرقية بعد جولته للشطر الشرقى للبلاد .

. . .

الموسوعــات الاسلاميــــة

هناك بعض الكتب القيمة التى تشمل ماكتبه او قاله الاستاذ المودودى فى الموضوعات المختلفة فى المناسبات المختلفة من بداية دعوته الى وفاته ، وهذه الموضوعات يتسع نطاق دائرتها من العقائد والالهيات الى المسائل التفسيرية والفقهية . ومن المعضلات الاقتصادية الى المشاكل الاجتماعية والمسائل السياسية وما الى ذلك من الموضوعات المختلفة المتنوعة ، ومنها ماكتبه الاستاذ المودودى ، مبينا موقف الاسلام مما جاءت به الحضارة الغربية الجاهلية ، ومنها ماكتبه الاستاذ ردا على اعتراضات منكرى السنة على مكانة السنة النبوية فى التفسير والتشريع اوحول بعض المبادىء والاحكام الاسلامية ومنها ماكتبه ردا على الاسئلة الواردة عن الجهات المختلفة ومنها ماقاله الاستاذ المودودى ردا على الاسئلة فى جلساته اليومية . وهذا ماجعل هذه الكتب موسوعات اسلامية قيمة . وجدير بالذكر ان اسلوب الاستاذ المودودى فى هذه الكتب يمتاز لكونه مبرهنا بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية من ناحية ولكونه سهلا وجذابا ومتينا من الناحية الاخرى ، وكان لتاثير هذه الكتب القيمة ان مئات الالاف من الشباب المثقفين وفقهم الله بالانضمام الى الحركة الاسلامية . ولولا ضيق المجال لتكلمنا عنها بالتفصيل . فنكتفى بذكر هذه الكتب بايجاز :

١- التفهيمات : كتاب يضم ماكتبه الاستاذ المودودى من بداية دعوته الى وفاته مبينا موقف الاسلام مما جاءت به الحضارة الغربية أورد على الاعتراضات او الشبهات التى راجت فى العالم الاسلامى حول مبادىء الاسلام وتعليماته اثر غزو الاستعمار الحضارى ، وهذا الكتاب يشمل ثلاثة مجلدات .

٢- الرسائل والمسائل : كتاب يضم مختارات ماكتبه الاستاذ المودودى ردا على الاسئلة الواردة اليه فى الموضوعات المختلفة ومن الجهات المختلفة وهذا الكتاب يشمل خمسة مجلدات .

٣ ـ المقابلات الصحفية : كتاب يضم مختارات مقابلات الاستاذ المودودى الصحفية فى المواقع المختلفة . وهذا الكتاب اهتم بتدوينه واصداره السيد / أبوطارق

٤ ـ المحاضرات : كتاب يضم مختارات محاضرات الاستاذ المودودى فى المناسبات المختلفة ، وهذا الكتاب يشمل جزئين وقام بتدوينه واصداره الاستاذ ثروت صولت .

٥ ـ الرسائل : كتاب يشمل رسائل الاستاذ المودودى التى لايضم الكتاب (الرسائل والمسائل) وقام بتدوينه سكرتيره الشيخ عاصم النعمانى ، والكتاب صدر منه جزئين حتى الان .

٦ ـ رسائل من الزنزانة : كتاب يشمل الرسائل التى كتبها الاستاذ المودودى من السجن والكتاب اهتم بتدوينه الشيخ محمد شريف .

٧ ـ الخطابات الاذاعية : كتاب يشمل الخطب التى القاها الاستاذ المودودى من الاذاعة فى الموضوعات المختلفة والمناسبات المختلفة .

٨ ـ فى جلسات الاستاذ المودودى العصرية : كتاب يضم مختارات ماقاله الاستاذ المودودى فى ردوده على الاسئلة التى وجهت اليه خلال جلساته اليومية بعد صلاة العصر فى فناء مكتب الجماعة الاسلامية ، والكتاب قام بتدوينه الدكتور رفيع الدين الهاشمى والاستاذ مظفر بيك وصدر منه جزئين .

الموضوعات المختلفة

وهناك بعض الكتب التى لا يمكن لنا أن نذكرها حسب التصنيف الموضوعى وذلك لاختلاف موضوعاتها . وهذه الكتب نتكلم عنها بايجاز كالآتى :

١ - مسألة اللباس : كتيب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى في عام ١٩٢٩ الميلادى وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٦٧ الميلادى .

٢- كسوة الكعبة المشرفة - تاريخها وحكمها الشرعى : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ عام ١٩٦٣ الميلادى .

٣ - الشخصيات الاسلامية المعاصرة : كتاب يضم ماكتبه الاستاذ المودودى عن الشخصيات الاسلامية المعاصر فى المناسبات المختلفة .صدر من لاهور عام ١٩٧٨م

٤ - المراسلة بين الاستاذ المودودى والسيدة مريم جميلة : مجموعة من الرسائل المتبادلة بين الاستاذ المودودى والسيدة مريم جميلة سيدة امريكية حديثة العهد بالاسلام(١) .

٥ - مبادىء الاسلام الاقتصادية والسياسية : كتاب يضم مختارات ماكتبه الاستاذ المودودى فى الاقتصاد والسياسة فى المناسبات المختلفة . وقام بتدوينه وترجمته الاستاذ / ايم - ايم - شريف باللغة الانجليزية .

٦ - الامامان الجليلان ابوحنيفة وأبويوسف : كتاب يضم ماكتبه الاستاذ المودودى عن هذين الامامين الجليلين . وقام بتدوينه وترجمته باللغة الانجليزية السيد / ايم - ايم - شريف .

٧- اليهود والنصارى : هذا الكتاب يشمل ماكتبه الاستاذ المودودى عن اليهود والنصارى فى تاليفاته المختلفة . وقام بجمعه وتدوينه الاستاذ نعيم الصديقى .

٨ - الى أى شىء يدعو الاسلام : كتاب يشمل البحث الذى كتبه الاستاذ المودودى بطلب من المجلس الاسلامى الاوربى بلندن لالقائه فى المؤتمر الاسلامى الدولى عام ١٩٧٦ م بلندن .

---

(١) هى السيدة مريم جميلة ولدت في بيئة يهودية امريكية عام ١٩٣٥ الميلادى ثم هداها الله الى الاسلام بعد أن قرأت كتب الاستاذ المودودى وهاجرت الى باكستان وتزوجت مع السيد / محمد يوسف احد اعضاء الجماعة الاسلامية ولها عدد غير قليل من المؤلفات القيمة حول الموضوعات الاسلامية المختلفة .

٩ ـ ذبائح أهل الكتاب : هذا البحث يشمله تاليف الاستاذ المودودى الشهير التفهيمات باللغة الاردية وصدرت ترجمته باللغة العربية للاستاذ خليل الحامدى عام ١٩٧٥ الميلادى من قبل دار العروبة للدعوة الاسلامية بلاهور.

الكتب التي ألفها الاستاذ المودودى قبل قيامه للدعوة الاسلامية

هناك عدد غير قليل من الكتب القيمة التى ألفها الاستاذ المودودى ، قبل قيامه للدعوة الاسلامية عام ١٩٣٣ م . وقد اسلفنا ذكر بعضها . والان يجدر بنا أن نتكلم عن هذه الكتب بايجاز :

(أ) التأليفات :

١ ـ مجازر اليونانيين فى سمرنا : هذا الكتاب أسلفنا عن ذكره .

٢ ـ النشاطات التبشيرية فى تركيا : هذا الكتاب أسلفنا ذكره .

٣ ـ مسألة الخلافة : هذا الكتاب أسلفنا ذكره .

٤ ـ الاخلاق الاجتماعية وفلسفتها : هذا الكتاب الفه الاستاذ المودودى عام ١٩٢٤ الميلادى ولكنه صدر متأخرا فى عام ١٩٨٠ م من قبل الاخوان للنشر والتوزيع بكراتشى .

٥ ـ مصدر قوة المسلم : هذا الكتاب أسلفنا عن ذكره .

٦ ـ الجهاد فى الاسلام : هذا الكتاب اسلفنا عن ذكره .

٧ ـ مسألة اللباس : هذا الكتاب ايضا اسلفنا عن ذكره .

٨ ـ الدولة الاصفية والاستعمار البريطانى : كتاب ألفه الاستاذ عام ١٩٢٨ الميلادى .

٩ ـ السلاجقة : هذا الكتاب الفه الاستاذ عام ١٩٣٠ الميلادى .

١٠ـ تاريخ الدكن السياسى : كتاب ألفه الاستاذ عام ١٩٣١ الميلادى .

التراجم من اللغة العربية :

وهذه الكتب نقلها الاستاذ المودودى من اللغة العربية الى اللغـــــة الانجليزية :

١ـ الاسلام والاصلاح للشيخ عبد العزيز الشاويش : هذا الكتاب نقله الاستـــاذ من اللغة العربيةالى اللغة الاردية عام ١٩١٦ م حيث كان عمره ١٣ سنة(١) .

٢ـ تحرير المرأة للاستاذ قاسم امين : هذا الكتاب نقله الاستاذ من اللغـــــة العربية الى اللغة الاردية فى عام ١٩١٩ م حيث كان عمره ١٦ سنة (٢) .

٣ـ تاريخ الاسلام لابن الخلكان : هذا الكتاب ترجم الاستاذ جزء منه وهـــــو الجزء الذى يتعلق بالفاطميين وذلك فى عام ١٩٢٩ م(٣) .

٤ـ الاسفار الاربعة للشيخ صدر الدين الشيرازى : هذا الكتاب نقله الاستـــاذ من اللغة العربية الى اللغة الاردية فى عام ١٩٣١ الميلادى .(٤)

...

---

(١) انظر جريدة آتش فشان الاسبوعية عدد خاص فى ذكرى الاستاذ المودودى لشهر نوفمبر ١٩٧٩ م .

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) انظر الاستاذ محمد يوسف ـ مولانا مودودى انبى وترد وسرول كى نظرين ص ٤٩ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٤٩ .

الفصل الخامس

مؤثرات دعوة الأستاذ المودودي الفكرية العلمية

إنني لا أعرف رجلاً أثر في الجيل الإسلامي الجديد فكريًا وعلميًا مثل تأثير الراحل العظيم لا في العمق ولا في السعة. وقد كان السيد جمال الدين افغاني من أقوى شخصيات الإسلامية التي نبغت في القرن الماضي وأكبرها نفوذًا في عقول الشباب المثقف، وسيطرة بل سحرًا عليها، وتأثيرًا في الفكر والإتجاهات والأساليب الأدبية والكتابية والخطابية حتى كان صانع جيل ومفتتح عهد ولكن الحق يقال أن سيطرته العقلية والنفسية كانت محدودة في السخط على الأوضاع السياسية القائمة، والإستعمار الأجنبي، وفي إثارة الأنفة والنخوة في الشعوب الإسلامية المحكومة في بلادها، والعمل للجامعة الإسلامية، ولم ترافقها فكرة منسقة، ولا دعوة واعية إيجابية تقوم على الدراسات الإسلامية العميقة بخلاف الأستاذ السيد أبي الأعلى المودودي الذي قامت دعوته على الأسس العلمية أعمق وأمتن من أسس تقوم عليها دعوات سياسية وردود فعل الإستعمار الأجنبي، ومما يجب أن يسجل في مآثره الخالدة أنه قد كان لكتاباته فضل كبير في إعادة الثقة إلى نفوس الشباب المثقف الذكي لصلاحية الإسلام لمسايرة العصر الحديث بل لقيادته وللتغلب على مشكلاته الطارئة المعقدة ومعالجتها بل للمنع عن وقوعها، ومحاربة "مركب النقص" في نفوس هؤلاء الشباب فيما يتصل بالعقائد، والأخلاق ونظم الحياة الإسلامية، وقد بعثت كتاباته القوية ثم جهوده المتواصلة الرغبة القوية العارمة لقيام حكم إسلامي ونظام اسلامي ومجتمع أفضل في كل بلد اسلامي، بل في كل بقعة من بقاع الارض[1].

الشيخ ابو الحسن علي النـــدوي

[1] مجلة المجتمع الكويتية، العدد ٤٥٩ والتاريخ ١ محرم ١٤٠٠م

مؤثرات دعوة الاستاذ المودودى الفكرية والعلميــــة

في ختام حديثنا عن عصر الاستاذ المودودى وحياته ودعوته ومؤلفاته نذكرهنا موجز مؤثرات دعوته الفكرية والعلمية ، وذلك لكى نعرف مدى تأثير دعوته في العالــــم الاسلامي ، وبهذا الصدد يجدربنا ان نقارن بين اوضاع العالم الاسلامى فى العصر الذى بدأ الاستاذ المودودى دعوته فيه وبين الاوضاع التى يعيش بها العالــــم الاسلامى اليوم وذلك من النواحى المختلفة ، وهذه المقارنة يتبين منها بكل صراحـة أن الصراع الذى قد بدأ فى العالم الاسلامى بعد سيطرة الاستعمار السياسيـــة والحضارية بوقوع الامة الاسلامية فى العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثـــة والفلسفات الجاهلية التى هى جاءت بها وبفقدان الاذعان فى صلاحية الاســـلام لقيادة الركب البشرى نراه الان فى مرحلة جديدة ، وهذه المرحلة الجديدة تختلـــف بكثير من المرحلة الاولى حيث نجد ان العبودية الفكرية للحضارة الغربية وعلومهـــا المادية وفلسفاتها الجاهلية بدأت تضعف يوما فيوما ، وقد أنقذ الله كثيرا مـــن المسلمين المثقفين منها وهكذا نرى اذعانهم فى صلاحية الاسلام لقيادة البشريـــة وحل مشاكلها يزيد مع مرور الايام ، وفضلا عن هذا نرى ظهور الحركات الاسلامية فـــى البلاد الاسلامية المختلفة ولا تزال هذه الحركات تزيد أثرا ونفوذا فلله الحمد .

والحقيقة أن هذا التغيير العظيم فى العالم الاسلامى كان ظهوره نتيجـــة للدعوات الاسلامية التى ظهرت فى البلاد الاسلامية المختلفة خلال ذلك العصر ومـــن أهم هذه الدعوات هى الدعوة التى قام بها الاستاذ المودودى ، وهذا ما يتبين مـــن مؤثرات دعوته الفكرية والعلمية فى المجالات المختلفة واهم هذه المؤثرات الفكريـــة والعلمية هى كالآتى :

١- احياء التصور الصحيح للدين : من أهم أعمال الاستاذ المودودى وأكبرها احياء التصور الصحيح للاسلام الذى هو دين كامل وتتسع دائرته الى كل ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية .

والحقيقة بانه لم يكن تصورا جديدا بل هو نفس التصور الحقيقي الذى تشير اليه الآية الكريمة (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (١) ، والتى تدل عليه أسوة النبى وخلفائه الراشدين ، ولكن مع مرور الايام بدأ ذلك التصور الحقيقي يختفى من العيون ، فبعد سيطرة الاستعمار الاوربى الغاشم على معظم البلاد الاسلامية نسى المسلمون او تناسوا عامتهم وخاصتهم ذلك التصور الاسلامى الصحيح . ولذلك بدأ المودودى باحياء التصور الصحيح للاسلام الذى تتسع دائرته فى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية وذلك بالادلة من القرآن والسنة وبالبراهين العلمية والعقلية ، وقد بذل وسعه لشرح النظام الاسلامى وشؤونه المختلفة ، وذلك باسلوب علمى عصرى متين ، وألف عدة من الكتب القيمة لتحقيق ذلك الهدف ومنها تفسيره "تفهيم القرآن " و مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة " و " نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور " و " كيف تقام الحكومة الاسلامية و " الخلافة والملك " و " تدوين الدستور الاسلامى " و " الاسلام ومعضلات الاقتصاد " و " نظرية الاسلام السياسية " و " نظام الحياة فى الاسلام " وغيرها وهكذا تمكن من احياء التصور الصحيح للاسلام . ويقول الشيخ أبوالحسن على الندوى عن عمله الجليل هذا " قد عرض الاسلام ونظام حياته واوضاع حضارته وحكمه ، وصياغته للمجتمع والحياة ، وقيادته للركب البشرى والمسيرة الانسانية فى اسلوب علمى رصين فى لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف ومستوى العصر العلمى "(٢) .

---

(١) سورة المائدة آية ١١ .

(٢) مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٤٥٩ ص ٢٤ .

٢- ابراز التصور الصحيح للتوحيد ومتطلباته :

ومن أعماله الجليلة له ابراز التصور الصحيح للتوحيد ، ومن المعلوم بان عقيدة التوحيد هى اصل الدين واذا فسدت هذه العقيدة فسد الدين كله ، وعقيدة التوحيد تشمل - كما يتبين من القرآن والحديث - توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية وتوحيد الحاكمية .

ومن متطلبات التوحيد الاساسية ان يكون الحكم لله ولكن بدأ المسلمون يرون ان التوحيد يشمل توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية فحسب ،واما توحيد الحاكمية فتجاهل المسلمون كونها من انواع التوحيد ، مع ان عددا غير قليل من ايات القرآن تدل على ذلك ومنها قوله سبحانه (ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم)(١) . وقوله سبحانه (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) وقوله سبحانه (ان الحكم الا لله)(٣) وغيرها كثير من الايات الكريمة . . وكان لذلك ان كثيرمن المسلمين الذين كانوا يعتقدون فى عقيدة التوحيد لم تمنعهم هذه العقيدة من الوقوع فى الشرك فى الحاكمية . . . حتى العلماء والمشايخ الذين كانوا يتمسكون بعقيدة التوحيد بالشدة ، وكانوا ينكرون الشرك فى الربوبية والالوهية لم يهمهم الشرك فى الحاكمية قط ،حتى ان كثيرا منهم كانوا راضين عن الحكومات غير الاسلامية ولم يجتهدوا لقيام الحكومات الاسلامية التى تتمكن من القضاء على الشرك فى الحاكمية . ولكن الاستاذ المودودى قد وفقه الله ان يثبت بالادلة من القرآن والحديث بأن عقيدة التوحيد لن تكمل الا اذا اشتملت على توحيد الحاكمية ، والكتب التى شرح الاستاذ فيها هذه العقيدة كثيرة ومنها

---

(١) يوسف / ٤٠ .
(٢) المائدة / ٤٤ .
(٣) الانعام / ٥٧ .

تفسيره " تفهيم القرآن " و " المصطلحات الأربعة فى القرآن " و " مبادىء الاسلام " والخطب ، والحضارة الاسلامية أسسها ،ومبادئها "، وغيرها من الكتب، حتى جعله عقيدة لجماعته كما يقول دستور الجماعة : " ان لا يسلم لغير الله بانه ملك او مالك الملك ، او مصدر السلطة العليا ، ولا يعترف لاحد غير الله بحقه فى الأمر والنهى بناء على سلطته الذاتية وكذلك لا يدين بغير الله شارعا ومقننا مستقلا بذاته ، ويرفض كل طاعة لا تتبع طاعة الله ولا تلتزم باحكام الله ، فالله وحده هو مالك حقيقى لملكه وخالق لمخلوقه وليس لغيره ابدا حق الملكية والحاكمية بصفة مطلقة " (١) .

٣ـ اثبات صلاحية الاسلام في كل زمان ومكان :

ومن أعماله الكبيرة مواجهته للتحدى الذى جاءت به الحضارة الغربية الحديثة تحت رعاية الاستعمار الغاشم واعادة الثقة فى صلاحية الاسلام للعصر الحديث . والحقيقة ان ذلك التحدى كان أكبر التحديات التى واجهها الاسلام والمسلمون فى التاريخ ، لأنه ـ كما ذكرنا فى الفصل الاول ـ كانت دائرته تتسع فى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية وكانت تحيط بالعقائد والنظريات والافكار والعلوم والسياسة والحكومة والتعليم والتربية ،والاقتصاد والمدنية ،ولم يبق شيئا خارجا عن دائرة سيطرته ونفوذه ،والنظريات الفاسدة والحركات الهدامة كالمادية والعلمانية والشيوعية والاشتراكية وغيرها من الفلسفات المادية اللادينية التى جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة ، والموقف الذى قد اتخذه المسلمون تجاه هذه الحضارة الجاهلية ، كان موقف الخضوع والاستسلام الذى اتخذه المثقفون الجدد الذين كانت فى ايديهم زعامة السلطة فى المجتمع او موقف الاعتزال والرفض السلبى الذى اتخذه العلماء والمشايخ الذين لم يبق لهم فى المجتمع

---

(١) دستور الجماعة الاسلامية بباكستان ـ المادة الثالثة (٥) ص ٣ .

أثر يذكر ، والحقيقة ان كلا الموقفين كانت مفاسدهما اكثر من نفعهما ، وكان اكبر تلك المفاسد واخطرها ان المثقفين الجدد الذين كانت زمامة السلطة في ايديهم قد وقعوا في العبودية الفكرية للحضارة الغربية الحديثة والنظريات اللادينية والفلسفات المادية الجاهلية التي جاءت بها ، ونتيجة لهذه العبودية الحضارية بدأت ثقتهم في صلاحية الاسلام تنقص يوما بعد يوم وبدأت الحركات الهدامة تنتشر في المسلمين ، واما العلماء والمشايخ الذين كان من واجبهم ان يقوموا لمواجهة تلك الحركات فانهم لم يعرفوا عنها شيئا ،ولذلك لم يتمكنوا من مواجهتها ، ولكن الاستاذ المودودي فضلا من امعان نظره في الكتاب والسنة والعلوم الاسلامية الاخرى ، درس أيضا النظريات والفلسفات المادية اللادينية التي قد جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة دراسة عميقة ، فتمكن من اتخاذ الموقف الجرىء الصحيح تجاه هذه الحضارة اللادينية وانتقد النظريات والفلسفات المادية اللادينية التي جاءت بها نقدا علميا مؤيدا بالادلة العقلية ، وهكذا بحمد الله تمكن من انقاذ الشباب من العبودية الفكرية التي وقعوا فيها بعد تعليمهم في المعاهد الحديثة كما تمكن من اعادة ثقتهم في صلاحية الاسلام لحل مشاكل الحياة ولقيادة البشرية في العصر الحاضر وبعض كتبه التي لها دور خاص في ذلك التغيير هي " نحن والحضارة الغربية " و " الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة " و " الحجاب " و " حركة تحديد النسل " و " الربا " و"مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة " ، "مكانة السنة الشريفة في التشريع " ،"طريق السلام " ، "رسائل ومسائل " " الاسلام والجاهلية " "حركة تحرير الهند والمسلمون " "الاسلام ومعضلات الاقتصاد " "والاسلام ونظريات الاقتصاد الحديثة "وغيرها من الكتيبات الصغيرة .

ويجدر بنا ان ننقل هنا اراء بعض من العلماء الكبار في عطه هذا ، فيقول الشيخ عتيق الرحمن رئيس المجلس الاستشارى لمسلمي الهند ورئيس ندوة

المصنفين بد هلوفي كلمة رثائه : " ان الاستاذ المودودى قد وفقه الله بالقدرة بانه كان يعرض التعليمات الاسلامية القيمة فى أسلوب جذاب يجعل المثقفين الجدد يتأثرون به ، والحقيقة بأن الأسلوب العظى الذى كان يعرض الاسلام فيه كان اسلوبا جديدا موءثرا جدا ،ان لم يكن غطا جديدا " ثم يقول : " وكان من تاثير قلمه الجذاب بأن الشباب المسلمين تاثروا عنه فى العالم كله والحقيقة بان هذا العصر الجديد قد اثره الاستاذ المودودى بفكره الى حد كبير واننى لا اعرف شخصا اخر فى التاريخ اثرى عصره الى هذا الحد "(١) .

ويقول الشيخ ابوالحسن على الندوى :" ومما يجب ان يسجل فى مآثره الخالدة انه قد كان لكتاباته فضل كبير فى اعادة الثقة الى نفوس الشباب المثقف الذكى بصلاحية الاسلام لمسايرة العصر الحديث ،بل لقيادته وللتغلب على مشكلاته الطريقة المعقدة ومعالجتها بل للمنع عن وقوعها ،ومحاربة " مركب النقص " فى نفوس هؤلاء الشباب فيما يتصل بالعقائد ، والاخلاق ونظم الحياة الاسلامية ، وقد بعثت كتاباته القوية ثم جهوده المتواصلة الرغبة القوية العارمة لقيام حكم اسلامى ونظام اسلامى ومجتمع افضل فى كل بلد اسلامى بل فى كل بقعة من بقاع الارض "(٢) .

٤- تجديد اسلوب الدفاع عن الاسلام :

ومن اعماله العلمية الكبيرة انشاء علم الكلام الجديد ،ومن المعلوم ان علم الكلام الذى يدرس فى المعاهد الدينية القديمة قد انشأه علماء الاسلام قبل قرون لمواجهة التحدى الذى كان يواجهه العالم الاسلامى فى ذلك الوقت من قبل فلسفة الاغريق اللادينية ،فالحمد لله ، انهم تمكنوا من مواجهة ذلك التحدى وانقاذ العالم الاسلامى من سيطرتها ،ولكن التحدى

---

(١) جريدة "جسارت" اليومية كراتشي عدد خاص فى ذكرى الاستاذ المودودى ص ٦٥ .

(٢) مجلة المجتمع الكويتية عدد ٤٥٩ ص ٢٤ .

الذى جاءت به الحضارة الغربية الحديثة كان يختلف عن ذلك التحدى بكثير ، ولذلك اهتم الاستاذ بانشاء علم الكلام الجديد لمواجهة هذا التحدى ، ومن مزايا علم الكلام هذا ان الاستاذ المودودى يأتى بأدلته من الاشياء العامة التى نراها حولنا ، وفى اسلوب عقلى جذاب يفهمه العلماء والمشائخ وعامة المسلمين سويا وفى لغة مجردة من اصطلاحات علم الكلام لكى يتمكن كل واحد من فهمه بسهولة ولكن مع ذلك لم تزل ادلته تمتاز بالقوة العلمية التى لا يمكن لدعاة الفلسفات المادية الحديثة ان يقفوا امامها وكتب الاستاذ المودودى كلها مليئة بالامثلة لهذا الاسلوب ولا سيما الكتب الآتية : " فى محكمة العدل " ــ " التوحيد والرسالة والاخرة " ، " طريق السلام " ، " الاسلام والجاهلية " ، " نحن والحضارة الغربية " ، " الاسلام ومعضلات الاقتصاد " ، " الربا " ، " الحجاب " ، " حركة تحديد النسل " " الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة " ، " مفاهيم اسلامية حول الدين والدنيا " .

وفى هذا الصدد يجدر بنا ان ننقل هنا ما قال فيه الشيخ سيد سليمان الندوى احد كبار العلماء فى شبه القارة الهندية ، : " اننى اقدم اليكم اليوم عالما متبحرا ، ويعرف العالم كله الاستاذ المودودى ، ولا شك فى انه متكلم الاسلام فى هذا العصر ، وعالم دين له مكانة عالية ، وطوفان الالحاد الذى طغى على شبه القارة الهندية ، كان من مشيئة الله ان يواجهه رجل له بصيرة عميقة فى العلوم والفلسفات الاوربية الحديثة والقديمة من ناحية ، ومن ناحية اخرى هو عالم فاضل درس القران والحديث دراسة عميقة مكنته من ان يناقش جميع مشاكل العصر الحاضر فى ضوئها بمنتهى الاطمئنان . وهذا هو السبب الذى يجعل الملحدين والدهريين يرتعدون منه ويهربون امام أدلته وحججه القوية "(١) .

---

(١) الاستاذ محمد يوسف ــ " مولانا مودودى اپنى اور دوسروں كى نظر ميں " ص ٥٣٢ .

ه — بيان الفرق بين الاسلام وبين ماهوينتسب الى المسلمين :

ومن أعماله الكبيرة التى لا ينافسه فيها احد عنايته بالفرق بين الاسلام وبين ماهو ينتسب الى المسلمين وكان يعتقد بان كل ماينتسب الى المسلمين فردا او جماعة او شعبا او حكومة فهو " اسلامى " فنرى بان مجتمع المسلمين مهما تكن حالته الدينية والاخلاقية والاجتماعية مخالفا للروح الاسلامى فهو يعتبر " المجتمع الاسلامى " والجماعات السياسية او القومية التى تعمل فى بلاد المسلمين تعتبر من " الجماعات الاسلامية " مع ان اكثرها لا يهمها الاسلام او تعليماته القيمة ، ومع أن أكثرها لا تكون الا أحزابا ليبرالية د يمقراطية او شيوعية والمعاهد التعليمية التى أنشئت لبث التعليم اللادينى الافرنجى اطلق عليها اسم الكلية الاسلامية والمدرسة الاسلامية ككلية عليكرة الاسلامية التى قد اسسها السيد احمد خان لانتشار الثقافة الحديثة اللادينية فى المسلمين وحكومات ملوك المسلمين ورؤسائهم تعتبر " الحكومات الاسلامية "مع ان اكثرها تكون قومية او علمانية او شيوعية فى كيانها . حتى كثير من الشخصيات الكبيرة والذين احتلوا مناصب عليا فى المجتمعات الاسلامية بذلوا مافى وسعهم لمحاربة الاسلام وشعائره لكن مع ذلك يعتبرون كالشخصيات الاسلامية الكبيرة واليك مثال مصطفى كمال الذى كان يدعى " الغازى " مع كونه أكبر أعداء الاسلام والمسلمين . والملك أمان الله الافغانى الذى كان يدعى ايضا " الغازى " مع كونه اول داعية التغرب والتفرنج فى المجتمع الافغانى المسلم . وكانت نتيجة ذلك الالتباس بان المفاسد التى كانت فى مجتمع المسلمين او حكوماتهم كانت تعتبر مفاسد المجتمع الاسلامى والحكومة الاسلامية وهكذا كانت عيوب أفرادهم أو زعمائهم تنسب الى الاسلام وتعليماته فكانت تسبب فى ابتعاد الناس عن الاسلام . فينتقد الاستاذ المودودى هذا المنهج الخاطىء للفكر فيقول " بعض الناس اذا يفكرون فى مصلحة المسلمين حسب رأيهم يظنون بانهم يفكرون فى مصلحة الاسلام ولا يميزون بين هذا وذاك "(١)

(١) حركة تحرير الهند والمسلمون . الجزء الثانى ص ١٢٠ .

وفي هذا الصدد يحكى لنا الاستاذ حكاية احد زعماء حزب رابطة المسلمين بالهند الذى اشتكى عن بعض الأغنياء من " المسلمين " بانهم يذهبون الى " البغايا المتفرنجات " حيث أن البغايا من " المسلمات " أحق بعنايتهم "(١).

والاستاذ المودودى انتقد ذلك المنهج الخاطئ للفكر وقدم الفكر الاسلامى الصحيح بالادلة من الكتاب والسنة وبالبراهين العقلية والعلمية وذلك فى عدد من الكتب اهمها : حركة تحرير الهند والمسلمون ، والخطب ، و نحن والحضارة الغربية ، وتفهيم القرآن .

وهكذا نرى بان تاريخ ملوك المسلمين ورؤسائهم يعتبر تاريخ الاسلام مع أننا نرى بان عددا غير قليل منهم لم تكن لحياتهم الشخصية او لحكوماتهم اية علاقة بالاسلام ، وهكذا نرى بان ذخائر الشعر والأدب التى جاء بهما الشعراء والأدباء فى عهد هؤلاء الملوك ، مهما كان اكثرها مخالفا للروح الاسلامية ما كان يسمى بالشعر والادب الاسلامى ، حتى الغناء والموسيقى التى ازدهرت فى عهدهم — مع كونهما مخالفة للشريعة السمحة — كانت تسمى " بالغناء " و " الموسيقى الاسلامية " . وعلى ذلك المقياس . . وكانت نتيجة ذلك المنهج الخاطئ للفكر ان تمكن المستشرقون من الطعن فى الاسلام كما كان من نتيجة ذلك ان كثيرا من الملوك والرؤساء فى القرون المتأخرة حاولوا أن ياتوا بالادلة من ذلك " تاريخ الاسلام " لأعمالهم القبيحة ولأفعالهم غير الاسلامية . وهكذا انتسب ذلك التاريخ الى الاسلام وجاء بالمشاكل الكبيرة فى طريق الدعوة الاسلامية لأن من الطبيعى أن يأتى السؤال بان هل المقصود من الدعوة اعادة نظام هؤلاء الملوك ، فلذلك الاستاذ المودودى لكونه داعية رأى ضروريا أن يعين الفرق بين تاريخ الاسلام وبين تاريخ المسلمين ، ومن أهم الكتب التى ألفها فى هذا الموضوع هى " تجديد الدين واحيائه " و " الخلافة والملك " و " الحكومة الاسلامية " و " كيف تقام الحكومة الاسلامية " .

---

(١) انظر حركة تحرير الهند والمسلمون ، الجزء الثانى ص ٨ .

— ابراز أهمية فريضة اقامة الدين :

وهكذا من اعماله البارزة الجليلة تمكنه من احياء الموقف الصحيح تجاه الاسلام وتعليماته القيمة والاسلام هو الدين الذى جاء به الرسل من آدم عليه الصلاة والسلام الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والغاية التى ارسله الله لاجلها هى اقامته فى الحياة الانسانية السليمةكما يقول سبحانه (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ....) (١) . وكما بين النبى من عمله باقامة الدولة الاسلامية بالمدينة المنورة وتنفيذ الاحكام الاسلامية فى الحياة الاجتماعية كلها وكما عمل خلفاؤه الراشدون باقامة الامامة الصالحة على منهاج النبوة ، ولكن نرى ان مع مرور الايام بدأ المسلمون وحتى علماؤهم يفكرون بان اقامة النظام الاسلامى كانت مهمة النبى واصحابه فى خير القرون فحسب ولكن اقامة النظام الاسلامى على منهاج النبوة اوعلى منهاج الخلافة الراشدة فى ذلك العصر ، هذا مالانقدر عليه ابدا ، لاننا لسنا كالنبى او اصحابه ولا عصرنا كعصرهم ، فلهذا يكفينا بان نهتم بدراسة القران والحديث والكتب الاسلامية الاخرى وتدريسها وننشىء المدارس الدينية لتحقيق ذلك الهدف او نكتفى بالدعوة والتبليغ وذلك بالقاء المحاضرات او بتاليف الكتب فحسب او نحافظ على التعليمات الاسلامية فى حياتنا الشخصية ، وننتظر لظهور الامام المهدى لاقامة النظام الاسلامى بكامله ، وهكذا قد اصبح الاسلام علما يدرس ويدرس فى المدارس او يطلع عليه فى الكتب والمحاضرات ، او ديننا قد اختيرت بعض تعليماته فى الحياة الفردية وقد اهملت تعليماته للحياة الاجتماعية فى انتظار الامام المهدى ، فهذه كانت الأوضاع حينما قام الأستاذ المودودى بالدعوة بأن الاسلام هو دين كامل شامل بكل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ولا يعتبر الايمان به كاملا ولا الانتساب اليه صحيحا الا بالاعتقاد بان اقامة الدين بكامله هو واجب دينى لابد لكل مسلم ومسلمة

---

(١) سورة الشورى ــ الآية ١٣ .

الاهتمام به والقيام له ، فمن مقتضيات ايماننا اذن أن نقوم لاقامة النظام الاسلامى بكامله كما قام باقامته النبى صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون ، واما الاكتفاء بدراسة القرآن والحديث والكتب الدينية الاخرى بدون الاعتناء بإقامة الدين بكامله فهو مالا يسمح له الايمان لا العقل . فيقول الاستاذ المودودى " ما رأيكم فى المريض الذى يقرأ كتابا فى علم الطب ويظن بأن قراءته لذلك الكتاب ستشفيه من المرض فيكون ظنكم به بانه اصبح مجنونا فلابد ان ينقل الى مستشفى الأمراض النفسية ، فما بالكم اذن بان الكتاب الذى قد أرسله الله سبحانه وتعالى لعلاج جميع امراضكم الفردية والاجتماعية فتظنون بأن قراءته فحسب تكفى لعلاج جميع تلك الأمراض "(١) بل يرى الاستاذ المودودى بان هذا الاهتمام بدراسة القران وتدريسه بدون الاعتناء باقامة النظام الاسلامى لا يتمكن الانسان به من فهم القران قط فيقول : " ان القرآن ليس بكتاب يحوى نظريات مجردة وافكار محضة حتى تدرسه جالسا على الاريكة ثم تفهم جميع مطالبه كما أنه ليس بكتاب يبحث فى اللاهوت فتحمل جميع أسراره ومكنوناته فى المعاهد والزوايا . ان هذا الكتاب كما قلت فى بداية المقدمة(٢) كتاب دعوة وحركة " ثم يواصل حديثه : اذن كيف يتأتى لك اليوم ان يتجلى لك جميع ما يضمر هذا الكتاب من أسرار وحقائق بمجرد ان تمر على حروفه وتنطق بكلماته ، وبدون ان تنزل الى ميدان الصراع بين الاسلام والكفر ، وتغبر قدميك فى معركة الاسلام والجاهلية وبدون ان يصادفك المرور بمنزل من منازل هذا الكفاح "(٣) .

---

(١) الخطب ، الجزء الاول ص ٤٧ .
(٢) يعنى بها مقدمة تفسيره (تفهيم القرآن) .
(٣) مقدمة تفهيم القرآن ص: ٣٣-٣٤ .

ابراز أهمية التوازن فى الاهتمام بأحكام الاسلام وتعليماته

وكذلك من أعماله الكبيرة ابراز اهمية مبدأ الأهم فالأهم والاهتمام باحكام الاسلام وتعليماته المختلفة حسب مكانتها فى الدين والاسلام دين كامل شامل لكل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ، وهو تشمله العقائد والعبادات والاحكام والحدود والمبادئ الاساسية ومعالم الطريق لكل دائرة من دوائر الحياة المختلفة ، وكل من هذه العقائد والمبادئ والعبادات والاحكام لها مكانة خاصة فى الدين . ولابد من الاهتمام بها حسب مكانتها ،وأى تغيير فى مكانتها الخاصة لابد من أن يأتى بالفساد العظيم فى الدين ، وهكذا الاهتمام بالعمل لبعض الاحكام وعدم العناية ببعضها ياتى فى حكم قوله سبحانه (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) (١) .

فلهذا نرى أن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم كانوا يهتمون باحكام الدين وتعليماته القيمة حسب مكانتها فى الدين فكانوا يهتمون بشئون الدولة مع مداومتهم على العبادات وكانوا اكثر اهتماما بالفرائض والواجبات من اهتمامهم بالنوافل ــ ولكن لم يتمكن المسلمون من الاهتمام بهذا المبدأ فى القرون الأخيرة ولاسيما بعد استيلاء الاستعمار السياسى والحضارى على العالم الاسلامى فكان لهذا عدم الاهتمام باحكام الدين وتعليماته حسب مكانتها أن راى بعض العلماء والمشايخ ان الدين لا يشمله الا اداء الطقوس واما اقامة الحكومة الاسلامية للاحتكام بما أنزل الله وهذا مما ليس له اية علاقة بالدين وهذا ما انتهى الى انتشار فكرة فصل الدين عن الدولة وظهور الفساد فى حياة الامة الاسلامية الاجتماعية كما كان نتيجة انتشار هذه الفكرة الخاطئة ان اصبح المسلمون اكثر عناية بالفروع والجزئيات من عنايتهم بالاصول والمبادئ ، فانتقد الاستاذ المودودى هذه الفكرة الضالة بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية فى تأليفاته المختلفة وبين بكل صراحة ان الاسلام لا يمكن العمل بمقتضياته الا بالاهتمام بمبدأ الاهم فالأهم

---

(١) سورة البقرة : الآية ٨٥ .

وبالعناية باحكام الدين وتعليماته حسب مكانتها . فأهم الكتب التى تناول الاستاذ هذا الموضوع فيها هى "نحن والحضارة الغربية" و "الخطب" و "التفهيمات" و "الحكومة الاسلامية" فكان لجهاده الطويل فى هذا المجال ان تمكن الاستاذ المودودى من انقاذ ملايين من المسلمين من سيطرة هذه الفكرة الضالة لا فى شبه القارة الباكهندية فحسب بل فى العالم الاسلامى من شرقه الى غربه .

مواجهة التحديات المعاصرة والحركات الهدامة

ذكرنا فى هذه الرسالة ان سيطرة الغرب السياسية والحضارية جاءت بالتحديات المعادية العنيفة للاسلام فكان لهذه السيطرة الغاشمة ان ظهرت فى المجتمعات الاسلامية عديدا من الحركات الهدامة ، هذا من ناحية ،ومن ناحية اخرى ،كان لرعاية الاستعمار أن انتشرت فى المسلمين الفلسفات المادية الجاهلية كالتفسير الجدلى للتاريخ لهيجل والتفسير الجدلى المادى للتاريخ لماركس ونظرية داروين للتطور والتفسير الجنسى لعلم النفس لفرويد والشيوعية ، والعلمانية ، والقومية الوطنية ، وما الى ذلك من الفلسفات الجاهلية والنظم اللادينية ،وكان للعبودية الفكرية للحضارة الغربية أن تأثر بها كثير من المسلمين المثقفين وظهرت فى العالم الاسلامى الحركات المستقلة لتعميم هذه الفلسفات الجاهلية والنظريات اللادينية فكان لهذه الظاهرة أن الحركات التى بدأت لتحرير البلاد الاسلامية من سيطرة الاستعمار الغاشم كانت اكثرها تقوم على أساس القوميات الوطنية واللسانية الجاهلية وكانت تهدف الى اقامة الحكومات القومية اللادينية او الحكومات الشيوعية كما كان لهذا السبب ان الحكومات التى اقيمت فى البلاد الاسلامية المختلفة بعد تحريرها من الاحتلال الاستعمارى كانت اكثرها قومية علمانية أو شيوعية او اشتراكية ، وهكذا دوائر الحياة الاخرى المختلفة سيطرت عليها العلمانية بكل مفاسدها واقتصرت دائرة الدين الى أداء الطقوس فحسب ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان لظهور الحركات الهدامة المعادية كالقاديانية والبهائية وجحود السنة النبوية أن زادت المخططات والمؤامرات المعادية بجانب وانتشرت التأويلات الباطلة للآيات القرآنية التى جاء بها دعاة هذه الحركات لتحقيق أهدافهم الشنيعة بجانب آخر .

والاستاذ المودودى بعدما قام بعمل الدعوة ، رأى ضروريا ان يهتم بمواجهة هذه التحديات والتيارات المادية والحركات الهدامة فقام باصدار عديد من التأليفات والبحوث القيمة التى انتقد فيها الفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية والحركات الهدامة بالبراهين العقلية القوية . وهكذا تمكن من القضاء على العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة واعادة ثقة المسلمين فى صلاحية الاسلام لقيادة البشرية فى ذلك العصر ، وكان لجهوده فى هذا المجال أثرا كبيرا فى شبه القارة الهندية فحسب بل فى العالم الاسلامى بأسره فتقول مجلة "الاعتصام" المصرية متحدثة عن مدى تأثير جهود الاستاذ المودودى فى ذلك المجال : " المفكر الاسلامى الكبير الذى رد للاسلام اعتباره ، وأحل الفكر الاسلامى مكانه اللائق به يواجه فى صلابة تحديات الفكر الاجنبى المستورد ، ويتصدى فى قوة للفكر الدخيل المنتسب زورا الى الاسلام " (١) .

الدعم الفكرى للحركات الاسلامية المعاصرة

ومن أعمال الاستاذ المودودى الخالدة فى مجال الدعوة الاسلامية هو تقديمه الدعم الفكرى للحركات الاسلامية المعاصرة ، وتأليفات الاستاذ المودودى حول الموضوعات الاسلامية المختلفة لها دور كبير فى انشاء الحركات الاسلامية فى بلدان العالم المختلفة منها باكستان والهند وبنغلاديش وولاية جامو وكشمير الحرة وولاية جامو وكشمير المحتلة وسيلان وبورما التى تشتغل فيها الحركة الاسلامية باسم "الجماعة الاسلامية" ومنها البلاد التى قد أنشئت فيها الحركة الاسلامية نتيجة لمؤثرات دعوة الاستاذ المودودى مثل البلد الاسلامى العريق أفغانستان كما أسلفنا عن ذكره فى هذه الرسالة (٢) . وفضلا عن هذا تأليفات الاستاذ المودودى القيمة يستفيد بها العاملون فى مجال الدعوة الاسلامية فى أنحاء العالم . ويقول الاستاذ محمد قطب :

"كتابات الاستاذ الكبير ابى الاعلى المودودى تعتبر من منارات الفكر الاسلامى المعاصر ، وأدت دورا كبيرا فى تقديم حقائق الاسلام للمسلم المعاصر بطريقة مبسطة مطورة يسهل فهمها واستيعابها" (٣)

---

(١) مجلة الاعتصام المصرية ـ العدد الاول لعام ١٤٠١ هـ .

(٢) انظر ص ٥ من هذه الرسالة .

(٣) الاستاذ محمد قطب ـ فى مقابلته مع مندوب مجلة "اردو دائجست الشهرية" .

ويقول الاستاذ ابوالحسن على الندوى : " كانت كتاباته وبحوثه موجهة الى معرفة طبيعة الحضارة الغربية وفلسفتها للحياة وتحليلها تحليلا علميا قلما يوجد له نظير فى الزمن القريب ، ،،وقد عرض الاسلام ونظام حياته ، واوضاع حضارته وحكمه للمجتمع والحياة وقيادته للركب البشرى والمسيرة الانسانية فى اسلوب علمى رصين وفى لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف ومستوى العصر العلمى ويملأ الفراغ الذى كان موجودا فى الادب الاسلامى المعاصر منذ زمن طويل ويقضى حاجة فى نفس الشباب الطموح الى مجد الاسلام والمسلمين وقيام دولة ومجتمعاته الشريفة المعتزة بنفسها ودينها ورسالتها ومقومات حياتها فى الاقطار الاسلامية اولا وفى العالم بالتالى "(١).

وتقول مجلة الاعتصام المصرية :" كان الاستاذ المودودى يحمل فكرا اسلاميا أصيلا وكان لهذا الفكر الاسلامى أن يؤسس مدرسة تلامذتها من شتى انحاء العالم الاسلامى ولم يقف المودودى عند حدود تقديم العطاء من الفكر الاسلامى بل تصدى للانظمة الحاكمة فى ديار المسلمين والتى تعتنق فكرا جاهليا .. وفى نفس الوقت تصدى للاستعمار الذى جثم على صدر الامة المسلمة وتصدى لعملائه فى ديار المسلمين ..وواصل جهاده حتى لقى ربه بعد ان اسس مدرسة كبرى يواجه الان تلامذتها فى انحاء المعمورة بفكرهم النير ومفهومهم السليم لحقيقة دينهم الذين جندوا أنفسهم لمناوأة الاسلام "(٢) .

وجملة القول أن دعوة الاستاذ المودودى نجد مؤثراتها الفكرية والعلمية فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وفى كل بلد من بلدان العالم وله دور كبير فى احياء التصور الصحيح للاسلام وأنشاء ودعم الحركات الاسلامية فى انحاء المعمورة هذا من ناحية وفى القضاء على العبودية الفكرية للحضارة الغربية واعادة الثقة فى صلاحية الاسلام بقيادة البشرية فى ذلك العصر ويقول الشيخ أبوالحسن على الندوى فى كلمة رثائه للاستاذ المودودى : " اننى لا أعرف رجلا أثر فى الجيل الاسلامى الجديد فكريا وعلميا مثل تاثير الراحل العظيم لا فى العمق ولا فى السعة ... وقد كان السيد جمال الدين الافغانى من اقوى الشخصيات الاسلامية التى نبغت فى القرن الماضى واكبرها نفوذا فى عقول شباب المثقف وسيطرة بل سحرا عليها وتاثيرا فى الفكر والاتجاهات والاساليب الادبية والكتابية والخطابية حتى كان صانع جيل ومفتتح عهد ولكن الحق يقال ان سيطرته العقلية كانت محدودة فى السخط على الاوضاع السياسية القائمة والاستعمار الاجنبى وفى اثارة الانفة والنخوة فى الشعوب الاسلامية المحكومة فى بلادها والعمل للجامعة الاسلامية لم ترافقها فكرة منسقة ولا دعوة ايجابية تقوم على الدراسات الاسلامية العميقة .. بخلاف الاستاذ المودودى الذى قامت دعوته على أسس علمية اعمق وامتن من اسس تقوم عليها دعوات سياسية وردود فعل للاستعمار الاجنبى "(٣) .

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٥٩ ــ التاريخ : غرة محرم ١٤٠٠هـ
(٢) مجلة الاعتصام المصرية ــ العدد الاول لعام ١٤٠١هـ

الباب الثاني

منهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم

الفصل الاول — التفسير وتطوره خلال العصور

الفصل الثاني — مقدمات أساسية لدراسة منهج الأستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم .

الفصل الثالث — منهج الأستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم .

الفصل الأول

التفسير وتطوره خلال العصور

المبحث الأول: بداية التفسير وتطوره خلال العصور.

المبحث الثاني: التفسير في شبه القارة الهندية.

المبحث الاول :

التفسير وتطوره خلال العصور

التفسير لغة هو الايضاح والتبيين . وفي لسان العرب (الفسر) البيان فسر الشيء يفسر بالكسرة ويفسره بالضم فسرا ، وفسره آباه . والتفسير مثله ، ثم قال الفسر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل(١) وهذا مايؤيده قوله تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) (٢) .

والتفسير في الاصطلاح هو علم يبحث عن معاني كتاب الله بقدر الطاقة البشرية ويعرفه الزركشي (٣) بانه : " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان واصول الفقه والقرآن ويحتاج لمعرفة اسباب النزول والناسخ والمنسوخ (٤) .

- الحاجة الى التفسير :

ومن المعلوم بأن القرآن قد أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باللسان العربي المبين و حكمة نزول القران باللغة العربية هي سهولة الفهم لمن بعث النبي صلى الله عليه وسلم فيهم . وهذا مايشير اليه قوله تعالى : (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) (٥) . فيتضح من ذلك ان من سنة الله تعالى أنه كان ينزل الكتاب بلسان قوم الرسول ، لكي يتمكنوا من فهمه ، وهكذا أنزل القرآن ، ولكن من المعلوم ان فهم

---

(١) لسان العرب جـ ٥ ص ٥٥ .
(٢) سورة الفرقان الآية ٣٣ .
(٣) هو الامام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي المصري (٧٤٥هـ - ٧٩٣م) .
(٤) البرهان في علوم القرآن جـ١ ص ١٢ .
(٥) سورة ابراهيم الآية ٤ .

اللغة ولاسيما فهم دقائقها يختلف باختلاف الأفراد ، ومن هنا كانت الحاجة الى التفسير لتتمكن الافهام العادية من فهم المراد من القرآن الكريم .

ـ مصادر التفسير :

١ ـ القرآن الكريم : وأول مصدر للتفسير هو القرآن الكريم لأن القرآن يفسر بعضه بعضا فما اوجز فى مكان قد يبسط فى مكان آخر وماكان مطلقا فى موضع قد يقيد فى موضع آخر . ولهذا يعتبر القران الكريم أول مصادر التفسير وأهمها . ويقول الزركشى : " احسن طريق التفسير ان يفسر القرآن بالقرآن . فما اجمل فى مكان قد فصل فى موضع آخر وما اختصر فى مكان فانه قد بسط فى آخر " (١) .

٢ ـ السنة النبوية : وسنة النبى صلى الله عليه وسلم هى المصدر الثانى للتفسير لانه صلى الله عليه وسلم قد بعثه ربه لتبيين القرآن الكريم كما قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم لعلهم يتفكرون) (٢) . وكما قال سبحانه (هوالذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (٣) . والحقيقة التى تتبين من هذه الآيات ان الغاية التى بعث النبى صلى الله عليه وسلم لاجلها لم تكن إلا أن يبين بقوله وفعله المراد بما نزل الله عليه . فلذلك قد أوحى الله اليه صلى الله عليه وسلم معانى القرآن الكريم كما أوحى اليه ألفاظه . وهذا مايشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا وانى أوتيت الكتاب ومثله معه) (٤) فلذلك

---

(١) الزركشى ـ البرهان فى علوم القرآن جـ٢ ص ١٧٥ .

(٢) النحل الآية ٤٤ .

(٣) سورة الجمعة الآية ٢ .

(٤) سنن أبى داؤد ـ كتاب السنة ـ باب فى لزوم السنة .

كان من الطبيعي بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أعلم الناس بمراد ما أنزل الله عليه . فلذلك اهتم النبي صلى الله عليه وسلم ببيان ما انزل عليه بقوله وفعله . فيقول شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية : يجب أن يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما يتبين لهم ألفاظه (١) .

٣ ـ والمصدر الثالث للتفسير هو تفسير الصحابة رضي الله عنهم لأنهم قد تعلموا القرآن الكريم من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يعرفون الأسباب التي نزلت فيها اكثر من السور أو الآيات وكانوا أكثر الناس فهما للظفة التي نزل فيها القران ، كما كانوا يعرفون عادات العرب وأحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن .

وجدير بالذكر بأن الصحابة كانوا يتفاوتون فيما بينهم في قدرتهم في فهم القرآن وتفسيره (٢) . وكان أشهرهم حبر الأمة عبد الله بن عباس (٣) الذى دعا له النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم فقهه في الدين وعلمه الكتاب وعلمه التأويل " (٤) أو كما قال عليه السلام . فكان يعتبر أعلم

---

(١) الإمام ابن تيمية ـ مقدمة التفسير ص ٣٣١ .

(٢)

(٣) انظر الإمام ابن تيمية ـ مقدمة التفسير ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

(٤) هو عبد الله بن عباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأحد من الصحابة الكبار . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد توفي في الطائف عام ٦٨ هـ ، الاصابة في تمييز الصحابة جـ٢ ص ٣٣٠ ـ ٣٣٤ .

(٤) صحيح البخاري ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما .

الصحابة بالتفسير كما يقول ابن عمر رضى الله عنهما (١) (ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد) (٢) . ومنهم عبد الله بن مسعود (٣) وكان من أوائل المسلمين وكان يلازم النبى صلى الله عليه وسلم فى حله وترحاله ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم (استقرئوا القرآن من أربعة ، من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل) (٤) .

ومنهم سيد القراء أبى بن كعب (٥) وهو من الأربعة الذين أمر النبى صلى الله عليه وسلم لاخذ القرآن منهم ، ومنهم الخلفاء الاربعة (٦) وزيد بن ثابت (٧)

---

(١) هو عبد الله بن عمر الفاروق . ولد فى السنة الثالثة بعد البعث وكان عالما زاهدا وقد توفى عام ٧٢ هـ او ٧٣ هـ (الاصابة فى تمييز الصحابة جـ٢ ص ٣٤٧ – ٣٥٠) .

(٢) حافظ بن حجر العسقلانى – فتح البارى جـ٧ ص ١٠٠ (كتاب فضائل الصحابة – باب ذكر عبد الله بن عباس رض) .

(٣) هو عبد الله بن مسعود بن غافل من بنى هذيل قد اسلم قديما وكان كثير الملازمة للنبى صلى الله عليه وسلم وتوفى فى سنة ٣٢ أو ٣٣ هـ ، (الاصابة جـ ٢ ص ٣٦٨ الى ٣٧٠) .

(٤) صحيح البخارى – كتاب فضائل الصحابة – باب مناقب عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٥) هو أبى بن كعب بن قيس من بنى النجار كان يكنى بابى المنذر وكان من السابقين الى دار الاسلام وقد توفى عام ٣٠ هـ .(الاصابة فى تمييز الصحابة جـ ١ ص ١٩ – ٢٠) .

(٦) وهم الخليفة الاول سيدنا ابوبكر رضى الله عنه . والخليفة الثانى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . والخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . والخليفة الرابع سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٧) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان من بنى مالك بن النجار وكان كاتب الوحى . قد كلفه سيدنا ابوبكر الصديق لجمع القرآن الكريم ثم كلفه سيدنا عثمان بجمع القرآن على لغة القريش. قد توفى عام ٤٥ هـ . (الاصابة فى تمييز الصحابة جـ ١ ص ٥٦١ – ٥٦٢) .

وابوموسى الاشعري[1] و عبد الله بن الزبير[2] ومنهم أبوهريرة[3] وأنس بن مالك[4] وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله[5] وأم المؤمنين السيدة عائشة[6] رضى الله عنها ، وأما قيمة التفسير الماثور عن الصحابة ، وإذا كان هذا التفسير يتعلق بسبب نزول الاية اوالسورة فله حكم المرفوع. وأما التفسير الذى يكون من نتيجة اجتهاد الصحابة فله حكم الموقوف[7] ومكانته لا بد

---

(١) هو عبد الله بن القيس أبوموسى الأشعري الصحابى الشهير توفى عام ٥٣ هـ أو ٦٣ هـ (الاصابة فى تمييز الصحابة جـ٢ ص ٣٥٩) .

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى وأمه أسماء بنت أبى بكر اخت أم المؤمنين عائشة الصديقة . وقد ولد عام الهجرة واستشهد على يدى الحجاج بن يوسف الثقفى عام ٧٣ هـ (الاصابة فى تمييز الصحابة جـ٢ ص ٣٠٩ـ٣١٠) .

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسى وقيل عبد الله بن صخر الدوسى وكان اسمه قبل الاسلام عبد الشمس فغيره النبى صلى الله عليه وسلم . أسلم عام خيبر وفرغ نفسه لحصول العلم من عند النبى صلى الله عليه وسلم فكان دائما يلازمه فى حله وترحاله . توفى عام ٥٧ هـ (الاصابة جـ٤ ص ٢٠٢ـ ٢١٠)

(٤) هو انس بن مالك بن النضر الانصارى الخزرجى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان يلازمه دائما فلذلك كان من المكثرين فى الرواية توفى عام ١٠٣ هـ وقيل ١٠٧ هـ (الاصابة فى تمييز الصحابة جـ ١ ص ٧١)

(٥) هو جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام الأنصارى كان يكنى بابى عبد الله وابى عبد الرحمن وكان من المكثرين عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد توفى فى عام ٧٤ هـ وقيل ٧٣ هـ (الاصابة فى تمييز الصحابة جـ١ ص ٢١٣) .

(٦) هى أم المؤمنين عائشة الصديقة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ، أبوها سيدنا ابوبكر الصديق . ولدت بعد البعثة بأربع سنوات وكانت كثيرة الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم وتوفيت عام ٥٨ هـ . (الاصابة فى تمييز الصحابة جـ٤ ص ٣٥٩ـ ٣٦١) .

(٧) الإمام الزركشى ـ البرهان فى علوم القران جـ٢ ص ١٥٨ .

أن تكون بعد الكتاب والسنة كما يقول الإمام ابن تيمية : " وحينئذ إذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا فى ذلك إلى قول الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والاحوال التى اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح " (١) ، ومن مزايا التفسير من الصحابة الاكتفاء بالمعنى الاجمالى والاقتصار على المعنى اللغوى وندرة الاستنباط العلمى للأحكام الفقهية وقلة اختلافهم فيما بينهم وجدير بالذكر انهم كانوا يكتفون بتفسير ما غمض فهمه ، وكانوا يعتمدون على اجتهادهم ومعرفتهم باللغة العربية (٢) . ولا يتم الحديث عن التفسير فى عهد الصحابة إلا إذا ذكرنا فيه رغبة بعضهم فى الرواية عن أهل الكتاب ، ولاسيما عن علمائهم الذين قد أسلموا كعبد الله بن سلام (٣) وكعب الأحبار (٤) وغيرهما وذلك فى تفصيل بعض قصص أنبياء بنى اسرائيل التى قد وردت فى القرآن للعبرة ولكنهم كانوا يجتنبون ما كان يتعارض مع القرآن ومع ذلك يمكننا أن نقول بأن رجوعهم الى روايات أهل الكتاب فتح الباب لدخول الاسرائيليات فى التفاسير فيما بعد (٥) .

---

(١) الإمام ابن تيمية ـ مقدمة التفسير ص ٣٦٤ .

(٢) انظر الدكتور محمد حسين الذهبى ـ التفسير والمفسرون جـ١ ص ٩٧ـ٩٨

(٣) هو ابو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث من بنى قينقاع كان عالما يهوديا كبيرا قد أسلم أول ما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة . قد توفى سنة ٤٣ من الهجرة (الاصابة فى تمييز الصحابة جـ٢ ص: ٣٢٠ بن: ٣٢١) .

(٤) هو كعب بن ماتع الحميرى المعروف بكعب الأحبار . كان عالما يهوديا كبيرا وقد أسلم فى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه وتوفى عام ٣٢ هـ .

(٥) انظر الدكتور محمد حسين الذهبى ـ التفسير والمفسرون جـ١ ص ٦١ـ٦٢ .

التفسير في عصر التابعين

تلقى التابعون تعليمهم من كبار المفسرين من الصحابة كعبد الله بن عباس في مكة المكرمة وعبد الله بن مسعود في الكوفة وأبي بن كعب في المدينة المنورة وجدير بالذكر أن كل واحد من هؤلاء الصحابة المفسرين يعتبر مؤسس مدرسة خاصة في التفسير . وكان ابن عباس مؤسس مدرسة التفسير بمكة المكرمة ومن اشهر التابعين الذين تلقوا تعليمهم منه هم سعيد بن جبير (١) ومجاهد (٢) وعكرمة (٣) وطاوس بن كيسان اليماني (٤) وعطاء بن ابي رباح (٥) ولكل واحد منهم مكانة خاصة في التفسير . وهكذا أسلوب كل واحد منهم يمتاز بالمزايا الخاصة (٦) وأبي بن كعب يعتبر مؤسس مدرسة التفسير بالمدينة المنورة ومن أشهر المفسرين الذين تلقوا تعليمهم فيهما

---

(١) هو سعيد بن جبير ، مولى بني والبه من بني أسد بن خزيمة كان من تلاميذ ابن عباس وقد استشهد في عام ٩٥ على يد الحجاج بن يوسف الثقفي (انظر تهذيب التهذيب ج٤ ص ١٣-١٤) .

(٢) هو مجاهد بن جبير المكي مولى السائب بن ابي السائب ولد سنة ٢١ هـ وكان من ابرز تلاميذ ابن عباس واكثرهم ملازمة له . وقد توفي عام ١٠٢ هـ (انظر المرجع السابق ص ٤٢) .

(٣) هو ابو عبد الله عكرمة بن البربري مولى ابن عباس ، وكان في ملازمة ابن عباس من صغره وقد تعلم عنه التفسير والحديث . وقد توفي عام ١٠٥ هـ (انظر المرجع السابق ج٧ ص ٢٦٣ - ٢٧٣) .

(٤) هو طاوس بن كيسان اليماني سمع زيد ابن ثابت وعائشة وأبا هريرة وغيرهم وقد توفي بمكة المكرمة سنة ست ومائة وله آراء كثيرة في تفسير القران الكريم . (انظر المرجع السابق ج٥ ص ٨-١٠) .

(٥) هو عطاء بن ابي رباح كان يمني الأصل وقد هاجر إلى مكة وكان من تلاميذ ابن عباس وقد توفي في عام ١١٤ هـ . انظر المرجع السابق ج٧ ص ١٩٩ - ٢٠٣) .

(٦) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ج١ ص ٩٩ - ١٣٩ .

هم زيد بن أسلم (١) وأبو العالية (٢) ومحمد بن كعب القرظي (٣) ولكل واحد منهم مكانة خاصة فى التفسير (٤) . وهكذا مدرسة التفسير بالعراق ينتسب الى عبد الله بن مسعود الذى بعثه سيدنا عمر الى كوفه معلما ، ومن أشهر رجالها علقمة بن قيس (٥) ومسروق (٦) والاسود بن يزيد (٧) ، ومرة

---

(١) هو زيد بن أسلم وكان أبوه مولى لسيدنا عمر الفاروق وقد تعلم من أبى بن كعب وابن عمر وغيرهم وكان من تلاميذه إمام دار الهجرة الامام مالك بن أنس . وقد توفى فى عام ١٣٦ هـ (انظر تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٣٩٥–٣٩٧) .

(٢) هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي ، أسلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين . روى عن على وابن مسعود وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم وهو من ثقات التابعين المشهورين بالتفسير وقد توفى فى عام ٩٠ هـ (انظر المرجع السابق جـ٣ ص ٢٨٤–٢٨٥) .

(٣) هو ابو حمزة أو أبو عبد الله — محمد بن كعب القرظي المدنى وكان من تلاميذ أبى بن كعب وكان ثقة وعالما وقد توفى فى ١١٨ هـ . (انظر التهذيب جـ٨ ص ٤٢٠–٤٢٢) .

(٤) انظر الدكتور محمد بن ابو شهبة — الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٩٧–٩٨ .

(٥) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعى الكوفى (المتوفى ٦١ هـ) وهو اشهر رواة عبد الله بن مسعود وأعرفهم به وأعلمهم (انظر تهذيب التهذيب جـ٧ ص ٢٧٦–٢٧٨) .

(٦) هو ابو عائشة مسروق بن الاجدع بن مالك بن اميه الهمدانى الكوفى . كان من تلاميذ ابن مسعود وكان أعلم منهم واكثر اخذا منه وقد روى عنه كثير من أصحاب الكتب الستة . توفى عام ٦٣ هـ (المرجع السابق جـ ١٠ ، ص ١٠٩–١١١) .

(٧) هو أبو عبد الرحمن الاسود بن يزيد ابن قيس النخعى من كبار التابعين (توفى ٧٤ هـ أو ٧٥ هـ) قال فيه الامام أحمد : ثقة من أهل الخير . انظر تهذيب التهذيب جـ١ ص ٣٤٢–٣٤٣ .

الهمداني(١) وعامر الشعبي (٢) والحسن البصري (٣) ، وقتادة بن دعامة (٤) السدوسي (٤) وجدير بالذكر بأن تلك المدرسة تمتاز بلون خاص وهو تفسير القران بالرأي والاجتهاد ، ولكل واحد منهم مكانة علمية خاصة كما هناك مزايا خاصة لاسلوب كل واحد منهم.

ويجدربنا أن ننقل هنا رأي شيخ الإسلام ابن تيمية (٥) في تلك المدارس للتفسير إذ يقول : " وأما التفسير فان أعلم الناس به أهل مكة لانهم اصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن ابن أبي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وامثالهم ، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ، ومن ذلك ما تميزوا به

---

(١) هو أبو اسماعيل ، مرة بن شراحيل الكوفي كان من أصحاب ابن مسعود وقد روى عنه وعن أبي بكر رضي الله عنه وعلي رضي الله عنه وروى عنه الشعبي وثقه ابن معين وتوفي في عام ٧٦ هـ (المرجع السابق جـ ٠ (ص ٨٨-٨٩)

(٢) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري الكوفي قاضي الكوفة (المتوفى ١٠٩ هـ) روى عن كثير من الصحابة وقال فيه ابن حبان : كان فقيها وشاعرا وقال ابن معين : كان الشعبي ثقة (المرجع السابق جـ ٥ ص ٦٥-٦٩).

(٣) هو الإمام أبو سعيد الحسن بن يسار البصري مولى الأنصار - ولد قبل وفاة عمر بسنتين وكان عالما فقيها زاهدا . كان من تلاميذ ابن مسعود وروى عنه وعن كثير من الصحابة وروى عنه كثير من تبع تابعين وقد توفي عام ١١٠ هـ (انظر المرجع السابق جـ٢ ص ٢٦٣-٢٧٠).

(٤) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي الأكمه ، عربي الأصل كان يسكن البصرة - تعلم من ابن مسعود وقد اكتسب شهرة في التفسير . وقال فيه سعيد بن المسيب : " ما رأيت عراقيا احفظ من قتادة وقد احتج به أصحاب الكتب الستة وقد توفي عام ١١٧ هـ (المرجع السابق جـ٨ ص ٣٥١ = ٣٥٦).

(٥) هو تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (عام ٦٦١ هـ من الهجرة - عام ٧٢٨ من الهجرة) كان عالما متبحرا داعيا إلى الله . مجاهدا في سبيل الله يعتبر مجدد عصره . اشترك رحمه الله في عدة معارك ضد التتار فله عدة كتب قيمة في نواحي الحياة المختلفة . (انظر اخير الدين الزركلي بالاعلام جـ ١ ص ١٤٠-١٤١).

على غيرهم وعلماء أهل المدينة فى التفسير ، مثل زيد بن أسلم الذى أخذ عنه مالك التفسير وأخذه عنه أيضا ابنه عبد الرحمن وأخذه عن عبد الرحمن عبد الله بن وهب (١) .

وأما التفسير المأثور عن التابعين فقد اختلف العلماء فى بيان قيمتها ، ويقول الإمام أبو حنيفة " ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس وما جاء عن الصحابة تخيرنا وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال (٢) " ونقل عن الإمام أحمد روايتان : رواية بقبول ورواية بعدم قبول (٣) ويقول شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية : "إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الائمة فى ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد ابن جبير فانه كان آية فى التفسير (٤) . ثم يقول : " وقال شعبة بن الحجاج أو غيره أقوال التابعين فى الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة فى التفسير يعنى انها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح إذ اجمعوا على الشىء فلا يرتاب فى كونه حجة فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع فى ذلك الى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة فى ذلك (٥) .

---

(١) الإمام ابن تيمية ــ مقدمة التفسير ص ٣٤٧ .

(٢) نقلا عن الدكتور محمد حسين الذهبى ــ التفسير والمفسرون جـ١ ص ١٢٨ .

(٣) انظر الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ــ البرهان فى علوم القرآن جـ٢ ص ١٥٨ .

(٤) الإمام تقى الدين أحمد ابن تيمية ــ مقدمة التفسير ص ٣٦٨ .

(٥) المراجع السابقة ص ٣٧٠ .

ومن خصائص التفسير فى ذلك العصر دخول الاسرائيليات وظهور الخلاف المذهبى بين بعض المفسرين ولكن لم يزل التفسير محتفظا بطابع التلقى والرواية (١) .

التفسير فى عصر تابعى التابعين

ثم يأتى عصر تابعى التابعين الذين تعلموا من التابعين مثل سفيان بن عيينة (٢) ووكيع بن الجراح (٣) وشعبة بن الحجاج (٤) ويزيد بن هارون (٥) وعبد بن حميد (٦) وروح بن عبادة البصرى (٧) وعبد الرزاق بن همام (٨) . ومن مزايا التفسير فى ذلك العصر بداية تدوين التفسير ولكن لم يكن ذلك التدوين فى صورة كتاب مستقل أو حسب ترتيب المصحف الشريف بل كان بصورة باب من أبواب كتب الحديث (٩) . وجدير بالذكر أن جميعا

---

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبى ــ التفسير والمفسرون جـ١ ص ١٣٠ــ ١٣١ .

(٢) المتوفى سنة ١٩٨ هـ . (انظر الاعلام ٣/١٥٩ .)

(٣) المتوفى سنة ١٩٧ هـ . (انظر الاعلام ٩/١٣٥ .)

(٤) المتوفى سنة ١٦٠ هـ . (انظر الاعلام ٢/٢٤١ .)

(٥) المتوفى سنة ٢٦٠ هـ . (الاعلام ٩/٢٤٧ .)

(٦) المتوفى سنة ٢٤٩ هـ . (انظر الاعلام ٤/٤٠ .)

(٧) المتوفى سنة ٢٠٥ هـ . (انظر الاعلام ٣/٦٣ .)

(٨) المتوفى سنة ٢١١ هـ . (انظر الاعلام ٤/١٢٦ .)

(٩) انظر الدكتور محمد حسين الذهبى ــ التفسير والمفسرون جـ ١ ص ١٤١ .

من هذه التفاسير كانت تسمى بالتفسير المأثور(١) . ثم تأتى المرحلة التى جاء المفسرون فيها بالكتب المستقلة فى التفسير وكان من أشهر رجال التفسير فى ذلك العصر يحيى بن سلام(٢) وابن جرير الطبرى (٣) وابن ماجة(٤) وأبوبكر النيسابورى (٥) وابن أبى حاتم(٦) وأبوبكر بن مردويه(٧) وغيرهم .ومن مزايا التفسير فى ذلك العصر الاتيان بالتفسير لكل آية من القرآن حسب ترتيب المصحف الشريف والاعتماد على مانقل عن النبى صلى الله عليه وسلم أو الصحابة رضى الله عنهم أوالتابعين(٨). وجدير بالذكر أن ابن جرير الطبرى يعتبر(٨) أول المفسرين الذى اعتنى فى تفسيره الشهير " جامع البيان فى علوم القرآن " بعرض مانقل عن النبى صلى الله عليه وسلم اوالصحابة اوالتابعين مع أسانيدها والتى ترجح بعض الروايات على البعض الآخر واهتم باستنباط الاحكام من الآيات وذكر بعض وجوه الإعراب التى تزيد المعنى وضوحا (٩) . وهو يعتبر من مؤسسى علم التفسير. واما تفسير ابن جرير

---

(١) انظر الدكتور صبحى الصالح ـ مباحث فى علوم القرآن ص ٢٩٠ .

(٢) هو يحيى بن سلام التميمى البصرى الأفريقى المتوفى عام ٢٠٠ هـ (الاعلام ٩ / ١٨٢).

(٣) هو الإمام أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى ـ المفسر والمؤرخ والمحدث ، المولود عام ٢٢٣ هـ والمتوفى عام ٣١٠ هـ (الاعلام ٦ / ٢٩٤) .

(٤) المتوفى سنة ٢٧٣هـ .(الاعلام ٨ / ١٥).

(٥) هو محمد بن ابراهيم بن المنذر أبوبكر النيسابورى (ت : ٣١٨ هـ) (انظر معجم المؤلفين ٨ / ٢٢٠).

(٦) هوعبدالرحمن بن محمد أبى حاتم (ت: ٣٢٧ هـ)(انظر الاعلام ٤ / ٩٩).

(٧) هواحمد بن موسى بن مردويه .أبوبكر (ت : ٤١٠ هـ)(انظر الاعلام ١ / ٢٤٦).

(٨) انظر الدكتور محمد حسين الذهبى ـ التفسير والمفسرون ج١ / ١٤١ـ١٤٢

(٩) انظر الدكتور صبحى الصالح ـ مباحث فى علوم القرآن ص: ٢٩١ .

الطبرى فيكفى بنا ان ننقل فيه قول الإمام ابن تيمية " وأما التفاسير التى فى أيدى الناس فاصحها تفسير محمد بن جرير الطبرى "(١) ، ومع ذلك نجده أحيانا لا يلتزم الصحة فى كل ما يرويه ويذكر غير الصحيح دون أن ينبه عليه (٢) ، وفى الجملة تفسيره الجليل جامع من كل النواحى كشخصية مؤلفه الكبير.

أنواع التفسير

وبعد أن وصل التفسير الى مرحلة التدوين بدأ يتوسع نطاقه إلى أنواع مختلفة ومنها التفسير بالمأثور والتفسير بالراى والتفسير الإشارى التفسير الفقهى وتفسير الفرق المختلفة كالمعتزلة والباطنية والصوفية وغيرها . ونحن نتكلم هنا عن التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى الجائز بالإيجاز :

ـ التفسير بالمأثور :

يشمل التفسير بالمأثور تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالحديث وتفسير القرآن بما نقل عن الصحابة وفى بعض الأحوال تفسير القرآن بما جاء من التابعين فلابد للصحة فى التفسير بالمأثور أن تتوفر فى المفسر الشروط الآتية :

أولا : معرفة أسباب الضعف فى الرواية .

ثانيا : النظر فى علم أسماء الرجال .

ثالثا : الاهتمام بذكر الأسانيد .

رابعا : الاحتياط فى قبول الاسرائيليات .

---

(١) انظر الإمام ابن تيمية ـ مقدمة التفسير ص ٣٨٥ .

(٢) انظر الدكتور صبحى الصالح ـ مباحث فى علوم القرآن ص ٢٩١ .

وإذا لم يهتم المفسر بهذه الشروط فلابد أن يدخل الوضع والاسرائيليات في تفسيره ويلتبس الباطل بالحق ويصبح الوصول إلى الحق صعبا (١) . واشهر كتب التفسير بالمأثور هي كالآتي :

١ ـ جامع البيان في تفسير القران لابن جرير الطبري .

٢ ـ بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي

٣ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي اسحاق الثعلبي

٤ ـ معالم التنزيل لأبي محمد الحسين البغوي

٥ ـ المحرر الوجيز في تفسير آيات الكتاب العزيز لابن عطيه الأندلسي

٦ ـ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء الحافظ ابن كثير

٧ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي

٨ ـ الدر المنثور في تفسير المأثور لجلال الدين السيوطي و(٢)

ـ التفسير بالرأي :

والمراد من التفسير بالرأي هو تفسير القرآن بالاجتهاد . وهناك خلاف بين العلماء في جوازه فمنهم من قال انه لا يجوز مستدلين بقوله صلى الله عليه وسلم : " من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " (٣) ومنهم من قال بجوازه مستدلا بقوله تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (٤) ، وبقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل (٥)

---

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي ـ التفسير والمفسرون جـ١ ص٢٥١ـ١٦٤ .

(٢) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي ـ التفسير والمفسرون جـ١ ص ٢٠٤ .

(٣) سنن الترمذي ـ أبواب التفسير

(٤) سورة محمد الآية ٢٤ .

(٥) صحيح البخاري ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب ذكر ابن عباس رضي الله عنه .

والحقيقة أن التفسير بالرأى جائز اذا توفرت فى المفسر شروط أهمها معرفة اللغة العربية ومعرفة علم القراءات وأسباب النزول والبصيرة فى أصول الدين وأصول الفقه والأحاديث النبوية والعلم بالناسخ والمنسوخ وبالقصص القرآنى (١) . ولابد للمفسر أن يعتنى بالأمور الآتية :

اولا : النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

ثانيا : الأخذ بقول الصحابى . فلقد قيل أنه فى حكم المرفوع مطلقا وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأى فيه .

ثالثا : الأخذ بمفهوم اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات الى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب .

رابعا : الأخذ بما يقتضيه الكلام من معان وهذا ما دعا به النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه حيث قال (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل "(٢) .

وأهم التفاسير بالرأى هى كالآتى :

١ ــ	مفاتيح الغيب	لفخر الدين الرازى
٢ ــ	أنوار التنزيل واسرار التاويل	للبيضاوى
٣ ــ	مدارك التنزيل وحقائق التأويل	للنسفى
٤ ــ	لباب التأويل فى معانى التنزيل	للخازن
٥ ــ	البحر المحيط	لأبى حيان
٦ ــ	غرائب القرآن ورغائب الفرقان	للنيسابورى
٧ ــ	تفسير الجلالين	لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى

---

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبى ــ التفسير والمفسرون جـ١ص ٢٦٥ــ ٢٦٨ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٧٣ــ٢٧٥ .

٨ ـ السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربينى

٩ ـ ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لابى السعود

١٠ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للآلوسى (١) .

التفسير فى العصر الحديث

وأما التفسير فى العصر الحديث فيمكننا ان نقسمه كالاتى : التفسير المذهبى ـ والتفسير الآلحادى ، والتفسير الأدبى الاجتماعى ، والتفسير العلمى . واليك موجز لكل من هذه الأنواع :

ـ أما التفسير المذهبى : فاهتم بعض المفسرين الذين ينتمون إلى الفرق الاسلامية المختلفة أن يأتوا بالتفاسير حسب مذاهبهم الخاصة وذلك على المنهج ماكان لديهم من الذخائر التفسيرية ولم يأتوا بشىء جديد فلذلك لا نطول الكلام فيه .

ـ التفسير الالحادى : هو محاولة تاويل الآيات القرآنية حسب ماكتبه المستشرقون المتعصبون أو ماجاءت الجاهلية الجديدة به من الأفكار والنظريات والفلسفات ، ومن الدوافع التى جعلت المفسرين المتفرنجين يقومون بهذا العمل تأثرهم بالنظريات اللادينية والفلسفات المادية التى جاءت بها الحضارة الغربية الحديثة او بما وصلهم من المستشرقين المتعصبين ورغبتهم التوفيق بين الإسلام وبين تلك النظريات اللادينية وذلك مع جهلهم بحقيقة الإسلام

---

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبى ـ التفسير والمفسرون جـ ١ ص ٢٨٩ .

وأصول التفسير وأما لعمالة بعضهم للحركات المعادية للاسلام ورغبتهم في تحقيق أهدافهم الشنيعة ، وذلك جعلهم ينكرون الأحاديث الصحيحة في التفسير وينتقدون المفسرين المتقدمين لكي يتمكنوا من تأويل الآيات حسب أهوائهم، ولذا أنكروا وجود الملائكة والشياطين والجن ، وأنكروا الحدود والمعجزات وتعدد الزوجات. وفي الجملة أنكروا كل مالم يوافق الفلسفات المادية الحديثة او ما انتقده أساتذتهم المستشرقون . ولذلك من الطبيعي أن يطلق على هذا النوع من التفسير اسم التفسير الالحادي (١) ومن هذا النوع من التفسير هو تفسير القرآن لسيد أحمد خان ، ومفهوم القرآن لشودري غلام أحمد برويز. وسوف نفصل الحديث فيهما في الفصل الاتي خلال حديثنا عن التفسير في شبه القارة الهندية .

ـ وأما التفسير الأدبي الاجتماعي : فيمتاز هذا النوع من التفسير بالاعتناء بالاسلوب الأدبي في التفسير وبالاهتمام بمعالجة المشكلات الاجتماعية في ضوء التعليمات القرآنية . ومن أهم هذه التفاسير (تفسير المنار) الذي ألفه الشيخ محمد عبده رح وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا . وتفسير في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب وأما تفسير المنار فكان مؤلفه الشيخ محمد عبده اكثر عناية بتوضيح المفهوم المراد من الآيات القرآنية وبيان حكمة التشريع في العقائد والأحكام من عنايته بالنقاط النحوية والبلاغية او اهتمامه بالنقل من المفسرين المتقدمين كما يقول نفسه : ان الله يوم القيامة لا يسألنا إلا عن كتابه الذي أنزله لارشادنا وهدايتنا وعن سنة نبينا الذي بين لنا ما نزل إلينا.(٢) ويمتاز هذا التفسير بالعناية إلى معالجة المشكلات الاجتماعية في ضوء التعليمات القرانية ، مع المحاولة للتوفيق بين الاسلام وبين ما جاءت به الحضارة الغربية

---

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي ــ التفسير والمفسرون ج٣

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ٢٧ ملخصا .

من العلوم والنظريات ، وجدير بالذكر أن منهج الشيخ محمد رشيد رضا في التفسير هو نفس المنهج الذي اختاره استاذه الشيخ محمد عبده ، والحقيقة ان الحديث عن هذا التفسير لا يتم إلا إذا ذكرنا عن الحرية الواسعة التي أعطاها الأستاذان لعقلهما في فهم المراد من الآيات القرانية وذلك الى حد انهما انكرا بعض الأحاديث الصحيحة والحقائق الثابتة، ومنها انكار الشيخ محمد عبده لحقيقة السحر وانكار الشيخ محمد رشيد رضا لمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم وما إلى ذلك (١)

وأما تفسير " في ظلال القرآن " للشهيد سيد قطب ، فمؤلفه الداعي الاسلامي الكبير قد وفقه الله أن يفسر القران بمنهج يرشد القارئين إلى القيام بالدعوة التي جاء القران بها " وفي الحقيقة أن (الظلال) ليس تفسيرا للقران بالمعنى التقليدي لكلمة التفسير وإنما هو موسوعة تعرض فيها سيد قطب لكافة فنون المعرفة والثقافة على ضوء الإسلام وعلى منهج القرآن . كما تعرض لمناهج الحياة في الإسلام والمناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والحركية . والاهم من هذا كله أن (ظلاله) حياة في ظلال القرآن لكل ما تحمله كلمة حياة من معنى ، انه وهو يتحدث عن الآيات يتحدث عن حقيقة لمسها وحياة عاشها وتجربة واقعية قربها وحلاوة تذوقها ونعمة أحس بها . ولذلك فهو ليس تفسيرا للقرآن فقط ، بل هو أكثر من التفسير بكثير " (٢) .

ـ أما التفسير العلمي : فيظن القائمون بهذا النوع من التفسير بأن القران يشمل العلوم المختلفة كلها مهما اختلفت في أنواعها أومدارجها

---

(١) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي ـ التفسير والمفسرون ج٢ ص ٢١٤ـ ٢٥٥ .

(٢) انظر صلاح عبد الفتاح الخالدي ـ سيد قطب الشهيد الحي ص ٢٤٤ .

ولهذا يحاولون أن يثبتوا المسائل العلمية والآراء الفلسفية من الآيات القرآنية بصرف النظر عن المفهوم الحقيقي لتلك الآيات ، كان من الناحية اللغوية أو فى ضوء الاحاديث الصحيحة . فلهذا ليس هذا النوع من التفسير إلا تحريفا للقرآن الكريم . ولكن ما يجعله أشد خطرا من ذلك هو أن المسائل العلمية والآراء الفلسفية تتغير بمرور الأيام . فلهذا لابد للتفسير العلمي أن يتغير بتغيير آراء العلماء والفلاسفة ويصبح اللعبة فى أيدى هؤلاء الناس والحقيقة بأن القرآن ليس كتابا علميا ولا موسوعة فلسفية بل انه كتاب أنزله الله لهداية الناس. والقرآن لا يتعرض بالحقائق الكونية إلا للعبرة والموعظة وذلك مع أن ليس فيه نصا صريحا يصادم حقيقة علمية ثابتة .

وأشهر هذه التفاسير فى عصرنا الحاضر هى الجواهر فى تفسير القرآن للشيخ طنطاوى جوهرى ، وطبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد للكواكبى وكشف الاسرار النورانية القرانية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والارضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية للطبيب محمد بن أحمد الاسكندرانى (١) .

---

(١) انظر الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب ــ اتجاهات التفسير فى العصر الحديث ص ٢٤٥ــ٣٢٣ .

المبحث الثاني :

التفسير في شبه القارة الهندية

كما أسلفنا بأن الإسلام دخل شبه القارة الهندية خلال القرن الأول من الهجرة وصاحب الفاتحين في ذلك العصر نخبة من العلماء من البلاد العربية المختلفة واتخذوا اقامتهم في أقليم السند وقاموا بإنشاء المدارس والمعاهد الدينية لتدريس القران والحديث والعلوم الدينية الأخرى (١) واهتم في تلك الاونة بعض العلماء بتفسير القران الكريم وأول تفسير يذكر عنه وقد ألف في عام ٢٧٠ من الهجرة بامر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى اقليم السند آنذاك إلا أن هذا التفسير لا يوجد الآن (٢) .

وأول تفسير عثر عليه هو تفسير " غرائب القرآن ورغائب الفرقان " للشيخ نظام الدين بن محمد بن حسين الشافعي المعروف بالشيخ نظام النيسابوري ، ثم الدولة أبادي ، ألفه بين عامي ٧٢٨ — ٧٣٠ هـ وقد صدر هذا التفسير من تهران (ايران) عام ١٢٨٠ هـ (٣) .

ومنذ ذلك العصر ألفت التفاسير الكثيرة باللغة العربية واللغة الفارسية واللغة الأردية ولغات شبه القارة الأخرى ومنها التفسير بالمأثور ومنها تفسير اهتم فيها المفسرون بالنواحي اللغوية والأدبية ، ومنها تفاسير

---

(١) انظر تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند ج ٢ ص : ٣٥ — ٦٠ [illegible]

(٢) انظر مجلة اثين الاسبوعية (لاهور) عدد خاص عن اكمال تفهيم القران لشهر ديسمبر ١٩٧٢م ص ٢٢ (مقالة الاستاذ خورشيد أحمد بعنوان : تفهيم القران — كتاب انقلاب) .

(٣) انظر الدكتور محمد حسين الذهبي — التفسير والمفسرون ج ١ ص ٣٢٢ .

جمع فيها المفسرون بين الرواية والدراية معا . ومنها التفاسير التى ألفها المفسرون حسب مذاهبهم الفقهية او مسالكهم العقائدية ومنها تفاسير ألفها المفسرون ليثبتوا من القرآن ما جاءت به الحضارة الجاهلية الحديثة أو يأتوا بالموافقة بين الإسلام وبين ما قاله المستشرقون فى هذا الصدد . ولا يمكن لنا ان نتكلم هنا عن كل هذه التفاسير ولهذا نكتفى بذكر بعضها بايجاز :

ـ التفسير باللغة العربية فى شبه القارة الهندية :

وأما التفسير باللغة العربية فى شبه القارة الهندية فيمكن لنا أن نقسمه كالآتى : ١ـ التفسير بالمأثور ٢ـ التفسير الاشارى

٣ـ التفسير بالجمع بين الرواية والدراية

٤ـ التفسير بالعناية بنظم القرآن

أـ وأما التفسير بالمأثور فاهم التفاسير على هذا المنهج هى كالاتى :

١ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان للشيخ نظام الدين حسن بن محمد بن حسين الشافعى المعروف بالشيخ نظام النيسابورى ثم الدولت آبادى ، وقد ألف عام ٧٣٠ هـ فى الدكن ونشر عام ١٢٨٠ هـ بالتهران) .(١)

٢ـ زبدة التفاسير للقدماء المشاهير لشيخ الإسلام بن قاضى عبد الوهاب الكجراتى (المتوفى عام ١١٠٩ هـ) وقد الف عام ١٩٠٣ من الهجرة والمخطوطة موجودة فى المكتبة المركزية بمدينة رامبور بالهند (٢) .

٣ـ قرآن القرآن بالبيان : للشيخ كليم الله جهان أبادى (المتوفى عام ١١٤١ هـ) وقد ألف هذا التفسير عام ١١٢٥ هـ واصدرته مطبعة

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٠٢

(٢) انظر الدكتور سالم القدوائى ـ هندوستانى مفسرين أوران كى عربى تفسيرين ص ٨٢ـ٨٤ .

الاحباب بالهند عام ١٢٩٠هـ(١) .

ب ـ واما التفسير بالجمع بين الرواية والدراية فاشهر التفاسير على هذا المنهج هى كالاتى :

١ ـ منبع عيون المعانى ومطلع شموس المثانى للشيخ مبارك بن الخضر ناكورى (المتوفى عام ١٠٠١ هـ) توجد مخطوطة هذا التفسير فى خمسة اجزاء فى مكتبة السيد التقى بلكنهو ويمتاز هذا التفسير بالجمع بين الرواية والدراية (٢) .

٢ ـ سواطع الالهام للشيخ ابى الفيض الفيض (المتوفى عام ١٠٠٤هـ) وقد كمل هذا التفسير عام ١٠٠٢ هـ ومن مزايا هذا التفسير أن أهتم فيه المؤلف ان لا يستخدم الا الحروف غير المنقوطة (٣) .

٣ ـ زبدة التفاسير للشيخ معين الدين بن خاوند محمود الكشميرى (المتوفى عام ١٠٧٥ هـ) وقد كمل هذا التفسير عام ١١٥٠ هـ وتوجد مخطوطة هذا التفسير فى مكتبة الشيخ محمد عرفان بمدينة تونك(٤) .

٤ ـ التفسير المظهرى للقاضى ثناء الله بانى بتى (المتوفى عام ١٢٢٥هـ) وقد الفه المؤلف على منهج التفسير " انوار التنزيل واسرار التأويل "

---

(١) انظر الدكتور سالم القدوائى ـ هندوستانى مفسرين اورانكى عربى تفسيرين ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٢ .

(٣) انظر الشيخ مناظر حسن الجيلانى ـ هندوستان مين مسلمانون كا نظام تعليم وتربيت ص ٢٨٥ .

(٤) انظر مجلة " المعارف " الشهرية (اعظم كره ـ الهند) لشهر مارس عام ١٩٦٧م المقالة بعنوان : " شيخ معين الدين كشميرى اورانكى تصانيف) .

للبيضاوى ثم أسماه على اسم شيخه المرزا مظهر جانجانان[١] ومن مزايا هذا التفسير اهتمام مؤلفه ببيان وجوه الترجيح للمذهب الحنفى خلال تفسيره لآيات الأحكام .

٥ ـ فتح البيان فى مقاصد القران للعالم الشهير الشيخ صديق الحسن خان القنوجى (المتوفى عام ١٣٠٧ هـ) [٢] . واتبع فيه مؤلفه منهج الدر المنثور فى التفسير المأثور للسيوطى ويمتاز هذا التفسير بالجمع بين الرواية والدراية .

٦ ـ تفسير القرآن بكلام الرحمن للشيخ ثناء الله الأمرتسرى (المتوفى سنة ١٣٦٧ هـ) واهتم فيه مؤلفه أن يفسر القرآن بالقرآن بدون الاعتناء بمصادر التفسير الأخرى وهذا ما جعل منهجه صعبا . [٣]

جـ ـ التفسير الاشارى . واهم التفاسير على هذا الأسلوب هى كالآتى :

١ ـ كاشف الحقائق وقاموس الدقائق للشيخ محمد بن أحمد بن محمد الشريحى التهانيسرى الكجراتى (المتوفى عام ٨٢٠ هـ) وتوجد مخطوطته بمكتبة " المجتمع الآسياتى (بكلكته . [٤]) .

٢ ـ التفسير الملتقط للشيخ السيد محمد حسن كيسودراز (المتوفى عام ٨٢٨ هـ) وتوجد مخطوطة هذا التفسير بمكتبة الناصرية بلكهنو (الهند) ومكتبة المكتب الهندى (India Office Library) بانجلترا [٥] .

---

(١) انظر الشيخ عبد الحى الحسنى ـ نزهة الخواطر جـ ٧ ص : ١١٣ـ١١٤ .

(٢) انظر الدكتور سالم القدوائى ـ هندوستانى مفسرين أورانكى تفسيرين ص ١٠٢ـ١٠٤

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٠٥ـ١٠٧

(٤) انظر المرجع السابق ص ٢٤ .

(٥) انظر المرجع السابق وتاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند جـ ٢ ص: ١٧٠ـ١٧٣ .

د ـ التفسير بالعناية بنظم القرآن : وأهم التفاسير على هـــذا المنهج هي كالاتي :

١ـ تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض مايشير إلى اعجاز القرآن للشيـــخ علاء الدين على بن أحمد المهاشمي (المتوفى عام ٨٣٥هـ) وهذا التفسير قد اهتم فيه المؤلف بصفة خاصة ببيان نظم القرآن ، هذا من ناحيـــة ومن ناحية أخرى ، يمتاز هذا التفسير بلونـه الاشاري (١) .

٢ـ التفسير المحمدى للشيخ ابى صالح حسن محمد بن أحمد بن نصيـــر الأحمد أبادى الكجراتي (المتوفى عام ٩٨٢ هـ) وقد اعتنى فيه المؤلف أن يبين النظم والربط بين الآيات والسور القرآنية ،وتوجد مخطوطة هذا التفسير بمكتبة "المكتب الهندى" بإنجلترا (٢) .

٣ـ نظام القرآن وتأويل الفرقان للشيخ حميد الدين الفراهى (المتوفـــى عام ١٣٤٩هـ) ويمتاز هذا التفسير ببيان نظام القرآن وربط آياته وســـوره فيما بينها إلا أنه غير الكاملة وتسبقه مقدمة كتبها تلميذه الشيخ أميـــن أحسن الإصلاحى (٣) .

...

(١) انظر السيد عبدالحى الحسنى ـ يادأيام ص : ٥٩ـ٦٠ ، ونزهة الخواطر جـ٣ ص : ١٠٥

(٢) انظر الدكتور سالم القدوائى ـ هندوستانى سلمان اوزانكى عربى تفسيرى ص ٤٧ ، ونزهة الخواطر جـ٤ ص: ٨٧ .

(٣) راجعت ترجمة هذا التفسير باللغة الاردية للشيخ امين احسن الاصلاحى فى مكتبة جامعة أم القرى .

التفسير باللغة الأردية

وأما التفسير باللغة الاردية ، فأول تفسير بهذه اللغة عثر عليه هو "تفسير التنزيل" للسيد بابا القادري ، وكمله مؤلفه عام ١١٤٧ من الهجرة [(١)] ، ثم يليه تفسير " موضح القران " للشيخ عبد القادر بن الشيخ ولي الله الدهلوي (المتوفى عام ١٢٣٠ هـ) [(٢)] . وبعد تلك البداية في التفسير باللغة الأردية اهتم المفسرون في القرون الآتية ان يهتموا بتفسير القرآن بهذه اللغة لكونها لغة شعبية ، حتى كان عدد التفاسير الكاملة باللغة الاردية ٢٥٧ تفسيرا عام ١٩٦٩ [(٣)] . وأما التفاسير الغير الكاملة فكان عددها ٣٦٦ تفسيرا عام ١٩٦٩ الميلادي [(٤)] ، ومازال هذا العدد يزداد يوما فيوما حتى يومنا هذا ، ولا يمكن لنا ان نتكلم عن هذه التفاسير كلها فنكتفي بذكر أهمها ، فلذلك نقسمها كالآتي :

١ــ التفسير بالجمع بين الرواية والدراية .

٢ــ التفسير بالرأي المنكر للتفسير بالمأثور .

وأما التفسير بالجمع بين الرواية والدراية فأهم كتب فيها كالآتي :

١ــ تفسير موضح القرآن للشيخ عبد القادر بن الشيخ ولي الله الدهلوي (المتوفى عام ١٢٣٠ هـ) ويمتاز هذا التفسير بالجمع بين الرواية والدراية مع الاهتمام بالإيجاز والاختصار [(٥)] .

---

(١) انظر مجلة سيارة دائجست الشهرية (لاهور) عدد خاص عن القران وعلومه لشهر نوفمبر عام ١٩٦٩ ص ٦١٨ .

(٢) انظر شيخ محمد اكرام ــ رود كوثر ص ٥٩٦ .

(٣) انظر مجلة سيارة دائجست الشهرية (لاهور) عدد خاص عن القران الكريم لشهر نوفمبر ١٩٦٩ ص ٨٨٧ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٩٠٤ .

(٥) انظر الشيخ عبد الحي الحسني ــ نزهة الخواطر جـ٧ ص: ٢٩٥ــ٢٩٦ .

٢ ـ تفسير فتح المنان للشيخ عبد الحق الحقانى الدهلوى (المتوفى عام ١٣٣٥ هـ) والمعروف بتفسير الحقانى على اسم مؤلفه وهذا التفسير قد جمع فيه المؤلف بين الرواية والدراية مع العناية بالمسائل اللغوية والبلاغية . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قد اعتنى فيه المؤلف بنقد التأويلات الباطلة التى جاء بها السيد أحمد خان فى تفسيره . وتسبقه مقدمته مفصلة تناول فيه المؤلف ما يتعلق بالقرآن والتفسير من العلوم المختلفة (١) .

٣ ـ تفسير موضح الفرقان للشيخ محمود الحسن (المتوفى عام ١٣٣٨ هـ) والشيخ شبير أحمد العثمانى (المتوفى عام ١٩٤٩) وكان الشيخ محمود الحسن من أكابر علماء الهند وقد كتب تفسيره للقرآن الكريم إلى سورة النساء حيث توفى إلى رحمة الله وكمل هذا التفسير الشيخ شبير أحمد العثمانى (المتوفى عام ١٩٤٩م) فيما بعد ويمتاز هذا التفسير بالجمع بين الرواية والدراية مع عناية المؤلف بالإيجاز والاختصار (٢) .

٤ ـ تفسير بيان القران للشيخ اشرف على التهانوى (المتوفى عام ١٣٦٢هـ) والشيخ التهانوى هو من كبار العلماء بالهند وله عدة من الكتب القيمة وقد اهتم فيه المؤلف بالجمع بين الرواية والدراية وبيان الاحكام الفقهية مع عنايته بالتفسير الاشارى (٣) .

---

(١) راجعت هذا التفسير فى مكتبة جامعة أم القرى بمكة المركزية .

(٢) انظر مجلة سيارة دائجست الشهرية (لاهور) عدد خاص عن القران وعلومه لشهر نوفمبر ١٩٦٩ م ص ٨٧١ـ٨٨١ .

(٣) راجعت هذا التفسير فى مكتبة جامعة أم القرى المركزية بمكة المكرمة .

٥ ـ التفسير الثنائي للشيخ ثناء الله الأمرتسري (المتوفى عام ١٣٦٧ هـ)، ونحن اسلفنا بذكر تفسيره الموسوم بتفسير القرآن بكلام الرحمن باللغة العربية خلال حديثنا عن التفاسير باللغة العربية وهذا التفسير باللغة الأردية. وقد اهتم فيه المؤلف بالجمع بين الرواية والدراية مع عنايته بالأحكام الفقهية. هذا من ناحية. وقد اعتنى فيه مؤلفه بالرد على التأويلات الباطلة التي جاء بها السيد أحمد خان في تفسيره من ناحية أخرى (١).

٦ ـ ترجمان القرآن للشيخ أبي الكلام آزاد (المتوفى عام ١٩٥٨ الميلادي)، والشيخ أبو الكلام آزاد هو من كبار علماء الهند وله دور هام في نشر الوعي الإسلامي في شبه القارة الهندية. ولكنه كما أسلفنا وقع في شباك مؤامرة (غاندي) فيما بعد وغير مجرى حياته. وأما هذا التفسير فقد بدأ تأليفه قبل هذا التفسير، وكان يرغب في تأليف تفسير مفصل باسم (تفسير البيان) مع تأليف تفسير مختصر باسم (ترجمان القرآن) إلا أن انشطته السياسية لم تسمح له ان يكمل كليهما وقد كتب تفسير ترجمان القرآن الى سورة (المؤمنون) وأما تفسير بيان القرآن فلم يصدر منه إلا تفسير سورة الفاتحة، فاهتم فيه المؤلف بالجمع بين الرواية والدراية كما اعتنى بنقد التأويلات الباطلة للسيد أحمد خان ومن سلك مسلكه ولكن مع ذلك نراه أحيانا يخالف الجمهور في بعض آرائه التفسيرية (٢).

---

(١) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة ام القرى المركزية.

(٢) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة ام القرى المركزية.

٧- تدبر القرآن للشيخ أمين أحسن الإصلاحي ، والشيخ الإصلاحي هو تلميذ للشيخ حميد الدين الفراهي الذي ذكرنا عن تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان) خلال حديثنا عن التفسير باللغة العربية ، والشيخ الاصلاحي كاستاذه الشيخ الفراهي يمتاز بعنايته ببيان النظم بين السور والآيات القرآنية ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نراه يعتني بابراز الجانب الاجتماعي للتفسير ومن مزايا تفسيره بأنه يهتم بالجمع بين الرواية والدراية . ولكن مع ذلك نراه يخالف الجمهور في بعض آرائه التفسيرية ومنها موقفه عن حد الزاني المحصن (١) .

٨ - التفسير الماجدي للشيخ عبد الماجد الدريابادي ، والشيخ عبد الماجد الدريابادي قد تلقى دراسته في المعاهد الحديثة فقد تأثر بالحضارة الغربية والعلوم والنظريات التي جاءت بها هذه الحضارة الجاهلية ثم وفقه الله أن ينقذ نفسه من سيطرتها فتفرغ للدراسة للقرآن والحديث والعلوم الدينية الأخرى ، ثم اعتنى بتفسير القرآن الكريم فضلا عن تأليف عديد من الكتب الدينية المختلفة . فكان لهذه الخلفية بأنه يعتني بالرد على الشكوك والشبهات التي جاءت بها العلوم المادية والفلسفات اللادينية الحديثة وذلك فضلا عن اهتمامه بالتفسير المأثور (٢) .

٩ - معارف القرآن للشيخ ، والشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله وهو كان أحد كبار علماء باكستان وله العديد من المؤلفات القيمة . وأما التفسير فكما يبين الشيخ نفسه في تقديمه له يضم تفسير بيان القرآن للشيخ أشرف علي التهانوي فضلا عن ما يأتي به الشيخ مبينا للأحكام

---

(١) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة ام القرى المركزية .

(٢) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة ام القرى المركزية .

الفقهية للآيات الكريمة ، هذا بجانب ، وبجانب آخر يعتنى فيه المؤلف بالنواحى الاجتماعية والمشاكل المصرية ايضا . وجدير بالذكر أن تسبقه مقدمة مفصلة كتبه ابنه الشيخ محمد تقى العثمانى (١) .

١٠ـ خزائن العرفان على كنز الإيمان للشيخ محمد نعيم المراد أبادى ، (المتوفى عام ١٣٦٧ هـ) وجدير بالذكر أن كنز الإيمان فى ترجمة القرآن هى ترجمة القرآن باللغة الأردية للشيخ أحمد رضا خان البريلوى الشهير (المتوفى عام ١٣٤٠ هـ) والشيخ أحمد رضا خان البريلوى له مسلك خاص فى بعض العقائد الخاصة وله عديد من الكتب الفها لتأييد هذا المسلك وأما تفسير خزائن العرفان على كنز الإيمان فاهتم فيه مؤلفه أن يأتى بموجز ما ورد فى التفسير بالمأثور هذا من ناحية ومن ناحية أخرى اعتنى فيه المؤلف بتاويل بعض الآيات الكريمة لتأييد مسلك الشيخ أحمد رضا خان البريلوى فى بعض العقائد ومنها أن النبى صلى الله عليه وسلم نور (٢) . ومنها أن النبى صلى الله عليه وسلم عنده علم الغيب (٣) ومنها أن النبى صلى الله عليه وسلم يشاهد أعمال أمته إلى يوم القيامة (٤) وما إلى ذلك .

---

(١) راجعت هذا التفسير فى مكتبة جامعة ام القرى المركزية .

(٢) انظر تفسير خزائن العرفان على كنز الايمان ص : ١٦٣ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٨٥٩ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٦٣٤ .

١١ـ نور العرفان في حاشية القرآن للشيخ أحمد يارخانٌ وهذا التفسير لا يختلف عن تفسير خزائن العرفان على كنز الإيمان للشيخ محمد نعيم الدين المراد أبادي بكثير إلا أن المؤلف يفصل الكلام فيه ويعتني ببيان أسباب النزول وفضائل السور وعلاقة السورة بما قبلها وبعدها كما يرد على الاعتراضات الواردة من قبل الهنادكة . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى هو أشد تحمسا في تأييد مسلكه وفي الرد على من يخالفه في ذلك (١) .

١٢ـ ضياء القران للشيخ محمد كرم شاه الأزهري المولود عام ١٩١٨م والشيخ محمد كرم شاه الأزهري هو من كبار علماء باكستان فقد تلقى دراسته بجامعة الأزهر الشريف وبعد عودته إلى بلاده قام باصدار مجلة " ضيائي حرم الشهرية " ثم عين عضوا في المجلس الأعلى للقضاء بباكستان وله عدة مؤلفات (٢) . وأما تفسيره ضياء القرآن فقد سلك فيه مسلك الشيخ أحمد رضا خان البريلوي إلا أنه ليس بشديد فيه وقد اهتم فيه بابرزا الجانب الاجتماعي للتفسير مع اهتمامه بالتفسير المأثور . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قد اتبع فيه المؤلف منهج تفهيم القرآن في اتيان المقدمة في بداية كل سورة وايراد الخرائط للأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم (٣) ، على ماسنفصله في بيان منهج الأستاذ المودودي .

---

(١) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة أم القرى المركزية .

(٢) انظر مقدمة الكتاب " مقالات ضياء الامت " .

(٣) راجعت هذا التفسير في مكتبة جامعة أم القرى المركزية .

ـ التفسير بالرأى المنكر للتفسير بالمأثور :

كان بداية هذا النوع من التفسير فى شبه القارة الهندية حينما قام السيد أحمد خان مؤسس كلية عليكره الإسلامية (المتوفى عام ١٣١٥ هـ) بتأليف تفسيره الشهير " تفسير القران وهو الهدى والفرقان " وكما أسلفنا أن السيد أحمد خان يرى أن نهضة المسلمين فى هذا العصر تنحصر على اتباع الحضارة الغربية الحديثة والعلوم والفلسفات التى جاءت بها تلك الحضارة . وكان لموقفه الخضوعى أمام الحضارة الغربية بأنه حاول أن يؤول الآيات القرآنية للتوفيق بين الإسلام وبين الحضارة الغربية الجاهلية ، ولأن الأحاديث النبوية لم تسمح لهذه التأويلات الباطلة فقام بانكارها ، فيقول الدكتور محمد البهى عن تفسيره للقرآن الكريم :

" وقد نهج السيد / أحمد خان فى تفسيره للقرآن الكريم على تطبيق آياته على أساس طبيعى مما يناقض تماما القول بالمعجزات وخوارق العادات ولهذا جعل "النبوة" غاية تحصل وتكتسب عن طريق الرياضة النفسية . فهى غاية إنسانية طبيعية وطريقها طريق انسانى غير خارق للعادة . " ثم يضيف :" وفى شرحه لآيات القتال أضعف من فرضية " الجهاد " فى الوقت الحاضر كما أنه فى الآيات الأخرى الخاصة بأهل الكتاب عبر فى غير لبس عن توهين الفجوة بين أهل الكتاب من جانب والمسلمين من جانب آخر وطلب التعاون بين المسلمين والغربيين ودعا إلى ما اسماه " إنسانية الأديان أى المعنى الإنسانى العام الذى تدعو الأديان السماوية إلى اعتباره وهو ما يشبه اليوم فكرة " العالمية " التى تتبناها اليهودية الرأسمالية والشيوعية الدولية ، وقد كانت من قبل تلقب بالفكرة " الماسونية " وفى هذه الفكرة تنمحى كل الفوارق بين الأوطان والقوميات والأديان والمذاهب (١).

---

(١) الدكتور محمد البهى ـ الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٤١ـ٤٢ .

ويقول الأستاذ أبوالحسن على الندوى : " وأصبحت نظرية مادية بحتة . تخضع للقوى الطبيعية والسنن الكونية كما يفهمها خصوصا زائدا ويخضع لها عقيدته ويؤول على أساسها القرآن تاويلا يبلغ به حد التحريف والعبث باصول العربية واللغة والنحو والتواتر والاجماع . فصار يفسر القران تفسيرا يخرق الاجماع فيه وينقض به اللغة " (١) .

ورفض السيد أحمد خان فى تفسيره هذا حقيقة الجنة والنار والملائكة والأسراء والجن والشيطان كما رفض عن ولادة سيدنا عيسى عليه السلام بدون أب ورفعه إلى السماء وما الى ذلك (٢) .

والحقيقة أن جرأة السيد أحمد خان على هذا النوع من التفسير " فتح بابا للفتنة والتحريف والإلحاد فى آيات الله والفوضى فى الدين والعقيدة التى انتشرت فى العصر الاخير " (٣) .

ويقول الدكتور البهى : " والدعوى التى ادعاها السيد أحمد خان باسم الاصلاح والتقدمية تعتبر مقدمة وتمهيدا لنشأة القاديانية (٤) " .

---

(١) الأستاذ أبوالحسن على الندوى ــ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية ص ٨٦ .

(٢) انظر شيخ محمد اكرام ــ موج كوثر ص ١٥٩ .

(٣) الأستاذ أبوالحسن على الندوى ــ الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية ص : ٨٧ .

(٤) الدكتور محمد البهى ــ الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص : ٣٧ .

وكان لهذه البداية لتأويل الآيات القرآنية للتوفيق بين الإسلام وبين الحضارة الغربية الجاهلية وللإنكار عن كون السنة النبوية مصدرا ثانيا للتفسير والتشريع ان فتح باب التأويل للآيات القرآنية تاويلات باطلة بعيدة عن ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله . وفيما يلي ذكر أشهر التفاسير على هذا المنهج :

١ـ تفسير القران بآيات الفرقان لعبد الله الجكرالوى (المتوفى عام ١٩١٨م) (١)

٢ـ تفسير بيان للناس لخواجه أحمد الدين الأمرتسرى (المتوفى عام ١٩٣٦ الميلادى) (٢) .

٣ ـ تفسير بيان القرآن لمحمد على اللاهورى (المتوفى عام ١٣٧١ من الهجرة) (٣)

٤ـ مفهوم القرآن للشودرى غلام أحمد برويز (٤) .

وجدير بالذكر أن كل من هؤلاء المفسرين سلك نفس المسلك الذى قد سلكه السيد أحمد خان خلال تفسيره فقاموا بتأويل الآيات القرآنية تاويلات باطلة رفضا عن كون السنة النبوية مصدرا للتفسير والتشريع إلا انهم يختلفون فيما بينهم فى بعض آرائهم التفسيرية وذلك لأن كل واحد منهم جعل عقله وفهمه مقياسا لآرائه التفسيرية فثلاثة من هؤلاء المفسرين وهم عبد الله الجكرالوى وخواجه أحمد الدين الأمرتسرى والشودرى غلام أحمد برويز يعتبرون آئمة فرقة منكرى السنة فى شبه القارة الهندية . وأما محمد على اللاهورى فكان تلميذا للمتنبى الكاذب ميرزا غلام أحمد القاديانى (المتوفى

---

(١) انظر الطالب خادم حسين الهى بخش ـ رسالة ماجستير بعنوان " فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها " ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٦ .

عام ١٩٠٨ (الميلادى) واختير زعيما للفرع اللاهورى للقاديانيين بعد وفاة ميرزا غلام أحمد . وله تفسير مختصر فى اللغة الإنجليزية أيضا .

فيتبين من هذا أن المنهج الذى اختاره السيد أحمد خان خلال تفسيره لتأويل الآيات القرآنية رفضا عن كون السنة النبوية مصدرا للتفسير، اختاره فيما بعد منكرو السنة والقاديانيون مما مع اختلاف مسالكهم وأهدافهم .

وجملة القول ان التفسير فى شبه القارة الهندية تعددت مدارسه وكثرت اتجاهاته وشاع الخطأ الكثير إلا أنه لم يوجد التفسير الشامل الذى يقدم الزاد للدعاة ويدعو لإقامة المجتمع المسلم على منهج القرآن الكريم ولذلك عدت الساحة الفكرية خالية من الدراسات القرآنية التى تعمل لإقامة المجتمع المسلم على فهم كتاب الله تعالى حتى جاء الأستاذ المودودى ووفقه الله فألف كتابه " تفهيم القرآن " يسد به هذا النقص . ويحرك به المسلمين جميعا فى شبه القارة الهندية بل فى العالم الإسلامى كله .

وقد تميز كتاب تفهيم القرآن بمنهجه المتكامل والذى سوف نوضحه فى هذه الرسالة بتوفيق الله تعالى .

. . .

الفصل الثاني

مقدمات أساسية لدراسة منهج الأستاذ المودودي في التفسير

المبحث الأول: الأسباب التي دفعت الأستاذ المودودي على تأليف التفسير.

المبحث الثاني: الظروف التي ألف الأستاذ المودودي تفسيره فيها

المبحث الثالث: أسلوب الأستاذ المودودي في البحث والتحقيق خلال تأليف تفسيره.

المبحث الأول :

الاسباب التي دفعت الأستاذ المودودى الى تأليف " تفهيم القرآن "

ذكرنا فى بداية الباب الأول الأوضاع التى بدأ الأستاذ المودودى دعوته فيها ورأينا ان العالم الاسلامى كان فى مواجهة التحديات العنيفة من قبل الحضارة الجاهلية الحديثة التى انتشرت فى أكثر الأقطار الإسلامية تحت رعاية القوى الاستعمارية الغاشمة والفلسفات المادية والنظريات اللادينية كالشيوعية والاشتراكية والعلمانية والقومية والوطنية والاباحية التى جاءت بها تلك الحضارة قد استولت على أذهان الجيل المثقف بالثقافة الغربية الحديثة فقد أنشئت عدة الدعوات والحركات لانتشار تلك الفلسفات والنظريات فى المجتمعات الإسلامية . ومازاد الطين بلة قيام المستشرقين المتعصبين بالهجوم على الإسلام والقرآن الكريم ونبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك من عدة نواح . فقد انتشرت تلك الأباطيل والشبهات فى العالم الاسلامى عن طريق البعثات والمدارس التبشرية ولكن العلماء والمشايخ الذين كان من واجبهم أن يقوموا لمواجهة ذلك الغزو الفكرى لم يعتنوا بذلك الواجب إلا قليلا . وقد اتخذوا موقف الاعتزال السلبى الذى قد أبعدهم عن ميدان الصراع بين الاسلام والجاهلية . فكان من الطبيعى ان الاذعان فى صلاحية الاسلام ، لمواجهة تلك التحديات أو لقيادة النوع الانسانى فى العصر الحاضر بدأ يضعف يوما فيوما . فبدأ بعضهم يشكون فى المبادىء الاساسية للإسلام وقام بعضهم بانكار تلك المبادىء كما قام بعضهم بتأويل الآيات القرآنية وانكار الأحاديث النبوية لكى يتمكنوا من الموافقة بين الإسلام وبين ماجاءهم من قادتهم الغربيين حينما قبل البعض الآخرون نظرية فصل الدين عن الدولة حيث قالوا بأنه يكفينا أن نتبع الإسلام فى حياتنا الشخصية . وأما الحياة الاجتماعية فلامانع لنا أن نتبع

فيها تلك الفلسفات والنظريات الحديثة وذلك بصرف النظر عن كونها مخالفة لعقائد الإسلام الأساسية . ولكن لم يكتف الاستعمار الغاشم على ذلك فحسب بل خطط المخططات والمؤامرات لتحقيق أهدافه الشنيعة فقام بتقديم الدعم للحركات المعادية للإسلام كانشاء الحركات الهدامة الجديدة كالقاديانية والبهائية والدونمة وانكار السنة . وفي الجملة تلك هي التحديات التي كان يواجهها عالمنا الإسلامي في ذلك الوقت(١) .

ومن المعلوم بأن القرآن الكريم هو مصدر حقيقي للطاقة المطلوبة لمواجهة تلك التحديات ، ولكن التفاسير المؤلفة خلال تلك الفترة ولا سيما في شبه القارة الهندية لم يهتم فيها المفسرون بمواجهة تلك التحديات العنيفة إلا قليلا (٢) .

كانت هذه هي الأوضاع عندما قرر الأستاذ المودودي أن يقوم بواجب الدعوة بتوليه رئاسة التحرير لمجلة " ترجمان القرآن " الشهرية في عام ١٩٣٣م وجعل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أساسين محكمين لدعوته وقرر أن ينتقد كل شيء قديما كان أو حديثا شرقيا كان أو غربيا بمحك القرآن والسنة ، وكان غلاف المجلة في جميع اعدادها في تلك الأيام يشير إلى هدفه هذا في العبارة الآتية :

" إن هذه المجلة فريدة في نوعها في انحاء شبه القارة الهندية وغايتها الوحيدة اعلاء كلمة الله والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ومهمتها الأصلية هي نقد الأفكار الحديثة ومبادئ الحضارة والمدنية السائدة بمحك القرآن ،

---

(١) انظر للتفصيل هذه الرسالة - الباب الأول - الفصل الأول - العصر الذي عاش فيه المودودي - المبحث (الحالة الدينية) .

(٢) انظر للتفصيل هذه الرسالة - الباب الثاني - الفصل الأول - المبحث الثاني التفسير في شبه القارة الهندية .

ثم عرض المبادئ التي جاء بها القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مجال من مجالات الفلسفة والعلم والسياسة والاقتصاد والمدنية والاجتماع وتطبيق تلك المبادئ في ظروف العصر الحاضر ، ان هذه المجلة تدعو الأمة المسلمة إلى حياة جديدة وخلاصة دعوتها : " أيها الناس اجعلوا قلوبكم وأذهانكم مسلمة خاضعة لله ، وتخلوا عن نظم الجاهلية واسلكوا صراط المستقيم وخذوا كتاب الله بقوة لتكونوا سادة العالم وأئمة الحضارات(١) . فقد وفقه الله في تحقيق أمانيه تلك بتمكينه من اصدار عدة كتب قيمة على ذلك المنهج السليم ومنها " نحن والحضارة الغربية " و " الحضارة الإسلامية — أسسها ومبادئها " ، و " الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة " و "مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة " وفي "محكمة العقل " و " حقوق الزوجين" و " حركة تحديد النسل في ميزان النقد " و " مبادئ الإسلام " و " أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة " و " الحجاب " و " الخطب " و " نظرة الإسلام السياسية " و " نظرة فاحصة على العبادات الإسلامية " و " تجديد الدين وأحيائه "وكيف تقام الحكومة الاسلامية " و "المصطلحات الأربعة في القرآن " و " الاسلام والجاهلية " و منهج الجديد للتعليم والتربية " و "المسلمون والصراع السياسي الحاضر " وغيرها كثير من الكتب والكتيبات (٢) . وكل من تلك الكتب هو خير شاهد على جعله القران والسنة محكا لأفكاره وآرائه/ مقياسا لرده وقبوله . والحقيقة أن هذه الكتب لها دور كبير في مواجهة تلك التحديات، وفي إعادة الثقة في صلاحية الاسلام . ولكن مع ذلك وصل الأستاذ إلى النتيجة بأنه مهما يبذل جهوده لتفهيم الإسلام لا يمكن له أن يتمكن من

---

(١) الأستاذ خليل أحمد الحامدي — الإمام أبو الأعلى المودودي — حياته ، دعوته ، جهاده ص ٢٠ .

(٢) انظر الأستاذ المودودي : جماعت اسلامي كا مقصد ، تاريخ اورلائحة عمل ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ .

تحقيق ذلك الهدف إلا بتفهيم الكتاب الذى أنزله الله لأجله ، وهـــذا
ما يشير إليه الأستاذ نفسه حيث يقول : " فى عام ١٩٢٦ حينما بدأت تأليـــف
الكتاب " الجهاد فى الاسلام " بدأت اطالع القران الكريم والأحاديث الشريفة
والسيرة النبوية اتضح لى أن القرآن هو كتاب أنزله الله لقيادة الحركة الإسلامية
فلذلك لا يليق معه ان يخص للتلاوة فحسب بل لابد منه القيام بالحركـــة
التى أنزله الله لقيادتها ، ثم يواصل الأستاذ حديثه فيقول : " منذ ذلـــك
الوقت لم أزل أفكر فى أن فريضة إقامة الدين لا يمكن أداؤها ، وكلمة اللـــه
لا يمكن رفعها إلا بقيام الحركة الإسلامية وبجعل المسلمين يدركون الحقيقة
بانهم ليسوا بقوم بل اعضاء الحركة الإسلامية واستمرت بهذه الفكرة عدة سنوات
حتى وفقنى الله أن أتمكن من تأسيس الجماعة الإسلامية عام ١٩٤١م ومـــن
القيام بتأليف (تفهيم القرآن) عام ١٩٤٢م لتحقيق ذلك الهدف القيم (١) ،
وهكذا يقول فى المناسبة الأخرى : " إننى بدأت تأليف هذا التفسير فـــى
فبراير عام ١٩٤٢) وهو كان فى الحقيقة فترة هامة فـــى حياتى وكانت
الجماعة الإسلامية قد تأسست فى أغسطس عام ١٩٤١ م وبعد مرور ست شهـــور
على قيام الجماعة الإسلامية فحسب قمت على (تأليف تفهيم القرآن) وفى ذلـــك
الوقت لم أكن أتحمل مسئولية قيادة الحركة الإسلامية فحسب بل كان مـــن
مسئوليتى أيضا أن أربى أعضاء هذه الحركة تربية اسلامية صحيحة ، وبجانـــب
هاتين المسئوليتين العظيمتين اضطررت أن أتحمل هذه المسئولية التى كنـــت
أعتقد باننى لو كتبت فيه حرفا واحدا بدون الاحتياط قد يكون حابطا لاعمالى كلهـــا
ولكن مع ذلك قررت أن أقوم بهذا العمل الكبير لأنى كنت أشعر ــ لا سيما بعـــد
انشاء الحركة الإسلامية ــ بأنى مهما أبذل جهودى لتفهيم الإسلام بلسانـــى

---

(١) مجلة : " آئين " الأسبوعية (لاهور) عدد خاص بمناسبة اكمال (تفهيـــم
القرآن) لشهر ديسمبر عام ١٩٧٢ ص ١١٥ - ١١٦ .

وعلى لا يمكن أن أتمكن من تفهيم الإسلام صحيحا وكاملا إلا بتفهيم الكتاب الذى قد أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لتحقيق ذلك الهدف ولن يفهم الناس دعوة الجماعة الاسلامية إلا اذا فهموا هذا الكتاب[1] .

وجملة القول أن قيام الأستاذ المودودى بتأليف (تفهيم القرآن) كان لوصوله إلى النتيجة بانه مهما يبذل جهوده لبيان أوجه الإسلام المختلفة ولمواجهة التحديات المعاصرة الجاهلية لا يمكن له أن يتمكن من تحقيق هذا الهدف إلا إذا اهتم بتفسير الكتاب الذى أنزله الله لأجله ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بعد ما قام الأستاذ المودودى بتأسيس الحركة الإسلامية عام ١٩٤١ م رأى ضروريا أن يفسر الكتاب الذى أنزله الله سبحانه لقيادة هذه الحركة ليربى العاملين فى مجال الدعوة حسب توجيهات هذا الكتاب السامية .

...

---

(١) المرجع السابق ص ١١٥ .

الظروف التي ألف الأستاذ المودودي تفسيره فيها

بدأ الأستاذ المودودي تأليف تفسيره (تفهيم القرآن) في فبراير عام ١٩٤٢م وكمله في عام ١٩٧٢م . وهذه المدة مدة غير عادية لتأليف تفسير ، ولا سيما لعالم جليل كالأستاذ المودودي ولكنه أخذ تلك المدة الطويلة لاكمال هذا التفسير لأنه ألفه في أوضاع غير عادية تختلف بكثير عن الاوضاع التي يؤلف المفسرون فيها تفاسيرهم أو يكتب الكتاب فيها كتبهم ، فهو لم يؤلف تفسيره متربعا في زاوية أو معهد مستريحا على الكرسي أو الأريكة بل ألف تفسيره هذا قائدا للحركة الإسلامية مجاهدا في سبيل الله ، مقاوما للتحديات والفتن . فيروي لنا فضيلة الاستاذ خليل الحامدي : " أن حياة الاستاذ المودودي كانت حافلة بالمعارك المتنوعة بينما نراه مفسرا للقرآن الكريم ، نراه في الوقت نفسه قائدا لركب الدعوة مربيا للجيل الجديد مقاوما للفتن التي تحارب مسيرة الاسلام وزعيما للمعارضة في وجه النظام الدكتاتوري . وهكذا أحيانا هو في مكتبه يتقلب بين الكتب والمصادر وحينا آخر هو في الجولات يخاطب الجماهير ويتناول مشكلاتها وحينا ثالثا في قاعات يناقش رجال الحكم والعلم والقانون لاقناعهم بكون الإسلام صالحا لكل زمان ومكان وحينا رابعا يزج به في السجون والمعتقلات لا لشيء إلا لكونه يرفض جميع الحاكميات إلا الحاكمية لله وحده "(١) .

وقد ذكرت أن الأستاذ المودودي خلال تأليفه " الجهاد في الإسلام" اهتم بمطالعة القرآن والأحاديث والسيرة النبوية فاتضح له أن القرآن هو كتاب حركة ودعوة . ومن المتطلبات الإيمان به أن يقوم الإنسان بانشاء

---

(١) الأستاذ خليل الحامدي : تفهيم القرآن وخصائصه ص ١١ .

هذه الحركة ويدعو الناس إليها ، وهكذا السيرة النبوية هي سيرة قائد حركة ورائد دعوة فمن مقتضيات الإيمان به هو القيام بهذه الدعوة فكانت نتيجة تفكيره في هذا الموضوع بأنه قام بانشاء الحركة الإسلامية بتأسيس الجماعة الإسلامية في اغسطس عام ١٩٤١ م وبعد ستة شهور بدأ بتاليف تفهيم القرآن في فبراير عام ١٩٤٢ م ليكون تفسيرا عمليا للقرآن الكريم، وظل الأستاذ المودودي يواصل عمله ذلك إلى اغسطس عام ١٩٤٧ وحينما انقسمت شبه القارة الهندية وانشئت دولة باكستان الإسلامية كان قد كمل تفسيره إلى آخر سورة يوسف . ثم اضطر إلى أن يهاجر إلى باكستان تاركا كل ما كان عنده من الكتب والمراجع . وبعد انشاء دولة باكستان الإسلامية بدأ قادتها يحاولون تاسيسها على أسس لادينية . فقام الأستاذ المودودي بجهاد جعل باكستان دولة إسلامية حقيقية حيث يكون نظامها نظاما إسلاميا كاملا وذلك في كل دائرة من دوائر الحكومة والمدنية والاجتماع ، وكان عمله هذا مع استمراره في تاليف تفهيم القران ، حتى وفقه الله تعالى فأكمل تفسيره عام ١٩٧٢ م . ويجدر بي ان أنقل هنا ما قاله الأستاذ نفسه خلال حديثه عن الأوضاع التي قد ألف تفهيم القران فيها فيقول : " والحقيقة بان الاوضاع التي قد ألفت هذا التفسير فيها كانت قاسية جدا ، وانني كنت أخاف دائما بأنه يمكن أن لا تسمح لي تلك الاوضاع أن أكمله ، فقد بدأت تاليفه في عام ١٩٤٢ م واستمرت في هذا العمل حتى عام ١٩٤٧ وكملت التفسير من سورة الفاتحة إلى سورة يوسف . وفي اغسطس عام ١٩٤٧ م انشئت دولة باكستان الإسلامية فأقيمت معارك عنيفة بين الهنادكة والسيخ وبين المسلمين ولاسيما في منطقة بنجاب الشرقية ، فاضطررت أن أهاجر إلى باكستان ولم أكن أملك شيئا ، فأخذتني المدة حتى استقريت هنا ، وبعد ما انتهيت من ذلك شعرت بان مسلمي باكستان الذين قد حملوا على عواتقهم

مسئولية دولة جديدة لابد من العناية إلى تربيتهم الأخلاقية والدينية ولابد من الاهتمام بايضاح هدفهم فى الحياة أمام أعينهم ، فقررنا باحياء الحركة الإسلامية فشغلتنى تلك الاوضاع عن الاعتناء بالمشاغل الأخرى فنتيجة لذلك قبضوا على وألقونى فى السجن عام ١٩٤٨م ومع الأسف الشديد لم يوافقوا على توفير المراجع التى كنت احتاج اليها لتأليف "تفهيم القرآن" فنتيجة لتلك الاوضاع لم استطيع أن أكتب شيئا جديدا فى التفسير من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٠ لكننى تمكنت من اعادة النظر فيما قد كتبت فى التفسير حتى الآن ومن كتابة المقدمة والديباجة خلال المدة التى قضيت فى السجن ، وهكذا طبع الجزء الأول من التفسير فلله الحمد . وبعد ما اطلقوا سراحى بدأت بتأليف التفسير من سورة (الرعد) فوصلت إلى سورة (الأنبياء) حينما قبض على مرة أخرى عام ١٩٥٣م فلم يسمحوا لى بالحصول على الكتب والمراجع حتى من مكتبتى إلا بعد عدة محاولات استمرت سنة ونصفا فبعد ما حصلت الكتب والمراجع بدأت تأليف التفسير من سورة (الحج) فوصلت إلى سورة (الفرقان) حينما أطلق سراحى فاستمريت فى التاليف بعد اطلاق سراحى حتى انتهيت من سورة الزمر فالقونى فى السجن مرة اخرى وحينما طلبت توفير الكتب والمراجع رفضوا كعادتهم فكنت استغرب من هؤلاء الذين قد استولوا على سلطة دولة باكستان الإسلامية بأنهم لم يسمحوا لرجل أن يكتب تفسير القرآن فى السجن . وكانوا يفضلون أن يضيعوا وقته ، وحينما وافقوا على توفير الكتب والمراجع بعد محاولات مستمرة لمدة طويلة تمكنت من كتابة التفسير للسور التى تبدأ بـ (حم) وتسمى (الحواميم) فى اصطلاح المفسرين واستمريت فى عملى بالتاليف بعد اطلاق سراحى وحينما قبض على فى عام ١٩٦٧م لم يسمحوا لى بتوفير الكتب فى السجن فاستطعت ان اعيد النظر فى الجزء الثالث واستمريت فى التاليف بعد اطلاق سراحى ، ولكننى شعرت بأن صحتى لم تكن

تسمح لى أن أستمر فى عطى ولكن مع ذلك بقيت مستمرا فى تأليف التفسير فكملت الجزء الخامس وانا كنت مريضا . والآن قد وفقنى الله فى اكمال الجزء السادس والأخير. فلله الحمد (١) . ويشعر الإنسان حينما يطالع تفهيم القرآن بتأثر المودودى بالاوضاع التى عاشها خلال تاليف (تفهيم القرآن) ويقول الأستاذ خليل الحامدى " وعند ماتقرأ تفسيره للقران الكريم تلمس ان الظروف التى كانت تواجهه كانت تلهمه معانى جديدة فى القرآن لا يعثر عليها إلا من كان يمر بنفس الظروف والقضايا التى مرت بها الدعوة الإسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) .

وهذا مايشير إليه الأستاذ المودودى نفسه حيث يقول : " لا تستطيع أن تفهم مطالب القرآن ومعانيه العميقة إلا حين تبدأ بالدعوة الى الله وتخطو جميع خطواتك فى ضوء مايوجهك هذا الكتاب. ومن هنا لا بد أن يستقبلك جميع مااستقبل حامليه من التجارب والمحن ، تشاهد مشاهد مكة والحبشة والطائف ،وتواجه المراحل المختلفة من بدر إلى أحد وحنين وتبوك . وتتشابك مع " أبى جهل " و " أبى لهب " وتلاقى المنافقين واليهود وترى وتختبر كذلك كل النماذج الإنسانية مارا بالسابقين الأولين الى المؤلفة قلوبهم . فهذا سلوك فريد لا يماثله أى نوع من السلوك واسميه " السلوك القرآني " ومن شأنه أنه كلما مررت بمنزل من منازله تطالعك آيات وسور من القران تخبرك بالمرحلة التى دخلت فيها ،وبالتوجيهات والتعاليم التى تناسبها وفى ذلك الحين يمكن أن يغيب عن نظر السالك شىء من

---

(١) مجلة " آئين " الأسبوعية عدد خاص عن اكمال تفهيم القرآن لشهر د يسمبر ١٩٧٢ م ص ١١٦ . كلمة الأستاذ المودودى فى الحفلة التى اقيمت على اكمال (تفهيم القرآن) .

(٢) الأستاذ خليل الحامدى : تفهيم القرآن وخصائصه ص ١١ .

أسرار اللغة والبلاغة والمعانى والبيان ، إلا أنه لا يمكن أن يضن القرآن بالكشف عن جوهره وروحه أمام ذلك السالك (١) .

والحقيقة أن هذا مايلمسه القارئ عند ما يقرأ (تفهيم القرآن) وهذا فى الحقيقة من أهم المزايا لهذا التفسير الجليل ، وسنفصل الكلام فيه فيما بعد بتوفيق الله عز وجل .

وجدير بالذكر أن الأستاذ المودودى مع انشغاله بهذه الظروف القاسية لم يقتصر على تأليف (تفهيم القرآن) فحسب خلال تلك المدة بل كان فى تلك الأونة ان تمكن الأستاذ من تأليف عدد غير قليل من الكتب القيمة حول الدعوة ومتطلباتها من ناحية ، ولبيان جوانب النظام الإسلامى المختلفة من ناحية اخرى ، لمواجهة التحديات المعاصرة الجاهلية بجانب وللقضاء على الحركات الهدامة بجانب آخر (٢) ، وذلك كما ذكرنا مع تحمله مسئولية قيادة الحركة الإسلامية وجهاده المسلسل لإقامة الحكومة الإسلامية خلال تلك المدة الطويلة .

...

---

(١) الأستاذ المودودى : مقدمة تفهيم القران ص ٣٣-٣٤ .

(٢) انظر هذه الرسالة ص : الباب الأول _ الفصل الرابع _ مؤلفات الأستاذ المودودى .

المبحث الثالث :

أسلوب الاستاذ المودودى فى البحث والتحقيق
خلال تأليف " تفهيم القرآن "

ذكرنا فيما سبق ماهى كانت نظرة الأستاذ المودودى نحو فهم القرآن وتفهيمه ، فانه كان يعتقد بأن القران الكريم كتاب أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لقيادة الحركة الاسلامية ، فلذا لا يمكن للإنسان ان يتمكن من فهم القرآن أو تفهيمه صحيحا إلا أن يقوم بالعمل فى مجال الدعوة فعلا . فلهذا نرى بأن الأستاذ المودودى قرر أن يقوم بعمل الدعوة بتأسيس الجماعة الإسلامية قبل قيامه بتأليف التفسير وذلك ليتمكن من الوصول إلى روح القرآن قبل أن يقوم بتفهيمه فهذه هى القاعدة الأساسية لأسلوب الأستاذ فى تأليف تفهيم القرآن ، وأما الأوجه الأخرى لهذا الأسلوب فهى كالآتى :

أولا : الاهتمام بالاحتياط الكامل :

كان يفهم الأستاذ فهما كاملا القيام بتاليف التفسير يقتضى الاهتمام بالاحتياط الكامل والدقة ، والاهمال فى هذا الصدد ولو قليلا جدا سينتج عنه احباط أعماله كلها ، ويقول عن اعتقاده هذا :" وكنت اعتقد بأننى لو كتبت حرفا واحدا فى التفسير بدون الاحتياط ستحبط أعمالى كلها "(١) . فكان من باب الاحتياط بأنه لم يكتب فى التفسير أى شىء بدون التحقيق . وحينما يواجهه أية مشكلة فى فهم آية أو آيات من القرآن الكريم كان يترك الكتابة ويبدأ المطالعة والتحقيق حتى يتمكن من الفهم الصحيح . فيقول :" وحينما لم أتمكن من فهم آية أو آيات كنت أترك كتابة التفسير وأبدأ المطالعة والتحقيق حتى يطمئن قلبى بأننى فهمت الآية أو الآيات فهما صحيحا "(٢) فكان من فضل هذا الاحتياط

---

(١) مجلة " آئين " الأسبوعية عدد خاص فى مناسبة اكمال " تفهيم القرآن " لشهر ديسمبر ١٩٧٢م . ص ١١٥ .

(٢) أبوطارق ايم - اى — مولانا مودودى كى انترويو ص : ٤٩٨ .

بأنه لم يكتب في التفسير ولو سطرا واحدا بدون التحقيق كما يقول نفسه : "إنني لم أكتب ولو سطرا واحدا في (تفهيم القرآن) إلا وأنا أحتفظ مرجعه ومصدره" (١).

ثانيا : الاهتمام بالتحقيق والدقة :

كما ذكرنا بأن الأستاذ المودودي لم يكن يكتب أي شيء في التفسير إلا بعد الاطلاع على المراجع والمصادر التي توجد في الموضوع، قديما كان أو حديثا، فلذلك كانت تمر عليه الشهور والسنوات في المطالعة والتحقيق قبل أن يكتب شيئا . وكان يكتب النصوص على الأوراق ويحتفظ بها ثم كان يختار منها أو يلخصها ثم يكتبها كما يقول : " ومن طريقتي في المطالعة والتحقيق بأنني كنت أكتب كل الملاحظات والنصوص التي تتعلق بالموضوع الذي أريد أن أكتب فيه" . وأجعل العلامات على النصوص المتعلقة ثم أكتبها على الأوراق " (٢) . . و يقول في موضع آخر : " وطريقتي في تأليف تفهيم القرآن بأنني أكتب النصوص التي أريد أن أنقلها في التفسير ثم أختار أو ألخص منها واحتفظ بالأوراق التي كتبت عليها النصوص" (٣) .

وفي هذا الصدد يحكي لنا الأستاذ أخلاق حسين الذي كان ناشرا لكتب الاستاذ المودودي : " انني حضرت يوما عند الأستاذ المودودي ورأيت أمامه كثيرا من أمهات الكتب والموسوعات في اللغة العربية واللغة الانجليزية فسألت عنه : " ماذا تقرأ هذه الأيام " فقال : " ورود ذكر وادي النمل في سورة النمل فانني أبحث هذه الأيام حول محل وقوع هذا الوادي" وكان ذلك في اكتوبر عام ١٩٥٨م حيث أصدر الأستاذ تفسير هذه السورة في مجلته ترجمان القرآن لشهر يوليو ١٩٥٩م أي بعد حوالي سنة من انقطاعه للمطالعة والتحقيق لتفسير هذه السورة " (٤) . ولعل الأستاذ مودودي وحيدا بين المفسرين الذي اهتم

---

(١) مجلة " آئين الاسبوعية" عدد خاص في مناسبة اكمال تفهيم القران لشهر ديسمبر ١٩٧٢ ص ١٩٠ .
(٢) الأستاذ المودودي : تصريحات ص ٣٩ .
(٣) مجلة آئين الأسبوعية عدد خاص في مناسبة اكمال تفهيم القرآن ص ١٩٠ .
(٤) المرجع السابق ص ١٩٠ .

بالسفر إلى أرض القرآن للتحقيق في الآثار التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وذلك من ٣ نوفمبر ١٩٥٩ الى ٢٨ يناير عام ١٩٦٠م وجدير بالذكر بأنه قبل سفره ذلك قد قرأ كل الكتب والبحوث التي كتبها المؤرخون والمحققون أو الزائرون قديما كان أو حديثا ، شرقيا كان أم غربيا لكي يتمكن من فهم تلك الآثار (١) فيمكننا أن نتصور من ذلك اهتمام الأستاذ بالتحقيق والدقة .

ثالثا : العناية بأسلوب المقارنة :

ولم يقتصر الاستاذ على مطالعته لكتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ والفقه واللغة فحسب بل اهتم بالمطالعة المقارنة لكتب الأديان والفلسفات الأخرى . وقد استفاد من هذه المطالعة والتحقيق في تاليف تفسيره كما يقول نفسه : "والحقيقة بأن تفهيم القرآن هو انتاج كل ماتمكنت من المطالعة والتحقيق طول حياتي ، وانني قد استفدت في تأليفه من كل ما قرأت في الفلسفة والتاريخ ، والعلوم والعمرانيات والعلوم الدينية خلال ٥٥ سنة الماضية (٢) .

وجدير بالذكر أنه كان بفضل هذه المطالعة المقارنة والتحقيق بان تمكن الاستاذ من الوصول إلى درجة حق اليقين في إيمانه على صدق مبادئ الإسلام وفيما بعد استطاع تفهيمها بأسلوب محكم كما يقول نفسه : "واحب أن أبين لكم في هذه المناسبة أن الأسلوب الذي اتخذته في (تفهيم القران) وفي مؤلفاتي الأخرى للاستدلال على اثبات صدق الإسلام وكذلك على اثبات صدق عقائده من التوحيد والرسالة والوحي والآخرة وعلى اثبات سمو مبادئ الإسلام الخلقية والحضارية اتخذته أثر البحث الطويل كان بدايته منذ أن دخلت مرحلة الرشد من حياتي واني وإن كنت ولدت في بيئة دينية ووالدي ووالدتي رحمهما الله

---

(١) انظر عاصم الحداد ـ سفرنام أرض القرآن ص : ١٨٩ ـ ١٩٠ .

(٢) أبوطارق ـــــ مولا نا مودودي كي انترويو ـ ص ٤٩٨ .

كانا ملتزمين بشريعة الإسلام ، وقد تلقيت منهما تربية دينية جيدة ولكنني لما بلغت الرشد ، أصبحت أفكر ، هل أنا مسلم لأني ولدت من أب مسلم ، وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا نفسه ينطبق تماما على المسيحي الذي ولد في بيت مسيحي وعلى الهندوسي الذي ولد في بيت هندوسي ، فانهما كذلك على حق بقدر ما أنا على حق . وبعد هذا التفكير الغريب الذي كان يراود ذهني، قررت أن أبحث عما هو الحق ولم أتحول والحمد لله ملحدا أو منكرا للاسلام بل قررت ذلك لأجل الوصول إلى الحق على بصيرة من الأمر . ثم دخلت في ميدان البحث والاطلاع وبدأت بمطالعة " الفيدات " اى كتب الهندوس المقدسة في نظرهم وقرأتها كلمة كلمة وقرأت كتابهم الشهير (جيتا) كلمة كلمة وكذلك قرأت فلسفة المذاهب الهندوسية وتاريخها كما درست كتب الديانة البوذية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية وقرأت الإنجيل بكامله بالاستعانة بتفسيره الذى ألفه الأب (دوميلو) حتى أفهم الإنجيل من خلال مايقول فيه أصحابه ، وجمعت من المسيحية واليهودية القدر الكبير من المعلومات وما قرأت إلا ماكتبه علماء المسيحية واليهودية وقرأت جميع الأجزاء المتوفرة من التلمود وبعد كل ذلك تناولت بحثا ودراسة الأفكار التى أنتجها الفلاسفة الملحدون والماديون وكذلك قرأت ماكتبه دعاة الالحاد والدهرية باسم العلوم الطبيعية بل قرأت لجميع المفكرين الغربيين الذين رأيت العالم الغربي يتبعهم فقرأت تراجم حياتهم لكي أعرف هل هؤلاء المفكرون كانوا على سلامة الفطرة والرزانة أم لا ؟ وذلك لأن الإنسان كثيرا مايقدم نظريته بالدلائل القاطعة ولكن سلوكه العملي يبرهن على أنه ينقصه التوازن الذهني ولذلك عندما قرأت أفكارهم ونظرياتهم قرأت كذلك أحوالهم الشخصية للتأكد من أن هؤلاء هل يصلحون فعلا ان يكونوا قادة البشرية أم لا ؟ وبعد أن انتهيت من مطالعة هذه الأفكار وتلك المذاهب

أخذت أدرس القرآن الكريم وبحكم ما كان عندي من العلم بالثقافة العربية التي تلقيتها في صغر سني كنت أستطيع أن أفهم ما هو في القرآن الكريم . وقد درسته مرارا وتكرارا على وعي وفهم وكذلك قرأت في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مصادرها الأصلية ثم طالعت كتب الحديث لكي أعرف منها أحوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع نفسه وأصحابه ودعوته وقومه وبلده وبعد هذه الدراسات التفصيلية ، والتفكر الطويل انتهيت إلى أن هناك ليس من مذهب أو دين في العالم يقوم على العقل والدليل غير الدين الذي يقدمه كتاب الله وكذلك ليس هناك من قائد كامل المثل في العالم غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وليس هناك من نظام للحياة يكون شاملا ومفصلا وسديدا غير النظام الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا أني لم أؤمن بالإسلام لكونه دينا وجدت عليه آبائي . بل آمنت به بعد الفحص والبحث على بصيرة من الأمر . وهذا ما تلمسه في تفسيري للقرآن الكريم حيث أني عند ما فسرت الآيات التي تتعلق بالعقائد والإيمانيات والأحكام اثبتت حقانيتها بالدلائل بصورة يقبلها العقل ، وتلك الدلائل هي نفس الدلائل التي جعلتني خلال مطالعتي الطويلة أقر بالإسلام دينا حقاً ، سواء أكانت الدلائل تتعلق بالتوحيد أو تتعلق بالرسالة أو تتعلق بالوحي أو تتعلق بكون الإسلام نظاما شاملا للحياة (١) .

ولعلي أطلت في النقل . ولكنه كان ضروريا لفهم طريقة الأستاذ المودودي في المطالعة والتحقيق ولا سيما في تأليف التفسير " تفهيم القرآن " الذي يعتبره الأستاذ انتاج مطالعته وتحقيقه لطول حياته .

---

(١) الأستاذ خليل الحامدي ـ تفهيم القرآن وخصائصه ، ص ٣ ـ ٥ .

رابعا : الاهتمام بالترجيح للمفهوم المتباين للألفاظ او الكلمات القرآنية :

وكان من طريقة الأستاذ المودودى فى التفسير بأنه كان دائما يفضل المفهوم المتبائن للألفاظ أو الكلمات ولم يكن يعتنى بالمفهوم المجازى ، إلا إذا لم يبق هناك أى مجال للمفهوم المتبائن وهذا ما يبينه الأستاذ المودودى ردا على احدى الرسائل حيث يقول : " والآن أود أن أبين لكم ما هى طريقتى فى تفسير القرآن ، فإنى أعتقد أن الألفاظ التى أستعملها الله فى القرآن الكريم لا يجوز لنا ان نأخذها فى المفهوم المجازى إلا إذا لم يكن هناك أى مجال للمفهوم المتبائن " ولكن فى ذلك أيضا يقول الأستاذ: " لابد أن يكون هناك دليلا واضحا لاخذ ذلك المفهوم المجازى إما فى سياق الكلام ، بالنص الصريح أو بدلالة المفهوم ، وإما فى الآيات التى وردت فى نفس الموضوع فى المواضع الأخرى وهو كلام الله تعالى ولا يمكن لنا أن نعين مفهومه إلا من كلام الله "(1) .

خامسا : أسلوبه فى الاحتجاج من المراجع :

وأما الأسلوب الذى اختاره الأستاذ المودودى فى الاحتجاج من المراجع والترتيب الذى اختاره الأستاذ للإستفادة فى هذا الصدد من المراجع المختلفة فإنه كان يعتنى فى أول أمره بمفهوم اللفظ أو الكلمة من الناحية اللغوية ثم كان يرى المناسبة التى وردت فيها هذه الكلمة أو الآية ثم كان يأخذ الآيات الواردة فى ذلك الموضوع فى المواضع الأخرى . ويرى المفهوم الصحيح لهذه الآية فى هذا السياق ثم كان يرجع إلى التفسير الذى ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا ثم كان يعتنى بالتفسير الذى جاء من الصحابة

---

(1) مكاتيب (الجزء الثانى) ص ٣٥١ .

أو التابعين وثم بعد ذلك كان يهتم بما جاء من المفسرين القدامى . هذه هي الطريقة التي اختارها الأستاذ المودودي اعتقادا بأنها الطريقة الصحيحة للتفسير ، فلذلك كان يتقيد بها شخصيا كما كان يوصي بها الآخرين (١) .

سادسا : الاهتمام بتصحيح الأخطاء اذا تبينت له بالأدلة من الكتاب والسنة :

وكان يحرص الأستاذ المودودي حرصا شديدا على أن يصحح أخطائه اذا تبينت له في ضوء الكتاب والسنة فلذا قرر أن يصدر تفسيره في حلقات متتالية في مجلة (ترجمان القرآن) الشهرية قبل اصداره بصورة كتاب مستقل وذلك رغبة منه في تصحيح أخطائه في ضوء النقد من العلماء والمشايخ في ضوء الكتاب والسنة وكما يحكي لنا الشيخ محمد عبد الله بأنه كان يلتمس من العلماء والمشايخ بأن ينظروا بالدقة فيما يصدر في ترجمان القرآن من التفسير ويطلعونه على أخطائه وذلك بالدعم بالأدلة من الكتاب والسنة ليتمكن من تصحيحها (٢) .

وفي هذا الصدد يحلو لي أن أذكر هنا ما كتبه الأستاذ في خاتمة تفسيره إذ يقول : " إنني أتمنى من العلماء والمشايخ أن ينبهوني من أخطائي في التفسير وأي شيء بين لي كونه غير صحيح في ضوء الكتاب والسنة وسأقوم بتصحيحه إن شاء الله وانني أعوذ بالله أن اخطىء في تفسير كتاب الله متعمدا أو أتمسك بما هو غير صحيح بعد أن يبين لي " (٣) .

---

(١) انظر هذه الرسالة ص : ٣٥٩ .

(٢) انظر مجلة آئين " الأسبوعية عدد خاص في مناسبة اكمال (تفهيم القرآن) للشهر ديسمبر من عام ١٩٧٢ م ص ٩٩ .

(٣) تفهيم القرآن ج ٦ ص ٥٧٥ .

وهكذا حكى لى الشيخ محمد جراغ[1] ، مدير الجامعة العربية بكوجرانواله وشيخ التفسير فيه بأنه كلما نبه الأستاذ المودودى على احدى اخطائه فى التفسير بالأدلة من القران والسنة ، بادر الأستاذ بتصحيح أخطائه دون تردد وشكر له على ذلك شكرا جزيلا ، وهذا ما يتبين أيضا من الرسائل التى كتبها الأستاذ المودودى ردا على رسائل الشيخ محمد جراغ حول هذا الموضوع والتى تضم الآن الجزء الأول والثانى للمكاتيب[2] .

...

---

(١) هو الشيخ محمد جراغ مدير الجامعة العربية بكوجرانواله (باكستان) ورئيس جمعية اتحاد العلماء بباكستان وقد تلقى دورسه فى المعهد الدينى بديوبند (الهند) على أيدى كبار العلماء على رأسهم الشيخ أنورشاه الكاشميرى وهو من كبار علماء باكستان .

(٢) انظر الأستاذ المودودى : مكاتيب (الجزء الاول) ص ٤٣–٥٦ ، ٧٢–٧٥ .
ومكاتيب (الجزء الثانى) ص ٤٥–٥٠ ، ٥٣–٥٦ ، ٧٢–٧٥ .

الفصل الثالث

منهج الأستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم

المبحث الأول	منهج الأستاذ المودودي في التقديم للسورة.
المبحث الثاني	منهجه في التفسير بالمأثور.
المبحث الثالث	الإهتمام بالدعوة ومتطلباتها خلال التفسير
المبحث الرابع	بيان الإهتمام بإقامة الحكومة الإسلامية والعناية بإبراز النواحي المختلفة للدولة الإسلامية.
المبحث الخامس	منهج الأستاذ المودودي في دراسة القصص القرآنية
المبحث السادس	منهج الأستاذ المودودي في دراسة آيات الأحكام
المبحث السابع	منهج الأستاذ المودودي في إستخدام الخرائط والصور خلال التفسير
المبحث الثامن	الإهتمام بالإستشهاد من كتب أهل الكتاب
المبحث التاسع	عدم الخوض في المباحث الجانبية.
المبحث العاشر	منهج الأستاذ المودودي في الرد على التأويلات الباطلة في تفسير القرآن الكريم
المبحث الحادي عشر	إبراز موقف الإسلام من الفلسفات المعاصرة الجاهلية.
المبحث الثاني عشر	مكانة منهج الأستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم

القرآن الكريم ـ المفتاح الرئيسي لمعضلات الحياة الإنسانية

" قرأت الكثير في زمن الجاهلية من عمري من الفلسفات القديمة والحديثة والعلوم الطبيعية والاقتصاد، والعلوم السياسية وما إلى ذلك، حتى إني أفرغت في ذهني خزانات من الكتب، ولكني لما قرأت القرآن بعيني المفتوحة فإذا بأني أشعر أن كل شيء قرأته حتى الآن كان تافهاً غير ذي بال، وقد وجدت الآن أصل الأصول في باب العلوم، وأصبح يتراءى لي كل من كانت، وهيجل ونطشة وماركس وسائر المفكرين الذين يسير بذكرهم الركبان في العصر الحديث أقزاما يستحقون العطف لأن المشاكل والتعقيدات التي أفنوا حياتهم في حلها وألّفوا فيها كتبا طائلة لم يحالفهم التوفيق في حلها مع أن كتابنا "القرآن" أوجد لها حلاً في آية أو آيتين.

إذن فليس لي كتاب أعتبره منقذاً لي في الحياة إلا القرآن والقرآن فقط، الذي غيّر مجرى حياتي، حولني من حيوان إلى إنسان، أخرجني من الظلمات إلى النور، جعل في يدي مصباحاً، إلى أي شيء أنظر في ضوئه يكشف لي حقيقة أمره واضحة جلية لا خفاء عليها، ويوصف ذلك المصباح باللغة الإنجليزية بالمفتاح الرئيسي " Master Key " الذي ينفتح به كل قفل، فالقرآن أصبح لي المفتاح الرئيسي، لا أستعمله في قفل من أقفال المعضلات البشرية إلا وينفتح بسرعة، وإن لساني لعاجز عن الشكر لله الذي حباني بفضله هذا "المفتاح المبارك" الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"

الأستاذ المودودي ـ رداً على سؤال عن الكتاب الذي يعتبره منقذ حياته (نقلاً عن الأستاذ خليل أحمد الحامدي ـ "تفهيم القرآن وخصائصه" صفحة ٦٥)

المبحث الاول :

منهج الاستاذ المودودى فى التقديم للسور القرآنيــــة

يقدم الأستاذ المودودى تفسيره لكل سورة بمقدمة يتحدث فيهـــا عن سبب تسمية السورة وسبب نزولها وخلفيتها التاريخية كما يتكلم فيهـــا عن موضوع السورة ومحتوياتها وأهدافها وذلك ليتمكن القارئ من فهم مقتضيات السورة فى ضوء سبب نزولها ويعرف واقع المرحلة التى كانت الحركة الاسلامية فيها آنذاك فى ضوء خلفيتها التاريخية . وهذه المقدمة لها أهميـــة بالغة فى فهم محتويات السورة وتوضيح اهدافها ومعرفة متطلبات الحركـة الإسلامية . ويقول الأستاذ المودودى فى مقدمة تفسيره : " ومن مقتضيات فهم القرآن فهما كاملا الاطلاع على خلفية كل سورة ، وهذا الهدف لا يتحقق ، بنقل المعانى فحسب ، ولهذا أحببت أن آتى بمقدمة فى بداية كل ســـورة أبين فيها الظروف التى نزلت فيها السورة والمرحلة التى دخلت فيها الحركة الإسلامية آنذاك ، ومتطلباتها ومقتضياتها "(١) .

والآن يجدر بنا أن نأتى هنا ببعض النماذج لما جابه الاستاذ المودودى فى تقديمه للسور القرآنية المختلفة :

١ــ تسمية السورة :

الأمر الأول الذى يهتم به الأستاذ المودودى فى مقدمته لكل ســورة هو تسميتها . ويبين الأستاذ فى هذا الصدد أن اسم السورة لا يكون عنوانا بالنسبة لمحتوياتها ، بل هو فى الحقيقة يكون علامة محضة للسورة التى تتميز بها عن السور الأخرى . فيقول فى تسمية سورة البقرة مثلا :

" سميت هذه السورة بالبقرة لأنه وردت فيها كلمة " البقرة " وجديـــر بالذكر أن كل سورة من سور القرآن تشمل عددا من المباحث والموضوعات ،

---

(١) مقدمة تفهيم القرآن جـ ١١ .

ولا يمكن ان يختار لها موضوع جامعا ، والحقيقة أن اللغة العربية مع كونها لغة واسعة لا توجد فيها لفظ او كلمة تجدر لعناوين هذه السور ، فلذلك اهتم النبي صلى الله عليه وسلم باختيار الأسماء لها كالعلامات بدلا أن يختار لها العناوين ، وذلك بوحى من الله والمراد من سورة البقرة اذن سورة وردت فيها كلمة البقرة "(١) ، وقد وردت كلمة (البقرة) في الآية رقم (٦٧) في اثناء ايراد قصة موسى عليه السلام مع قومه .

ويقول الأستاذ المودودى في تسمية سورة الأعراف : " سميت هذه السورة بالاعراف لأن ورد فيها ذكر الأعراف واصحاب الأعراف في الآيتين (٤٦ و ٤٧) والمراد من تسميتها هذه هو أن السورة التي ذكر فيها الأعراف "(٢) .

وهكذا وضح الاستاذ هذا الامر حتى لا يقع القارئ في خطأ خلال مطالعته للقرآن الكريم حيث يرى بان اسماء السور لا تكون لها أي علاقة واضحة بالمباحث التي تشملها .

٢ - زمن النزول :

والأمر الثاني الذي يهتم به الأستاذ المودودى في مقدمته لكل سورة هو تعيين زمن نزولها ولتحقيق هذا الهدف يذكر الروايات الصحيحة من كتب الأحاديث والسيرة حول أسباب النزول ثم يقارن ويرجح بينها في ضوء الشهادات الداخلية اذا لم تساعده النصوص صراحة ، ومن المعلوم أن زمن النزول له أهمية بالغة في فهم محتويات السورة ولا سيما في فهم الترتيب والتدرج في أحكام الشريعة . والآن نأتي بالنموذج لمنهجه هذا من مقدمة سورة النور .

---

(١) تفهيم القران جـ١ ص ٤٦ .

(٢) المصدر السابق جـ٢ ص ٥ .

" من المجمع عليه أن هذه السورة نزلت بعد غزوة بني المصطلق (١) ، ومما يظهر من بيان القرآن نفسه أنها نزلت في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين رماها أهل الافك من المنافقين بما تقوّلوا عليها من الكذب والبهتان وقد حصل ذلك كما تتفق عليه جميع الروايات المعتمدة أثناء القفول من غزوة بني المصطلق ، أما الذي فيه الخلاف فإنما هو : هل كانت غزوة بني المصطلق في سنة خمس قبل غزوة الأحزاب أم بعدها في سنة ست ؟ والذي يلزمنا التحقيق في هذا الباب ، هو أن أحكام الحجاب إنما نزلت في سورتين فحسب من سور القرآن : في سورة النور هذه ، وفي سورة الأحزاب التي لا خلاف انها نزلت عند غزوة الأحزاب (الخندق) فان كانت غزوة الأحزاب قبل غزوة بني المصطلق فمعناه ان احكام الحجاب في الاسلام كان بدؤها بالتعليمات التي وردت في سورة الاحزاب وكمالها بالأحكام التي وردت في سورة النور . وأما إذا كانت غزوة بني المصطلق قبل غزوة الأحزاب فانعكس الترتيب في نزول أحكام الحجاب وصار بدوءها بسورة النور وكمالها بسورة الأحزاب وذلك ما يصعب علينا معه ان ندرك ما في احكام الحجاب من حكمة التشريع ، فبناء على ذلك نرى أن نحقق قبل كل شيء زمن نزول هذه السورة .

يقول ابن سعد : أن غزوة بني المصطلق وقعت في شعبان من سنة خمس ووقعت بعدها غزوة الاحزاب او غزوة الخندق من السنة نفسها .(٢) وأكبر شهادة في تأييد ابن سعد في هذا أن الطرق المروية عن عائشة بشان قصة الإفك قد ورد في بعضها ذكر المجادلة بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وكان سعد ابن معاذ كما تفيد الروايات المعتمدة فيمن قتل في غزوة بني قريظة (٣) التي

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٠١ .

(٢) انظر محمد بن سعد بن منيع البصري ـ الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦٣ـ٦٥ .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٠ .

تلت غزوة الأحزاب . فمن المستحيل أن يكون سعد بن معاذ حيا فى سنة ست . ويقول ابن اسحاق فى الجانب الآخر ان غزوة الأحزاب وقعت فى شوال من سنة خمس(١) . وغزوة بنى المصطلق فى شعبان من سنة ست (٢) ، ويستدل ابن اسحاق فى هذا ببيان ما ورد عن عائشة وغيرها من الروايات المعتمدة بها وهى اكثر قوة وكثرة . فما تفيد هذه الروايات ان أحكام الحجاب نزلت قبل قصة الافك اى فى سورة الأحزاب (١) . ومما تفيد هذه الروايات كذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قد تزوج بزينب بنت جحش رضى الله عنها قبل ذلك ، فى ذى القعدة من سنة خمس ، وجاء ذكرها فى سورة الأحزاب ، بل مما تفيد هذه الروايات كذلك أن حمنة . أخت زينب بنت جحش إنما شاركت فى رمى عائشة لأنها ضرة اختها . والظاهر أنه لابد أن تمضى مدة من الزمن ، ولو يسيرة ، على صلة الضرارة بين امرأتين حتى تنشأ فى القلوب مثل هذه النزعات فهذه الأمور كلها مما يؤيد رواية ابن اسحاق ويقويها .

وليس هناك شىء يمنعنا من قبول رواية ابن اسحاق الا ورود ذكر سعد بن معاذ فى قصة الإفك . ومع ذلك فان هذه المشكلة تحل لأن الروايات المروية عن عائشة رضى الله عنها جاء فى بعضها ذكر سعد بن معاذ وفى بعضها الاخر ذكر أسيد بن حضير مكان سعد بن معاذ ، وروى عن ابن اسحاق : " فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يارسول الله أن يكونوا من الأوس نكفكهم وأن يكونوا من أخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك (٣) ، وهذه الرواية تتفق تمام الاتفاق مع الحوادث المروية عن عائشة فى شان قصة الإفك والا ولو سلمنا بكون غزوة بنى المصطلق وقصة الإفك وقعتا قبل غزوة الأحزاب

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢١٤ .

(٢) المصدر السابق . ج ٢ ص : ٢٩٧ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠٠ .

وغزوة بنى قريظة لمجرد ان نجعلهما تتفقان معحياة سعد بن معاذ فى زمن قصة الإفك لاستحال علينا ان نجد حلا لمشكلة عظيمة اخرى هى انه من اللازم إذن أن يكون نزول آية الحجاب ونكاح زينب قد وقعا قبل غزوة الأحزاب ، مع أن القرآن والروايات الصحيحة المتضافرة تشهد بأن نكاح زينب والآية التى فيها حكم الحجاب من الحوادث الواقعة بعد غزوة الأحزاب وغزوة بنى قريظة فبناء على كل ذلك قد جزم ابن حزم وابن القيم (١) وغيرهما من العلماء المحققين بصحة رواية ابن اسحاق ورجحوها على رواية ابن سعد، وهو الرأى الذى نراه ونذهب اليه " (٢) .

وهكذا نرى أن الأستاذ المودودى يحكم بين رواية ابن اسحاق ورواية ابن سعد ويرجح رواية ابن اسحاق على رواية ابن سعد فى ضوء الشهادة التى توجد فى السورة نفسها وهى أن احكام الحجاب فى هذه السورة هى الأحكام النهائية فلابد ان يكون نزولها بعد سورة الأحزاب التى فيها الأحكام الابتدائية للحجاب . فاثبت الاستاذ أن غزوة الأحزاب وقعت قبل غزوة بنى المصطلق فحل المشكلة فى ترتيب تشريع أحكام الحجاب بترجيح رواية ابن اسحق على رواية ابن سعد . وجدير بالذكر أن أكثر المفسرين قاموا بترجيح رواية ابن سعد على رواية ابن اسحاق ليحلوا مشكلة وجود سيدنا سعد ابن معاذ فى قصة الإفك ، لأنه توفى خلال غزوة بنى قريظة التى وقعت متصلا بعد غزوة الأحزاب . ولكن الأستاذ المودودى حل هذه المشكلة بالاستشهاد برواية ابن اسحاق وهى أن المجادلة بين الأوس والخزرج فى قصة الإفك كانت بين أسيد بن حضير وسعد بن عبادة ولم تكن بين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، وأما سعد بن معاذ فكان سيد الأوس قبل أسيد بن حضير فيمكن جدا أن السيدة عائشة رضى الله عنها قد استعملت كلمة " سيد الأوس " والتبس على الرواة أنه كان سعد بن معاذ ، بدلا عن أسيد بن حضير ، ولكن هذا ليس

---

(١) انظر الإمام ابن القيم ــ زاد المعاد فى هدى خير العباد جـ٢ ص ٢٨٦ .

(٢) تفهيم القرآن جـ٣ ص ٣٠٦ .

بصحيح ،كما يرى الأستاذ المودودى وهو لا يتفرد فى رأيه هذا بل سبقه فيه بعض من العلماء الكبار ومنهم ابن حزم وابن القيم . وهناك شهادة أخرى جاء بها الأستاذ المودودى فى تأييد رأيه هذا وهى وجود حمنة بنت جحش شقيقة أم المؤمنين زينب بنت جحش فى قصة الإفك لأنها قد شاركت فى نشر هذا البهتان حماية لأختها التى كانت ضرة للسيدة عائشة " وقد تم زواج سيدة زينب رضى الله عنها مع النبى صلى الله عليه وسلم كما يتبين من القرآن الكريم وكثير من الروايات الصحيحة الأخرى بعد غزوة الأحزاب فيثبت أن غزوة الأحزاب ، كان وقوعها قبل غزوة بنى المصطلق ومما يؤيد رأى الأستاذ المودودى هو قول عائشة فى صفوان بن المعطل السلمى بأنه :" عرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى "(١) . ويوجد هذا القول فى كل الروايات التى رويت عنها رضى الله عنها فى قصة الإفك ويثبت من هذا القول أن أحكام الحجاب قد بدأ نزولها قبل حادث الإفك ، وأحكام الحجاب لا توجد الا فى سورة الأحزاب وسورة النور . ومن المعلوم ، ان سورة النور كان نزولها فى قصة الإفك فلابد إذن أن يكون نزول سورة الأحزاب قبل سورة النور . فيثبت أن غزوة الأحزاب كان وقوعها قبل غزوة بنى المصطلق .

وهناك شهادة أخرى توجد فى نفى الرواية وهى قول السيدة عائشة رضى الله عنها " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال : يازينب ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يارسول الله أحمى سمعى وبصرى ، ماعلمت إلا خيرا . قالت وهى التى كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢)

---

(١) صحيح البخارى ــ كتاب التفسير ــ باب لولا إذا سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا .

(٢) صحيح البخارى ــ كتاب التفسير ــ باب لولا إذا سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا .

فيثبت من هذا أن زواج السيدة زينب مع النبى صلى الله عليه وسلم تم قبل حادث الإفك فكان وقوع غزوة الأحزاب قبل غزوة بنى المصطلق .

سبب النزول أو الخلفية التاريخية :

أما سبب النزول او الخلفية التاريخية فهو الأمر الثالث الذى يعتنى به الأستاذ المودودى فى مقدمته لكل سورة . ومن المعلوم أن سبب النزول يتعلق بحادث خاص نزلت السورة فيه . والخلفية التاريخية تتعلق بالاوضاع التى كانت الحركة الإسلامية فيها آنذاك . والأستاذ المودودى لا يفوته أن يشير إلى كليهما فى مقدمته كما يقول الأستاذ خليل الحامدى (١) ، وهو يتحدث عن محتويات المقدمة التى يأتى بها الأستاذ المودودى فى بداية كل سورة حيث يقول : " ثم يشرح الخلفيات والأوضاع التاريخية والاجتماعية والسياسية التى اقترنت بنزول السورة ،كما أنه يبين كيف أن التوجيهات التى وردت فى السورة قد جاءت من الله عز وجل للحركة الاسلامية التى كان يقودها الرسول صلى الله عليه وسلم فى ظروف كانت مهيأة لها نفسيا وذهنيا" (٢) .

والنص الآتى من مقدمة سورة مريم خير شاهد على ما قلناه آنفا وما أشار إليه الأستاذ خليل الحامدى : " لما اخفق زعماء قريش فى سحق الحركة الإسلامية عن طريق السخرية والاستهزاء والترهيب والترغيب واشاعة التهم الباطلة ،راحوا يستخدمون سلاح الظلم والإيذاء والضغط الاقتصادى ،فجعلت كل قبيلة تمسك من آمنوا من افرادها وتحبسهم وتوثقهم وتذيقهم ألوانا من التعذيب والإيلام وتمنع عنهم الطعام والشراب لتجبرهم على ترك الاسلام

---

(١) هو الأستاذ خليل الحامدى مدير دار العروبة للدعوة الاسلامية تحت رعاية الجماعة الاسلامية بباكستان . وهو أحد زملاء الاستاذ المودودى البارزين فى مجال الدعوة وله عشرات من المؤلفات القيمة فى اللغة الاردية واللغة العربية كما هو احد المترجمين البارزين لكتب الأستاذ المودودى الى اللغة العربية .

(٢) الأستاذ خليل الحامدى : تفهيم القرآن وخصائصه ص ١٦ .

والعودة إلى ملتهم الأولى ، ووقع أشد الإيذاء فى هذا على الفقراء الضعفاء العبيد والموالى بوجه خاص الذين كانوا خاضعين لقريش مثل بلال (١) وعامر بن فهيرة(٢) ،وأم عبيس(٣) ،وزنيرة (٤) وعمار بن ياسر(٥) ووالديه وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين . فلقد كان هؤلاء يضربون حتى يفقدوا وعيهم وكانت توثق أيديهم وأرجلهم ويتركون جياعا عطاشا ،ويسحبون على رمال مكة الساخنة فى قيظ الشمس الحارقة وتوضع على صدورهم الصخور الثقيلة ساعات طويلة وكان العمال والحرفيون منهم يسخرون فى أعمالهم ويؤذون ويظلمون فى اجورهم (٦) . جاء فى الصحيحين عن سيدنا خباب بن الأرت قال : كنت قينا (اى حدادا) بمكة المكرمة فعملت للعاص ابن وائل السهمى سيفا ، فجئت اتقاضاه (يعنى اطلب اجرى) فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم(٧)

---

(١) هو بلال بن رباح الشهير مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم وكان ممن يعذب فى الله فاشتراه أبوبكر واعتقه .(انظر الاصابة فى تمييز الصحابة جـ ١ ص ١٦٥).

(٢) هو عامر بن فهيرة التميمى مولى أبى بكر الصديق وكان ممن يعذب فى الله فاشتراه أبوبكر واعتقه لوجه الله .(انظر الاصابة فى تمييز الصحابة جـ٢ ص ٢٥٦).

(٣) هى أم عبيس ،كانت من السابقات إلى الإسلام وممن يعذب فى الله فاشتراها أبوبكر الصديق رضى الله عنه واعتقها لوجه الله وكنيت بابنها عبيس بن كريز (الاصابة فى تمييز الصحابة جـ ٤ ص: ٤٧٥) .

(٤) هى زنيرة رومية كانت من السابقات إلى الإسلام وممن تعذب فى الله فاشتراها أبوبكر واعتقها لوجه الله .(المرجع السابق ص ٣١١).

(٥) هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك من بنى ثعلبة بن عوف حليف بنى مخزوم وامه سمية مولاة لهم كان من السابقين الأولين هو وابوه وكانوا ممن يعذب فى الله وقد بشرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة (انظر الإصابة فى تمييز الصحابة ص ٢ ٥١٢).

(٦) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣١٧ ـ ٣٢١ .

(٧) صحيح البخارى ـ كتاب البيوع ـ باب ذكر القين والحداد .

كذلك كان المشركون يتلمسون الوسائل لافساد تجارة من كان من المسلمين يشتغل بالتجارة(١) . ويستدلون بكل طريق من كان لهم بعض العزة والشرف فى المجتمع .

يصف سيدنا خباب رضى الله عنه تلك الفترة فيقول : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة ، وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت ألا تدعوا الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : لقد كان من قبلكم ليمشط بامشاط الحديد مادون عظامه من لحم أوعصب مايصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين مايصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت مايخاف إلا الله "(٢) .

فلما بلغ اضطهاد المسلمين حدا لا يحتمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى رجب من العام الخامس والأربعين بعد حادث الفيل (الخامس للبعثة) : " لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه "(٣) فتوجه الى الحبشة أحد عشر رجلا وأربع نساء أول الأمر(٤) " فقد نزلت هذه السورة فى تلك الظروف القاسية قبل هجرة الحبشة بقليل لأن سيدنا جعفر قد تلاها فى بلاط النجاشى حين دعا المهاجرون الى هناك(٥) .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣٢٠ .

(٢) صحيح البخارى ـ كتاب مناقب الأنصار باب مالقى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة .

(٣) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣٢١ .

(٤) المرجع السابق جـ١ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

(٥) تفهيم القرآن جـ٣ ص ٥٦ .

تتضح من بيان الأستاذ المودودى لهذه الخلفية التاريخية الأوضاع التى كانت الحركة الإسلامية فيها آنذاك وما تقتضيه من عمل . ومن هذا يمكننا أن نفهم العلاقة بين متطلبات الحركة وبين المباحث التى تتناولها السورة وهذا ما يساعدنا فى فهم محتويات السورة فهما صحيحا وكاملا . فمثلا نرى أن الحركة الاسلامية بمكة المكرمة آنذاك قد دخلت فى مرحلة خطيرة حيث أصبحت الهجرة إلى دولة مسيحية فى الحبشة ضرورة لا مفر منها لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك كان من متطلبات الحركة الاسلامية فى تلك المرحلة ان يعرف المسلمون قصة سيدنا عيسى عليه السلام ودعوته عليه السلام والعقيدة الصحيحة فيه فنرى ان السورة من آيتها الأولى إلى آيتها الأربعين تشمل قصة سيدنا يحيى عليه السلام وسيدنا عيسى عليه السلام وقد بين الله فى هذه الآيات بان سيدنا عيسى عليه السلام لم يكن إلاّ نبيا ولم تكن دعوته إلا دعوة التوحيد . وعقيدة كونه إلها غير صحيحة فكانت النتيجة ان تمكن المسلمون من بيان هذه العقيدة فى بلاط النجاشى وهكذا كان من متطلبات الحركة الاسلامية فى تلك المرحلة أن يكون المسلمون مستعدين للهجرة الى الحبشة حيث لا يكون هناك أى خوف أو ريب فى أذهانهم وأن الله قد ذكر لهم قصة هجرة سيدنا ابراهيم عليه السلام فى مثل هذه الظروف القاسية وبين أن هجرته عليه السلام قد أصبحت وسيلة لنشر الدعوة التى قام بها عليه السلام وفى هذه القصة أيضا بشارة للمؤمنين وعبرة للكافرين والمشركين .

وكان من متطلبات الحركة الإسلامية فى تلك المرحلة ان تبين بكل الصراحة أصول الدعوة التى جاء بها الرسل عليهم السلام ومصير الكافرين وختام المؤمنين فنرى بأن الله ذكر بعض الأبواب من تاريخ الأنبياء عليهم السلام مع بيان موجز عن دعوتهم ومع الاشارة الى مصير الكفار وختام المسلمين . وهكذا تساعد الخلفية التاريخية التى يذكرها الأستاذ المودودى فى مقدمته لكل سورة فى فهم متطلبات

السورة فهما صحيحا وكاملا ، كما تساعد الحركة الإسلامية في كل زمان وفي كل مكان أن تستهدى من محتويات السورة في مثل تلك الأوضاع ، وهكذا العلاقة الحية بين الحركة الاسلامية وبين مصدرها لم يزل مستمرا . وجدير بالذكر أن الأستاذ المودودى تميز في بيان الخلفية التاريخية في بداية كل سورة بهذا التفصيل لأهميته البالغة لفهم القرآن الكريم . وقد اتبع الشهيد سيد قطب هذا الأسلوب في تفسيره للقرآن الكريم فيما بعد .

٤ ـ موجز مباحث السورة :

والأمر الرابع الذي يعتنى به الأستاذ المودودى في مقدمته لكل سورة هو اهتمامه بذكر موجز المباحث التي تشمل السورة وذلك ليتمكن القارئ من الاطلاع على محتويات السورة بكاملها قبل بدء قراءة السورة كما يمكنه أن يعرف علاقة بعضها ببعض . وهذا يساعده في فهم محتويات السورة فهما كاملا ويجعل القارئ أو المستمع يشعر بالوحدة الموضوعية لكل سورة . ففي مقدمة سورة النور مثلا بعد ما يتحدث الأستاذ عن السياق التاريخي لهذه السورة يأتي بموجز مباحث السورة كالآتي : " حينما اضطرب مجتمع المدينة وتزعزع بحادث الإفك ، نزلت سورة النور على النبي صلى الله عليه وسلم بما فيه من الأحكام والتعليمات المتعلقة بالأخلاق والاجتماع المقصود من ورائها حفظ المجتمع الاسلامي من تسرب الرذائل وانتشارها والعمل على تداركها أن نشأت وانتشرت فيه على كل حال . وفيما يلي نذكر هذه الاحكام والتعليمات بالترتيب الذي نزلت به هذه السورة لنستدرك بالسهولة كيفية أسلوب القرآن الكريم في فرض التحصينات الشرعية والأخلاقية والاجتماعية فى أن أوجد الإصلاح للحياة البشرية وتعميرها في المواقع النفسية :

١ ـ شرع حد الزاني مائة جلدة وقرر أن الزنا جريمة جنائية بعد أن كان جريمة اجتماعية أو عائلية فقط من قبل لقوله سبحانه وتعالى : (واللاتي يأتين

الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا "(١) .

٢ ـ نهى المؤمنون أن يرتبطوا بالفاسقين والفاسقات بصلة التزاوج .

٣ ـ جعل حد من يرمى غيره بالزنا ـ ثم لا يأتى عليه بأربعة شهداء ثمانين جلدة .

٤ ـ شرع اللعان لمن يرمى بالزنا زوجته ولم يأت بأربعة شهداء .

٥ ـ ان من التعليمات التى وجهها الله تبارك وتعالى إلى أفراد المجتمع الاسلامى ضمن براءة السيدة عائشة رضى الله عنها عن الاتهام والافتراء أن لا يقبلوا من كل واحد قوله بدون روية إذ كان يرمى غيره بما لا يسرون فيه ولا يشيعوه فى المجتمع بل من واجبهم إذا وجدوا أنه قد فشت فى المجتمع مثل هذه الافتراءات والاتهامات الكاذبة أن يعطوا على كبتها ويحولوا دون شيوعها ويجتنبوا من تناقلها بينهم . والقاعدة الأساسية التى بينها الله سبحانه فى هذا الصدد هو أنه لا يتصل الطيب من الرجال إلا بالطيبة من النساء ، ومن المحال ألبتة أن يوافق طبعه امرأة خبيثة . كما ان المرأة الطيبة لا يمكن ان توافق روحها الا رجلا طيبا .

٦ ـ والذين يلفقون الاخبار الخليعة ويذيعونها او يحاولون ان تشيع الفاحشة فى مجتمع مسلم انهم لا يستحقون الحماية والتشجيع بل يستحقون العقاب .

٧ ـ وقرر ، كقاعدة عامة ، ان ظن المؤمنين بانفسهم حسنا هو الأساس للروابط الاجتماعية فى المجتمع ، فكل من أفراده برىء مادام لا يثبت ارتكابه لجريمة من الجرائم وليس أساس هذه الروابط سوء الظن حيث يكون كل فرد من افراد المجتمع مجرما مادام لا تثبت براءته .

---

(١) سورة النساء الآية ـ ١٥ .

٨ ــ أمر المؤمنين جميعا أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم بدون استئناس أى استعلام أهلها .

٩ ــ أمر الرجال بالغض من أبصارهم من غير المحرمات كما هو مبين فى السنة ، وأمر النساء بالغض من أبصارهن من غير المحارم من الرجال .

١٠ــ أمرت النساء بأن يضربن بخمرهن على نحورهن وصدورهن ورؤوسهن فى بيوتهن .

١١ــ أمرت النساء مع ذلك أن لا يواجهن أحدا من غير المحارم وخدام البيت بزينتهن .

١٢ــ أمرت النساء كذلك انهن إذا خرجن من بيوتهن لحاجة فليستترن زينتهن بل لا يلبسن ماله صوت من حليهن .

١٣ــ ندد أشد التنديد ببقاء الرجال والنساء بدون نكاح فى المجتمع ، وأمر من كان فيه من الرجال والنساء بل ومن العبيد والإماء أن ينكحوا وينكحوا لأن بقاء أحد بدون نكاح مولد للفحشاء متفاعل معها . وأقل ما يكون من مثل هؤلاء الأفراد الذين لا أزواج لهم أنهم لا يتمالكون أنفسهم من تجسس أخبار الفاحشة والتلذذ بنقلها فى المجتمع .

١٤ــ جعلت المكاتبة لتحرير العبيد والإماء وامر السادة بان يجيبوهم الى طلبهم إذا أرادوا منهم المكاتبة وأمر عامة المسلمين بأن يساعدوا المكاتبين مساعدة مالية .

١٥ــ نهى عن اكراه الفتيات وهن الإماء على البغاء . ولما كانت مهنة البغاء (Prostitution) فى العرب آنذاك قاصرة على الإماء فما كان هذا النهى عنها الا سدا قانونيا للبغاء وبيع الاعراض .

١٦ــ قررت قاعدة الاستئذان بالنسبة للخدم والذين لم يبلغوا الحلم من الاطفال أن لا يدخلوا على أهل بيتهم فى الأوقات الثلاثة الآتية : قبل صلاة الفجر ،

وحين يضع الناس ثيابهم من الظهيرة ، وبعد صلاة العشاء فيجب أن يعوّد الانسان أولاده حتى الصغار منهم هذه القاعدة ويربيهم عليها . وقررت ايضا عند بلوغ الأطفال الحلم ان يستأذنوا أى فى عموم الأوقات عند ارادتهم للدخول على اهل بيتهم .

١٧ـ سمح للقواعد من النساء أى العجائز اللاتى لا يجدن من انفسهن رغبة فى الرجال ان يخلعن الخمر من رؤوسهن ووجوههن ولكن امرن ان يتجنبن التبرج بل قيل انه خير لهن ان يبقين كاسيات بخمرهن .

١٨ـ أذن للعجزة من الناس ، الأعرج والأعمى والمريض ان ياكلوا من بيوت غيرهم بدون استئذانهم وقيل أنهم إذا أكلوا شيئا من بيت أحد بدون استئذانه فلا يعدون من السارقين ولا يقام عليهم حد السرقة .

١٩ـ جعل من حق الأقرباء الادنين والأصدقاء الذين لا كلفة بينهم أن ياكل بعضهم من بيت بعض دون اذنه ، وهو كانه ياكل من بيته نفسه ، فهكذا طوى ماكان بين افراد المجتمع من التباعد وأزيلت من بينهم حواجب الوحشة ... حتى يزدادوا تحابا وتسد روابط الأخلاص والمحبة تلك الخلال التى قد يثير بها المفسدون أنواعا من الفتن فى المجتمع.

ومع هذه الأحكام والتعليمات قد أميط اللثام فى هذه السورة عن علامات المنافقين والمؤمنين الواضحة التى يقدر بها كل مسلم ان يميز بها المؤمنين المخلصين من المنافقين فى المجتمع وأحكم ، مع ذلك ، نظام جماعة المسلمين احكاما شديدا أكثر من ذى قبل بقواعد جديدة ليزداد قوة إلى قوته ، فان الضعف فيه هو الذى كان يحمل الكفار والمنافقين على اثارة الفتن والمفاسد "(١) .

---

(١) تفهيم القرآن ، ج ٣ ص ٣١٤ـ٣١٧ .

يتبين مما ذكرنا آنفا أن الأستاذ المودودي في تقديمه للسور القرآنية يذكر موجز المباحث التي تتناولها السورة وذلك ليفهم القارئ محتويات السورة قبل أن يقرأها وهكذا يتمكن من فهم ما جاء في السورة فهما صحيحا وكاملا .

وخلال بيانه لموجز السورة نرى الأستاذ يشير إلى علاقة بعضها ببعض وذلك لحل المشكلة التي يواجهها القارئ خلال قراءته للسور القرآنية لعدم فهمه العلاقة الموجودة في مباحثها المختلفة ، ويتبين من علاقة الموضوعات ببعضها أنها ترتبط جميعا بموضوع رئيسي واحد وهو حماية المجتمع وصيانته من التبذل والانحدار الخلقي . وهذا يساعد على الفهم والوقوف على الهدف ويؤدي إلى الامتثال والطاعة ، وبذلك يقدم هذا الموجز فائدة كبرى للعقلية الإسلامية والحركة الإسلامية في كل العصور .

وهكذا نرى بان الأستاذ المودودي خلال حديثه في موجز محتويات السورة يبين التوجيهات والتعليمات والاحكام والقوانين التي تشملها السورة تجاه المجتمع الإسلامي في الماضي والحاضر، كما نرى بأنه يهتم ببيان خطط العمل التي تتضمنها السورة للحركة الإسلامية في كل زمان ومكان ، وإذا كانت السورة تشمل قصة من قصص الأنبياء السابقين أو قصص الأمم السابقة كان للأستاذ أن يذكر العلاقة بين هذه القصة وبين الظروف التي كانت الحركة الإسلامية فيها وقت نزول السورة كما يشير الأستاذ إلى خطط السير التي تشملها تلك القصة للحركة الإسلامية في كل زمان ومكان .

ونجد الأستاذ المودودي بأنه خلال حديثه في موجز السورة يهتم ببيان موقف الحركة الاسلامية عن الكفار والمشركين والمنافقين وقت نزول السورة أو فيما بعد .

كما لا يفوت الأستاذ المودودى أن يذكر الأدلة والبراهين التى تشملها السورة فى اثبات التوحيد والرسالة والآخرة ويرد على الشبهات التى يوردها الكفار والمشركون فى كل زمان وفى كل مكان .

وأخيرا نرى الأستاذ خلال بيانه لمباحث السورة يعتنى بصفة خاصة بالرد على الاتهامات التى يوجهها المستشرقون إلى القرآن الكريم أو إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وجدير بالذكر بأن الأستاذ المودودى قد تفرد بهذا الأسلوب القيم فى تقديمه للسور القرآنية وكان لأهميته البالغة أن الشهيد سيد قطب أيضا قرر أن يسير على هذا المنهج فى تفسيره القيم " فى ظلال القرآن " .

• • •

مبادئ سليمة لتفسير القرآن

من اللازم قبل كل شيء، أن تعرفوا الطريق السليم لتأويل القرآن وتفسير آياته، وهو أن تتفكروا في كلمات وصيغ الآية التي تريدون أن تعرفوا معناها من حيث اللغة أولاً، ثم تضعوها في سياقها (Context)، ثم تراجعوا ما ورد في مختلف مواضع القرآن من الآيات المتعلقة بنفس مضمونها، وتروا أي تفسير من تفاسيرها المتعددة المحتملة ينسجم مع هذه الآيات، وأيها مخالف لما ورد فيها من المضمون (وبديهي أن قولاً لأحد إذا كان يحتمل تفسيرين أو أكثر، فما العبرة إلا بتفسير هو على انسجام مع ماله من التصريحات الأخرى عن مضمون قوله) فإذا بذلتم مجهودكم لمعرفة معنى القرآن بالقرآن إلى هذا الحد فانظروا: أي معنى يتقرر للآية قيد الدراسة على ضوء أقوال وأفعال من جاء بالقرآن (أي محمد صلى الله عليه وسلم) وبأي وجه فسرها أولئك الذين كانوا من أتباعه في أقرب عصر لحياته؟"

—— الأستاذ المودودي – "الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة" صفحة ١٧٥)

المبحث الثانى :

اهتمام الأستاذ المودودى بالتفسير بالمأثور

ما هو التفسير بالمأثور :

والمراد بالتفسير بالمأثور هو تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة أو تفسير القرآن بأقوال الصحابة أو أقوال التابعين أو الأخذ بمقتضى اللغة ، فيرى الزركشى أن أمهات مآخذ التفسير أربعة :

أولا : النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : الأخذ بقول الصحابة .

ثالثا : الأخذ بمطلق اللغة .

رابعا : التفسير بالمقتضى (١) .

ويقول الدكتور الذهبى : " يشمل التفسير بالمأثور ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما نقل عن التابعين ، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله سبحانه من نصوص فى كتابه الكريم " (٢) .

واختلف العلماء فى مكانة التفسير عن التابعين . ونقل عن الإمام أحمد قولان : أحدهما بقبول والثانى بمنع (٣) . ونقل عن الإمام ابو حنيفة بأنه قال : ما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعلى الرأس والعين وما جاء عن الصحابة تخيرنا وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال " (٤) .

---

(١) انظر الزركشى : البرهان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ١٥٦ـ١٦٤ .

(٢) الدكتور الذهبى : التفسير والمفسرون جـ١ ص ١٥٢ .

(٣) انظر الزركشى : البرهان فى علوم القرآن جـ٢ ص ١٥٨ .

(٤) نقلا عن الدكتور محمد حسين الذهبى ــ التفسير والمفسرون جـ١ ص: ١٢٨ .

ويقول الإمام ابن تيمية : "قال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير .. يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح . أما إذا أجمعوا على شيء فلا يرتاب في كونه حجة . فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة "(١) .

اهتمام الأستاذ المودودي بالتفسير بالمأثور :

وكان الأستاذ المودودي يعتني بالتفسير بالمأثور كل العناية والاهتمام خلال تفسيره للقرآن الكريم كما يتبين من مراجعة تفسيره (تفهيم القرآن) وكما يتضح لنا مما كتبه الأستاذ المودودي ردا على أحد الأسئلة في هذا الصدد فيقول مبينا مبادئ سليمة لتفسير القرآن :

" من اللازم قبل كل شيء أن تعرفوا الطريق السليم لتأويل القرآن وتفسير آياته وهو أن تتفكروا في كلمات وصيغ الآية التي تريدون أن تعرفوا معناها من حيث اللغة أولا ثم تضعوها في سياقها (Context) ثم تراجعوا ما ورد في مختلف مواضع القرآن من الآيات المتعلقة بنفس مضمونها وتروا أي تفسير من تفاسيرها المتعددة المحتملة ينسجم مع هذه الآيات وأيها مخالف لما ورد فيها من المضمون (وبديهي أن قولا لأحد إذا كان يحتمل تفسيرين أو أكثر فما العبرة إلا بتفسير هو على انسجام مع ما له من التصريحات الاخرى عن مضمون قوله) فإذا بذلتم محاولتكم لمعرفة معنى القرآن بالقرآن إلى هذا الحد فانظروا اي معنى يتقرر للآية قيد الدراسة على ضوء أقوال وأفعال من جاء بالقرآن (أي محمد صلى الله عليه وسلم) وبأي وجه فسرها اولئك الذين كانوا من اتباعه في أقرب عصر لحياته "(٢) .

---

(١) الإمام ابن تيمية : مقدمة التفسير ص ٣٧ .
(٢) الأستاذ المودودي : الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ص ٧٥ .

والآن نأتي هنا ببعض النماذج لاهتمام الأستاذ المودودي بالتفسير بالمأثور خلال تفسيره للقرآن الكريم :

الاهتمام بتفسير القرآن الكريم بالقرآن :

كما أسلفنا كان الأستاذ يرى أن أول مصادر التفسير واهمها هو القرآن الكريم نفسه وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضا . فما أوجز في مكان قد يبسط في مكان آخر وماكان مطلقا في موضع قد يقيد في موضع آخر ، وكما يتبين من مراجعة تفسيره (تفهيم القرآن) كان الأستاذ يهتم في أول أمره بتفسير القرآن بالقرآن . فلذلك نراه بأنه خلال تفسيره للآية أو الآيات الواردة في موضوع خاص كان دائما يراجع الآيات الأخرى الواردة في ذلك الموضوع وكان يضعها أمام عينيه . ثم كان يفسر هذه الآية او الآيات رعاية مناسبتها مع الآيات الأخرى الواردة في هذا الموضوع والنماذج الآتية خير شاهد على اهتمام الأستاذ المودودي بتفسير القرآن بالقرآن :

أولا : يقول الاستاذ في تفسيره لقوله تعالى : "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة "(١) أن الزنا وإن كان قد قرر جريمة مستلزمة للعقوبة في سنة ثالثة من الهجرة ولكنه ماكان إذ ذاك جريمة قانونية حيث يكون لشرطة الدولة ومحكمتها ان تؤاخذ عليها الناس وإنما كان بمثابة جريمة اجتماعية أو عائلية حيث كان لأهل الأسرة أن يعاقبوا من يأتيها منهم بانفسهم وهذا الحكم قد جاء بيانه في آياتين من سورة النساء وهما قوله سبحانه (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ،فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) (٢) . ففي الآية الأولى إشارة واضحة إلى أن هذا الحكم

---

(١) سورة النور الآية ٢ .

(٢) سورة النساء الآية ١٥-١٦ .

مؤقت وسيأتى الحكم النهائى لحد الزنا فى المستقبل . وهذا الحكم هو الذى نزل بعد سنتين ونصف فى سورة النور. وهو قد نسخ الحكم السابق وجعل حد الزنا جريمة قانونية مستلزمة لمؤاخذة الشرطة والمحكمة(١) .

ثم يضيف الاستاذ فيقول : "وان الحد الذى قرر فى هذه الآية لجريمة الزنا إنما هو حد للزنا المطلق وليس للزنا بعد الاحصان أى ارتكاب الزنا بعد الزواج الذى هو أشد وأغلظ من الزنا المحض فى نظر الشريعة الاسلامية وهذا ما يتبين من القرآن الكريم نفسه إذا رجعنا إلى الآيات الكريمة فى هذا الموضوع . فمثلا يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء :

(واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا)(٢) . ثم يقول بعده بيسير (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ، والله أعلم بأيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن واتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان ، فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب)(٣) . فالاية الأولى تتضمن التوقع لحكم من الله سينزله فى المستقبل لعقوبة الزانيات اللاتى يأمر الآن بامساكهن فى البيوت . ونعلم بذلك أن هذا الحكم الأخير الذى جاء فى سورة النور هو الحكم ، أو السبيل الذى كان وعد الله سبحانه تعالى فى سورة النساء وفى الآية الثانية جاء ببيان حد الزانية من الاماء المتزوجات ولما جاءت كلمة "المحصنات" فى آية واحدة وسياق للكلام بعينه مرتين فلابد أن يكون معنى "المحصنات" واحدا فى الموضعين ، فإذا نظرت

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٣ ص ٣٢٥ .
(٢) سورة النساء الآية ١٥ .
(٣) سورة النساء الآية ٢٥ .

الآن فى بدء الجملة حيث قيل (ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات) علمت أن ليس المراد من المحصنة فى هذه الآية امـــرأة متزوجة ، بل امرأة حرة غير متزوجة ، وقيل فى ختام الآية ان الأمة إذا أتــت بفاحشة ، أى زنت فعقوبتها نصف عقوبة المحصنة والذى يدل عليه سيـــاق الكلام أن المراد بالمحصنة فى ختام الآية هو نفس المراد فى أولها ، أى امـــرأة حرة غير متزوجة ولكن محصنة بحفاظها وحفظ أسرتها ، فهاتان الآيتـــان معا تشيران إلى حكم حد الزنا فى سورة النور ، هو الذى كان الوعد جاء بـــه فى سورة النساء إنما يتبين حد الزانى والزانية غير المتزوجين "(١) .

فنرى هنا بأن الأستاذ المودودى خلال تفسيره للآية يهتم بتفسيـــر القرآن بالقرآن ولذلك يستدل من الآيتين الواردتين فى هذا الموضـــوع فى سورة النساء وهما قوله تعالى (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) (٢) وقوله تعالى (ومن لم يستطع منكم طولا ... الآية) (٣) . فيبين بأن العقوبة التى قد قررها القرآن فى الآية الأولى هى ليست العقوبـــة النهائية بل العقوبة النهائية سيأتى بها الله فيما بعد ، والعقوبة التى قـــد ذكرها الله فى هذه الآية فى سورة النور هى نفس العقوبة التى قد وعد بهـــا الله فى الآية رقم (١٥) من سورة النساء لأن سورة النساء قد أنزلها اللـــه فيما بين عام ٣ من الهجرة وعام ٥ من الهجرة (٤) بينما سورة النور كان نزولهـــا فى شعبان عام ٦ من الهجرة (٥) . وأما الآية رقم (٢٥) من سورة النســـاء فالمراد من المحصنة فى أول الآية هو المرأة الحرة غير المتزوجة وهى قد أطلـــق

---

(١) تفهيم القرآن جـ٣ ص٣٢٢ .
(٢) سورة النساء الآية رقم ١٥ .
(٣) سورة النساء الآية رقم (٢٥) .
(٤) انظر للتفصيل تفهيم القرآن جـ١ تقديم الأستاذ المودودى لتفسير سورة النساء ص٣١٦ .
(٥) ابن هشام جـ٢ ص٢٩٧ .

عليها اسم المحصنة لكونها في احصان أسرتها فيرى الأستاذ بأن كلمة المحصنة في آخر الآية أيضا قد وردت في نفس المعنى الذى قد وردت في أول الآية أى السيدة الحرة غير المتزوجة والعقوبة للأمة الزانية المتزوجة هى تكون نصف العقوبة التى فرضها الله للمرأة الحرة غير المتزوجة وهذه العقوبة كما فرضها الله في هذه الآية هى مائة جلدة فلذا عقوبة الأمة الزانية المتزوجة تكون خمسين جلدة .

وهكذا يرد الأستاذ المودودى على من ظن أن كلمة الزانية والزانى في هذه الآية وردتا للزنا المطلق وحد الزنا سواء كان قبل الاحصان او بعده هو مائة جلدة ، فكون الرجم حدا للزنا بعد الاحصان مخالفا للقران وقال مستشهدا من قوله تعالى (فإذا أحصن فان آتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) ان إذا كان الرجم هو حد الزنا بعد الاحصان فما هو يكون الحد للأمة المحصنة ؟ فيتمكن الأستاذ من الرد على هذا الاعتراض وذلك من القرآن نفسه . وأما كون الرجم حدا للزنا بعد الاحصان فهناك كثير من الأدلة أوردها الأستاذ المودودى في تاييده . فجدير بالذكر ان الأستاذ المودودى لا ينفرد في رأيه بل هذا ما ذهب اليه الجمهور إلا أنه يمتاز لاهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن خلال تفسيره للآية (١) .

ثانيا : ويقول في تفسير الآية الكريمة (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) (٢) . والمراد من قوله سبحانه (قولوا أسلمنا) هنا هو " قولوا استسلمنا " وقوله سبحانه هذا يتحمل مفهوم آخر أيضا وهو " قولوا قبلنا الدين الإسلامى " ومن هذا استنتج المعنى بأن كلمة " المؤمن " في لغة القرآن تختلف في مفهومها من كلمة

---

(١) انظر للمقارنة الطبرى جـ١٨ ص٥٢ ، الرازى جـ٢٣ ص١٣٥ ، ابن كثير ، جـ٣ ص ٢٦٠ . الألوسى جـ١٨ ص٧٦ ، فى ظلال القرآن جـ٤ ص٢٤٨٧
(٢) سورة الحجرات الآية ١٤ .

"المسلم" فالمؤمن الذى آمن بقلبه والمسلم الذى لم يؤمن بقلبه بل أسلم ظاهرا فحسب . ولكن هذه الفكرة ليست بصحيحة ولا شك بأن كلمة "الإيمان" فى هذا المقام قد استعملت للتصديق بالقلب وهكذا من الحق أن كلمة "الإسلام" قد استعملت هنا للاستسلام ولكن هذا الخلاف فى المفهوم ليست بمستقل فيتضح من تتبع الآيات التى وردت فيها هاتين الكلمتين أن الإسلام هو الدين الذى قد جاء به الرسل من الله سبحانه وتعالى للبشرية ويشمل مفهومه الإيمان والطاعة والمسلم الذى يؤمن به بقلبه ويعمل فى حياته به . وإليك بعض من الآيات تدل على ما قلنا :

١ ـ إن الدين عند الله الإسلام (١) .

٢ ـ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه (٢) .

٣ ـ ورضيت لكم الإسلام دينا (٣) .

٤ ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام (٤) .

ومن الظاهر المبين بان المراد من كلمة "الإسلام" فى هذه الآيات لا يمكن أن يكون الطاعة بدون "الإيمان" بل المراد الحقيقى هو الطاعة مع الإيمان وكثير من الآيات الأخرى أيضا تؤيد هذا المفهوم ومنها :

١ ـ قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم (٥) .

٢ ـ فان أسلموا فقد اهتدوا (٦) .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٣) سورة المائدة الآية ٣ .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٤ .

(٦) آل عمران الآية ٢٠ .

٣ ــ يحكم بها النبيون الذين أسلموا (١) .

فهل لا يجد أن يقول بان المراد من الإسلام في هذه الآيات وفي كثير من الآيات الواردة في المواضع الأخرى هو الاسلام الظاهري بدون الايمان فحسب . والآن نرى ما هو المفهوم الذي وردت فيها كلمة المسلم في القرآن الكريم . وإليك بعض النماذج لذلك :

١ ــ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون (٢) .

٢ ــ هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس (٣) .

٣ ــ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (٤) .

٤ ــ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك (٥) .

٥ ــ يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وانتم مسلمون (٦) .

وهل يمكننا أن نقول بعد الاطلاع على هذه الآيات الكريمة ان المراد من المسلم هو من لا يؤمن بالقلب بل يسلم ظاهرا فحسب ، ومن هذا يتبين خطأ من يقول بأن مراد القرآن من الإسلام هو الطاعة بدون الإيمان ، والمسلم الذي يظاهر بالإسلام فحسب وهكذا لا يصح قول من قال بان كلمة " الإيمان " لا تستعمل في القرآن الا للتصديق بالقلب ولا شك أن تكون هذه الكلمة اكثر استعمالا في هذا المعنى ولكن مع ذلك نرى أن هناك كثير من المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة في المعنى الآخر وهو الإقرار باللسان فقط ونرى القرآن أحيانا يخاطب بخطاب (يا أيها الذين آمنوا) كل من يشمل جماعة المسلمين وكان كان مسلما صادقا او منافقا قوي الإيمان أو ضعيف الإيمان وهذا يتضح من

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الحج الآية ٧٨ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٦٧ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٢٨ .

(٦) سورة البقرة الآية ١٣٢ .

الآيات التالية :

- يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت، والله بما تعملون بصير * [1] .

- يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً * [2] .

- يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * [3] .

- يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون * [4] .

- يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون [5] *

- يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض، أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل * [6] .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٦ .
(٢) سورة النساء الآية ١٣٦ .
(٣) سورة المائدة الآية ٥٤ .
(٤) سورة الأنفال الآية ٢٠ .
(٥) سورة الأنفال الآية ٢٧ .
(٦) سورة التوبة الآية ٣٨ .

ويستدل الأستاذ على هذا التفسير من قوله سبحانه (فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) (١) . فيقول ويثبت من هاتين الآيتين بأن كلمة " المسلم " وكلمة " المؤمن " قد وردتا هنا في نفس المعنى وإذا قرأنا هاتين الآيتين مع الآية (قالت الإعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم) (٢) . سيتضح لنا خطأ من قال بأن المراد من كلمة " الإيمان " هو الإيمان بالقلب والمراد من كلمة الإسلام هو الإيمان الظاهري فحسب واعتقد بأن هذين هما المفهومان المستقلان لهاتين الكلمتين (٣) .

فيتبين مما سبق بأن الآيات القرآنية التي جاء بها الأستاذ المودودي في تأييد تفسيره هذا عددها غير قليل فنرى بأن هذه الآيات كلها تدل بصراحة أن كلمة الإسلام لا يقتصر استعمالها في القرآن على الإيمان الظاهري فقط بل تشمل الإيمان بالقلب والطاعة معا وهكذا كلمة الإيمان مع كثرة استعمالها للتصديق القلبي لا يقتصر استعمالها على هذا المعنى بل هناك كثيرا من الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة للإيمان الظاهري أيضا . ومن هذا يتضح لنا بأن الرأي بكون هذان الاصطلاحان مستقلين ليس بصحيح وإننا لو قبلنا هذا الرأي فلا يمكننا أن نتمكن من تفسير هذه الآيات أو كثير من الآيات الأخرى الواردة في القرآن .

---

(١) سورة الذاريات الآية ٣٥ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤ .

(٣) تفهيم القرآن جـ ٥ ص ١٤٧ .

وهكذا يتبين مما أسلفنا أن الأدلة التي جاء بها الأستاذ المودودي من القرآن الكريم في تأييد تفسيره أدلة قوية جدا لا مجال للانكار بها كما يدل هذا على اهتمامه البالغ بتفسير القرآن بالقرآن الكريم [1].

ثالثا : ويقول في تفسير قوله تعالى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) [2] يرى البعض أن المراد من الشهادة في هذه الآية هو أن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون شاهدا على أعمال امته في يوم القيامة ومن هذا يستدلون بان النبي صلى الله عليه وسلم يشاهد أعمال أمته في الدنيا وإلا كيف يمكن أن يقوم بالشهادة دون المشاهدة . ولكن هذا التاويل لا يؤيده القرآن الكريم لأنه يقول بأن الله قد جعل نظاما آخر للشهادة على أعمال الناس، فجعل الملائكة مسئولين عن تسجيل اعمالهم لقوله سبحانه (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) [3] كما يأتي بالشهادة من اعضاء جسمه أيضا لقوله سبحانه (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) [4] . وأما الأنبياء عليهم السلام فكما يتبين من القرآن ليس بواجبهم أن يشهدوا على أعمال الناس بل أن يؤدوا الشهادة بأنهم قد بلغوا رسالتهم فيقول القرآن بكل الصراحة :

(يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) [5] كما يقول خلال حديثه عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه حينما يسأله الله يوم القيامة عن وقوع أمته عليه السلام في الضلال سيكون رد عيسى عليه السلام على ذلك كالآتي :

(وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) [6] .

---

(١) انظر للمقارنة : الطبري ٢٦ / ٩٠ ، الرازي : ٢٨ / ١٤١–١٤٢ ، ابن كثير: ٤ / ٢١٩ ، الألوسي ٢٦ / ١٦٧–١٦[illegible] ، في ظلال القران ٦ / ٣٣٤٩ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٥ .

(٣) سورة ق ١٧–١٨ .

(٤) سورة يس ٦٥ .

(٥) سورة المائدة الآية ١٠٩ .

(٦) سورة المائدة الآية : ١١٧ .

فيتضح من هذه الآيات بان الأنبياء عليهم السلام لا يكونون شهداء على أعمال الناس بل تكون مهمتهم أداء شهادة الحق وهذا ما يتبين من قوله سبحانه : (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) . ومن قوله تعالى (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) (٢) . فيتبين من هذا أن كون النبى صلى الله عليه وسلم شهيدا فى يوم القيامة لا يختلف من كون أمته شهيدة على الأمم الأخرى ، فإذا قلنا أن شهادة النبى صلى الله عليه وسلم تكون على أعمال الناس لابد أن نقول أن شهادة امته أيضا تكون على أعمال الناس وهذا ما يجعلنا نعتقد أن كل فرد من أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) يشاهد أعمال الناس ، ومن البين الواضح أن هذا ليس صحيحا وإذا قلنا ان المراد من كون أمة النبى صلى الله عليه وسلم (شهداء على الناس) هو كونهم مسئولين لأداء شهادة الحق فلابد أن نقول بأن شهادة النبى صلى الله عليه وسلم أيضا تكون من هذا النوع .

فيرى الأستاذ المودودى فى ضوء هذه الآيات الكريمة والآيات الأخرى الواردة فى هذا الموضوع أنه مفهوم كون النبى صلى الله عليه وسلم شهيدا يضم فيه ثلاثة انواع من الشهادة :

الأولى : الشهادة القولية يعنى أن النبى يشهد بقوله على صدق الحقائق والأصول التى يقوم عليها دين الله . فيقول بكل صراحة انها الحق وان ما يخالفها هو الباطل ، فوجود الله ووحدانيته ووجود الملائكة ونزول الوحى والحياة بعد الموت والجنة والنار وما اليها مهما بدأ كل ذلك للعالم

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٢) سورة النحل الآية ٨٩ .

أمر عجيب ومهما سخر الناس ممن يقول به ومهما رموه بالجنون ، فان النبي يقوم دون مبالاة من أحد ويعلن للناس جميعا أن هذا كله حق وان الذين لا يؤمنون به ضالون زائغون ، وكذلك التصورات الأخلاقية والحضارية والاجتماعية والقيم والمبادئ والقواعد والأسس التي اطلعه الله عليها وكشفها له إذا قال العالم كله أنها غلط وسار خلافها قدمها النبي علانية وجهر بها وأقر ببطلان التصورات والأفكار والمناهج السائدة التي تعارضها . كذلك ما تحله شريعة الله يشهد النبي على كونه حلالا ولو اعتبرته الدنيا بأسرها حراما وما يحرم الله يقرره النبي حراما ولو اتفق الخلق على كونه حلالا طيبا .

والثانية : الشهادة العملية يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم يترجم ترجمة عملية للمنهج الذى يقدمه للعالم . فالشئ الذى يقول عنه انه منكر لا بد أن يخلو سلوكه من كل ذرة منه . والشئ الذى يقول عنه أنه خير لا بد أن يظهره في سيرته واخلاقه اظهارا تاما ، وما يقول عنه أنه فرض يكون هو أكثر الناس أداء له والتزاما به وما يقول انه ذنب واثم لا بد أن يكون أكثر اجتنابا من الآخرين . وهكذا عليه أن لا يدخر وسع في تنفيذ واجراء قانون الحياة الذى يقول عنه انه قانون الله وشريعته ، ،،،وتكون أخلاقه وسلوكه شاهدا على مدى صدقه وأخلاصه في دعوته ، وتكون ذاته نموذجا حيا مجسدا لتعاليمه وأقواله بحيث إذا رآها انسان أدرك من فوره أى نمط من البشرية يريد هذا الدين الذى يدعو النبي اليه وأى سلوك يريد أن يخلقه فيه وأى نظام للحياة يريد ان يبينه به ويشيده عن طريقه .

والثالثة : الشهادة الأخروية يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم سيشهد في الآخرة حين تنصب المحكمة الالهية انه بلغ الناس الرسالة التي أسندت إليه تامة كاملة وأنه لم يقصر أدنى تقصير في توضيح الحق أمامهم

بقوله وفعله ، بلسانه ويده ، وعلى أساس هذه الشهادة يتقرر الأجر لمن آمنوا وصدقوا والعقاب لمن رفضوا وكذبوا .

ومن هذا يتبين لنا عظامة المسئولية التى ألقاها الله سبحانه على كاهل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن جعله شهيدا على الناس وجلال هذا المنصب العظيم السامى الرفيع . والحقيقة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقصر ولو مثقال ذرة فى بيان وتقديم شهادة الحق القولية والعملية ومن ثم فهو سيشهد فى الآخرة أنه وضح الحق للناس تمام التوضيح ومن ثم أيضا تتم عليهم حجة الله ، ولو قصر — معاذ الله — فى أداء هذه الرسالة القولية والعملية فى الدنيا فلن يستطيع أن يشهد على الناس يوم الدين ولن تثبت القضية ضد منكرى الحق (١) .

فنرى هنا أن الأستاذ المودودى يفسر هذه الآية الكريمة بالآيات الواردة فى هذا الموضوع فى المواضع الأخرى من القرآن الكريم ويثبت أن المراد من كون النبى صلى الله عليه وسلم (شاهدا) هو كون مهمته الأساسية أداء شهادة الحق بقوله وفعله .

أما استدلال البعض من هذه الآية على كونه صلى الله عليه وسلم شاهدا على أعمال أمته صلى الله عليه وسلم فهذا ليس بصحيح ، بل هذا يتعارض مع كثير من الآيات الكريمة الواردة فى المواقع الأخرى ، ومنها قوله سبحانه (وكذلك جعلنكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (٢) . لأن فى هذه الآية الكريمة نفس المهمة تنتقل إلى أمته صلى الله عليه وسلم ، فمن البين الواضح أن هذه المهمة لا يمكن أن تكون مهمة مشاهدة أعمال الناس كما يظن البعض بل مهمة أداء شهادة

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٤ ص ١٠٥ — ١٠٦ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٤٢ .

الحق كما يرى الأستاذ المودودى ، و هذا ما يتعارض مع كثير من الأحاديث النبوية ومنها ما رواه ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (وانه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يارب أصحابى . فيقول : انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح : وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد)[1] . ولو كان النبى صلى الله عليه وسلم شهيدا على أعمال أمته لما قال هذا ، وفضلا عن ذلك ، هذا التفسير يتعارض مع لعقيدة أن العلم بالغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

وجدير بالذكر ان الأستاذ المودودى لا ينفرد فى تفسيره هذا بل سبقه المفسرون الآخرون فى ترجيح هذا التفسير للآية الكريمة[2] ، إلا أن الأستاذ يتميز بتركيزه على هذه الناحية .

ويتبين من هذه النماذج أن الأستاذ المودودى خلال تفسيره للقرآن الكريم كان يهتم بصفة خاصة بتفسير القرآن بالقرآن واذا كان يفسر آية من الآيات كان يضع أمام عينيه الآيات الأخرى الواردة فى الموضوع ، ثم كان يفسر الآية فى ضوء السياق الذى هى وردت فيه .

...

---

(١) مسند الإمام أحمد ـ مرويات ابن عباس .
(٢) انظر الطبرى جـ٢٢ ص١٤ ، الرازى جـ ٢٥ ص٢١٧ ، ابن كثير جـ٣ ص٤٩٦ ، الألوسى جـ٢٢ ص٤٥ ، فى ظلال القرآن جـ ٥ ، ص٢٨٧٢ .

ب ـ تفسير القرآن بالاحاديث النبوية :

وأما المرجع الثاني الذي كان يرجع الاستاذ المودودي اليه بعد القرآن الكريم هي السنة النبوية وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله لتعليم القرآن وتفهيمه بقوله وفعله كما يتبين من قوله تعالى { وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون } (١) . وكما يتضح من قوله صلى الله عليه وسلم (الا واني أوتيت الكتاب ومثله معه) (٢) فكان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بمراد ما انزل الله عليه . فلهذا تفسير القرآن بما يثبت عنه صلى الله عليه وسلم يلي تفسير القرآن بالقرآن فكان الاستاذ المودودي يهتم به كاهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن . فيقول عن اهتمامه هذا : " فانني حاولت خلال تفسيري للقرآن الكريم ان افسر القرآن بالاحاديث النبوية الصحيحة وهذا ما يتبين منه العلاقة بين القرآن والحديث ولا يبقى هناك مجالا للفكرة الخاطئة أن القرآن يمكن لنا ان نفهمه بدون الرجوع الى الحديث بل هذا ما يتضح به للقارئ أن القرآن لا يمكن فهمه او تفهيمه الا بالسنة النبوية الشريفة " (٣) . وهكذا يقول الاستاذ في كتابه " مكانة السنة في التشريع " أن القرآن لا يمكن فهمه فهما صحيحا الا بالرجوع الى ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لتبيين مفهومه بقوله وفعله والانكار لما قال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن بقوله وفعله هو انكار القرآن نفسه (٤)

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٢) سنن ابي داود ـ كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة .

(٣) انظر مجلة " آئين " الشهرية عدد خاص عن اكمال (تفهيم القرآن) لشهر ديسمبر ٧٢ ص ١١٤ . (كلمة الاستاذ المودودي التي القاها في ١٥ يوليو ١٩٧٢م في احتفال خاص في مناسبة اكمال "تفهيم القرآن") .

(٤) الاستاذ المودودي ـ سنت كي آئيني حيثيت ص ٧٧ .

والان اليك بعض النماذج لاهتمام الاستاذ المودودى بتفسير القرآن بالاحاديث النبوية الشريفة :

اولا : يقول الاستاذ المودودى فى تفسيره للآية الكريمة (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) (١) ، والحقائق التى تتضمنها هذه الاية الكريمة بينها النبى صلى الله عليه وسلم باقواله المختلفة نذكر بعضها هنا :

١ ـ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة فقال : يا أيها الناس ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها . يا أيها الناس ، الناس رجلان ، بر تقى كريم على الله عز وجل ، وفاجر شقى هين على الله عز وجل . الناس كلهم بنو آدم وخلق الله آدم من تراب . قال الله تعالى : يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى .. ان الله عليم خبير " (٢) .

٢ ـ عن جابر بن عبد الله قال : خطبنا رسول الله فى حجة الوداع فقال : يا أيها الناس الا أن ربكم واحد لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لاسود على احمر ولا لاحمر على اسود الا بالتقوى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) ألا هل بلغت ؟ قالوا بلى . قال فليبلغ الشاهد الغائب . (٣)

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) سنن الترمذى ـ كتاب التفسير ـ باب ومن سورة الحجرات .

(٣) البيهقى نقلا عن المنذرى ـ الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٦١٣ .

٣ ـ عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان (١).

٤ ـ عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الناس لآدم وحواء كطف الصاع لم يملؤه ان الله لا يسئلكم عن أحسابكم ولا عن انسابكم يوم القيامة ان اكرمكم عند الله أتقاكم (٢).

٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم (٣).

وبعد ما يذكر الاستاذ المودودي هذه الأحاديث الشريفة للآية الكريمة يقول: لم تعد هذه التوجيهات حبرا على ورق بل تمثلت فعلا في المجتمع العالمي الذي أقامه الاسلام بموجبها ولم يميز هذا المجتمع العالمي بين هذا وذاك على أساس اللون أو السلالة أو اللغة او الوطن أو القومية وكل واحد منهم كان بالعمل يتمتع بنفس الحقوق وهذا الفضل للمجتمع الاسلامي قد اعترف به حتى أعدائنا وهذا مالا يوجد له أي مثيل في الماضي أو الحاضر في ديانة من الديانات ولا في نظام من النظم الاجتماعية وهذا ما جعل هذه الأمة أمة واحدة (٤).

وجدير بالذكر ان الأستاذ المودودي بعد أن يورد الاحاديث الشريفة في تفسيره للآية الكريمة يبين بالبراهين والأدلة القوية ان الاسلام لا يسمح

---

(١) نقلا عن الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي، كشف الاستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ـ باب التفاخر.
(٢) ابن جرير الطبري ـ جامع البيان في تفسير القرآن جـ٢٦ ص: ٨٩.
(٣) صحيح مسلم ـ كتاب البر، باب تحريم ظلم المسلم.
(٤) تفهيم القرآن جـ ٥ ص ٩٧ ـ ٩٨.

لوجود أية قومية على أساس الوطن واللغة والسلالة واللون ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لا يفوته أن يرد على الشبهات الواردة في هذا الصدد بناء على ما ورد في الكتب الفقهية للعناية بالكفوء في الزواج ولو اتسع لنا المجال لذكرنا هنا بعض من هذه النواحي (١) .

فنرى هنا أن الأستاذ المودودي يهتم بتفسير الآية الكريمة بالاحاديث النبوية الشريفة ، وفي هذا الصدد يورد عدد من الأحاديث الشريفة ويبين لنا المراد الصحيح للآية الكريمة في ضوء ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع ثم يستنبط منها بعض المبادئ الاساسية للمجتمع الاسلامي ويقارن بينه وبين الديانات والنظم الاجتماعية الاخرى ويرد على الشبهات الواردة في هذا الصدد .

فيتبين من هذا أن أسلوب الأستاذ المودودي في تفسير القرآن بالحديث لا يختلف عن المفسرين الآخرين الا أنه يكون أكثر اهتماما بابراز الجوانب الاجتماعية فيه (٢) .

ويقول في تفسير الآية الكريمة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) (٣) :

" يتبين من تتابع الاحاديث الواردة في هذا الموضوع ان الرجل لا يحل له ان ينظر الى امرأة غير زوجته او محارمه من النساء ، أما النظرة المفاجئة لمرة واحدة فلا مؤاخذة عليها ولكن لا يحل لأحد اذا نظر الى امرأة

---

(١) انظر تفهيم القرآن جـ٥ ص ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ .

(٢) انظر للمقارنة الطبرى جـ٢٦ ص ٨٨ـ٨٩ ، الرازى جـ٢٨ ص ١٣٦ـ١٤٠ الآلوسى جـ٢٦ ص ١٦١ـ١٦٦ ، ابن كثير جـ٤ ص ٢١٧ ، في ظلال القرآن جـ٦ ص ٣٣٤٨ .

(٣) سورة النور الآية ٣٠ .

نظرة مفاجئة وأحس اللذة والاجتلاب أن يعود النظرة اليها بعد نظرة مفاجئة هذه وهذا زنا العين . ومن الاحاديث الواردة في هذا الموضوع :

١ ـ ما روى عن ابي هريرة عن النبي : ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه . رواه البخاري ومسلم وابوداود واللفظ لابي داود (١) .

٢ ـ وما روى عن بريدة رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه : يا علي : لا تتبع النظرة النظرة فان لك الأولى وليس لك الاخرة " رواه الترمذي واحمد وابوداود واللفظ لأبي داود (٢) . وما روى عن جرير بن عبدالله قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة فقال : أصرف بصرك رواه مسلم واحمد وابوداود والنسائي واللفظ لابي داود (٣) .

وما روى عن عبدالله بن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان النظر سهم من سهام ابليس مسموم من تركها مخافتي ابدلته ايمانا يجد حلاوته في قلبه (٤) .

وما روى عن ابي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم ينظر الى محاسن امرأة اول مرة ثم يغض بصره الا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها (٥) ـ وما روى عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال وهو

---

(١) سنن ابي داود ـ كتاب النكاح / باب ما يؤمر به من غض البصر .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الطبراني ـ نقلا عن الهيثمي ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٨ ص: ٦٣ وذكره الإمام الذهبي في كتاب الكبائر ص : ٦١ .

(٥) مسند الامام أحمد ـ مرويات أبي امامة الباهلي .

يصف حجة النبى صلى الله عليه وسلم " فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه عن الشق الآخر ينظر " رواه مسلم وابوداود والترمذى واللفظ لمسلم (١) . وفى رواية الترمذى : واستفتته جارية شابة من خثعم قالت : أن أبى شيخ كبير قد أدركته فريضة الله فى الحج أفيجزىء أن أحج عنه قال : حجى عن أبيك ، ولوى عنق الفضل فقال العباس: يارسول الله لم لويت عنق ابن عمك ؟ قال : رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما (٢) . ولا يصح الاستدلال بهذه الآية على أن النساء كان لهن الاذن فى المشى فى الطريق سافرات الوجوه وانه لذلك أمر الرجال بالغض من أبصارهم فانه لو كان حجاب الوجه مأمورا به وجاريا معروفا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما المراد من هذا الأمر بالغض من الأبصار ؟ ان هذا الاستدلال خاطىء من حيث العقل ومن حيث الواقع .

فهو خاطىء من حيث العقل لأنه من الممكن على الرغم من رواج حجاب الوجه فى المجتمع ان تعرض مواقع يتواجه فيها رجل وامرأة فجاءة بدون قصد منهما كما قد تعرض لامرأة متحجبة من الضرورات ما يدعوها الى الكشف عن وجهها ، وبعد فإنه لابد أن تبقى النساء غير المسلمات فى المجتمع

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب الحج ـ باب حجة النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) سنن الترمذى ـ كتاب الحج ـ باب ماجاء ان عرفة كلها موقف .
وسنن أبى داود ـ كتاب المناسك ـ باب الرجل يحج عن غيره ـ رواية عبدالله بن عباس .

متحجبات على رواج الحجاب بين النساء المسلمات ، فليس مجرد الأمر بغض البصر دليلا على أنه يستلزم عدم حجاب النساء .

وأما من حيث الواقع فهذا الاستدلال خاطئ لأن الحجاب الذى كان رائجا معروفا فى المجتمع الاسلامى بعد نزول أحكام الحجاب فى سورة الاحزاب كان شاملا للوجه وان رواجه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثابت بروايات متعددة ، ومنها ماروى عن عائشة رضى الله عنها خلال روايتها من قصة افك فتقول : فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى " رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد وابن جرير الطبرى وابن الهشام واللفظ للبخارى (١) .

وما روى عن ثابت بن قيس بن شماس عن ابيه عن جده قال : جاءت امرأة إلى النبى صلى الله عليه وسلم يقال لهاأم خلاد وهى متنقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول فقال لها بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة ، فقالت: ان أرزأ ابنى فلن أرزأ حيائى " رواه أبوداؤد (٢) .

وما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : " أومأت امرأة من وراء ستر بيدها كتاب ،إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبض النبى صلى الله عليه وسلم يده فقال : ما أدرى أيد رجل أم يد امرأة ؟ قالت : بل امرأة ، قال : لو كنت امرأة لغيرت أظفارك يعنى بالحناء " رواه ابوداؤد (٣) .

---

(١) صحيح البخارى ــ كتاب المغازى ــ باب حديث الافك .

(٢) سنن أبى داود ــ كتاب الجهاد ــ باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم .

(٣) سنن أبى داؤد ــ كتاب الترجل ــ باب فى الخضاب للنساء .

أما القصتان اللتان حصلتا في الحج وذكرناهما آنفا فلا يصح الاستدلال بهما على عدم رواج الحجاب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، لان تغطية الوجه في الاحرام منهي عنها (١) .

فنرى هنا أن الأستاذ المودودي يفسر الآية الكريمة بالأحاديث النبوية الشريفة وفي هذا الصدد يورد عدة من الأحاديث الصحيحة يتبين منها أن حكم غض البصر من مقتضياته أن يجتنب الإنسان من النظر الى الأجنبية وإذا وقعت نظرته على الأجنبية لا يتبع النظرة النظرة بل لا بد له أن يصرف النظرة عنها .

ثم يرى الأستاذ ضروريا أن يرد على من قال أن حكم غض البصر يتبين منه أن النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان لهن أن يخرجن من البيت سافرات الوجوه ، وذلك لانه لو كانت النساء متحجبات لم تكن هناك أية حاجة لحكم غض البصر فهذه الشبه يرد عليها الأستاذ بالبراهين العقلية القوية ويثبت أن حكم غض البصر لا يستلزم كون النساء سافرات الوجوه قط هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يورد الأستاذ المودودي عدد من الأحاديث يثبت منها أن النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يخرجن من البيت وهن متحجبات يلبسن الجلابيب على وجوههن ، وهكذا يتمكن الأستاذ من الرد على هذا **الإعتراض بالبراهين العقلية والأدلة** من السنة النبوية معا .

ويقول في تفسير قوله تعالى : (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) (٢) فهم بعض المسلمين من هذه الآية معنى مقلوبا عكس معناها الأصلي تماما ، إذ استدلوا بها على جواز اتخاذ الأبنية والمساجد

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٣ ص ٣٨٠–٣٨٢ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢١ .

على مقابر الصلحاء والأولياء مع أن القرآن هنا يشير إلى ضلال أولئك القوم فيقول أن الآية التى أريناها هؤلاء الظالمين لتؤكد لهم امكان الآخرة والبعث بعد الموت ، فهموا انها فرصة مواتية لارتكاب الشرك وقالوا هيا نعبد الاولياء ونتخذ عليهم مسجدا ، فكيف يستدل بهذه الآية على بناء المساجد على قبور الصالحين والرسول صلى الله عليه وسلم ينهى فى أحاديثه عن ذلك ، فمثلا ماروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليهما المساجد والسرج ، رواه الإمام أحمد والترمذى وأبوداود والنسائى وابن ماجه واللفظ لمسند الإمام أحمد (١) .

٢- وما روى عن جندب رضى الله عنه قال : " سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنى أنهاكم عن ذلك (٢) .

٣- وما روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لعن الله تعالى اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد (٣) .

٤- ماروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما اشتكى النبى صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية ، وكانت أم سلمة رضى الله عنها وأم حبيبة رضى الله عنها أتتا أرض

---

(١) مسند الإمام أحمد - مرويات ابن عباس رضى الله عنه .

(٢) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب النهى عن بناء المسجد على القبور .

(٣) مسند الإمام أحمد - مرويات ابن عباس رضى الله عنه .

الحبشة وذكرتا من حسنها وتصاويرفيها فرفع راسه فقال : "ان أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله "(١) .

فأى انسان يتقى الله ويخشاه ويستطيع أن يتجرأ مع وجود هذه التصريحات النبوية ويتخذ من ذكر ضلالة من ضلالات أساقفة النصارى وحكام الرومان فى القرآن الكريم على سبيل الحكاية ، حجة ودليلا على جواز ارتكاب هذه الضلالة بعينها (٢) .

فترى هنا أن الأستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة يرى ضروريا أن يرد على من استدل منها جواز بناء المساجد على مقابر الأولياء مع أن السياق الذى وردت فيه الآية لا يسمح لهذا الاستدلال قط ، ويستشهد الأستاذ فى رده هذا من الأحاديث النبوية الواردة فى النهى عن بناء المساجد على المقابر وهكذا يثبت أن فضلا عن سياق الآية الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع أيضا لا تسمح لهذا المفهوم قط .

وجدير بالذكر أن الأستاذ المودودى لا ينفرد فى تفسيره هذا بل سبقه المفسرون الاخرون فى ايراد بعض من هذه الأحاديث لرد هذه الشبه (٣) إلا أن أسلوبه يتميز بالعناية الخاصة بهذا الموضوع .

فتبين من هذه النماذج بأن الأستاذ المودودى كان أكثر اهتماما بتفسير القرآن بالأحاديث النبوية بعد اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن . وهذا ما يتبين من رده على التأويلات الباطلة لمنكرى السنة والشيعة والقاديانيين ونحن فصلنا الكلام فيه فى هذه الرسالة .

---

(١) صحيح البخارى ــ كتاب الجنائز ــ باب بناء المسجد على القبر .
(٢) تفهيم القرآن جـ٢ ص ١٨ هامش رقم ٢١ .
(٣) انظر للمقارنة ابن كثير جـ٣ ص ٧٧ــ٧٨ . والألوسى ١٦ ص ٢٣٦ــ٢٣٧ .

إنّ القرآن ليس يحوى نظريات مجرّدة وأفكار محضة حتى تدرسه جالسًا على الأريكة ثمّ تفهم جميع مطالبه، كما أنه ليس بكتاب يبحث فى اللاهوت فتحل جميع أسراره ومكوّناته فى المعاهد والزوايا، إنّ هذا الكتاب كما قلنا فى مستهل المقدّمة كتاب دعوة وحركة وبمجرد نزوله أخرج رجلاً وادعًا دمثا، سليم الفطرة كريم الشيم ومحب السكوت، من زاوية الإنعزال وأوقفه فى مواجهة العالم الذى كان قد إنصرف عن الحق، وجعله يقارع الباطل ويحارب ائمة الكفر وقادة الفسق ورواد الضلال، إن هذا الكتاب إنتزع كل روحٍ سعيدةٍ وكل نفسٍ ذكيةٍ من كلّ بيت وجمعها تحت لواء صاحب الدعوة. إنّ هذا الكتاب أخرج غيظ كل فتان مفسد وجعله يقاتل أنصار الدّعوة ليهلك من من هلك عن بينه ويحيى من حى عن بينه.

إن هذا الكتاب هو الذى قام بتوجيه الحركة الاسلامية الهائلة خلال مدة ثلاثة وعشرين سنة. والتى بدأت عملها من صرخة فرد واحد وإنتهت فى نهاية المطاف إلى اقامة الخلافة الإلهية فى الأرض وهذا الكتاب هو الذى وضع مخططات الهدم — ومشاريع البناء فى كل مرحلة من المراحل وفى كل خطوة من الخطوات خلال المعركة المديدة الضارية بين الحق والباطل.

إذن فكيف يتأتى لك اليوم أن يتجلى لك جميع ما يضمر

هذا الكتاب من أسرار وحقائق بمجرد أن تمرّ على حروفه تنطق بكلماته، وبدون أن تنزل إلى ميدان الصّراع بين الدّين والكفر وتغبر قدميك فى معركة الإسلام والجاهلية وبدون أن يصادفك المرور بمنزل من منزل هذا الكفاح.

لا تستطيع أن تفهم مطالب القرآن ومعانيه البعيدة إلّا حين تحكم هذا الكتاب وتبدأ بالدّعوة إلى الله وتخطو جميع خطواتك كما يوجهك وكيفما يعلّمك. ومن هنا لابد أن يستقبلك جميع ما إستقبل حامليه من التجارب والمحن؛ تشاهد مشاهد مكة والحبشة والطائف، وتواجه المراحل الممتدة من بدر إلى حنين وإلى تبوك وتتشابك مع "أبي جهل" و"أبي لهب" وتلاقى المنافقين واليهود وترى وتختبر كذلك كل النماذج الإنسانية مارًا بالسابقين الأولين إلى المولفة قلوبهم. فهذا سلوك فريد لا يماثله أى نوع من السلوك، وأسميه "السلوك القرآني"، ومن شأنه أنه كلّما مررت بمنزل من منازله تطالعك آيات وسور من القرآن تحيطك علمًا بأن هذا هو المهبط الذى نزلت فيه، وجاءت فيه، بكذا من التوجيهات والتعاليم وفى ذلك الحين لا يستبعد أن يغيب عن نظر "السالك" شئ من أسرار اللغة والبلاغة والمعاني والبيان إلا انه يستحيل أن يضن القرآن بالكشف عن جوهره وروحه أمام ذلك "السالك".

الأستاذ أبو الأعلى المودودي

الاهتمام بالدعوة ومتطلباتها خلال التفسير

هناك ترابط واضح بين كون الأستاذ المودودى مفسرا وداعية ، والحقيقة أن كونه مفسرا كان لكونه داعية وكونه داعية كان لكونه مفسرا ، وذلك لأن دعوته كان منطلقها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتماس الكتاب والسنة الذى هو الهدف الذى يدعو إليه الأستاذ . ومن المعلوم أن القرآن الكريم بدأ نزوله مع بداية الدعوة الإسلامية وكل الآيات والسور الواردة فى القرآن الكريم نزلت منجمة وفقا لمقتضيات تلك الدعوة ومتطلباتها فى مراحلها المختلفة خلال ثلاث وعشرين سنة ، فلا يمكن التمكن من الفهم الصحيح لهذه المتطلبات والمقتضيات إلا بالخوض فى مجال الدعوة .

وقد بذل الأستاذ حياته كلها فى هذا المجال ومنهجه فى الدعوة كان نفس المنهج الذى قد هدى الله إليه فى كتابه والذى قد اختاره النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته وكان من فضل جهاده الطويل فى مجال الدعوة أنه تمكن من فهم ما تتضمنه الآيات المختلفة من متطلبات الدعوة ومقتضياتها . ولذا نراه يعتنى ببيان هذه المتطلبات خلال تفسيره للآيات وهذا ما يجعل تفسيره مرجعا هاما للدعاة .

ومن المعلوم أن الهدف الأساسى للدعوة الإسلامية أن يخص الإنسان عبادته لله سبحانه وتعالى كما قال الله سبحانه فى القرآن الكريم (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) (١) وهذه هو الرسالة التى بعث الله بها رسله عليهم السلام كما يقول سبحانه (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٢) . فهذا هو الهدف الأساسى للدعوة الإسلامية

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦ .
(٢) سورة النحل الآية ٣٦ .

فى كل زمان وفى كل مكان . فلذا أبرزه الاستاذ المودودى كمطلب أول لدعوته فيقول : " دعوتنا للبشر كافة وللمسلمين خاصة ، أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذوا ألها ولا ربا غيره "(١).

والعبادة كما يثبت الاستاذ المودودى لا تقتصر دائرتها على الطقوس فحسب بل تشمل عبادة الله وطاعته وعبوديته بكل انواعها فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية (٢) ، ففى تفسيره لقوله تعالى (إنا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) (٣) يبين الاستاذ كون العبادة الهدف الأساسى للدعوة الاسلامية ويقول : " وهذه الآية الكريمة مهمة جدا لان الله تعالى يبين فيها الهدف الاساسى للدعوة ولابد لنا ان نفهم جيدا المراد الصحيح من قوله تعالى هذا وذلك بعد فهم امرين هما : اولا : ان الله قد أمرهنا بالاهتمام بعبادته ، وثانيا : ان هذه العبادة لا يمكن الاهتمام بها الا اذا خلص الدين لله تعالى فحسب ". ثم للوصول الى المراد الصحيح لهذين الامرين الاساسيين يعتنى الاستاذ ببيان المراد منهما مستشهدا من كتب اللغة فيقول : واما العبادة فمادتها (ع ، ب ، د) والعبد هو " المملوك" خلاف " الحر " واما المراد من العبادة فهو أولا : التعبد والتنسك ، ويقال عبد الله أى تأله له (٤) ، وثانيا : الطاعة والخضوع

---

(١) ابوالاعلى المودودى ، تذكرة دعاة الاسلام ص ٩.
(٢) انظر للتفصيل ابا الاعلى المودودى : المصطلحات الاربعة فى القران ص ٩٥-١٠٥ ، تذكرة دعاة الاسلام ص ١٠-١٢ ، مفاهيم الاسلامية حول الدين والدولة ص ٩ ، ٣٥.
(٣) سورة الزمر - الاية ٢
(٤) انظر لسان العرب ج ٣ ص ٢٧٠ - ٢٧٩.

أو الطاعة مع الخضوع ، وكل من دان لملك فهو عابد له ، (وقومهما لنا عابدون) (١) ، والعابد الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره ، عبد الطاغوت اطاعه يعنى الشيطان فيما سول له واغواه ، وإياك نعبد اى نطيع الطاعة التى نخضع معها [illegible] " (٢) فيتبين من هذا أن العبادة لم تقتصر دائرتها على طقوس العبودية فقط بل تشملها طاعة الله سبحانه والخضوع له والعمل بأوامره والاتباع لشريعته " (٣) ثم يعتنى الاستاذ ببيان معنى كلمة " الدين " فيقول " واما كلمة الدين " فلها عدة من المفهومات ومنها السلطة والقهر ، والحكم والأمر ، والاكراه على الطاعة ، وفى لسان العرب دان الناس اى قهرهم على الطاعة دنتهم أى قهرتهم دنته ، سسته وملكته " (٤) . وفى الحديث الكيس من دان نفسه (٥) ، أى أذلها واستعبدها والديان ، القاضى ، الحكم ، القهار ، ولا أنت ديانى ، أى لست بقاهر لى فتسوس امرى ، " ماكان ليأخذ أخاه فى دين الملك) (٦) أى فى قضاء الملك (٧) ومنها الطاعة والعبودية والخدمة والخضوع ، وفى لسان العرب الدين ، الطاعة ، دنته ودنت له أى أطعته ، والدين لله ، انما هو طاعته والتعبد له ، وفى الحديث (أريد من قريش كلمة تدين لهم بها العرب " (٨) اى تطيعهم وتخضع لهم ، ثم دانت بعد

---

(١) المؤمنون : ٤٧ .
(٢) لسان العرب جـ ٣ ص : ٢٧٠ — ٢٧٩ .
(٣) تفهيم القرآن جـ ٤ ص ٣٥٥—٣٥٦ .
(٤) لسان العرب جـ ١٣ ص : ١٦٦ — ١٧١ .
(٥) مسند الامام احمد — مرويات شداد بن الاوس
(٦) سورة يوسف الآية ٧٦ .
(٧) لسان العرب جـ ١٣ ص : ١٦٦ — ١٧١ .
(٨) سنن الترمذى — كتاب التفسير — باب ومن سورة ص

الرباب أى ذلت له واطاعته ، يمرقون من الدين أى انهم يخرجون من طاعة الامام المفترض الطاعة ، المدين ، العبد " فلولا إن كنتم غير مدينين "(١) اى غير مطوكين (٢) ، ومنها العادة او الطريقة التى يتبعها الانسان . وفى لسان العرب ، الدين ، العادة والشأن يقال مازال ذلك دينى ودينى اى عادتى "(٣) .

ثم يستنتج الأستاذ من هذه الأدلة اللغوية أن المراد من الدين هو المنهج الذى يختاره الإنسان طاعة وخضوعا لمن هو يذعن له فى سلطته العليا . والمراد من عبادة الله مخلصا له الدين هو أنه يخص الإنسان عبادته وطاعته وعبوديته لله تعالى ولا يشرك به أحدا فى حاكميته واتباع هديه والعمل بأوامره "(٤) .

ان الاستاذ المودودى يبين خلال تفسيره للآية الكريمة أن الهدف الأساسى للدعوة الإسلامية هو جعل العبادة والدين خالصا لله تعالى ثم يستشهد من كتب اللغة الأساسية على أن العبادة والدين لا تقتصر دائرتهما على العقائد أو أداء الطقوس فحسب بل تشملها الحياة الفردية والاجتماعية بكاملها وهكذا يثبت أن الهدف الأساسى للدعوة الإسلامية هو إقامة النظام الإسلامى أو إقامة الدولة الاسلامية حيث لم تبق دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية خارجة من نفوذها .(٥)

---

(١) سورة الواقعة — ٨٦

(٢) لسان العرب ج ١٣ ص : ١٦٦ — ١٧١ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) تفهيم القرآن ج٤ ص ٣٥٦ .

(٥) انظر للمقارنة : الطبرى ج٢٣ ص ١٢٢ ، الرازى ج٢٦ ص ٢٣٩ — ٢٤٢ ابن كثير ج٤ ص ٣٥ ، الألوسى : ج ٢٣ ص ٢٣٣ ، فى ظلال القرآن ، ج٥ ص ٣٠٣٦ .

واذا تحقق أن المراد من جعل العبادة والدين خالصا لله هو إقامة الدولة الإسلامية، فمن مقتضياته اللازمة ان هذا يكون الهدف الأساسي الذى بعث الله رسله لأجله ، وهذا ماتدل عليه كثير من الآيات القرآنية فالأستاذ المودودى لا يفوته أن يبين هذه الحقيقة خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة فمثلا يقول فى تفسيره لقوله تعالى (ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (١) يظهر من هذا أن دعوة عيسى عليه السلام كانت تعتمد على ثلاثة أصول مثل دعوة الرسل كلهم ، وهى كالآتى :

الاول : التسليم بأن الله وحده هو السلطان الأعلى الذى يجب على الإنسان أن يخلص عبادته وعبوديته وطاعته له ويقوم على طاعته النظام الأخلاقى والاجتماعى للمجتمع .

الثانى : طاعة أحكام النبى بوصفه نائبا وممثلا عن هذا السلطان الأعلى .

الثالث : أن القانون الذى يضع حدود وقيود للتحريم والتحليل هو قانون الله فحسب واما القوانين الأخرى فكلها باطلة/فليس من فرق إذن ، ولو قيد شعرة، بين مهمة ودعوة سيدنا عيسى عليه السلام وسيدنا موسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام . ويخطىء من يقر لكل واحد منهم مهمة ودعوة مختلفة باختلاف شخصه او يفرق بينهم فى الهدف . والحقيقة ان من يأمره مالك الملك بالذهاب الى رعيته لدعوتهم لا يمكن

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٠ــ٥١ .

أن يكون الهدف من مجيئه الا ان يمنعهم من العصيان والتحرر والاستقلال المطلق وان يكفهم عن الشرك وان يدعوهم الى الاذعان التام والعبادة والعبودية الخالصة والطاعة الكاملة للمالك الحقيقي (١)" .

فيبين الاستاذ المودودي خلال تفسيره لقوله تعالى هذا ان الأنبياء عليهم السلام كلهم لم يكن هدف دعوتهم الا ان العبادة بكل انواعها تخص لله تعالى فحسب وان النظام الاجتماعي الانساني يقوم على اسس عبوديته وطاعته . وهذا ما يتطلب اقامة الدولة الاسلامية وذلك لان النظام الاجتماعي لا يمكن اقامته على هذه الاسس القيمة الا اذا اقيمت الحكومة الاسلامية ، ومن أجل هذا يعتبر الجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية جهادا في سبيل الله .

ـ القيام بالدعوة ـ مسئولية الامة الاسلامية الاساسية :

وبعد ما تحقق ان القيام بالدعوة الاسلامية هو الهدف الأساسي الذي بعث الله رسله لأجله يجدر بنا ان نشير الى ان هذا هو الهدف الذي بعثت الأمة الإسلامية لاجله . فمن واجب هذه الأمة فردا وجماعة ان تهتم باداء مسئوليتها بالقيام بالدعوة فالقرآن الكريم يعتني بصفة خاصة بذكر هذه المسئولية ومتطلباتها في العديد من المواضع بالاساليب المختلفة . وهناك عدة من المصطلحات التي يستعملها القرآن الكريم لهذه المسئولية الكبرى ومنها " شهادة الحق " و " اقامة الدين " والاهتمام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر " و " القيام بنصرة الله " وغيرها وكان

---

(١) تفهيم القرآن ج١ ص ٢٥٤ .

من فضل جهاد الأستاذ المودودي الطويل في مجال الدعوة أنه تمكن من فهم المراد الصحيح لهذه المصطلحات فهماكاملا ثم اعتنى ببيانه في كتبه المختلفة وتفسيره للقرآن الكريم . ونحن هنا نأتي ببعض النماذج لتفسير الأستاذ المودودي للآيات الكريمة التي وردت فيها هذه المصطلحات.

- شهادة الحق ــ الهدف الأساسي الذي بعثت الأمة الإسلامية من أجله :

كما ذكرنا آنفا أن " شهادة الحق " هي من المصطلحات القرآنية الأساسية للقيام بعمل الدعوة بل نرى أن القرآن الكريم يجعلها الهدف الأساسي الذي بعثت به الأمة الإسلامية لأجله ، فكان من مقتضيات أهميتها البالغة أن يعتني بها الأستاذ المودودي بعناية خاصة ،فنرى أنه ألف كتابا خاصا (شهادة الحق) في هذا الموضوع . وبين فيه بالتفصيل متطلبات هذه المسئولية ومقتضياتها ونتائج الاهمال عنها . وأيد ذلك بالبراهين والأدلة القوية ،ولو اتسع لنا المجال لنقلنا هنا بعض ما قاله الأستاذ المودودي في كتابه هذا ولكننا نقتصر هنا على نقل ما قاله الأستاذ في تفسيره لقوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) فيقول في شرحه :" هذا هو اعلان زعامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وبتغيير القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرفة انتقلت القيادة من بني اسرائيل إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم كانوا القادة الجدد فتغيير القبلة إذن لم يكن مجرد تبديل مكان او اتجاه كما فهمه السفهاء بل كان في الحقيقة الاعلان الرسمي لسحب القيادة من بني اسرائيل وتسليمها إلى أمة محمد صلى الله

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

عليه وسلم (١) .

ثم بعد هذا التقديم لتفسير هذه الآية يبين الأستاذ المراد من قوله (جعلناكم أمة وسطا) فيقول : " أمة وسطا " يعتبر واسع فى معناه شامل فى مداه . فالأمة الوسط هى تلك الأمة المستقيمة الشريفة التى لا تشذ عن الحدود اللائقة بل تتبع الطريق الوسط وتتعامل مع أمم العالم على أساس العدل والانصاف وتكون فيهم كالقاضى النزيه وتقيم علاقاتها مع غيرها من أمم العالم الأخرى على دعائم الحق والشريعة" (٢) .

وبعد أن يبين الأستاذ المكانة العالية التى تتمتع بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم لكونها أمة وسطا يعتنى ببيان متطلبات مكانتها السامية وذلك خلال تفسيره لقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) فيقول : " يقول سبحانه وتعالى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه نائبنا المسئول سيشهد عليكم يوم القيامة أنه بلغكم بشكل تام غير منقوص كل ما علمناه من فكر سليم وعمل صالح ونظام عادل وانه طبقه أمام أعينكم ، ثم انكم ستشهدون على البشر اجمعين بوصفكم نوابين عن الرسول صلى الله عليه وسلم بانكم لم تقصروا أدنى تقصير فى تبليغهم ما بلغكم الرسول صلى الله عليه وسلم إياه وتوضيحه وتفسيره لهم " (٣) ثم يبين الأستاذ مقتضيات هذه الشهادة فيقول : على الأمة الإسلامية أن تصبح شاهدا حيا أمام العالم الإنساني كله فى التقوى والحق والعدل ، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم شاهدا أمامها وان تكون أقوالها وأعمالها مظهرة للعالم مظهرة حق بقية ، وهكذا تعنى هذه الآية أن على الأمة الإسلامية مسئولية كبرى وسوف تحاسب

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص ١١٩ حاشية رقم ١٤٤ .
(٢) المرجع السابق حاشية ١٤٤ .
(٣) المرجع السابق .

عليها يوم القيامة ، فكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مسئولا عن تبليغ الهداية الإلهية فان المسلمين مسئولون عن تبليغها الى البشرية جميعا ، فان فشلوا فى اتيان الشهادة العملية على انهم أدوا هذا الواجب ووفوا بمقتضيات هذه المسئولية بكل مافى وسعهم فسوف يحاسبهم الله مع شركائهم وقرنائهم على ما انتشر من الشرور والمآثم والفجور خلال فترة توليهم الزعامة وسيحشرون مع شياطين الإنس والجن حيث يسألهم ربهم أين كنتم غافلين عن شيوع المفاسد وماذا قدمتم لوقف سيول الرذيلة والخطيئة والفتن والطغيان والاستبداد والعقوق التي سيطرت على العالم الانساني"(١) .

ان الاستاذ المودودى فى تفسيره لهذه الآية يأتى بموجز لما ورد فى التفسير بالمأثور للآية ثم يعتنى ببيان ماهو من متطلبات الدعوة ومقتضياتها فى الآية فيبين أن جعل امة محمد صلى الله عليه وسلم أمة وسطا يتضمن فيه جعلها على قيادة الأمم الفكرية والعملية وهذا مايدل عليه حكم تغيير القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام. وهكذا يثبت أن كون امة محمد صلى الله عليه وسلم شاهدة على الناس يشمل الشهادة فى الدنيا والآخرة معا . فاذا كان المراد من القيام بالشهادة فى الآخرة هو أداء الشهادة أن الرسل عليهم السلام كلهم قد أبلغوا رسالتهم إلى الأمم التى قد بعثهم الله اليها ويكون المراد من أداء هذه الشهادة فى الدنيا هو أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم من واجبها أن تكون شاهدا حيا أمام أمم العالم على كون الإسلام دينا حقا وذلك بالقول والعمل معا كما قام النبى صلى الله عليه وسلم بأداء هذه الشهادة خلال حياته النبوية . . وأما الشهادة القولية فلا يمكن

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص١١٩ حاشية رقم١٤٤ .

أداؤها إلا بالقيام بعمل الدعوة فردا وجماعة وأمة ، وذلك لكى يتمكن المسلمون من ابلاغ رسالة الإسلام إلى النوع الإنسانى كله كما تمكن النبى صلى الله عليه وسلم من أداء رسالته إلى الأمة ، ويكون المراد من الشهادة العملية هو الاهتمام بإقامة الدولة الإسلامية وإقامة النظام الإسلامى فيها كما اهتم النبى صلى الله عليه وسلم بإقامة الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة وذلك لكى يتمكن النوع الإنسانى من مشاهدة البركات والفتوحات التى يأتى بها النظام الإسلامى فهذه هى الشهادة القولية والشهادة العملية التى يقتضيها قوله تعالى هذا . والحقيقة أن هذه الشهادة لا يمكن أداؤها إلا بالطريق الذى أداها النبى صلى الله عليه وسلم وهذا مايشمله الشهادة القولية والشهادة العملية معا ، ويرى أكثر المفسرين بأن أداء هذه الشهادة يقتصر على أداء الشهادة يوم القيامة ولا يشمل أداء الشهادة فى الدنيا (١) ، والذين قالوا ان هذه الشهادة يشمل أداء الشهادة فى الدنيا والآخرة ظنوا أن هذه الشهادة فى الدنيا تشمل الأحكام الفقهية واستنبطوا من هذا أن اجماع الأمة هو حجة (٢) وأما أداء هذه الشهادة بالقيام بعمل الدعوة والجهاد لإقامة النظام الإسلامى كما قام بأداء هذه الشهادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فالأستاذ المودودى يتميز لتركيزه فيها ، وذلك لكونه داعية مع كونه مفسرا ، وجدير بالذكر بان الأستاذ المودودى لا ينفرد فى هذا التفسير ، بل نرى أن الشهيد سيد قطب رحمه الله أيضا يأتى بنفس التفسير للآية الكريمة (٣) .

---

(١) انظر للمقارنة ابن كثير جـ١ ص ١٩٠ ، الألوسى جـ٢ ص ٤٥٠

(٢) انظر الرازى جـ٨ ص ١٩٣ — ١٩٨ .

(٣) فى ظلال القرآن جـ١ ص ١٣٠ — ١٣١ .

- الاهتمام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر:

ومن المصطلحات القرآنية للدعوة الإسلامية " الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " ويهتم الأستاذ المودودى بصفة خاصة ببيان مقتضيات هذا المصطلح خلال تفسير الآيات التى ورد فيها ، وذلك بأسلوب يليق بالداعية مثل الاستاذ المودودى ، ومثلا لذلك نذكر هنا ماقاله الأستاذ فى الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خلال تفسيره لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)(١) فيقول :

" هذا هو نفس المعنى الذى سبق ذكره فى سورة البقرة "(٢) فالله سبحانه يقول لاتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن منصب قيادة العالم الإنسانى الذى قد عزلوا عنه بنو اسرائيل لعدم كفاءتهم له ، فأمرتم الآن بمباشرة مسئولياته ، وذلك لأنكم أصبحتم أفضل أمم العالم خلقا وعملا وتربت فيكم الصفات اللازمة للإمامة العادلة وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عاطفة وعملا والإيمان بالله وحده لا شريك له عقيدة ومسلكا ، ومن ثم يلزم عليكم أن تنهضوا بمسئوليات هذا المنصب ولا تقترفوا الأخطاء التى اقترفها اسلافكم "(٣) .

والحقيقة أن تفسير الأستاذ المودودى لهذه الآية الكريمة مع اختصاره يبين بكل صراحة الأهمية البالغة للاهتمام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للأمة الإسلامية وكيف ستتمكن هذه الأمة من تحقيق الهدف التى بعثها الله لأجله(٤) ، هذا وقد تناول الأستاذ المودودى هذا الموضوع فى كتابه

---

(١) سورة آل عمران الاية ١١٠ .

(٢) يعنى الآية الكريمة (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

(٣) تفهيم القرآن جـ١ ص ٢٧٩ .

(٤) انظر للمقارنة الطبرى جـ٤ ص ٢٩ـ٣١ ، الرازى جـ٤ ص ١٩٣ـ١٩٧ ، الالوسى جـ٤ ص ٢٧ ، ابن كثير جـ١ ص ٣٩١ـ٣٩٦ ، فى ظلال القرآن جـ١ ص ٤٤ـ٤٨ .

" الجهاد فى الإسلام " وتكلم عنه بالتفصيل وبين أن الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مسئولية الأمة الإسلامية الأساسية فردا وجماعة ، وهذا هو الهدف الأساسى الذى بعثت هذه الأمة لأجله ، فلذا من واجبها الأساسى أن تبذل مافى وسعها لتحقيق هذا الهدف الجليل . فيقول " فيتبين من هذه الآية الكريمةان الأمة الإسلامية لم يبعثها الله لنفر خاص أو وطن خاص بل بعثها الله للبشر كافة ،والخدمة التى بعثهاالله لاجلها هى الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (١) .

ثم يعتنى الأستاذ ببيان متطلبات كون الأمة الإسلامية " خير أمة " ويذكر بالتفصيل أهمية الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونتائج هذا الاهتمام فى حياة الأمة الإجتماعية ، كما يبين نتائج الاهمال عن الاهتمام بهذه الفريضة ، ويأتى بالأدلة من القرآن والسنةوالبراهين العقلية القوية فى تأييد مايقول فى هذا الصدد (٢) .

ويتناول الأستاذ المودودى هذاالموضوع فى كتابه " مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة " ويتحدث بالتفصيل عن أهمية هذه الفريضة فى حياة الأمة الإسلامية الاجتماعية ومتطلباتها ومقتضياتها بالأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية (٣) ، ويقول :" وبما أن الله سبحانه وتعالى قد وضع للمسلمين هدفا ساميا وغاية قصوى فى كل شأن من شئون حياتهم ولم يعلمهم الجبن والوهن والاستكانة والتخاذل فى أمر من أمورهم ،فقد بين لهم فى الآيات المقبلة من سورة آل عمران (٤) بوضوح أنه ليست غاية

---

(١) انظر أبا الأعلى المودودى : الجهاد فى الإسلام ص٨٦ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٨٥-١٠٤ .

(٣) انظر أبا الأعلى المودودى : مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ص٨٣-٩٠

(٤) سورة آل عمران الآيات ٧٠ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ .

المسلم الفردية ولا الجماعية في حياته إلا أن يستفرغ جهده لجعل العالم من أقصاه إلى أقصاه منتهما للشريعة الإلهية الغراء . ففي ذلك ورد قوله سبحانه وتعالى : (كنتم خيرا مة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)(١) (٢) . فيتبين من هذا اهمية الاهتمام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر للامة الاسلامية .

<u>أهمية الاهتمام بالدعوة :</u>

من المصطلحات القرآنية الأخرى للقيام بالدعوة هو القيام بنصرة الله ، والقرآن الكريم قد ورد فيه هذا الاصطلاح في المواضع المختلفة في نفس المعنى ، والأستاذ المودودي لا يفوته أن يعتني بتفسير الآيات الواردة في هذه المواضع بالأسلوب الذي يليق الداعية المفسر مثله ولو اتسع لنا المجال لنقلنا هنا عدد من النماذج لأسلوبه هذا . ولكننا نقتصر هنا بنقل ما قال الأستاذ في تفسير قوله تعالى (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون)(٣) .

" يعبر القران الكريم في أكثر مواضعه القيام بالدعوة الإسلامية بالاصطلاح القيام (بنصر الله) ويتطلب هذا المعنى أن نفصل الكلام فيه ، والحقيقة أن قطاع الحياة الذي منح الله الإنسان فيه حرية الارادة لم يجبره فيه بقوته الإلهية على الاختيار بين الكفر والإيمان أو الطاعة والعصيان ، بل يفهمه بالدليل والحجة والنصيحة أن يعترف أن الطريق الوحيد لفلاحه ونجاته هو

---

(١) آل عمران ١١٠ .

(٢) انظر أبا الأعلى المودودي ، مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ص ٨٥ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٥٢ .

اختيار العبودية والطاعة لخالقه رغم أن تكون له الحرية أن ينكره ويعصيه ويتمرد عليه ، فيتبين من هذا أن تدبير جذب العباد بالتفهيم والنصيحة إلى الصراط المستقيم إنما هو فى الحقيقة من عمل الله سبحانه وتعالى ، والذين من عباده يهتمون بهذا العمل الجليل يسميهم الله سبحانه " أنصاره " و" رفاقه " والحقيقة أن هذا المقام السامى هو أقصى الحد الذى يمكن الوصول إليه للإنسان فالاهتمام بالصلاة والصيام وسائر العبادات الأخرى لا يجعل الإنسان إلا عبدا ، ولكنه إذا اهتم بعمل الدعوة نال بشرف رفقة سبحانه ونصره وهذا هو أسمى مراتب الرقى الروحى فى هذه الدنيا "(١) .

يرى الأستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة أن المراد من كون (انصار الله) هو الاهتمام بعمل الدعوة وهذا من المصطلحات القرآنية لعمل الدعوة فسيدنا عيسى عليه السلام إذا قال للحواريين (من انصارى الى الله) فى الحقيقة دعاهم إلى القيام بعمل الدعوة وانهم أيضا إذا قالوا (نحن انصار الله) كان مرادهم بأنهم يقدمون أنفسهم لهذا العمل الجليل ومن هذا يستدل الأستاذ على الأهمية البالغة لهذا العمل الجليل لديه سبحانه ويؤيد رأيه بالبراهين والأدلة القوية . والحقيقة أننا إذا فكرنا فى السياق الذى وردت فيه هذه الكلمة فى هذه الآية أو فى الآيات القرآنية الأخرى لوصلنا إلى أن هذه هى أنسب المعانى لهذه الكلمة ، فرأى الأستاذ المودودى أن القرآن قد جعلها من المصطلحات الخاصة للقيام بالدعوة ، والآيات الأخرى التى تؤيد هذا الإصطلاح منها قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله .. الآية)(٢) . وقوله تعالى : (يا أيها

---

(١) تفهيم القرآن جـ ١ ص ٢٥٦ .

(٢) سورة الصف الآية ١٤ .

الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »(١) ، وقوله تعالى :
(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتب والميزان ليقوم الناس بالقسط ،
وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب
إن الله قوي عزيز)(٢) .

فيتبين من هذه الآيات الكريمة أن هذا الاصطلاح لم يرد في القرآن الكريم إلا للقيام بعمل الدعوة أو الجهاد في سبيل الله وان ورد الاعتراض بأن الله لا يليق بشأنه أن يقوم أحد بنصرته فنقول بأن الله لم يستعمل هذا الاصطلاح للقيام بعمل الدعوة لكونه سبحانه محتاجا لنصرة الإنسان في هذا العمل بل استعمله تكريما للدعوة والداعية ولولا هذا لما اختاره سبحانه هذا الأسلوب(٣) .

ـ منهج الدعوة الإسلامية :

واختار الأستاذ المودودي منهجه في الدعوة من القرآن الكريم وسيرة الأنبياء عليهم السلام(٤) ، ويقوم منهج الأستاذ في الدعوة على الأسس الآتية :

١ ـ القدوة قبل الكلمة : إن منهج الدعوة الإسلامية من متطلباته الأساسية أن يكون الداعية مثلا حيا لدعوته وذلك **حتى لا يصبح مصداقا لقوله تعالى :**
(لما تقولون ما لا تفعلون)(٥) والحقيقة أن الدعوة الإسلامية كما يتبين من

---

(١) سورة محمد الآية ٧ .
(٢) سورة الحديد الآية ٢٥ .
(٣) انظر للمقارنة الطبري جـ٣ ص ١٩٧ ـ ٢٠١ ، ابن كثير جـ١ ص ٣٦٥ ، الرازي جـ٤ ص ٦٨ ـ ٧١ ، الألوسي جـ٣ ص ١٧٥ ـ ١٧٧ . في ظلال القرآن جـ١ ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ .
(٤) انظر أبا الأعلى المودودي ، تذكرة دعاة الإسلام ص ٢٥ ، ٤
(٥) سورة الصف : الآية ٢ .

القرآن والسنة ، لا يمكن نجاحها إلا إذا كان عمل الداعية مطابقا لهما فكان من هذا أن الأستاذ المودودى جعل هذا المنهج مبدأ أساسيا لدعوته ، فيقول : " فالذين يقبلون دعوتنا ويظهرون استعدادهم لحمل أعبائها وتبليغ رسالتها معنا فان أول ما نطالبهم به أن يدخلوا فى دين الله كافة ويصطبغوا بصبغته بجملة شئون حياتهم من فكرية وعملية "(١) وهناك كثير من الآيات القرآنية تدل على أهمية هذا المنهج والأستاذ المودودى يفسر هذه الآيات بالأسلوب الذى يليق بالمفسر الداعية مثله ، ويدل على ذلك ما نقلناه آنفا من تفسيره لقوله سبحانه (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)(٢) فيتبين من تفسيره هذا أن المسئولية تجاه الدعوة الإسلامية أو شهادة الحق لا يمكن أداؤها إلا بالاهتمام بالعمل بمقتضيات الدين ومتطلباته والدعوة الإسلامية لا يمكن نجاحها إلا بأداء الشهادة القولية والشهادة العملية معا ، والأستاذ المودودى يؤيد تفسيره هذا بالأدلة القوية ويثبت أن الدعوة من مقتضياتها اللازمة أن يكون عمل الداعية مطابقا لها ، وقد أسلفنا بنقل هذا التفسير فى هذه الرسالة .(٣)

ـ الاهتمام بمبدأ الأهم فالأهم :

وهكذا من مقتضيات الدعوة الأساسية أن يبدأ الداعية دعوته بالمبادىء الأساسية للدين ولا يعتنى بالفروعات والجزئيات فى بداية أمره ويعتنى بكل أمر نظرا لأهميته فى الدين والحقيقة أن عدم اهتمام الداعية بهذا المبدأ قد يؤدى إلى فشل الدعوة بل يمكننا أن نقول أن استمرار الداعية فى أهمال هذا

---

(١) الأستاذ المودودى ، تذكرة دعاة الإسلام ص ٢٥ .

(٢) البقرة الآية ١٤٣ .

(٣) انظر ص : ٣٨٩ .

المبدأ يفسد الدعوة والداعية معا ،ولذا لابد للداعية ان يهتم بهذا المبدأ، مهما تكن الظروف فيرى الأستاذ المودودى أنه ينبغى للدعاة :" ان يعرضوا على الناس قبل كل شىء مبادىء الدين الأساسية ثم يدعوهم إلى مطالبه ومقتضياته ولوازمه شيئا فشيئا وأن لا يجرعوا أحدا منهم غذاء يستعصى على قوة هضمه وأن لا يقدموا الفروع على الأصول والأحكام الجزئية على الكليات والقواعد الشاملة "(١) فكان لأهمية هذا المبدأ البالغة أن الأستاذ المودودى اهتم به اهتماما خاصا خلال تفسيره للآيات الواردة فى هذا الموضوع ،فمثلا يقول خلال تفسيره لقوله تعالى (ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ماتعبدون من دونه إلا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله ،أمر ألا تعبدوا إلاإياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٢) ، " يتبين من هذا ضرورة اهتمام الداعية بمبدأ الأهم فالأهم ، فنرى هنا أن سيدنا يوسف (عليه السلام) لا يبدأ الدعوة بالفروعات والجزئيات بل يبدأ الدعوة بالمبادىء الأساسية التى تفرق بين الإسلام والكفر وبين الحق والباطل وأهمها الفرق بين التوحيد والشرك ثم هو يبين هذا الفرق بالأسلوب الذى لا يمكن للعاقل أن ينكر عنه ولاسيما الشخصان اللذان جاءاه ليسألانه عن تعبير رؤيتهما وقد أثرهما هذا الأسلوب أثرا كبيرا وذلك لأن كلاهما كانا عبدين للملك وكانا يعرفان حق المعرفة أى أحسن الأمرين كان خيرا كون الإنسان عبدا لله الواحد أو كونه عبدا للأرباب المتفرقين عبادة العباد أو عبادة رب العباد (٣) .

---

(١) الأستاذ المودودى ،تذكرة دعاة الإسلام ص ٣٢ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٩ــ٤٠ .

(٣) تفهيم القرآن جـ١ ص ٤٠ .

وهكذا يستدل الأستاذ المودودى من الأسلوب الذى اختاره سيدنا يوسف عليه السلام فى الدعوة بأن الداعية لابد له أن يهتم بمبدأ الأهم فالأهم خلال عمله فى مجال الدعوة ، ويبدأ دعوته بمبادئ الدين الأساسية ولا يعتنى بالفروعات والجزئيات وذلك لأن عدم اهتمام الداعية بهذا الأسلوب الحكيم والخوض فى الفروعات والجزئيات يؤدى الدعوة الى التهلكة فيجب على الداعية ان يجتنبها اجتنابا كاملا .

٣ ـ الاهتمام بخطاب الناس على قدر عقولهم :

ومن مقتضيات عمل الدعوة اللازمة أن يهتم الداعية بمخاطبة الناس على قدر عقولهم وأن يقدم دعوته بأسلوب يليق بخلفية الناس الذين يدعوهم فكان لأهمية هذا المبدأ البالغة أن نرى الأستاذ المودودى يهتم به بصفة خاصة خلال تفسيره للآيات الكريمة . ويقول فى تفسيره لقوله سبحانه (أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار) (١) بأن الأسلوب الذى اختاره يوسف عليه السلام فى مخاطبته الفتيين بقوله (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) كان لمعرفته بخلفيتهما فكان يعرف عليه السلام بأن الفتيين لكونهما عبدين للملك ، سيتمكنان من فهم الفرق بين كون الانسان عبد الله الواحد القهار وكونه عبدا لعدة من الأرباب من دون الله فاختار هذا الأسلوب لدعوتهما فيتبين من هذا أن الداعيه لابد له أن يخاطب الناس على عقولهم وإذا لم يهتم الداعية بهذا الأسلوب ، فلا يقبل أحد دعوته لعدم فهمه لما هو يدعو إليه "(٢) .

ويتبين من هذا أن الأستاذ المودودى لكونه داعية كان يعتنى بصفة خاصة باستنباط المبادئ الأساسية لمنهج الدعوة خلال تفسيره للقرآن الكريم وهذا مايمتاز به أسلوبه فى التفسير (٣) .

---

(١) سورة يوسف الآية ٣٩ .
(٢) تفهيم القرآن جـ٢ ص ٤٠٣ .
(٣) انظر للمقارنة الطبرى جـ١٢ ص ١٢٨ ـ ١٣٠ ، الرازى جـ٩ ص ١٣٨ ـ ١٤٢ ، ابن كثير جـ٢ ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩ ، الألوسى جـ١٢ ص ٢٣٠ ـ ٢٤٥ ، فى ظلال القرآن جـ٤ ص ١٩٨٨ ـ ١٩٩٠ .

٤ ـ الاهتمام بالحكمة والموعظة :

ومن متطلبات عمل الدعوة الأساسية اهتمام الداعية بالحكمة والموعظة خلال عمله في مجال الدعوة ولا يمكن للداعية الوصول إلى هدفه إلا بالاهتمام بهاتين الصفتين لأهميتهما البالغة ،وقد أمر الله سبحانه بالاهتمام بهما خلال عمل الدعوة فقال : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (١) .

والأستاذ المودودي ، من فضل عمله الطويل في مجال الدعوة كان يعرف أهميتهما في عمل الدعوة وكان يعتني بهما عناية خاصة خلال عمل الدعوة كما يقول نفسه :" قد بذلنا أقصى ماكنا نملك من الجهد في التفكير لأن نرشد أعضائنا والعاملين معنا إلى الطريق الذي قد دعا إليه الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد حيث يقول : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن (٢)) (٣) ، فيتبين من هذا أهمية هاتين الأمرين البالغة لدى الأستاذ المودودي ،وهذا مايتضح من تفسيره للآية الكريمة حيث يقول :"ومن هنا لابد للداعية أن يعتني بالأمرين الهامين خلال عمله في الدعوة هما : أولا : الحكمة . وثانيا : الموعظة . واما الحكمة فالمراد منها أن الداعية لا يقدم دعوته كالحمقى بدون أن يعتني بالرعاية بالاوضاع التي يعمل فيها أو بعقول الناس الذين يخاطبهم بل لابد له أن يقدم الدعوة بالرعاية الخاصة لهذين الأمرين ولا يجدر به أن يعمل نفس المعاملة بكل واحد من المخاطبين بل عليه أن يختار :أسلوب الطبيب فيصف المرض ويهتم بعلاج المريض حسب المرض الذي قد أصابه وذلك بالطريق الذي يمكن به تخلصه من هذا المرض ، واما الموعظة الحسنة فالمراد منه أولا أن الداعية لا يجدر به

---

(١) سورة النحل الاية ١٢٥ .

(٢) انظر ابا الاعلى المودودي ، تذكرة دعاة الاسلام ص ٣١ .

(٣) تفهيم القران جـ٢ ص ٥٨٢ .

أن يكتفى باقناع المخاطب بالأدلة بل لابد أن يوجه نداءه إلى عواطفه أيضا ،ولا يناسبه أن يقتصر على اتيمان البراهين العقلية على كون الضلالات والسيئات باطلة ،بل لابد أن يعتنى باثارة الحقارة التى جعلها الله فى فطرة الإنسان للسيئات والضلالات كما يخوفه بالنتائج السيئة التى تأتى بها السيئات والضلالات وهكذا لا يكتفى بالداعية أن يبين أهمية الهداية والعمل الصالح فحسب ، بل لابد له أن يحض عليها أيضا ، وهكذا المراد من الموعظة الحسنة بأن الداعية يقدم دعوته بالاسلوب الذى يدل على اخلاصه وعطفه للمخاطب وذلك لكى لا يظن المخاطب أن الداعية يتعامل معه بالاهانة بل يثق فى كونه محسنا له ومخلصا "(١) .

فنرى هنا أن الأستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة يبين المراد الصحيح للحكمة والموعظة الحسنة مع بيان أهمية هاتين الصفتين فى عمل الدعوة كما يبين مقتضياتهما ومتطلباتهما مع الإشارة الى النتائج السيئة التى يأتى بها عدم الاهتمام بهما ، ويؤيد بيانه بالأدلة القوية وهذا ما يتميز به تفسيره "(٢) .

والأستاذ المودودى لا يفوته أن يهتم ببيان الأمثلة للاهتمام بالحكمة والموعظة الحسنة خلال تفسيره للايات التى وردت فيها التوجيهات الربانية للعناية بهما ونذكر هنا من متطلبات الحكمة والموعظة الحسنة التى استنبطها الأستاذ المودودى خلال تفسيره لقوله تعالى [قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمنى ربى، إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب ،ما كان

---

(١) انظر للمقارنة الطبرى جـ١٤ ص ١٣١ ، الرازى جـ٥ ص ١٣٩–١٤٠ ، ابن كثير جـ٢ ص ٤٧٨ ، الألوسى جـ١٤ ص ٢٥٤ ، فى ظلال القرآن جـ٤ ص ٢٢٠١–٢٢٠٢ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٧–٤٠ .

لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون . ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان . إن الحكم إلا لله ،أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١) . هذه أول مرة أن سيدنا يوسف عليه السلام عرف نفسه أمام الناس فكان يتحمل الشدائد والمصائب ، ولكن مع ذلك لم يذكر شيئا عن آبائه للتخلص من الظروف القاسية التي هو كان فيه خلال هذه المدة . . . ولكن نرى الآن بانه يتكلم عن علاقته مع سيدنا ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام وذلك لكي يبين أن الدين الذي هو يدعو إليه هو نفس الدين الذي جاء به هؤلاء الرسل عليهم السلام ، فيتبين من ذلك أن الداعية لا يليق به أن يقوم بالدعوى بأنه جاء بدين جديد ،بل يجب عليه أن يبين في بداية أمره أن الدين الذي هو يدعو إليه هو نفس الدين الذي جاء به أهل الحق في كل زمان وفي كل مكان (٢) . والأصول التي يستنبطها الأستاذ المودودي خلال تفسيره هذا هو أن الداعية من لابد له أن يقدم دعوته مع بيان الحقيقة أن الدعوة التي هو يقدمها ليست بجديدة ،بل هي نفس الدعوة التي قدمها الرسل عليهم السلام جميعا ،وهذا مايساعد في إزالة الشبهات ورفع الشكوك التي يأتي بها الشيطان وزملاؤه (٣) .

---

(١) سورة يوسف الآية ٣٧ــ٤٠ .

(٢) تفهيم القرآن جـ ٢ ص ٤٠٣ .

(٣) انظر للمقارنة الطبري جـ١٢ ص ١٢٨ــ١٣٠ ، الرازي جـ١٨ ص ١٢٨ــ١٤٤ ابن كثير جـ٢ ص ٤٧٨ــ٤٧٩ ،الألوسي جـ١٢ ص ٢٤٠ــ٢٤٥ ، في ظلال القرآن جـ٤ ص ١٩٨٨ .

٥ ـ اختيار الفرصة المناسبة لتقديم الدعوة :

ومن متطلبات العمل فى مجال الدعوة مراعاة الداعية للفرصة المناسبة لتقديم الدعوة ، وإذا حصل الموقع المناسب فلا بد أن يهتم باستغلاله بأسلوب حكيم وذلك لأن تقديم الدعوة بدون رعاية الموقع المناسب أو عدم استغلال الموقع المناسب بأسلوب حكيم يؤدى إلى فشل الدعوة وهذا مايقوله الأستاذ المودودى مستنبطا من هذه الآيات الكريمة لسورة يوسف .

" والأسلوب الذى اختاره سيدنا يوسف عليه السلام لتقديم دعوته يتضمن فيه حكمة بالغة لعمل الدعوة فنرى هنا أن يأتيه شخصان ويسألان عن تعبير رؤيتهما ، فهو قبل أن يعبر الرؤيا لهما يستغل هذه الفرصة لتقديم دعوته إليهما ، ويخبرهما عن المصدر الذى جاء هذا العلم من عنده وهكذا يتمكن من تقديم دعوته خلال حديثه معهما، فالدرس الذى يمكننا أن نتعلمه من اهتمام سيدنا يوسف عليه السلام باستغلال الفرصة المناسبة لتقديم الدعوة هو أن الداعية إذا كان مخلصا وحكيما يمكن له أن يقدم دعوته خلال حديثه مع الناس مهما تكن الأوضاع ولكنه إذا لم يكن مخلصا وحكيما فلا يمكن له ان يهتم بالدعوة مهما تليق بها الأوضاع ،ولكن هناك فرق كبير بين أسلوب الداعية الحكيم وبين أسلوب الداعية الذى ليست لديه الحكمة لأن الأول يقدم دعوته رعاية للموقع المناسب وبالطريقة المناسبة ولكن الثانى يقدم دعوته بدون رعاية الموقع المناسب ثم يبعد الناس عن الدعوة بمجادلته ومناظرته بدون الحكمة (١) .

---

(١) تفهيم القرآن جـ٢ ص ٤٠٣ .

فنرى هنا ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآيات الكريمة يأتى بمبدأ هام للعمل فى مجال الدعوة وهو الاهتمام برعاية الفرصة المناسبة لتقديم الدعوة وذلك مستنبطا من أسلوب سيدنا يوسف عليه السلام فى تقديم دعوته فى السجن . والحقيقة أن الاهتمام بهذا المبدأ له أهمية بالغة للعمل فى مجال الدعوة ، والداعية الذى لا يهتم بهذا المبدأ خلال عمله فى الدعوة لا يمكن له أن يتمكن من النجاح فى هذا المجال (١) .

ـ الصفات اللازمة للداعية ×

وبعد أن ذكرنا ماقاله الأستاذ المودودى فى تفسيره عن المنهج الصحيح للدعوة ومتطلباته نأتى هنا بما قاله الأستاذ فى تفسيره عن الصفات اللازمة التى من اللازم أن تتوفر فى العاملين فى مجال الدعوة ليتمكنوا من النجاح فى عمل الدعوة ، وإذا لم يهتم العاملون فى مجال الدعوة بهذه الصفات اللازمة لا يمكن لهم أن يعودوا بالنجاح مهما يبذلون من جهد للوصول إلى الهدف وكان لأهمية هذه الصفات البالغة أن يذكرها القرآن بالتفصيل والأستاذ المودودى لكونه الداعية الحكيم يراه يعتنى عناية خاصة بابراز هذه الصفات اللازمة للدعاة خلال تفسيره للقرآن الكريم ، ولو اتسع لنا المجال لنقلنا هنا بالتفصيل ماقاله الأستاذ فى تفسيره فى هذا الصدد ، ولكننا نقتصر هنا على ذكر صفات الدعاة اللازمة التى استنبطها الأستاذ خلال تفسيره لقوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم . إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من

---

(١) انظر للمقارنة الطبرى جـ١٢ ص ١٢٨ـ١٣٠ ، الرازى جـ ١٨ ص ١٣٨ـ١٤٤ ابن كثير جـ٢ ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ و الألوسى جـ١٢ ص ٢٤٠ـ٢٤٥ ، فى ظلال القرآن جـ٤ ص ١٩٨٨ .

الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون . وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون)[(١)] .

والصفات اللازمة للعاملين فى مجال الدعوة فى ضوء هذه الايات هى كالاتـــى :

١ ـ كون الداعية لينا وصابرا : وأول الصفات اللازمة للدعاة وأهمهـــا كما يرى الأستاذ المودودى خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة هو أن الداعيــة لابد له ان يكون شفيقا .رحيما فى معاملته مع الناس كما يكون لينا وصابرا أثنـــاء عمله فى الدعوة ،فلا يمكن للداعية أن يستمر فى عمله فى مجال الدعوة إلا إذا كانت فيه هذه الصفات ، فيقول الاستاذ : " فأول من هذه الصفات واهمها ان يكــون الداعية لينا وصابرا فى معاملته مع الناس شفيقا مع زملائه رحيما لعامة النـــاس وحليما لمن خالفه وعليه ان يصرف النظر عما يرى فى زملائه من الزلات ويتحمـــل ما يأتيه من الشدائد من المخالفين ، كما عليه أن لا يأخذه الغضب مهما تكـــن الاوضاع كما لابد له أن يهتم بالعفو فى معاملته مع المخالفين مهما تكن معاملتهـم معه سيئة ، والحقيقة أن الغضب والشدة والانتقام لا تليق بهذا العمل قط ، بل كثيرا ما تؤدى به الى الفشل ،فلذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (أمرنـــى ربى بتسع ، خشية الله فى السر والعلانية وكلمة العدل فى الغضب والرضـــى والقصد فى الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعنى وأعطى من حرمنى ،وأعفـــو عمن ظلمنى ،وأن يكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرة ، وآمر بالمعـــرف وقيل بالمعروف "[(٢)] رواه أبوهريرة رضى الله عنه .

وكان لهذا يوصى النبى صلى الله عليه وسلم كل من يبعثه لعمل الدعـــوة فيقول : (بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تعسروا)[(٣)] . وهذا ما يذكره الله سبحانه

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٩٩ ــ ٢٠٢ .

(٢) جامع الأصول جـ ١١ ص ٦٨٧ .

(٣) صحيح مسلم ــ كتاب الجهاد ــ باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث .

وتعالى من صفات النبى الحميدة حيث يقول (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك[١] [٢] .

٢ـ كون الداعية سهلا فى أسلوبه لتقديم الدعوة :

ومن متطلبات عمل الدعوة الأساسية " أن يكون الداعية سهلا فى أسلوبه لتقديم الدعوة فيقول الأستاذ مستمرا فى تفسيره للآيات " ومن الصفات اللازمة للداعية كونه سهلا فى أسلوبه لتقديم الدعوة وذلك لكى يفهم الناس مايدعو اليه ، وعليه أن يأمرهم بالمعروف الذى يعرفه الإنسان منذ بداية نوعه ، فأما الأسلوب المنطقى أو الأسلوب الفلسفى فلا يليق بمقتضيات الدعوة قط . والحقيقة أن الدعوة اذا قدمت بالأسلوب السهل الجذاب لسخرت الأذهان والقلوب ولا يمكن لاحد ان يقف فى طريقها ، وأى محاولة أو مؤامرة جابها المخالفون للدعوة لصد طريقها ، يساعد فى انتشارها هنا وهناك وذلك لأنه إذا رأى الناس الفرق بين دعوة الداعية وبين مايأتى به المخالفون بين الأسلوب الذى يقدم به الداعية دعوته وبين الاسلوب الذى يقاومها به المخالفون بين القيم الأخلاقية التى يتصف بها الداعية وبين الأخلاق الرذيلة التى يتصف بها المخالفون لا يمكن لهم أن لايميزوا بين هذا وذاك ويلبوا الداعية تاركين كل من يخالف ، والحقيقة أن بعد ذلك لا يبقى مع المخالفين إلا اصحاب الأغراض الشخصية الخاصة مع النظام الجاهلى أو الذى يجعله تقليد الاسلاف الجاهلى أعمى ، وفى الجملة هذه هى حكمة التبليغ التى اختارها النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته وهذا هو كان الأسلوب الذى انتشرت به دعوة النبى صلى الله عليه وسلم[٣] .

---

(١) آل عمران (١٥٩) .
(٢) تفهيم القرآن جـ٢ ص ١١١ .
(٣) تفهيم القرآن جـ٢ ص ١١٢ .

فالصفة الثانية للداعية التى استنبطها الأستاذ المودودى خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة هى ان الداعية لابد له من ان يقدم دعوته بالأسلوب السهل الذى يفهمه المخاطبون ، واذا لم يهتم الداعية بهذا الأسلوب وقدم دعوته بالأسلوب المنطقى او بالأسلوب الفلسفى لم يفهمها ولا يقبلها الا القليل كان من هذا المنطلق أن الأستاذ المودودى كان يهتم بالأسلوب السهل فى كتبه ومحاضراته وكان هذا هو سبب انتشار دعوته .

— اجتناب الجدال والمناظرة :

ومن الصفات اللازمة للداعية بانه يجنب نفسه الخوض فى الجدال والمناظرة مع المخاطب خلال تقديم دعوته ، وذلك لأن الداعية إذا بدأ دعوته بالمجادلة والمناظرة الجاهلية بالمخاطب لن يقبلها المخاطب قط ، بل سيقوم بمقاومتها بكل مايملكه وهذا يؤدى الى فشل الدعوة ، فإجتناب الجدال والمناظرة إذن من الصفات الأساسية للداعية وهذا مايستنبطه الأستاذ المودودى خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة فيقول :

" ومن الصفات اللازمة للداعية بأنه يعتنى عناية خاصة بكل من يعنى بدعوته ولابد له أن يجتنب الجدال والمناظرة مع الجاهلين وإذا رأى أحدا يجادله أو يطعن فيه أو يرميه بالأكاذيب فعليه أن يعرض عنه اعراضا كاملا ، لان هذا لا ينفع الداعية قط ، بل فى الحقيقة هذا مايضره كثيرا ، وذلك لأن الوقت الذى يأخذه فى الجدال والمناظرة مع الجاهلين لو يهتم به الداعية بعمل الدعوة لكان خيرا له ولدعوته "(١) .

— اجتناب الغضب :

ومن الصفات اللازمة للداعية أن لا يأخذه الغضب والاشتعال

---

(١) تفهيم القرآن جـ٢ ص ١١٢ .

ولا سيما اذا هجمه المخالفون بالأكاذيب والاتهامات والشتائم الرذيلة ، وينزغه الشيطان ان يرد عليهم بنفس الاسلوب وهذا مايضطر الداعية بالوقوع فى المشكلة التى اذا وقع الانسان فيها لا يمكن انقاذه منها ولا تكون نتيجتها إلا فشل الدعوة والداعية ، فلابد للداعية أن يجنب نفسه الوقوع فى الغضب والاشتعال مهما تكن الاوضاع وهذا مايقوله الأستاذ المودودى مستنبطا من هذه الآيات الكريمة فيقول : "إن الداعية إذا أخذه الغضب والاشتعال بسبب مالقيه عن الجدال الجاهلى والمناظرة والأكاذيب والشتائم والاتهامات من قبل المخالفين للدعوة ، لابد له من أن يعرف أن هذا الغضب والاشتعال جاءه من النزغ الشيطانى فيستعذ بالله ويدعوه أن يحفظه ويأمنه من هذا النزغ والاشتعال لكى لا يصدر منه قول او عمل يضر عمل الدعوة، فمن متطلبات عمل الدعوة ومقتضياتها ان الداعية لا يأخذه الغضب والاشتعال مهما تكن الأوضاع فيجب عليه ألا يعمل شيئا إلا وهو يعرف العواقب والنتائج لهذا العمل، ولكن الشيطان الذى لا يعجبه ان يرى انتشار الدعوة الاسلامية ونجاحها يحاول دائما ان يحض اخوته على الهجوم على الداعية ثم ينزغ الداعية أن يقوم بمقاومة هذا الهجوم . وجدير بالذكر بأنه يأتى لهذا النزغ بالتأويلات الدينية العجيبة ولكن الحقيقة ان هذا يكون نتيجة للنزغ الشيطانى فبين الله فى الآيتين الآخرتين أن الشيطان لا يمكن له أن يحض المتقين على مقاومة ما يأتيهم من المخالفين للدعوة ، وذلك لانهم اذا رأوا شيئا فى أنفسهم لذكروا ان هذا من النزغ الشيطانى واجتنبوه اجتنابا كاملا وذلك لانهم يعرفون ماهو الطريق الصحيح الذى لابد للداعية ان يختاره للنجاح فى عمل الدعوة ، ولكن الذين يعملون فى هذا المجال لاغراضهم الشخصية لا يمكن لهم ان يقاوموا هذا النزغ الشيطانى بل يمد بهم الشيطان إلى أين يشاء فهم يقومون بمقاومة

اكاذيبهم بالاكاذيب ومكرهم بالمكر." (١)

نرى هنا بان الأستاذ المودودى خلال تفسيره للآيات الكريمة يهتم باستنباط الصفات الأساسية التى لابد للداعية من أن يقف بها أثناء عمله فى مجال الدعوة كما يعتنى بذكر الأمور التى لابد له أن يجتنبها اجتنابا كاملا وهكذا نراه يبين ماهو النزغ الشيطانى وماهى الطريقة الصحيحة التى يمكن بها القضاء على هذا النزغ كما نراه يفصل الكلام فيما يأتى بها الشيطان وتلاميذه لمقاومة عمل الدعوة ويبين الأسلوب الذى يمكن به مواجهة هذا التحدى . ويؤيد هذا اما بالأدلة من الكتاب والسنة او بالبراهين العقلية القوية وذلك بالأسلوب الحكيم الذى لا يمكن اختياره إلا بعد العمل الطويل فى مجال الدعوة. ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الأستاذ المودودى لم يقتصر على بيان هذه الصفات بل قد اهتم بالتمسك بهما خلال جهاده الطويل فى مجال الدعوة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى اهتم الأستاذ المودودى بتربية أعضاء الجماعة الإسلامية بالاسلوب الحكيم الذى تنمو به هذه الصفات الحميدة فيهم ، وهذا ماتمكن به الأستاذ من استنباط هذه الصفات اللازمة للدعاة من هذه الآيات الكريمة .

يتبين من هذه النماذج أن الأستاذ المودودى كان يهتم بمقتضيات الدعوة ومتطلباتها خلال تفسيره للآيات الكريمة وبهذا تمكن من استنباط مطالب الدعوة ومقتضياتها التى لم يتمكن المفسرون الاخرون من استنباطها وذلك لكونه داعيا مع كونه مفسرا .

ولكن الأستاذ المودودى لا يتفرد فى أسلوبه هذا بل يليه فى هذا الشهيد سيد قطب الذى كان أيضا مفسرا وداعيا كالأستاذ المودودى . والحقيقة

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٢ ص ١١٢ .

أن هذا مايتميز به أسلوبهما في التفسير كما أن هذا هو السبب الذى تمكن به هذان المفسران الكبيران من استنباط مبادئ الدعوة من القرآن الكريم . وهذه هي الحقيقة التي يشير إليها الأستاذ المودودى في مقدمته لتفسير القرآن " ومهما توفر من وسائل لدراسة القرآن فالمرء لا يستطيع ان يصل الى لب روحه مالم يبدأ في تطبيق رسالته تطبيقا عمليا لأن القرآن ليس كتابا يضم افكارا ونظريات مجردة يستطيع المرء أن يقرأه مستريحا في سريره أو جالسا على أريكته ولا هو بكتاب يحوى المسائل اللاهوتية التي يمكن حلها في الأديرة أو معاهد العلم وانما هو كتاب مبعوث لدعوة الناس لان يبدأ حركة ايمانية ثورية وليقود اتباعه ويوجه نشاطهم الى انجاز رسالته . ومن ثم فعلى الإنسان إن أراد أن يفهم معناه الحقيقي ان ينزل الى ميدان معركة الحياة وهذا هو الكتاب الذى حتم على شخص هادى مثل محمد صلى الله عليه وسلم أن يخرج من زاوية عزلته ويشغل الحركة الاسلامية ويحارب ضد العالم الذى قد انصرف عن الحق كما هذا هو الكتاب الذى حثه على اعلان الحرب ضد كل انواع الزيف والبطلان والكفر بدون الاعتناء الى النتائج "(١) ، فيمكننا من هذا أن نتمكن من فهم الفرق الذى نراه في أسلوب هذين المفسرين وفي أسلوب المفسرين الآخرين .

...

---

(١) مقدمة تفهيم القرآن ص ٣٣ .

إن الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعا ولا موضع اختيار إنما هو الإيمان أو فلا إيمان

الرجوع إلى الله، كما يتجلى في ظلال القرآن، له صورة واحدة وطريق واحد، واحد لا سواه، إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم، إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها، والتحاكم إليه وحده في شئونها، وإلا فهو الفساد في الأرض، والشقاوة للناس، والارتكاس في الحمأة والجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله. "فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله؟ إن الله لا يهدي القوم الظالمين"(١)

إن الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعا ولا موضع اختيار، إنما هو الإيمان أو فلا إيمان. "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"(٢) "ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين". (٣)

——— سيد قطب الشهيد - مقدمة "في ظلال القرآن" صفحة - ١٦)

---

(١) القصص ــ ٥٠
(٢) الأحزاب ــ ٣٦
(٣) الجاثية ــ ١٨

المبحث الرابع :

بيان الاهتمام بإقامة الحكومة الإسلامية والعناية بابراز النواحي المختلفة للنظام الإسلامي

ومن مزايا تفسير الأستاذ المودودى للقرآن الكريم هو اهتمامه ببيان أهمية إقامة الحكومة الإسلامية وعنايته بابراز النواحى المختلفة للنظام الاسلامى وفى ذلك نراه يعتنى بالنواحى الاتية :

اولا : يثبت الأستاذ المودودى بان الإسلام هو الدين الوحيد الذى يناسب النوع الإنسانى وذلك لكونه دينا بعث الله به رسله بوصفه خالقا للنوع الإنسانى . واما الأديان والنظم الاجتماعية الأخرى القديمة منها والحديثة فانها لا تناسب فطرة الناس ابدا .

ثانيا : يحقق الاستاذ المودودى بالادلة القوية بأن الإسلام هو الدين الكامل الوحيد الذى يشمل جميع نواحى الحياة الفردية والاجتماعية واما غير الاسلام من الأديان والنظم القديمة والحديثة فكلها ناقصة وغير وافية لما يحتاج اليه النوع البشرى البتة .

ثالثا : يثبت الأستاذ المودودى بالبراهين القاطعة بان الإسلام دين كامل يعتمد على التطبيق ولا يمكن اتباعه الا بتطبيقه فى كل ناحية من نواحى الحياة الفردية والجماعية وذلك لا يمكن إلا باقامة الحكومة الاسلامية .

رابعا : وهو يؤكد بالأدلة الظاهرة من الكتاب والسنة أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان الأصليان للقانون الإسلامى ويليهما الإجماع ثم القياس والاجتهاد المعتمد عليهما .

خامسا : يبين خلال تفسيره للايات القرانية النواحى المختلفة للنظام الإجتماعى فى الاسلام ويؤكد أن المبادىء الأساسية التى ينهض عليها هذا النظام موجودة فى القرآن الكريم .

ويجدر بنا الآن أن نذكر بعض النماذج لكل من هذه المزايا :

١ـ الاسلام دين وحيد يناسب النوع الانساني :

وهناك كثير من الأدلة تدل على كون الإسلام دين وحيد يناسب النوع الانساني نذكر بعضها كالآتي :

أ ـ الاسلام دين الفطرة لانه دين بعث الله به رسله بوصفه خالقا للانسان :

يقول الأستاذ المودودي في تفسير قوله تعالى (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق ـ قل الله يهدي للحق ـ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا ان يهدى ـ فمالكم كيف تحكمون) (١) .

السؤال الذي يطرحه القرآن الكريم هنا سؤال هام جدا، فعلينا أن نفهمه جيدا :

فمن المعلوم أن متطلبات الحياة الإنسانية ومقتضياتها ليست مقصورة على مايحتاجه الانسان من الاكل والشرب او اللبس والسكن في حياة الانسان اليومية بل ـ في الحقيقة ـ اهم من ذلك كله وأكبر هو ان يعرف الإنسان المقصود الحقيقي الذي خلق لأجله والمنهج الصحيح الذي ينهجه في حياته وما هي الاهداف الأصلية التي يبذل لاجلها كل ما اعطاه الله من القوى الذهنية ، والبدنية أو من متاع الدنيا ؟

وهكذا ماهي المعاملة الصحيحة التي يتعاملها الإنسان في دوائر الحياة المختلفة بمن حوله من ابناء نوعه بل وبما في الكون كله ؟

وفي الجملة ماهي الطريقة الصحيحة التي يختارها الانسان في الحياة لكي يتمكن من النجاح والسعادة في الدارين ؟

وهذا المنهج الصحيح للحياة الإنسانية هو الذي يسميه الخالق سبحانه

---

(١) سورة يونس : الآية ٣٥ .

وتعالى " الحق " فى هذه الآية وماتهدى إلى هذا المنهج الصحيح هى التى تعتبر " هداية الحق ".

فالقرآن الكريم يسأل من كل من يشرك بالله أو يكفر بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من ربه يسألهم هل يقدر احد من آلهتهم من دون الله ان يهديهم الى هذا الحق؟

والرد على هذا السؤال هو " لا " . وذلك لان كل مايعبده الإنسان من دون الله يمكن ان نقسمه الى قسمين :

ـ القسم الأول : الآلهة التى جعلها الانسان من الإنس أو الجن او الملائكة او غيرذلك ويعبدها لكى تقضى حاجاته او تحفظه من الآفات. اما الهداية الى الحق فلا يطلبها المشركون من آلهتهم . ولا يعتقدون بأنهم يعبدونها لكى تهديهم إلى المنهج الصحيح فى معاملاتهم المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ـ القسم الثانى : القادة الذين يتبعهم الانسان فى حياته ويتلقى منهم النظام والمنهج لحياته ، ولا شك بانهم يهدونه الى منهجهم الخاص ولكن هل يكون منهجهم هذا هو المنهج الصحيح ؟ بل هل يمكن لهم أن يجعلوا منهجا صحيحا للحياة الانسانية ؟ وهل عندهم العلم الضرورى لايجاد مثل هذا المنهج ؟ العلم بكل مايحتاجه الانسان فى حياته الفردية والاجتماعية والمادية والروحانية، العلم بالقوى الانسانية كلها وبالاهداف التى أعطاه الله هذه القوى لأجلها والعلم الذى يشمل مشاكل حياته الاجتماعية وغيرها . وهكذا هل يمكن ان يكون كل من هؤلاء القادة ارفع من هوى النفس والشهوات النفسانية أو من التعصبات القومية والمذهبية ودواعى اخرى التى تمنع الإنسان ان يجعل منهاجا عادلا مستقيما للنوع الإنسانى .

والجواب على هذه الأسئلة كلها هو النفى بالقطع . .

فكيف يمكن اذن أن يهدى هؤلاء القادة الى المنهج الصحيح ؟ فلهذا السبب يسأل القرآن الكريم الكفار والمشركين إذا كان أحد من الهتهم يهديهم إلى الحق ؟

وكل مايحتاجه الانسان فى حياته ينقسم الى قسمين :

الاول : لابد وان يكون هناك من يعبده الإنسان ويأوى اليه ويدعوه لكى يسمعه ويقضى حاجاته . ويتوكل عليه فى جميع الظروف وفى ضوء ماقدمناه آنفا أن ذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

والثانى : أن يكون هناك من يهديه إلى " الصراط المستقيم " والمنهج الصحيح فى حياته الفردية والاجتماعية وهذا كذلك لا يقدر عليه احد إلا الله سبحانه وتعالى كما تقدم(١) .

إن الأستاذ المودودى خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة يثبت بالأدلة القاطعة بان " الهداية " لا يمكن الوصول إليها إلا بالرجوع الى الاسلام ـ الدين المتين الكامل الذى بعث الله به رسله لهداية البشر وذلك لان الله سبحانه بوصفه خالقا للانسان يعلم المقصود الحقيقى والهدف الاصلى من خلقه ، والطريقة الصحيحة للوصول الى هذا المقصود ولتحقيق هذا الهدف كما هو سبحانه عز وجل قادر على ان يهدى الإنسان إلى هذا الصراط المستقيم .

وان قادة الكفر والضلال مهما بلغ علمهم وتقدمهم لا يمكن أن يكون كاملا وصحيحا والتاريخ الانسانى أكبر شاهد على ذلك . فلا يمكن أن يكون مناهجهم

---

(١) تفهيم القرآن جـ٢ / ٢٨٢-٢٨٤ .

المخترعة في ضوء علمهم وفكرهم هذا مناهج صحيحة وكاملة للحياة .

فيتبين من هذا أن من اختار لحياته منهجا آخر غير الإسلام فردا كان أو امة سيخسر في الدنيا والآخرة وهذا ما يشير إليه قوله تعالى (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (١) .

وجدير بالذكر أن تفسير " الشركاء " في الآية بقادة الكفر والضلالة لا ينفرد الأستاذ المودودي في ذلك بل قد سبقه فيه الإمام فخر الدين الرازي (٢) والعلامة محمود الألوسي (٣) . ولكن الأستاذ وسع في ذلك بأن أتى بالأدلة الكثيرة وببيانه الأوفر والأكثر .

ب ــ الاسلام دين كامل :

وفي تفسيره لقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) يقول الأستاذ المودودي بأن المراد من اكمال الدين هو جعله دينا مستقلا كاملا من كل ناحية فكرا وعملا وحضارة ومدنية فردا واجتماعيا حتى يكون فيها حل لكل مشكلة من مشاكل الحياة وارشادا لكل جانب من جوانبها بصورة مجملة او مفصلة .

والمراد من اتمام الدين هو اكمال نعمة " الإسلام " و " بالرضا بالإسلام دينا " هو ان الله سبحانه راضي بعمل الطاعة والعبودية وليس هناك غيره سبحانه الذي يطلب من الإنسان الطاعة والعبودية له .

---

(١) سورة العصر ١ ــ ٢
(٢) التفسير الكبير ٩ / ٩٦ .
(٣) روح المعاني ١١ / ١١٤ .
(٤) سورة المائدة : ٣ .

فيتطلب قوله تعالى هذا بأنه سبحانه إذ من على المؤمنين باكمال الدين واتمام النعمة والرضا ، فعليهم ان يبذلوا مافى وسعهم لاقامة دينه ولاتباع قوانينه (١) .

فنرى بان الاستاذ المودودى يبين خلال تفسيره لهذه الآية بان الإسلام دين حق كامل من جميع النواحى لحياة الفرد والجماعة ولا توجد هناك مشكلة او مسألة إلا وحلها موجود فى الإسلام فلا يحتاج المسلم ولا يجوز له ان يراجعها من الأديان الأخرى .

ولا ينفرد الأستاذ المودودى فى تفسيره هذا للآية الكريمة بل نرى الشهيد سيد قطب ايضا يفسر هذه الآية بنفس الأسلوب ونستطيع أن نقول بأن تفسير الشهيد رحمه الله هو تفصيل لما أجمله الاستاذ المودودى وتاييده بالأدلة والبراهين (٢) وهكذا المفسرون الآخرون نراهم يفسرون الآية الكريمة بنفس المعنى إلا أنهم لم يعتنوا بالجانب الاجتماعى بالجانب الاجتماعى مثل عنايتهما به (٣) .

جـ ــ الإسلام دين الله الوحيد :

ويقول الأستاذ المودودى فى تفسير قوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب) (٤) .

---

(١) تفهيم القرآن جـ ١ ص ٤٤٤ .

(٢) فى ظلال القرآن : جـ١ ص ٨٢٤ــ٨٤٦ .

(٣) انظر للمقارنة الطبرى : ٦/ ٥٢ــ٥٣ ، الرازى : ١١/ ١٤٠، ١٤٢ ، والألوسى ٦/ ٦٠ــ٦١ ، وابن كثير ٢/ ١٢ــ١٣ .

(٤) آل عمران : ١٩ .

"إن نظام الحياة الوحيد الذى يليق بالنوع الانسانى عند الله سبحانه هو "الاسلام" والمراد منه أن يرضى الإنسان بالله ربا ومالكا ومعبودا ويدع نفسه مستسلما له فى غاية العبودية وغاية الذل وان لا يخترع بذهنه طريقة لاداء واجبات العبودية ومقتضياتها بل يتبع ما ارسله الله لسنه على يد أنبيائه فى كل صغيرة وكبيرة اتباعا جادا حاسما وهذه الطريقة السليمة اسمها "الاسلام" والحقيقة بان الله سبحانه يستحق له ، وهو خالق الكون ومالكه ، ان لا يجيز لرعيته نظاما للحياة غير الاسلام ، وقد يرى الانسان . وجهله ان له الحق فى اتباع كل مسلك والسير وراء كل نظرية ابتداء من الدهرية والالحاد الى الشرك وعبادة الاوثان الا ان حاكم الكون يرى هذا عصيانا وتمردا كبيرا (١) .

فنلاحظ أن الأستاذ المودودى خلال تفسيره لهذه الاية يبين بكل صراحة بان المنهج الوحيد الذى اختاره الله سبحانه لحياة الانسان الفردية والاجتماعية هو الاسلام فقط . فاى دين أو نظام غير هذا لا يناسب بفطرة الانسان . وهذا مايؤيده قوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) (٢) وما يشير إليه امير المؤمنين على رضى الله عنه فى قوله (ان المؤمن اخذ دينه من ربه ولم يأخذه عن رأيه) (٣) .

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص : ٢٣٩ـ٢٤٠ .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

(٣) نقلا عن تفسير الألوسى : ٣/١٠٦ .

والأستاذ المودودي يمتاز لتركيزه على الجانب الاجتماعي خلال تفسيره للاية الكريمة (١) .

وجدير بالذكر أن الأستاذ المودودي في أول الأمر كان يفسر القرآن الكريم بالاختصار دون نقل النصوص أو ذكر المراجع وكان يكتفي بالاشارة اليها فحسب ، ولكنه فيما بعد بدأ يكتب بالتفصيل وننقل الآن بعض ما قال الأستاذ في تفسير قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . كبر على المشركين ما تدعوهم اليه . الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) (٢) .

ويعتبر تفسيره لهذه الآية الكريمة من أهم مباحثه التفسيرية لأنه تمكن فيه من بيان عديد من الامور الهامة وهي كالاتي :

أولا : ان الدين الذي بعث الله به رسله من أولهم إلى آخرهم لم يكن إلا دينا واحدا .

ثانيا : ان الله سبحانه هو الشارع الحقيقي الوحيد لمنهج الحياة الانسانية الفردية والإجتماعية .

ثالثا : ان المراد من الدين هو النظام الاجتماعي الكامل لجميع نواحي الحياة .

---

(١) انظر للمقارنة الطبري : ٢/ ١٤١ ، وابن كثير : ١/ ٣٥٤ ، والرازي ٧/ ٢٢٧ ، والآلوسي : ٣/ ١٠٦ .

(٢) الشورى : ١٣ .

رابعا : ان المراد من إقامة الدين هو إقامة النظام الإسلامي في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

خامسا : ان المراد من التفرقة في الدين هو اتيان امر جديد في الدين ثم جعله فارقا بين الاسلام والكفر .

ونرى أن الأستاذ المودودي يؤيد تفسيره بالأدلة من الكتاب والسنة وبالبراهين العقليـــــة كما هو يرد على من ظن بأن الديـــــن اسم لمجموعة من العقائد والقيم الاخلاقية ولا يشمل الشريعة والمعامـــلات مؤيدا رده بالادلة من القرآن والسنة والسيرة النبوية .

فالآن نذكر ما قاله الأستاذ بهذا الصدد :

ـ الاسلام هو الدين الذي جاء به الرسل عليهم السلام كلهم :

الامر الاول الذي بين الاستاذ المودودي في تفسيره للآية الكريمـــة هو أن الدين الذي بعث الله به رسله من اولهم الى آخرهم لم يكن إلا دينـــا واحدا ، وذلك لان الله سبحانه يقول في هذه الآية بان الدين الذي بعث به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس الدين الذي قد بعث اللــــه به سيدنا نوحا وسيدنا ابراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهم السلام . والحقيقة بان ذكر هؤلاء الانبياء يتضمن ذكر سائر الانبياء والرسل عليهـم السلام وعلى ذلك ما كان محمد صلى الله عليه وسلم مؤسسا لدين جديد مستقل وهكذا غيره من الانبياء ، والرسل لم يكونوا مؤسسي الأديان الخاصة لهـــم بل كان هؤلاء جميعا قد بعثوا بدين واحد وهو "الإسلام "(1) .

---

(1) تفهيم القرآن جـ٤ ص ٤٨٦ .

ثم فسر الاستاذ كلمة (شرع) لغة واصطلاحا واثبت بان المراد من "الشرع" هو المنهج او منهج الحياة و"التشريع" هو "التقنين" و"الشريعة" ماشرع الله لعباده من الدين [١] . ثم بين بان الله سبحانه وهو خالق للانسان ومالكه وولى أمره فهو يستحق له وينبغى ان يشرع للانسان المنهج الصحيح لحياته الفردية والاجتماعية وكان لهذا ان بعث الله سبحانه رسله عليهم السلام بدينه "الاسلام" [٢] .

- الدين هو المنهج الكامل للحياة الانسانية :

ثم يقول الاستاذ بان المراد من الدين هو الانقياد للسيادة والحاكمية وطاعتها [٣] وتستعمل هذه الكلمة للمنهج الذى يتبعه الانسان فى حياته الفردية والاجتماعية مع الاعتقاد بان الذى جعل له هذا المنهج هو الملك الحقيقى ، فيمكن لنا ان نقول بان الدين هو الدستور او النظام الذى جعله الله للانسان ، فعليه ان يتبعه ، فهو ليس توجيه او موعظة بل هو دستور جعله الله لعباده ، ويكون عدم الانقياد به هو فى الحقيقة جحود حاكمية الله وسيادته [٤] .

ويضيف الاستاذ المودودى فيقول "بأن الدين الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس الدين الذى بعث به نوح وابراهيم وموسى عليهم السلام ." ويبين الاستاذ خلال تفسيره لهذه الآية عديدا من الامور وهى كالآتى :

---

(١) اسماعيل بن حماد الجوهرى - الصحاح جـ ٣ ص ١٢٣٦-١٢٣٧ .

(٢) انظر تفهيم القرآن جـ٤ ص : ٤٨٧ .

(٣) انظر : اسماعيل بن حماد الجوهرى - الصحاح جـ٥ ص : ٢١١٧ - ٢١١٨ .

(٤) انظر تفهيم القرآن جـ٤ ص : ٤٨٧ .

أولا : ان الله سبحانه لم يبعث دينه وشريعته إلى كل انسان متفردا ، بل بعث رسله عليهم السلام لتحقيق هذا الهدف .

ثانيا : إن هذا الدين هو كان نفس الدين في كل زمان ومكان وهذه الشريعة هي كانت نفس الشريعة في كل دور من أدوار التاريخ ولم يبعث الله رسله في هذه الأمة بدين وفي تلك الامة بدين آخر بل كل واحد من رسله عليهم السلام قد بعثه الله بنفس الدين وبنفس الشريعة .

ثالثا : ان الايمان بهؤلاء الرسل عليهم السلام هو من مقتضيات الإيمان ومتطلباته وذلك لان الانسان لا يستطيع ان يعمل بمقتضيات الدين ومتطلباته الا اذا آمن برسالة من جاء به اليه (١) .

<u>- المراد من إقامة الدين هو إقامة النظام الإسلامي أو إقامة الحكومة الاسلامية :</u>

ويشرح الأستاذ المودودي قوله تعالى (ان اقيموا الدين) بان الهدف الذي بعث الله لأجله هذا الدين هو "إقامة الدين" وهو العمل به وتطبيقه وتنفيذه في كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

ويستدل الأستاذ على ذلك بعدة أدلة ، فيقول مثلا ،من الناحية اللغوية إذا قلنا أن فلانا تمكن من اقامة حكومته فلا يكون المراد منه "الدعوة" اليها فحسب بل هو أنه تمكن من انقياد البلاد وتنفيذ حكمه كاملا فيها وهكذا إقامة الصلاة مثلا فهي ليست بالدعوة اليها فحسب ، بل المراد منه الاهتمام بأداء الصلوات الخمس في المسجد مع العناية برفع الأذان والاهتمام

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٨٧ .

بأداء صلاة الجماعة فى وقتها وما الى ذلك .

وبعد ذكر الأدلة والأمثلة التى تؤيد موقفه يقول : " يمكننا الآن أن نفهم المراد الصحيح من حكم إقامة الدين والحقيقة بأن الله لما يأمر عباده ورسله بإقامة الدين لم يكن المراد منه الدعوة اليه فحسب بل المراد هو العمل به ونفاذه فى الحياة الفردية والاجتماعية . فلاشك أن هذا العمل الجليل يبدأ بالدعوة والتبليغ ولكن الهدف الأساسى هو إقامة الدين . والدعوة هى وسيلة للوصول إلى هذا الهدف الجليل (١) .

ـ إقامة الدين بدون الشريعة تؤدى إلى فصل الدين عن الدولة :

وخلال تفسيره لكلمة (الدين) فى الآية يشير الأستاذ إلى المشكلة التى وقع فيها كثير من المفسرين بسبب عدم مراعاتهم بالتوفيق بين قوله تعالى (وشرع لكم من الدين ....) (٢) وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (٣) ، فظنوا بان "الشريعة" ليست شاملة فى "الدين" والمراد من اقامة الدين فى الآية الأولى هو إقامة الدين بدون الشريعة أو الاهتمام بالتمسك بالعقائد والعبادات والقيم الأخلاقية فحسب أما الأحكام الشرعية والقانونية والحدود والنظام الاجتماعى او السياسى الذى يشمله الدين فلا حاجة للاهتمام باقامتها "(٤) .

والحقيقة اننا اذا لم نتمكن من التوفيق بين الايتين لوقعنا فى نفس المشكلة التى قد وقع فيها بولس ، قديس المسيح عليه السلام وجاء بنظرية (فصل الدين عن الدولة) وقال (دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله) .

---

(١) تفهيم القرآن ٤/٤٨٨ .

(٢) الشورى : ١٣ .

(٣) المائدة : ٤٨ .

ومن المعلوم ان هذه النظرية كانت سببا لوقوع أمة سيدنا عيسى عليه السلام في الضلالة ولذا من الضروري ان نرى ماهو المراد الصحيح من الدين في ضوء ماورد في القرآن الكريم ، وكيف يمكن التوفيق بين الآيتين .

- الأدلة القرآنية على كون الأحكام الشرعية من الدين :

ويستدل الاستاذ في هذا الصدد بكثير من الآيات ومنها : قوله تعالى (وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (١) .

وقوله سبحانه (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام . ذلكم فسق . اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (٢) .

وقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق) (٣) .

وقوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (٤) .

وقوله تعالى (ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك) (٥) .

انظر تفهيم القرآن جـ ٤ ص : ٤٨٩ .

(١) البينة : ٥ .

(٢) المائدة : ٣

(٣) التوبة جـ : ٢٩ .

(٤) النور : ٢ .

(٥) يوسف : ٧٦ .

يستشهد الأستاذ بهذه الآيات أن الأحكام الشرعية التى وردت فيها كلها من الدين ، وذلك لأن القرآن الكريم نفسه يشهد على كونها من الدين [1] .

التوفيق بين قوله سبحانه (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا .... وبين قوله سبحانه (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) :

وبعد هذا الرد على من يفرق بين الدين والشريعة يقول الأستاذ المودودى : " والحقيقة ان الذين وقعوا فى هذا الخطأ كان سبب وقوعهم فيها بأنهم لم يتمكنوا من فهم الآية (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فهما صحيحا بما رأوا من أن الشرائع السابقة كانت تختلف فيما بينها مع كون الدين واحدا فلذا الشريعة ليست داخلة فى الدين .

ولكن الحقيقة أن هذا المفهوم للآية ليست مفهوما صحيحا ، ولا بد من ملاحظة السياق الذى وردت فيه الآية فى سورة المائدة ليتضح مفهومها الصحيح وهو أن الشريعة التى أعطاها الله لأمة معينة جعلها دينا لتلك الأمة واوجب إقامته عليها . فالدين لامة محمد صلى الله عليه وسلم هو الشريعة التى جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإقامة هذه الشريعة تعتبر إقامة الدين لهذه الأمة .

وأما الاختلاف فى الشرائع المختلفة فليس المراد منه أن هناك تعارض فيما بينها بل المراد منه أن هذه الشرائع تختلف فيما بينهما فى بعض الجزئيات ، وذلك رعاية للزمان والمكان الذى نزلت فيهما

---

(١) تفهيم القرآن جـ٤ ص ٤٩٠ .

كل من هذه الشرائع ، فمثلا كانت الصلاة فريضة فى كل شريعة ،ولكن القبلة لم تكن واحدة وهكذا أوقاتها أو ركعاتها أيضا تختلف من شريعة الى اخرى والصوم كذلك كان فرضا فى كل الشريعة ولكن تخصيص شهر رمضان للصيام لم يكن فى الشرائع السابقة .

فهل يجوز لنا ان نستنتج من هذا ان الدين يشمل الصلاة والصوم ولكن الاهتمام بأداء الصلاة بطريقة معينة وفى اوقات محددة او الاهتمام بالصوم بزمن معين ليس شاملا فى الدين . فالظاهر أن هذه النتيجة غير صحيحة . بل الحق أن الاهتمام بالصلاة او بالصوم بالطريق الذى قرره الله لادائها فى شريعة معينة يعتبر من فريضة اقامة الدين فى هذه الشريعة فالاهتمام بادائهما بالطريق الذى قرره الله للامة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام هذا ما يشمله فريضة اقامة الدين لهذه الامة . وكذلك الاحكام الشرعية الاخرى (١) .

وهكذا جمع الأستاذ بين الايتين المذكورتين وحلل المشكلة التى وقع فيها كثير من المفسرين لعدم جمعهم بين الآيتين . واليك بعض الأمثلة من المفسرين الآخرين :

يقول الإمام فخر الدين الرازى " . . يجب أن يكون المراد من هذا الدين شيئا مغايرا للتكاليف والأحكام وذلك لأنها مختلفة متفاوتة لقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فيجب أن يكون المراد منه الأمور التى لا تختلف باختلاف الشرائع وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر " (٢) .

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٤ ص ٤٩١ .
(٢) تفسير الرازى : ١٥٧/٢٧ .

ويقول الإمام ابن كثير : " والدين الذى جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (١) . وفى الحديث (نحن معشر الانبياء اولاد علات ديننا واحد) (٢) أى القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (٣) .

ويقول الألوسى " (أن أقيموا الدين) أى دين الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون العبد به مؤمنا والمراد باقامته تعديل أركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ والمواظبة عليه " (٤) . ثم يقول فى تفسير قوله (ولا تتفرقوا فيه)" أى : لا تتفرقوا فى الدين الذى هو عبارة عما تقدم من الاصول " . . ثم يضيف " ولا يشمل هذا النهى عن الاختلاف فى الفروع فانها ليست من الأصول المرادة هنا ولم يتحد بها النبيون كما يؤذن بذلك قوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (٥) .

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة من أشهر التفاسير للقرآن الكريم للاشارة الى المشكلة التى جعلت هؤلاء المفسرين الكبار يظنون أن المراد من إقامة الدين هو إقامة الدين بدون الشريعة ولبيان أهمية ما جاء به الأستاذ المودودى فى تفسيره لحل هذه المشكلة . وهكذا يتبين السبب

---

(١) سورة الانبياء ـــ ٢٥ .
(٢) صحيح البخارى ـ كتاب أحاديث الانبياء . باب قوله تعالى " واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من اهلها " .
(٣) ابن كثير : جـ ٤ ص ١٠٩ .
(٤) الألوسى ٢٥ / ٤٢١ .
(٥) المرجع السابق .

الذى جاء الاستاذ لأجله بهذا التفصيل فى تاييد موقفه كما يتضح من هذا مكانة تفسيره من بين التفاسير .

لا يمكن العمل بأحكام الإسلام إلا باقامة الحكومة الإسلامية :

ولم يقتصر الأستاذ على الرد على من يفرق بين الدين والشريعة بل اهتم باتيان الادلة القوية على أن القرآن الكريم لا يمكن العمل باحكامه او التمسك بتعليماته إلا إذا اعتقد الانسان بأن المراد من إقامة الدين هو إقامة الأحكام الشرعية كلها .

فيقول الأستاذ بهذا الصدد :" والحقيقة أن كل من يقرأ القرآن ويتدبر فيه سيصل إلى نتيجة ان هذا الكتاب العظيم لن يسمح للمؤمن به ان يعيش تحت حكم الكفار وسلطتهم ، لأنه جاء بمنهج الحياة المتكامل ويتطلب من كل من يؤمن به أن يطبقه على مستوى الفرد والمجتمع ويبذل كل ما فى وسعه لكى يكون الدين غالبا وظاهرا على الأديان الأخرى ، ولا يمكن العمل بأحكامه لاسيما فى الحياة الاجتماعية إلا أن تكون السلطة فى ايدى المؤمنين الصادقين وهذا ما يؤيده قوله تعالى (إنا انزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) (1) لأن الحكم بما أنزل الله لا يمكن الا بعد الوصول الى السلطة فمثلا الحكم بجمع الزكاة وتقسيمها بين المستحقين (٢) لا يمكن تنفيذه إلا بالسلطة وكذلك ما ورد فى حرمة الربا (٣) وفى القصاص (٤) وحد السرقة (٥) وحد الزنا (٦) والقذف (٧) لا يمكن العمل به إلا اذا كانت الحكومة اسلامية . وهكذا لا يمكن العمل بما ورد فى القتال مع الكفار والمشركين (٨) إذا كان المسلمون متواجدين فى جيش أعداء

---

(١) النساء : ٢٥ .
(٢) التوبة : ٦٠ ، ١٠٣ .
(٣) البقرة : ٢٧٥–٢٧٩ .
(٤) البقرة : ١٧٨ .
(٥) المائدة ٣٨ .
(٦) النور ٢ .
(٧) النور ٤ .
(٨) البقرة ١٩٠–٢١٦ .

الدين ، وكذلك هل يمكن للمسلمين أن يعطوا بحكم أخذ الجزية من الكفار والمشركين (١) وهم يعيشون تحت سيطرتهم .

فلذا يتبين من هذا كله بان فريضة إقامة الدين لا يمكن أداوءها الا اذا كانت السلطة بايدى المسلمين الصالحين . فلذا نرى ان القرآن لا يسمح للمسلمين ان يعيشوا تحت سيطرة الكفار والمشركين وهذا ما يتضح من خلال السور المكية والمدنية جميعا (٢) .

والحقيقة أن هذه الأدلة من القرآن على كون الأحكام الشرعية شاملة فى الدين وعلى كون حكم إقامة الدين شاملا للاحكام الشرعية لا يمكن انكارها لأن القرآن الكريم يوجب على المسلمين فردا وجماعة ان يهتموا بالعمل بهذه الاحكام ، ولكن كما يرى الاستاذ لا يمكن العمل بها إلا باقامة الحكومة الإسلامية وهذا هو المراد من إقامة الدين .

وجدير بالذكر أن الأستاذ لا يقتصر على دعم موقفه بهذه الادلة من القران الكريم فحسب . بل ياتى بدليل عمل سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذى بذل ما فى وسعه لاقامة الاحكام الشرعية حتى تمكن من إقامة الدولة الإسلامية ، والحقيقة أن هذا من أقوى الأدلة التى يوءيد بها الأستاذ تفسيره . فلذا نذكره بالتفصيل .

---

(١) التوبة : ٢٩ .

(٢) انظر بنى اسرائيل ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، الصافات — ١٧١ ، ص ١١ .

أسوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أقوى الأدلة لابراز أهمية إقامة الدولة الإسلامية :

يقول الأستاذ المودودى بهذا الصدد :

" ومن أقوى الأدلة فى تأييد ماقلنا هو سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعمله الجليل الذى وفقه الله به والذى قام به خلال ثلاثة وعشرين سنة من حياته بعد البعثة ، فنرى أنه صلى الله عليه وسلم استمر فى عمل الدعوة والجهاد فى سبيل الله حتى تمكن من اقامة الدولة الإسلامية التى اقام فيها الاحكام الشرعية التى كانت تضم العقائد والعبادات، والاخلاق والاجتماع والسياسة والاقتصاد وجميع نواحى الحياة الفردية والجماعية وعمل النبى صلى الله عليه وسلم هذا كان تفسيرا عمليا لما ورد فى القرآن الكريم ؛ وهل نستطيع ان نقول انه صلى الله عليه وسلم بذل حياته فى العمل الذى لم يبعثه الله لاجله ؟ أو أن الله سبحانه كلف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعمل الذى لم يكن شاملا فى فريضة إقامة الدين حسب هذه الآية ، بل فضلا عن هذا عبر سبحانه عن اكمال عمله هذا باكمال الدين حيث قال (اليوم أكملت لكم دينكم) (١) أعاذنا الله من هذا النوع من التعبيرات ، ولكن هل يمكن التوفيق بين عمل النبى صلى الله عليه وسلم وبين التفسير الذى جاء به هؤلاء المفسرون للآية الكريمة بدون هذا النوع من التأويلات " (٢) .

والحقيقة ان استدلال الأستاذ من أسوة الرسول صلى الله عليه وسلم من اقوى الأدلة فى تاييد موقفه على كون الاحكام الشرعية من الدين . وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يبذل حياته

---

(١) المائدة : ٣.

(٢) تفهيم القرآن جـ ٤ ص ٤٩٢.

الا لتحقيق الهدف الذي بعثه الله لأجله وهو كما يتبين من هذه الآية " اقامة الدين " فلا بد إذن ان اهتمامه صلى الله عليه وسلم باقامة الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة وعنايته بنفاذ الأحكام الشرعية فيها عبارة عن "إقامة الدين " فلذا نستنتج من هذا أن فريضة إقامة الدين لا يمكن التمكن من أداءها إلا باقامة الدولة الاسلامية واقامة الأحكام الشرعية فيها .

ـ التحذير من الوقوع في التفرقة :

وبعد تفسير قوله تعالى (أن أقيموا الدين) يفسر الأستاذ قوله تعالى (ولا تتفرقوا فيه) في الآية الكريمة (١) فيقول : " والأمر الذي يلي الأمر باقامة الدين في هذه الآية هو (لا تتفرقوا فيه) أي في الدين . والمراد بالتفرقة في الدين هو احداث امر فيه ما ليس منه والاصرار على كونه فارقا بين الكفر والإسلام قد يكون هذا الأمر الحديث بإضافة شيء في الدين ما لم يكن فيه أو اخراج شيء منه ما كان شاملا فيه أو التحريف في نصوص الدين بالتأويلات البعيدة لايجاد العقائد والاعمال التي ليس لها أصلا في الدين ، وقد يكون بالتغيير في الأحكام الشرعية وبالتقديم والتاخير في مراتبها كتبديل الواجب الى المباح والمباح إلى الواجب بل إلى الركن من أركان الدين .

وقد تسببت هذه الأمور التفرقة في الأمم السابقة حتى صارت هذه الفرق كأديان مستقلة لا يتصور أهلها أنها كانت من أصل واحد . ولكن

---

(١) الشورى : ١٣ .

هذه التفرقة ليس لها اية علاقة بالاختلاف فى الامور الاجتهادية أو فهم النصوص واستنباط المسائل منها ، والذى يكون بين الفقهاء واهل العلم وهو دليل على سعة هذا الدين (١) . فنرى ان الاستاذ يأتى بعدة آيات قرآنية فى تاييد تفسيره للآية ويثبت أن الدين يشمل العقائد والعبادات والاحكام الشرعية ، والمراد من اقامة الدين هو اقامة النظام الاسلامى بكامله ويستدل عليه باللغة العربية والدلائل العقلية ثم يرد على من زعم أن الدين لا يشمله إلا العقائد والقيم الإخلاقية فقط دون الأحكام الشرعية — ردا وافيا بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة .

ويثبت أيضا أن الاحكام الشرعية وحدود الله لا يمكن العمل بها وتنفيذها إلا بالسلطة والحكومة مؤيدا رأيه بأسوة الرسول صلى الله عليه وسلم وجهاده لإقامة الدولة الاسلامية .

ثم يبين الأستاذ الفرق بين الاختلاف والتفرقة ، الاختلاف بين الفقهاء فى استنباط الأحكام والفروع والاجتهاد والتفرقة المحرمة فى قوله سبحانه (ولا تتفرقوا) ويثبت أن الاختلاف بين الفقهاء فى استنباط الاحكام غير منهى عنه .

...

(١) تفهيم القرآن جـ ٤ ص ٤٩٢ .

- النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يؤيده بالسلطان :

وأبرز الأستاذ أهمية إقامة الدولة الاسلامية في الدين خلال تفسيره للآية الكريمة (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) (١) بوضوح أكثر حيث يقول : ان الله يعلم نبيه أن يدعوه بهذا الدعاء ويطلب منه أن يؤيده بسلطان لكي يتمكن من اصلاح الفساد والقضاء على الفواحش والمنكرات بإقامة حدود الله وقوانينه ونقل هذا التفسير عن قتادة والحسن البصري واختاره كبار المفسرين كابن جرير (٢) وابن كثير (٣) .

فيبدو من هذا أن الاصلاح الذي جاء به الإسلام لا يمكن الوصول إليه بالدعوة والموعظة فقط بل لابد من ان تكون السلطة في الايدي المؤمنة الصالحة ، فعلى هذا يكون الجهاد في سبيل الله لإقامة الدولة الإسلامية من متطلبات الإيمان الأساسية ، وأخطأ من قال بأن الاهتمام بإقامة الحكومة الاسلامية ليس الا ابتغاء الدنيا لان اقامة الحكومة الاسلامية لا تكون لتحقيق الأهداف الشخصية لأي واحد بل تكون لاقامة الشريعة الإسلامية وحدود الله في ارضه سبحانه (٤) .

---

(١) بني اسرائيل : ٨٠
(٢) الطبري ١٥/١٠٢ .
(٣) ابن كثير ٣/٥٩ .
(٤) تفهيم القرآن جـ ٢ ص ٦٣٨ .

وهكذا يبين الاستاذ مكانة السلطة والحكومة لإقامة الدين ويــرد على من يزعم أن الجهاد لإقامة الدولة الإسلامية غير مطلوب في الاســلام ونرى ان الأستاذ يؤيد تفسيره هــذا بالجمع بين الرواية والدراية .

وبعد ما نقلنا بعض ما قال الأستاذ المودودي في ان الإسلام ديــن الحق وان الدين هو النظام الكامل للحياة الانسانية الفردية والاجتماعيــة وفريضة اقامة الدين هو الهدف الاساسي الذي بعث الله الأنبياء عليهــم السلام لأجله، يجدر بنا أن نذكر بعض ما قال الأستاذ في تفسيره في المصادر الأساسية للنظام الإسلامي .

ـ المبادئ الدستورية للدولة الاسلامية :

يقول الاستاذ المودودي في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذيــن آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . فان تنازعتم في شــيء فردوه الى الله والرسول) [1] .

" ان هذه الآية الكريمة هي أساس للنظام السياسي والنظـــام الاجتماعي في الإسلام وتعتبر المبدأ الأول لدستور الدولة الإسلامية والاصول التي تتضمن هذه الآية كالاتي :

المبدأ الأول ـ طاعة الله سبحانه :

فالمحور الحقيقي في حياة المسلم الفردية والاجتماعية هو اتبــاع أوامر الله ، أما طاعة غيره فلابد أن تكون تابعة لطاعة الله سبحانــه واي طاعة مخالفة لاوامر الله فلابد للمسلم الحقيقي أن يضربها عرض الحائــط

---

(١) النساء : ٥٩ .

فهو المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا طاعة فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف (1) .

المبدأ الثاني : طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :

وهى الأصل الثانى فى النظام الإسلامى ولكنها ليست طاعة مستقلة بل تابعة لطاعة الله وهى الطريقة الوحيدة التى يمكن الوصول بها إلى طاعة الله سبحانه . فالرسول مطاع لانه لا يمكن أن نقوم بطاعة الله إلا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فطاعة الله سبحانه لا تعتبر صحيحة الا اذا كانت على طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك عصيان الرسول صلى الله عليه وسلم فى أى أمر يعتبر عصيانا لله كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله) (٢) .

المبدأ الثالث : طاعة أولى الأمر من المسلمين فى المعروف :

والطاعة الثالثة التى يجب على المسلمين فى الدولة الاسلامية الخضوع لها هى طاعة أولى الأمر منهم وهذه الطاعة لابد ان تكون تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله .

والمراد من اولى الامر القادة فى الدولة الإسلامية وتشمل هذه الكلمة العلماء وقادة الفكر والسياسة والمسئولين فى الحكم والادارة فيجب طاعتهم فى المعروف ولا يجوز عصيانهم فيها . ولكن ذلك اذا كان قادة المسلمين صالحين مطيعين لله تعالى ولرسوله . وهذان هما الشرطان الأساسيان لطاعتهم كما يتبين ذلك من كثير من الأحاديث ومنها ما روى عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بأنه قال : (السمع والطاعة على المرء

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية .

(٢) المرجع السابق .

المسلم فيما احب وكره مالم يؤمر بمعصية ،فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) [١] . وماروى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (لا طاعة فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف) [٢] . وما روى عن ام سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم (ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع فقالوا أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا ماصلوا . وفى رواية : فمن كره برئ ومن أنكر سلم ..) الخ [٣] . وما روى عن عوف بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم بانه قال (شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم . قيل يارسول الله أفلا ننابذهم بالسيف فقال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة) [٤] .

فيتبين من هذه الأحاديث بأن ترك الصلاة هى علامة كونهم خارجين من طاعة الله وطاعة رسوله فتكون مستلزمة للخروج عليهم كما يتبين منها أن أداء الصلاة بأنفسهم فقط غير كاف لمن يتولى مثل هذا المنصب الجليل فلابد أن يقيموا الصلاة فى الدولة كلها ، وبذلك تعتبر حكومتهم " الحكومة الإسلامية " والا غير الإسلامية ويجب على المسلمين الخروج عليها وروى عن عبادة بن الصامت " دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه فكان فيما أخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وان لا ننازع الأمر اهله قال إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله برهان " [٥] .

---

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق باب وجوب الإنكار على الامراء فيما يخالف الشرع.

(٤) المرجع السابق

(٥) صحيح مسلم ـ كتاب الامارة ـ باب وجوب طاعة الامراء فى غير معصية .

المبدأ الرابع : الرجوع الى الكتاب والسنة فى حالة الاختلاف :

والاصل الرابع الذى يستنبط من هذه الآية هو بان كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما المصدران الأساسيان للقانون الاسلامى . واذا كان هناك اى خلاف او نزاع بين المسلمين أو بين الشعب والحكومة فلابد من الرجوع الى الكتاب والسنة ، فيكون حكم الكتاب والسنة حكما نهائيا فى هذا النزاع ، وهذا مايميز به النظام الإسلامى من غيره .

ويجدر بنا أن نرد هنا على من يقول : كيف يمكن الرجوع الى الكتاب والسنة فى كل مسألة من مسائل الحياة ؟ وهناك كثير من المسائل التى لانجد لها أى حل فى الكتاب والسنة ، كشئون الإدارية والبرق والبريد وغير ذلك من القضايا الحديثة لاتوجد لها أى تعليمات فى الكتاب والسنة .

والحقيقة أن ايراد هذه الشبهة يدل على عدم فهم هؤلاء لحقيقة الدين واصولها . فالمسلم الذى يؤمن بالله سبحانه وتعالى وانه الشارع الحقيقى ويعتقد أن حريته مقيدة بالقيود والحدود من الله — فهو عند تعرضه لاى قضية فى حياته يراجع الكتاب والسنة فان وجد حكمها فيهما عمل به وإلا جاء بالحل لهذه القضية فى ضوء ماجاء من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم (١) .

فنرى أن الأستاذ المودودى يفسر هذه الآية باسلوب يجمع بين الرواية والدراية واستطاع ان يستنبط منها المبادىء الدستورية للدولة

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص ٣٦٣—٣٦٦ .

الإسلامية وهي :

أولا : المطاع الحقيقي والشارع الحقيقي هو الله سبحانه فلا يجوز للمسلم العدول عن أحكامه وشريعته أو اتباع أي نظام غير نظامه وهو الاسلام.

ثانيا : بأن السنة هي الأصل الثاني في النظام الإسلامي ومصدر التشريع الأساسي بعد كتاب الله ولا يمكن تدوين الدستور الأسلامي بدون الرجوع اليها ، ومردود قول من ينكر من كونها مصدرا اساسيا في التشريع الاسلامي .

ثالثا : لزوم طاعة ولاة الامر للمسلمين وتكون تابعة للكتاب والسنة لان النظام الإسلامي لا يمكن تدوينه وتطبيقه إلا بعناية العلماء والفقهاء وقادة الفكر والحكام والقضاة .

رابعا : وجوب الرجوع الى الكتاب والسنة في الخلافات والنزاعات التي تقع بين المسلمين .

وجدير بالذكر ان هذا التفسير للآية الكريمة يتضح منه أن الأستاذ المودودي كان له الاطلاع الواسع على ما يتعلق بدستور الدولة الإسلامية فضلا عن امعان نظره في الكتاب والسنة ، وهذا ما يمتاز به تفسيره من بين التفاسير الأخرى .

...

الشـــورى ومكـانتهـا فـي النظـام الاسـلامـي

وبعد ما ذكرنا ما قـال الأستـاذ المودودى في المبادئ الأساسية في الدستـور الاسـلامي ، يحسـن بنا أن ننقل هنـا ماقاله الأستاذ في مسألـة الشـورى خـلال تفسيـره لقولـه تعالى ((وأمـرهم شـورى بينهـم)) (١) نظـرا لما تتمتع الشورى في النظام الاسلامي من أهميـة ومكانة .

واليك النص من تفسيـر الأستـاذ للآيـة الكريـمة ، يقول " وهـذه الصفـة يعتبرها القـرآن من أهم صفـات المـؤمنيـن ، فقد أمر الله نبيـه بالاهتمـام بها في قوله تعـالى ((وشـاورهم فـي الأمـر)) (٢) فالشـورى اذن تعتبـر من أهم المبـادئ للنظام الاسـلامي ، وعدم الاهتمام بها في الشئوون الاجتماعيـة ليس من سمـات النظام الجـاهلى فحسـب بـل مخـالفـة لما أمر بـه اللـه واذا خضنـا في الأسبـاب التي يعتني بها الاسلام لأجلها ، ظهـرت لنا الأمـور الآتيـة :-

أولا : الأمور التـى تتعلـق بأكثـر من شخـص واحـد ، لايجوز فيها لأحـد أن يحـكم بـرأيـه الفـردى ، دون الالتفات الى الآخـرين ، والعقل يقتضـى ذلك ، فالمعاملة التى تتعلق بأكثـر من شخص واحـد فلا بـد أن يكون لكل واحـد منهم نصيـب في المشـورة ولو اعتمادا على آراء النـواب عنهم اذا كان عددهم كثيـرا

ثـانيـا : الأمـور المشتـركـة المنافـع بين المسلميـن ، لايحـكم أحـد فيها بـرأيه الفـردى دون استشـارة الآخـرين . ولا ينحرف أحـد عن هذا الطريق الا اذا كان متكبـرا فخـورا بنفسـه الى حـد احتقـار الناس سواه أو استـولت عليـه نـزعـة الخيـانـة . وطبعـا هاتـان الصفتان مفقودتان في المـؤمـن الحقيقي ، لأنـه لا يكـون متكبـرا فخـورا ولا يتعـدى الى حقـوق الآخـريـن .

ثالثـا : وهـذه حقيقـة أن الحـكم في الأمـور المشتـركة المصالح مسئولية خـطيـرة ، لا يرضى بتحملهـا من يتقـى الله ويعـرف ماهى متطلبات هذه المسئولية فيفضـل أن يستشيـر كل من له عـلاقـة بهذه الأمـور رأسـا أو بطريق النـواب وذلك ليتمكـن من الوصـول الى الحـق ، فلو طرأ خـطأ هناك يتحمل الجميـع مسئـوليتـه .

هـذه هـى الأمـور الثـلاثـة التى تجعـل الشـورى أمـرا هـاما للمجتمـع الاسـلامـي الذى لا يسمح لأحـد أن ينحـرف عنهـا مهما تكن الأوضـاع ، فالنظام

الاسلامي يقتضي الاهتمام بالشورى في كل أمر من الأمور الاجتماعية مهما صغر أوكبر . فالزوجان مثلا من واجبهما أن يقوما بتدبير أمور البيت بالمشورة بينهما . والأولاد (اذا مابلغوا رشدهم) فيشتركوا في المشورة وهكذا اذا كانت الأمور بالقبيلة أو القرية فلا بد أن يشترك فيها أهلها كلهم أو نوابهم . واذا كانت الأمور تتعلق بالشعب أو الدولة ، فلا بد للقوم أن تشترك فيها ، ويكون اختيار الرئيس أو ولي أمرهم برضائهم الحر ومن واجب الرئيس أوولي الأمر أن يتشاور مع النواب الذين اختارهم القوم برأيهم الحر ، والذين لاتزال ثقة قومهم فيهم . والحقيقة أن المؤمن الحقيقي نظرا لماقلنا عن مسئولية رئيس الدولة الكبرى في الاسلام لا يمكن أن يتسلط على الرياسة بالقوة أوأن يرغب في استمرار حكمه دون رضا القوم . وهكذا لا يصح أن يلجأ الى أساليب الغش والخيانة للوصول الى السلطة ... و يكسب ثقتهم بالخدعة أو بالقوة . ولا يصح له أن يسلط على الشعب رأيه في اختيار النواب . فهذا كله لايفعله الا من لا يخاف الله ولا يهمه أن يخدع الله والناس — مع الواقع أنه خادع نفسه — والله يعلم كل شئ والناس يميزون بين المتظاهر بالتقوى وبين من يتقى ربه سرا وعلنا وفي كل أمر ويعرفون من هو خادم لهم ومن يخدم نفسه وذويه فقط" (١)

فهكذا بين الأستاذ المودودى في تفسير آية الشورى أن قيام النظم في كل شأن من شئوون الحياة الاجتماعية والمسئولية في المجتمع الاسلامي مرتبطة بالمشورة ، فمن الواجب الديني للرؤساء والملوك أن يهتموا بمقتضيات الشورى ولا يحكموا في الأمور الاجتماعية الا بمشورة نواب الأمة الذين تختارهم الأمة برأيها الحر .

وهذا نظام اجتماعي في ظل الاسلام وهذه الروح كانت مسيطرة على المجتمع الاسلامي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، سواء في فترة بقائه في مكة المكرمة وذلك في تدبير شئوون الجماعة الاسلامية أو بعد هجرته إلى المدينة المنورة وذلك لتدبير شئوون الدولة الاسلامية . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في أمور الدولة والجماعة ، وهكذا خلفاؤه الراشدون وهذا من أقوى الأدلة في هذا التفسير لهذه الآية .

و فصل الأستاذ المودودى في بيان مقتضيات الشورى نظرا لأهميتها في اطار النظام الاسلامي جماعة وحكومة فيقول :

---

(١) تفهيم القرآن [illegible]

المتطلبات الأساسية للشورى :

ويتضمن الحكم الوارد في الآية (أمرهم شورى بينهم) خمسة أمور ، وهي :

أولا : أفراد المجتمع الاسلامي من حقهم أن يتمتعوا بحرية الرأى ، ويكونوا على بصيرة ومعرفة فيما يجرى في أمورهم ، وضرورى أيضا أن يحق لهم توجيه النقد الى ولى أمورهم اذا أخطأ في الحكم وكذلك لهم أن يغيروا هذا النظام اذا فشل كل محاولات الاصلاح بالموعظة والنقد .

والحقيقة أن الاهتمام بأمور الناس والحكم فيها دون الالتفات الى رأيهم الحر عقبة في تحقيق ما اقتضت الاية من الشورى والاهتمام بها .

ثانيا : يكون اختيار ولى الأمر برضا الأمة ولا يتحقق رضاهم الا بابداء الرأى الحر دون اكراه وتخويف أو طمع أو تزوير ، فهذه الحيل كلها تحول دون تحقيق الرأى الحر وليس لولى الأمر اللجوء اليها .

ثالثا : أعضاء مجلس الشورى لابد لهم أن يتمتعوا بثقة الناس فيقع اختيارهم برأى الناس الحر ثم استمرار ثقة الناس فيهم وذلك لا يكون لو لعبت وسائل التزوير والخدعة والتخويف والاكراه دورها في اختيارهم ولا يرجى منهم القيام بأداء الواجب في مثل هذه الأوضاع .

رابعا : ولابد أن يتمتع أعضاء مجلس الشورى بالحصانة والحرية الكاملة حتى يقدموا وجهات نظرهم وما يرونه صحيحا . واذا فقدوا هذه الحرية فلا أمل فيهم في صلاح الأمة وهى خيانة في حق الشعب ونقض صريح لمقتضيات الآية (وأمرهم شورى بينهم) .

خامسا : وعلى ولى الامر أن يقبل رأى الآخرين ويخضع لرأى الشورى الجماعي ، أو الرأى الذى ذهب اليه أغلبيتهم أى رأى الجمهور .

ولا فائدة للشورى اذا كانت لمجرد استماع الآراء دون الإلتفات إليها في حين التنفيذ . والله سبحانه لم يقل بأنهم يتشاورون في الأمر وكفى بل قال (وأمرهم شورى بينهم) فلا يتحقق القول الا اذا تقيد ولى الأمر وعمل بمشورة أعضاء الشورى .

ولا داعية للاشارة أن مجلس الشورى مع مكانتها لا يجوز له أن يتعدى حدود الله التى قررها القرآن والسنة . فقد حدد الله مجال عمله بقوله

((فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول)) (١) فمن واجب المسلمين أن يتشاوروا في فهم المراد الصحيح من نصوص القرآن والسنة ولا يجوز لهم أن يحكموا في الأمور التي حكم فيها الله ورسوله عليه الصلاة والسلام (٢)

فنرى خلال تفسير الأستاذ المودودى صراحته في تعيين مكانة الشورى في النظام الاجتماعى الاسلامي جماعة وحكومة وما هي متطلباتها وكيف يمكن استغلالها استغلالا صحيحا وما هي الأساليب التى لو استعملت فتحول دون التمتع بثمرات الشورى ولو ظلت معمولة بها شكليا

وهو لما يفسر النظام الاسلامي يبرز ملامحه ويحدد عناصره حتى لا ينقلب هذا النظام لعبة بيدى كل طامع ومنحرف . فهذا النظام محدد ومعلوم الجوانب وليس على المرء الا بذل الجهود في سبيل تنفيذه وهنا تظهر شخصية الأستاذ المودودى فهو ليس مفسرا يفسر الآيات بذكر الأقوال فقط بل هو داعية يعرف ما المطلوب من المسلم وما هي العوائق في سبيل تحقيق أمنيته كما نراه في بيان الشورى هنا . فالشورى علاقتها مع حرية الرأى والنقد وثيقة وكذلك اختيار الشعب ولي أمره واختيار أعضاء الشورى واخضاع ولي الأمر لرأى الشورى وكذلك تقيد أعضاء مجلس الشورى بالكتاب والسنة ، فهذا كله داخل في معنى الشورى ولا تتم الشورى والعمل بها الا بتحقيق هذه الشروط كلها .

وهذه هي الشورى الاسلامية التى لا ينافسها أى نظام آخر حديثا كان أو قديما .

وجدير بالذكر أن الأستاذ المودودى يعتنى أكثر بالناحية الدستورية والتنفيذية في تفسيره . وعرفنا مكانته عند المقارنة بالتفاسير الأخرى (٣) .

---

(١) النساء — ٥٩

(٢) تفهيم القرآن ج — ٤ — ص — ٥١٠ —

(٣) أنظر للتقابل الرازى ج — ٢٧ — ص ١٧٨ / ابن كثير ٤ / ١١٨ روح المعانى ٢٥ / ٤٦ ، في ظلال القرآن ٥ / ٣١٦٥

المبادئ الأساسية والنواحي المختلفة للنظام الاسلامي :

وبعد أن تحدثنا عن ما قال الأستاذ المودودي في تفسيره لبيان أهمية اقامة الحكومة الاسلامية والمصادر الأساسية للدستور الإسلامي ومكانة الشورى في الإسلام ، يجدر بنا أن نأتي هنا بما قال الأستاذ في تفسيره مبينا المبادئ الاساسية للدستور الاسلامي والنواحي المختلفة للنظام الاسلامي ، فهو يهتم ببيان هذه المبادئ في المواضع المختلفة خلال تفسيره للقرآن الكريم .

في تفسيره للآيات (من ٢٣ الى ٢٧) من سورة بني اسرائيل مثلا يبين الأستاذ المبادئ الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي ويفصل الكلام في النواحي المختلفة للنظام الإسلامي . .فيقول " ان الله يبين في هذه الايات الكريمة المبادئ الأساسية للمجتمع الإسلامي والبنود الأساسية لدستور الحركة الإسلامية الذي أنزله الله – على نبيه صلى الله عليه وسلم – حينما كانت الحركة تنتقل من مرحلتها المكية إلى مرحلتها المدنية ، وذلك لكي تتضح لكل واحد الأسس التي جاء بها الإسلام للنواحي الخلقية والمدنية والاقتصادية والتشريعية للمجتمع الاسلامي أو الدولة الإسلامية ،ونحن إذا قرأنا تفسير هذه الآيات مع ما ذكرناه في تفسيرنا للآيات (١٥٠–١٥٣) من سورة الانعام (١) ، لفهمنا المبادئ الأساسية للمجتمع الإسلامي فهما كاملا (٢) .

ثم يفسر الأستاذ هذه الآيات واحدة تلو الأخرى مبينا المبادئ الأساسية للدستور الاسلامي :

---

(١) انظر تفهيم القرآن جـ ١ ص : ٥٩٦–٦٠١ .

(٢) تفهيم القرآن جـ ٢ ص : ٦٠٩ حاشية رقم ٢٥ .

الحاكمية لله سبحانه وتعالى ـ المبدأ الاساسي الأول للدستور الاسلامي :

ويقول في تفسير قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) [1] بأن المراد من العبادة هو ليس أداء الطقوس فحسب بل المراد الحقيقي من العبادة هو ان تخلص العبودية والطاعة كلها لله تعالى وحده فالمسلم الحقيقي لا يتبع إلا شريعته ولا يخضع إلا أمام سلطته العليا ، ودائرة هذا الامر ليست محدودة الى الايمانيات او الاعمال الفردية فحسب ، بل تشمل القيم الاخلاقية والمبادئ السياسية والمدنية التي أسس عليها النبي صلى الله عليه وسلم الدولة الاسلامية الاولى في المدينة المنورة ، فالاساس الذي أقيمت هذه الدولة عليه هو ان الحاكمية والتشريع والملك لله تعالى وحده ولا حاكما ولا شارعا ولا ملكا ولا مالكا إلا الله [2] . والحقيقة ان هذا المبدأ يعتبر المبدأ الأول للدستور الإسلامي ولا يمكن ان يكون اى دستور دستورا اسلاميا الا اذا كان قائما على الاساس بأن الله هو الشارع الحقيقي ولا يجوز لاى انسان فردا او جماعة او شعبا ان يقوم بتشريع أى قانون إلا في ضوء مابعث الله رسوله به ، وهذا مايجعل الكتاب والسنة المصدرين الأساسيين للشريعة الاسلامية ، ونحن إذا اهتممنا بتدوين دستورنا على هذا الاساس يكون هذا الدستور دستورا إسلاميا والا فلا .

الاحسان بالوالدين :

ويقول في تفسير قوله تعالى " وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا " [3] "يبين الله

---

(١) سورة بني اسرائيل : ٢٣-٢٤ .

(٢) تفهيم القرآن ج٢ ص ٦٠٩ حاشية رقم ٢٦ .

(٣) سورة بنى اسرائيل : ٢٣-٢٤ .

في هذه الآية أن الوالدين هما أكثر حقا بالطاعة بعد الله سبحانه ورسوله ، ويجب على الأولاد أن يطيعوا اوامرهم دون تردد ويحترموهم ويخدموهم والمجتمع الاسلامي من مقتضياته الأساسية أن تنموا فيه القيم الأخلاقية التي لا تسمح للأولاد أن يعصوا والديهم بل لابد أن تجعل الأولاد مستخدمين لهما وذلك لكي يقوم الأولاد بخدمة والديهم كما قام الوالدان بتربيتهم في صغرهم . وجدير بالذكر أن هذه الآية الكريمة تتضمن فيها العديد من الاحكام الشرعية التي قام الفقهاء بتدوينها ولها دور هام في تكوين شخصية المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية وهذا ما يجعل الدولة الإسلامية بتشريع قوانينها وتنظيم اداراتها وتشكيل سياستها التعليمية لتكوين الأسرة المسلمة وتنظيمها "(١) .

وهذه التعليمات كما يفسرها الأستاذ المودودي تجعل المبدأ الثاني للدستور الاسلامي ، والحقيقة أن المكانة الجليلة التي يحظى بها الوالدان في المجتمع الإسلامي من متطلباتها أن يكون لهما حقا دستوريا واضحا مع حقهما الأخلاقي ،وهذا ما يمتاز به المجتمع الإسلامي على المجتمعات الأخرى وكان بفضل هذا الاهتمام ان المجتمع الاسلامي لم يظهر فيه المفاسد التي أفسدت كيان الأسرة في المجتمعات الغربية الحديثة .

التعليمات المتعلقة بالعدالة الاجتماعية :

١) الإهتمام بالاقارب .

٢) الاهتمام بالمساكين .

٣) الاهتمام بأبناء السبيل .

٤) حرمة التبذير والاسراف .

---

(١) تفهيم القرآن جـ٢ ص ٦١٠ حاشية رقم ٢٧ .

ويقول في تفسير قوله تعالى " وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا "(١)

وتفيد هذه البنود الثلاثة لدستور الدولة الاسلامية بأن المسلم لا يجوز له أن يمسك ماله كله لتحقيق أهدافه الشخصية فحسب بل يجب عليه ان ينفقه على أقربائه وجيرانه وذي الحاجة بعد ان يقضي حاجاته الشخصية ، وذلك ليسود المجتمع الإسلامي بالمحبة والرحمة ،فكل فرد في المجتمع يتعاون مع اقربائه وجيرانه ،فالغني يساعد المحتاج والفقير والمسافر لا يجد مسلما الا واستضافه وفي الجملة كل واحد في المجتمع يقوم على أداء حقوق أخيه المسلم وهو يؤدي هذه الحقوق لكونها واجبا عليه ، ولا يعتقد بانه يمن على الآخرين واذا لم يقدر على أداء حق من هذه الحقوق يعتذر عليه ويستغفر ويطلب من ربه أن يوفقه لاداء هذا الحق .

وجدير بالذكر أن هذه التعليمات لم تكن للحياة الفردية فحسب ، بل في الحقيقة كانت البنود الأساسية لدستور المجتمع الإسلامي فكان في ضوء هذه البنود أن الدولة الاسلامية بالمدينة المنورة قد أوجبت فيها أداء الصدقات الواجبة ، كما نفذت فيها عدة من الأحكام في المواريث والوصية والوقف، وصدرت فيها عدة من الأوامر للمحافظة على حقوق اليتامى . وقد جعل على المسلمين أن يستضيفوا المسافرين لثلاثة أيام على الأقل ، وكانت نتيجة هذه الإحكام والتعليمات بأن المجتمع الإسلامي بالمدينة المنورة كان جوه يمتلئ بالرحمة والشفقة والتعاون ،حتى بدأ الناس يؤدون تطوعا الحقوق التي لا يؤدونها بالقوة (٢) .

---

(١) سورة بني اسرائيل : ٢٦–٢٨ .

(٢) تفهيم القرآن جـ٢ ص ٦١٠ حاشية ٢٨ .

فيرى الأستاذ المودودى خلال تفسيره للآية بأن التعليمات التى وردت في هذه الآيات ليست التعليمات الأخلاقية فحسب بل هى فى حقيقة أمرها تشمل البنود الإساسية لدستور المجتمع الإسلامى ، وهذا ماتؤيده اهميتها البالغة للعدالة الاجتماعية فضلاعن السياق الذى هى وردت فيه. والحقيقة أنه كان بفضل هذه التعليمات السامية ان المجتمع الإسلامى لم تظهر فيه المعضلات الاقتصادية التى جاءت بالمفاسد العديدة فى المجتمعات الاخرى.

— التعليمات المتعلقة بالتوازن فى المعيشة والاقتصاد :

ويقول فى تفسير قوله تعالى " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا "(١) ، فقوله " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك " جاء استعارة عن البخل كما فى قوله " ولا تبسطها كل البسط" جاء استعارة عن الاسراف والتبذير ، وإذا قرأنا هذا البند مع البند رقم (٤) يتبين لنا أن النظام الاقتصادى الإسلامى من متطلباته الأولى الاهتمام بالاعتدال فى المعيشة ، فهو لا يسمح للمسلمين أن يمنعوا العمل الاقتصادى ببخلهم ولا يسمح لهم أن يبذروا أموالهم تبذيرا ، بل يطلب منهم ان يكونوا معتدلين متوسطين فى معيشتهم ، ينفقون اموالهم حيث كان ضروريا ولكنه لا يسمح لهم أن يكونوا مسرفين او مبذرين فيمكن لنا أن نقول ان النظام الاقتصادى الإسلامى لا يسمح للمسلمين أن يصرفوا أموالهم فى اى طريق غير جائز ، فهذا هو السبب بانه يقرر أن المبذرين هم أخوان الشياطين" .

وجدير بالذكر ان هذه التعليمات لم تكن للحياة الفردية فحسب ، وهكذا لم تكن هذه الأحكام — الأحكام الأخلاقية فحسب — بل يستنتج من

---

(١) بنى اسرائيل : ٢٩ .

هذا ان المجتمع الاسلامى لا يمكن اقامته إلا إذا أقيمت فيها هذه الأحكام والتعليمات عن طريق السلطة ، فنرى ان الدولة الاسلامية بالمدينة المنورة قد أخذت العديد من الاجراءات لتنفيذ هذين البندين للدستور فقامت الدولة بمنع الطرق التى تؤدى إلى الاسراف والتبذير ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، قامت الحكومة بالقضاء على العادات الجاهلية التى كانت تؤدى إلى الاسراف ، وهكذا تمكنت الدولة من القضاء على البخل باقامة نظام الزكاة والصدقات ، ولم يبق هناك اى مجال للارتكاز ، واتخذت الدولة عدة وسائل لتوعية المجتمع الإسلامى لكى يتمكن الناس من التفريق بين الانفاق والتبذير ، وبين البخل والاعتدال ، وبهذا كانت تتعين مكانة كل واحد منهم فى المجتمع ، وفى الحقيقة كان من نتيجة هذه التوعية والتربية أن المسلمين مازالوا يميزون بين هذا وذاك حتى اليوم (1) .

فنرى هنا أن الاستاذ المودودى يبين فى تفسيره لهذه الآية الكريمة بأن الدولة الاسلامية الاولى بالمدينة المنورة اتخذت عدة اجراءات للقضاء على العادات القبيحة والمسالك الرذيلة كالاسراف والتبذير والبخل من المجتمع الاسلامى ، وذلك تنفيذا للقوانين التى تشملها هذه الآية الكريمة ، فلذا رأى الأستاذ المودودى أن هذه التعليمات تشملها بعض المبادئ الأساسية للدستور الإسلامى ، وهذا ما يؤيده السياق الذى وردت فيها ، كما تؤيده الاجراءات التى اتخذها النبى صلى الله عليه وسلم فى المجتمع الإسلامى بالمدينة المنورة .

---

(١) تفهيم القرآن ، جـ ٢ ص ٦١٢ حاشية : ٢٩ .

التفاوت في المعيشة من مشيئة الله سبحانه :

ويقول في تفسير قوله تعالى " إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا "[1] ان الانسان لا يمكن له أن يفهم المصالح التي جعلها الله في الاختلاف في تقسيم الرزق في عباده ، فلذا لا يجوز له أن يقوم بتغيير ذلك النظام ، والحقيقة أن القيام بتغيير هذا النظام من طريق غير حقيقية وغير اسلامية يصبح أساسا للظلم يستوجب اللوم ، والاسلام لا يسمح له فالنظام الاقتصادى الصحيح هو الذى يكون مطابقا للتقسيم الذى جعله الله بمشيئته .

وجدير بالذكر أن القاعدة التي بينها الله في هذه الآية ، كان من فضلها ان الاصلاح الاجتماعي الذى تمكنت الدولة الاسلامية بالمدينة المنورة من إكماله لم يكن يفكر فيه احد في كون هذا الاختلاف في المعيشة سيئا في نفسه ، وهكذا لم يفكر فيه أحد أن يقوم بالقضاء عليه ، بل نرى بأن الاسلوب الذى اختارته الدولة هو كان الاهتمام بالقضاء على الظلم والتعدى بانواعهما من المجتمع ، وذلك مع بقاء هذا الإختلاف في المعيشة الذى جاء بعدة من الفوائد الروحانية والخلقية والمدنية (٢) .

فنرى الأستاذ المودودى هنا بأنه خلال تفسيره للآية الكريمة يشير الى الحقيقة التي لو اهتم بها الإنسان فردا او مجتمعا أو شعبا ، لخلص من كثير من الآلام والمشاكل التي يتخبط فيها اليوم لعدم اهتمامه بها ، والحقيقة أن الظلم والتعدى اللذين نراهما اليوم في المجتمعات بانواعهما ، ولا سيما في المجال الإقتصادى ليس إلا نتيجة عدم العناية بالتعليمات الواردة في الآية الكريمة فلذا لو جعلها المجتمع الإسلامى أساسا لدستوره ، لتمكن من

---

(١) بنى اسرائيل – ٣٠ .

(٢) تفهيم القرآن جـ ٢ ص : ٦١٢ .

القضاء على هذا الظلم والتعدى ، كما نراه فى المجتمع الإسلامى بالمدينة المنورة ، وهذا ما يشير إليه الأستاذ المودودى فى تفسيره للآية الكريمة وجدير بالذكر أن نظام الاقتصاد الإسلامى كان لاهميته البالغة ان اهتم به الاستاذ بصفة خاصة خلال تفسيره للآيات الواردة فى هذا الموضوع فى المواقع المختلفة فى القرآن ، فمثلا نراه يتناول هذا الموضوع خلال تفسيره لآيات الربا فى سورة البقرة (١) . كما نجده يعتنى به خلال تفسيره للآيات الواردة فى المواريث فى سورة النساء (٢) . وهكذا نراه يهتم به خلال تفسيره للآيات الأخرى الواردة فى هذا الموضوع. ولو اتسع لنا مجال لجئنا هنا بعدة النماذج لما قال الأستاذ فى هذا الموضوع خلال تفسيره للقرآن الكريم ، ولكننا نكتفى هنا بذكر بعض ما قال الأستاذ فى هذا الموضوع خلال تفسيره للآيات الواردة فى حرمة الربا ، ومنها قوله سبحانه : " ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا " (٣) ، فيقول الأستاذ مفسرا للآية الكريمة : " فأساس فساد نظريتهم انهم لم يعتنوا بالفرق الموجود بين الربح والربا ، فقالوا حيث أن الربح فى التجارة حلال فلماذا تكون الربا على القروض حراما ؟ ولا تحسبوا أن المرابين فى الجزيرة وحدهم الذين كانوا ينادون ويزعمون هذا بل ان أصحاب البنوك والمرابين فى عصرنا هذا يدعون بنفس دعوى الجاهلية القديمة ويوردون حججا مماثلة تحليلا للربا واستساغة لهما ، ويقولون مثلا ان من يقرض احدا بعض ماله كان فى استطاعته ان يستثمر ويستفيد منه وان من يقترض هذا المال يستثمره بالفعل فى تجارة او مشاريع تعود عليه بالربح فلم لا يأخذ المقرض من المقترض نصيبا مما ربح وكسب ؟ وينسون ان ليس

---

(١) انظر تفهيم القرآن ج١ ص : ٢١٠ـ٢١٨ .

(٢) تفهيم القرآن ج ١ ص : ٣٢٥ـ٣٣٠ .

(٣) البقرة : ٢٧٥ .

ثمة عمن يربح ربحا محددا مضمونا دون خسارة . فالمرء في التجارة والصناعة والزراعة وما اليها عليه أن ينفق العمل ورأس المال وأن يواجه في نفس الوقت المخاطر والخسارة دون ضمان لربح محدد أكيد ، ولندع إلى حين وضع المدين الذى يقترض مالا لاستهلاكه الشخصي والوفاء بما يحتاج هو وأسرته وكذا مسألة سعر الربا وتعال بنا نقارن بين حال المرابي الذى يقرض المال لتشغيله في أعمال تجارية مربحة بسعر متوسط للربا وبين حال من يزاولون التجارة وما إليها فعلا . فهؤلاء يوقفون كل وقتهم وعلمهم وقدراتهم ومواهبهم ويستثمرون مالهم الخاص ويعملون ليل نهار كي تربح تجارتهم بفضل مجهوداتهم الخاصة دون أن يأمنوا خطر الخسارة على حين يستمر المرابي الذى يقرض المال ولا شيء أكثر من هذا في أخذ نسبة ربح معينة دون التعرض لاية اخطار مهما كان نوعها . فكيف يحق له ابتلاع نسبة محددة من الربح ؟ وهل يعقل هذا ؟ وعلى أي أسس للمنطق والعدل وبأي وجهة نظر اقتصادية يربح هذه النسبة ؟ وكيف يكون المرابي على حق وصواب في أن يقرض مصنعا مثلا مبلغا من المال بسعر ربا محدد من تاريخ اقراضه والى عشرين عاما مقبلة على حين لا يستطيع احد أن يعلم أو يتنبأ بارتفاع أو انخفاض الاسعار الذى قد يحدث خلال هذه السنوات العشرين؟ وكيف يصح لمن يمول قروض الحروب ان يطلب — حتى من أمته هو — سعر ربا محدد لمدة قرن بأكمله على حين تواجه الامة كلها المخاطر والتهلكات وتتحمل الخسائر وتبذل من التضحيات ما تبذل ؟

إن الفارق بين الربح والربا والذى يقود الى نتائج اخلاقية واقتصادية عديدة هو :

١ — أن تحديد الربح بين البائع والمشترى يتم على شروط متساوية : فالمشترى يبتاع ما يحتاجه والبائع يأخذ ربحا لما يبذل من الوقت والعمل والقدرات

الذهنية التى يوظفها فى اعداد وتجهيز السلعة للمشترى . أما الربا فهى على نقيض هذا والمدين بالطبع ليس فى مقدوره ان يحدد التعامل بينه وبين الدائن على شروط متساوية نظرا لضعف جانبه ووهن موقفه والمرابى يأخذ قيمة الربا المحددة التى يعتبرها ربحا له ومكسبا بقدر ما يشاء.

فان أنفق المدين كل ما اقترض من مال فى تلبية احتياجاته الشخصية فلا شك ان عنصر الوقت لا يأتى عليه بربح على الاطلاق . وان استثمر ما اقترض فى تجارة أو صناعة أو زراعة ونحوها كانت أمامه فرص متساوية للربح والخسارة وهكذا الاقتراض بالربا يأتى بربح مضمون محدد على طرف وخسارة على الطرف الآخر أو بربح مضمون محدد على طرف وربحا غير مضمون على الطرف الآخر.

٢- ان التاجر يحدد ربحه ويطلبه دفعة واحدة وعن كل ما أنتج أما المرابى فيواصل ابتلاع الربا تكرارا وتواصل الربا سيرها نحو الزيادة بمرور الوقت ومهما كان الربح الذى يحدده المدين على أموال الدائن التى يستثمرها كبيرا إلا ان له فى النهاية حدوده . أما الربا التى يأخذها الدائن على امواله فلاحدود لها فقد تستنزف ربح المدين عن آخره وهذا يحدث بالفعل فى أحيان كثيرة ليس هذا فحسب بل قد يحصل الأمر الى حرمانه من كافة وسائل العيش او ما يلزم لاستخداماته الشخصية وقد يبقى المدين وعليه نفس كمية الدين كما كانت حين الاقتراض.

٣- إن التعامل فى مجال التجارة ينتهى بانتقال المادة وثمنها إلى أيدى آخرين فلا يلزم على المشترى بعد هذا يعيد شيئا إلى البائع . وبالنسبة لايجار الاماكن والمنازل والأراضى وما اليها فالعين المؤجرة لا تستهلك وتبقى على حالها ، وانما ترد الى مالكها بعد انقضاء الفترة المحددة لايجارها . أما بالنسبة للمال فعلى المدين أن ينفقه أولا ثم يولده

ويوظفه ثم يعيده إلى الدائن مع رباه ، ولذا يضطر المدين لان يعرض نفسه لخطرين ، خطر توظيف المال وتشغيله وخطر استخراج الربا المطلوب عليه .

٤ــ أن من يزاول التجارة أو الصناعة أو الزراعة أو غيرها يتقاضى ربحه على ما أنفق من وقت وعمل وجهد وذكاء ونحوه ، أما المرابي فيغنم نصيب الاسد في ارباح المدين دون مواجهة خطر أو بذل جهد وعرق وليس لربحه سوى انه يستثمر مازاد عن حاجته من مال فهو شريك المدى الذى يكفل له فائدة محددة مضمونة فحسب بقطع النظر عن كم الربح وبلا مبالاة مما يقع من خسارة .

يظهر لنا من كل ماسبق أن التجارة ــ حتى من وجهة النظر الاقتصادية ــ تشارك في بناء المجتمع وتساعد على نمائه . وأن الربا يهدم كيانه ويقوض بنيانه . أما من وجهة النظر الأخلاقية فالربا بطبيعته يخلق الجشع والحرص والطمع والانانية وتحجر القلوب وغلظة الافئدة وعبادة المال والثراء ويقتل في الافراد مشاعر الاخوة وروح التعاون وعلى هذا فالربا مهلك للمجتمع اخلاقيا واقتصاديا (١) .

نرى هنا أن الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة يعتني بالرد على من ظن بأن الربا تكون مثل التجارة ولا يوجد اى فرق بين هذه وتلك ويبين بالبراهين العقلية القوية أن هناك فرق كبير بين الربا والتجارة ، ولأن أدلة الاستاذ هذه تقوم على الأسس الاقتصادية القوية فلذا لم يبق هناك اى مجال للاعتذار لمن يحل الربا باسم التجارة .

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص : ٢١١ــ٢١٣ .

وبعد ما يبين الاستاذ الفرق بين الربا والتجارة يعتني ببيان المفاسد الاقتصادية والاجتماعية التي تأتي بها الربا في المجتمع وذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى " يمحق الله الربا ويربي الصدقات " فيقول : " وما اصدق هذا من الزاوية الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والروحية فمع ان الربا يغني في ظاهره والصدقة تدقع وتفقر فالعكس يصدق تماما ، فالربا في شريعة الله عائق بطبيعته أمام التقدم والازدهار الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي والروحي أما الصدقة — بما فيها الاقتراض بغير ربا — فتدفع إلى النماء والتقدم .

ولو طرحنا النظر في الربا من الزاوية الاخلاقية والروحية لرأينا في جلاء أنه يقوم على الجشع والطمع والانسانية والبخل والغلظة وانه يروي هذه الشرور والمأثم ويغذيها في نفس المرابي . بينما تقوم الصدقة على أساس الكرم والعطف والسخاء وتغرس هذه الصفات السامية وتنميها في نفس المحسن المتصدق . فأنى لاحد ان ينكر خير هذه الصفات وافضليتها على سابقتها ؟ أما إن تناولنا الربا — بقليل من التدبر والتمحيص من الناحية الاجتماعية بان لنا أن المجتمع هيهات ان تقوم له قائمة إذا أسس افراده معاملاتهم فيما بينهم على الأنانية وحب النفس . فان كان كل فرد فيه لا يبغي مساعدة الآخرين ونفع يعود على شخصه وإن كان الاغنياء فيه يعتقدون أن الفقراء ما وجدوا الا ليتيحوا لهم فرص الاستغلال العسفي فلا محيص من تصادم مصالح كليهما فيتصدع بناء المجتمع وتتفسخ لبناته فان عاضدت العوامل الأخرى هذا الوضع المجحف فان الصراع الطبقي لا محالة واقع . أما إن أقام افراد المجتمع معاملاتهم على أساس الود والعطف المتبادل وعامل كل منهم أخاه بكرم وسخاء فسوف يصنعون من مجتمعهم بناء متينا واذا حاول كل فرد فيه ان يعين الآخر عند الحاجة وعامل من يملكون من لا يملكون بعطف أو على الأقل بعدل فسوف تنشأ فيه مشاعر الأخوة والحب ويشتد بناؤه لبنة الى لبنة ويتقدم — بالطبع — بخطى عاجلة سريعة وذلك لانتشار روح التعاون والاخاء بين خلاياه وأنسجته .

ولنتناول الربا الآن من وجهة النظر الاقتصادية ، أن القروض نوعان قرض استهلاكي وهو ما يستدينه الفقراء المعوزون لقضاء لوازمهم الشخصية وآخر اقتصادى وهو ما يقترضه رجال الاعمال لتوظيفه فى مشاريع وأعمال تجارية أو صناعية او زراعية أو غيرها . أما الأول فكلنا يعرف أن أخذ ربا عليه يسوق إلى دمار محقق ويؤدى إلى خراب وطامة ليس لها من دون الله كاشفة وانا لنرى الدائنين واصحاب البنوك يمصون دماء العمال الكادحين والفلاحين المعوزين والفقراء بوجه عام ويسكنونهم دار البوءس والشقاء لأن دفع الربا يجعل تسديد الديون مستحيلا عليهم فى أغلب الأوقات فيضطرون للاقتراض مرة تلو الأخرى محاولين التخلص من هذه الورطة الشنيعة وحتى بعد دفع الربا التى تكون قد بلغت اضعاف اصل المال يبقى المال الأصلى كما كان من ذى قبل لان الدائن يلتهم النصيب الاكبر من دخل المدين الذى يجد نفسه عاجزا عن الاقتصاد فى الأنفاق حتى لا يتخطى حدود دخله . وهذا بالطبع يقتل استفادة العمال من عملهم فكيف يخلصون فيه ويجتهدون وهم يسرون ثماره يبتلعها آخرون ؟ إلى جانب أنهم لا يستطيعون حتى شراء الدواء اللازم اذا أنهك الجوع قواهم وقضى الهم والغم على صحتهم وذلك لاحتياجهم الشديد إلى المال وهكذا يوءدى الربا إلى تسمين واتراف قلة على حساب دماء الاغلبية ويتسبب فى افساد الأمة بوجه عام لأن العجز وقلة الكفاءة الناتجة عن هذا تفسد نوعية الانتاج القومى وتهبط بمستواه ويسقط مصاصوا الدماء أنفسهم فى النهاية فريسة ظلمهم وجشعهم وجورهم لأن تفاعل الغضب المكبوت والكراهية الدفينة فى قلوب المضطهدين المظلومين مع أنانية المرابين غلاظ الأكباد يفجر ثورة دامية تسحق شرفهم وحياتهم وثروتهم التى اقتنوها ظلما وعدوانا .

أما القسم الثانى وهو الربا المحدد على القروض الاقتصادية فنكتفى بذكر ثلاثة من شرورها العديدة :

١ـ أن المشروعات التى لا تستطيع تحقيق ربح يعادل سعر الربا الموجود فى السوق لا تستطيع تدبير المال وتوفيره مهما كانت نافعة للأمة وستتجه كافة وسائل التمويل فى الدولة الى المشروعات التى قد تأتى بفائدة متساوية او اكبر من سعر الربا فى السوق مهما كانت عديمة الفائدة او حتى ضارة من الناحية الاجتماعية .

٢ـ ليس ثمة عمل تجارى أو صناعى او زراعى ونحوه يضمن سعرا محددا ومنتظما للربح ، خمسة أو ستة عشرة فى المائة مثلا تحت كل الظروف وفى كل الأحوال بل الواقع انه لا يمكن لاى عمل ان يضمن سلامته من اى خسارة فكيف بنا نتحدث عن ضمانه للربح ؟ فالعمل الذى يقترض مالا بسعر محدد للربا لا يمكن أن يكون فى منجى من الخطر والخسارة .

٣ـ ولان المقرض ليس شريكا مباشرا فعليا فى ربح العمل أو خسارته وانما يجعل كل همه وهدفه تحصيل فائدته المحددة المضمونة دون اكتراث بما عداها لذا فهو لا يهتم بمصلحة العمل فى قليل أو كثير بل يقصر إهتمامه على تحقيق وتحصيل نفعه وحده ومن أجل هذا يحاول بأنانية بالغة ان يسحب ويحبس ماله إذا شعر بادنى هزة من الانخفاض او الكساد فى السوق وبذا يخلق بانانيته ذعرا وارباكا شديدا ويفرش الطريق لأزمة أخرى فان حدثت ازمة بالفعل عجل بها الى كارثة مدمرة .

هذه ثلاثة من أضرار الربا وشروره لا تخفى على من له علم باوليات الاقتصاد وأبجدياته فهل لاحد أن ينكر حقيقة قانون الله الذى أعلن فيه سبحانه أن الربا يسحق الاقتصاد ويدمره ؟

ولنتناول الصدقة فى السطور التالية من وجهة النظر الاقتصادية :

ان الميسورين اذا انفقوا اموالهم بسخاء فى سد لوازمهم الشخصيـــــة فى الحياة والوفاء باحتياجات عيالهم ووزعوا منها جزءا على المحتاجين ليمكنوهم من تلبية ضرورات الحياة واقرضوه رجال الاعمال دون ربا او استثمروه فى مشاريع تجارية او صناعية وغيرها على اساس المشاركة فى الربح او الخسارة او اقرضـــوه حكومتهم بدون ربا لاستغلاله فى الخدمات القومية فما من شك فى ان التجـارة والزراعة وما اليها ستصيب قسطا من الازدهار والنماء ويرقى مستواها ونوعهـــا ويرتفع مستوى الثروة القومية ويتضاعف الانتاج ويتكاثر اذا قورن بما عليه ـــن بلد يحلل الربا ويجعله أمرا مشروعا .

وهكذا يتضح أن الربا يهبط بالامة الى قاع التأخر والانحطاط ويعيـــق تقدمها وأن الصدقة تدفعها الى قمة التقدم والارتقاء وتفيض عليها خيـــرا كثيرا (١) .

فنرى هنا ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة يذكر عديـــدا من الادلة من النواحى الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ليثبت بان الربـــا يأتى بالانحطاط والدمار فى المجال الاقتصادى حيث أن الصدقات تاتـــى بالازدهار والنمو الاقتصادى ، وذلك باسلوب عصرى جذاب . وهذا ما يتضـح منه امعان نظر الاستاذ فى علم الاقتصاد فضلا عن بصيرته فى الكتاب والسنـة كما ان هذا يمكن لنا من ان نعين مكانة تفسيرة للآية الكريمة (٢) .

ـ التعليمات المتعلقة بالحياة الاجتماعية :

أ ـ حرمة قتل الاولاد أو تحديد النسل : ويقول فى تفسير قوله تعـالى " ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا " (٣)

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص : ٢١٤ـ٢١٦ .

(٢) انظر للمقارنة الطبرى جـ٣ ص ٦٩ ، الرازى جـ٧ ص ١٠٢ ، ابن كثيـر : جـ١ ص ٣٢٨ ، الألوسى جـ٣ ص : ٥١ـ٥٢ ، فى ظلال القرآن جـ١ ، ص ٣٢٨ .

(٣) بنو اسرائيل : ٣١ .

هذه الآية الكريمة تحطم الفلسفة الاقتصادية الضالة التى كان دافعا للحركات لمنع الحمل وتحديد النسل ، كانت فى أى زمان أو أى مكان ، فنرى أن خشية الافلاس كان دافعا لقتل الاولاد والاسقاط فى الماضى ، ومازال محور حركة تحديد النسل فى يومنا هذا ، ولكن هذا البند من دستور المجتمع الاسلامى لا يسمح لاية حركة تهدف الى تحديد النسل او منع الحمل من خشية الافلاس بل على العكس نرى بانه يحض على العمل والجهد ليزداد الرزق ، فيقرر هذا البند ان قيام الانسان على قتل الاولاد او منع الحمل من خشية الافلاس ليس بصحيح فى أية حال فلذا نراه يوجه الانسان ان الرزق على الله وعليه ان يرزق كل واحد من خلقه ، وهذا مايثبته التاريخ فنرى بان الله دائما يوسع وسائل الرزق حسب تضخم عدد السكان بل هو يزيد وسائل الرزق عن حاجتهم ، فلذا لا يجوز للعاقل أن يخوض فى الامور التى تخص قدرة الله ومشيئته فكانت من نتيجة هذه التعليمات ان المجتمع الاسلامى لم يكن فيه مجالا لحركة تحديد النسل . فنرى الاستاذ المودودى هنا بانه يثبت فى تفسيره للآية الكريمة بان حركة تحديد النسل ليس لها اى مجال فى المجتمع الاسلامى ويؤيد تفسيره هذا بالادلة القوية ومنها ان الايمان بربوبية الخالق لا يترك اى مجالا لهذه الحركة . فلهذا الحكومة الاسلامية من واجبها ان لا يسمح لرعاياها ان يقوموا بحركة تحديد النسل"(١) ، وهذا كما يرى الاستاذ المودودى يجعله من المبادىء الاساسية للدستور الاسلامى . وجدير بالذكر ان الاستاذ المودودى قد تناول هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابه (حركة تحديد النسل) ، وله دورا هاما فى مواجهة حركة تحديد النسل فى باكستان .

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٢ ص ٦١٢ ، حاشية رقم (٣٠) .

ب ــ تحريم الزنا ودواعيه : ويقول فى تفسير قوله تعالى " ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا " (١) وهذا الخطاب موجه الى كل فرد من أفراد المجتمع الاسلامى ، بل الى المجتمع الاسلامى كله ، والمراد من هذا الحكم للفرد المسلم انه لا يكفى له اجتناب الزنا فحسب ، بل لابد له من أن يجتنب مقدماته ودوافعها أيضا ، وأما المجتمع الاسلامى . لابد له ان يهتم بالقضاء على دوافع الزنا واسبابها ، اهتماما كاملا ، ويأخذ كافة الاجراءات كالتعليم والقانون وتنظيم النظام العائلى والاصلاح الاجتماعى للقضاء عليها وجدير بالذكر أن هذا البند جعل أساسا للنظام العائلى الاسلامى فيما بعد فأصبح الزنا والقذف جريمتان شنيعتان فى المجتمع الاسلامى ، ونفذت تعليمات الحجاب واتخذت عدة اجراءات للقضاء على الفواحش والخمر والموسيقى والصور التى هى من مقدمات الزنا ودواعيه ، وكانت نتيجة هذه التعليمات والاجراءات أن اصبح النكاح ميسورا فى المجتمع الاسلامى كما اصبح الزنا صعبا ومستحيلا (٢) .

يتبين مما يقول الاستاذ المودودى خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة ان الزنا جريمة شنيعة جدا ، وأن الحكومة الاسلامية من واجبها ان تتخذ كافة الاجراءات للقضاء على هذه الجريمة الشنيعة ، ولهذا يرى الاستاذ المودودى أنه من البنود الاساسية للدستور الاسلامى ويجدربنا ان نشير هنا ان الاستاذ قد تناول هذا الموضوع بالتفصيل خلال تفسيره للآية " الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر " (٣) ، وبين النواحى التشريعية والقانونية المختلفة لهذا الموضوع (٤) ، ونحن ذكرنا بعض هذه النواحى فى هذه الرسالة (٥) .

---

(١) بنى اسرائيل : ٣٢ .

(٢) تفهيم القرآن جـ٢ ص ٦١٣ حاشية ٣٢ .

(٣) النور : ٢ .

(٤) انظر للتفصيل تفهيم القرآن جـ ٣ ص ٣١٩ــ٣٤٣ .

(٥) انظر ص٤٨٢ــ٤٨٨ لهذه الرسالة .

جـ ـ حرمة قتل النفس : ويقول فى تفسير قوله تعالى : " ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق "(١) ، والمراد من قتل النفس هو ليس قتل الغير فحسب بل يشمل قتل الذات أيضا ، لان النفس التى حرمها الله تشملها النفوس الانسانية كلها ، فلذا جريمة قتل الانسان نفسه لا تقل فى شناعتها وشدتها من جريمة قتل الانسان غيره ، ومن الضلالات الانسانية الفكرية بانه يعتقد انه يملك نفسه ، فلذا يظن انه مختار للقيام على هلاك نفسه ، ولكن هذا ليس بصحيح ، والحقيقة ان النفس الانسانى لا يملكها الا الله سبحانه فلا يجوز للانسان ان يتصرف فيها اى تصرف بارادته المحضة فنحن يجب علينا أن نبذل جهودنا كلها لتحقيق الهدف الذى خلقنا الله لاجله ، وذلك مهما كانت الظروف فلذا لا يجوز للانسان ان يفكر فى الهروب من هذه المسئولية الكبرى فكيف يجوز هذا الهروب بالطريق الذى حرمه الله تعالى ، والحقيقة أن هذا الهروب من مشاكل الحياة ومصائبها لا تكون نتيجتها الا الوقوع فى الطامة الكبرى الاخرى فى حياة الآخرة .

المراد من القتل بالحق : وقررت الشريعة الاسلامية فيما بعد أن القتل بالحق لا يكون الا فى الامور الآتية :

١) قتل العمد .

٢) المقاومة فى طريق الدعوة الاسلامية .

٣) الخروج على الامام العادل .

٤) الزنا (اذا كان بعد الاحصان) .

٥) الارتداد (٢) .

---

(١) بنى اسرائيل : ٣٣ .

(٢) انظر تفهيم القرآن جـ٢ ص ٦١٤ حاشية ٣٥ .

فنرى أن الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة يبين الحكم الشرعى لجريمة القتل ويوضح أن جريمة القتل يشملها قتل الغير وقتل النفس معا ، فشناعة هذه الجريمة تشمل كلاهما سواء ، والاسلام لا يسمح للقتل الا بالحق ،ويجعل من واجبات الحكومة الاسلامية ان تأخذ الاجراءات اللازمة لنفاذ الحدود في هذا الصدد ، وهذا مايجعله ،كما يرى الاستاذ من مبادئ الدستور الاسلامى ،وهو لا يتفرد فى تفسيره للاية بل اتفق المفسرون على كون هذا الحد من الحدود الاسلامية الثابتة الا ان الاستاذ يمتاز بابرازه الناحية الدستورية للتفسير (١) .

حق طلب القصاص لاولياء المقتول :

ويقول فى تفسير قوله " ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا " (٢) ، والمراد من السلطان هنا هو الحجة التى يمكن بها لاولياء المقتول ان يقوموا بطلب القصاص من القاتل ، ويفيد هذا البند من الدستور بان المدعى لا تكون الدولة أو سلطة من السلطات بل اولياء المقتول هم الذين يملكون الحق الكلى فى هذه القضية ، وهم الذين يمكنهم ان يعفوا عن القاتل أو يرضوا بالدية او يطلبوا القصاص (٣) .

تحريم الاسراف فى القتل والمراد منه :

والمراد من الاسراف فى القتل هو الاخذ بالثار على من ليست له أية علاقة بالقتل ،أو قتل القاتل تعذيبا ،أوقتله بعد الاخذ بالدية عنه ،او تمثل به بعد القتل .

---

(١) انظر للمقارنة الطبرى جـ ١ ص: ٥٨ . الرازى جـ ٢ ص ٢٠٠ ، ابن كثير جـ ٢ ص ٣٩ ،الالوسى جـ ١٥ ص ٦٩ ،فى ظلال القران جـ ٤ ص ٢٢٢٤ .

(٢) بنى اسرائيل : ٣٣ .

(٣) تفهيم القران جـ ٢ ص ٦١٤ حاشية ٣٥ .

الحكم في القصاص من مهمة الحكومة الاسلامية ومحاكمها :

ان القيام بالحكم في القصاص هو ليس ما يتعلق بقبيلة المقتول او بحلفائه بل في الحقيقة هذه هي مهمة الحكومة الاسلامية ومحاكمها ، ولا يجوز لاى فرد أو جماعة أن تقوم للانتقام من القاتل بل لابد من الرجوع الى الحكومة ومحاكمها (١) . وبهذا تنتهى البنود المختلفة للشريعة الاسلامية في جريمة القتل . وجدير بالذكر ان الاستاذ قد تناول هذا الموضوع خلال تفسيره للآية الكريمة " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى " (٢) أيضا وفصل الكلام في نواحيه المختلفة .

الاهتمام بالمحافظة على مال اليتيم وحقوق الضعفاء :

ويقول في تفسير قوله تعالى " ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده " (٣) وهذا الحكم ايضا لم يكن حكما اخلاقيا فحسب ، بل حينما اقيمت الدولة الاسلامية بالمدينة المنورة فيما بعد اتخذت عدة اجراءات تشريعية وادارية للمحافظة على حقوق اليتامى فيمكننا ان نرى تفصيل هذه الاحكام في كتب الحديث والفقه ، وقد جعل هذا الحكم اساسا للقانون ان الدولة الاسلامية من واجبها ان تقوم بالمحافظة على حقوق من لا يقدر ان يقوم بالمحافظة عليها ، وهذا ما يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم (أنا مولى من لا مولى له (٤) " (٥) .

يستنبط الاستاذ المودودى من قوله تعالى هنا ان الحكومة الاسلامية من واجبها أن تقوم بالمحافظة على حقوق كل من لا يقدر ان يهتم بالمحافظة

---

(١) تفهيم القرآن جـ٢ ص ٦١٥ حاشية ٣٦ — ٣٧ .

(٢) تفهيم القرآن جـ١ ص ١٣٧—١٣٩ .

(٣) بنى اسرائيل : ٣٤ .

(٤) سنن أبى داود — كتاب الفرائض — باب في ميراث ذوى الأرحام .

(٥) تفهيم القرآن جـ٢ ص ٦١٥ .

على حقوقه ولا سيما اليتامى ، وهذا ما يجعله بندا من البنود الاساسية للدستور الاسلامى ، وجدير بالذكر ان الاستاذ المودودى قد تناول هذا الموضوع فى مقدمته لسورة النساء (١) . وفى تفسيره للآية الكريمة " وابتلوا اليتمى حتى اذا بلغوا النكاح " (٢) . وفى تفسيره لقوله تعالى " وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء التى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما " (٣) ووضح نواحيه المختلفة (٤) .

الوفاء بالعهد أساسا لسياسة الحكومة الاسلامية الداخلية والخارجية :

ثم يقول فى تفسير قوله تعالى : " وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا " (٥) وهذا الحكم ايضا لم يكن حكما اخلاقيا فحسب بل حينما اقيمت الدولة الاسلامية فيما بعد ، قد جعل هذا الحكم اساسا لسياستها الداخلية والخارجية (٦) . والحقيقة ان تفسير المودودى لقوله تعالى هذا مع كونه شديد الاختصار ركيزة اساسية لما تكون عليه سياسة الحكومة الاسلامية فى شئونها الخارجية والداخلية فلذا يشمل البنود الاساسية للدستور الاسلامى وهذا ما يشير اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضى أمدها ، أو ينبذ اليهم على سواء " (٧) وجدير بالذكر ان الاستاذ المودودى قد تناول هذا الموضوع خلال تفسيره لقوله تعالى " واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ، ان الله لا يحب

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص ٣١٧ .

(٢) النساء : ٦ .

(٣) النساء ١٢٧ .

(٤) تفهيم القرآن جـ١ ص ٣٢٣ ، (٤٠) .

(٥) بنى اسرائيل : ٣٤ .

(٦) تفهيم القرآن جـ٢ ص ٦١٥ .

(٧) سنن أبى داود ــ كتاب الجهاد ــ باب الامام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير اليه .

الخائنين " (١) ، وفصل الكلام فى نواحيه المختلفة (٢) .

الوفاء بالكيل والميزان :

ويقول فى تفسيره لقوله تعالى " وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا " (٣) ، وهذا الحكم لم تكن دائرته محدودة الى المعاملات الفردية فحسب ، بل حينما أقيمت الحكومة الاسلامية فيما بعد ، قرر من واجبها أن تقوم بالمراقبة على المكائيل والموازين فى الاسواق وان تأخذ الاجراءات للقضاء على التطفيف . وجدير بالذكر ان هذا الحكم فيما بعد جعل اساسا للقانون الآخر ، وهو ان الحكومة الاسلامية من واجبها أن تأخذ الاجراءات اللازمة للقضاء على الغش ونقض العهد فى التجارة والمعاملات " (٤) .

ثم يقول فى تفسير قوله تعالى " ذلك خير وأحسن تأويلا " والمراد منه كونه خيرا فى الدنيا وخيرا فى الآخرة ، فأما كونه خيرا فى الدنيا فذلك لانه يزيد فى الاعتماد والثقة بين البائع والمشترى وهذا مايؤدى الى رفع مستوى التجارة والنهضة العامة ، وأما كونه خيرا فى الآخرة فهذا لكونه سببا لمخافة الله ومرضاته (٥) . فيتبين من هذا التفسير للآية الكريمة ان الحكومة الاسلامية من واجبها ان تقوم بالمراقبة على الكيل والوزن فى الاسواق وتأخذ الاجراءات اللازمة للقضاء على التطفيف والغش ونقض العهد ، وهذا مايجعله أحدا من البنود الاساسية للدستور الاسلامى .

---

(١) الانفال : ٥٨ .

(٢) تفهيم القرآن جـ٢ ص ١٥٣ .

(٣) بنى اسرائيل : ٣٥ .

(٤) تفهيم القرآن جـ٢ ص ٦١٦ حاشية ٤٠ .

حرمة اتباع الظن في دوائر الحياة المختلفة :

ويقول في تفسير قوله تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا "(١) . والمراد من هذا البند للدستور الاسلامي هو أن المسلمين لا يجوز لهم ان يتبعوا الظن في الامور التي تتعلق بحياتهم الفردية والاجتماعية بل عليهم ان يجتنبوا الحكم في أية معاملة الا اذا كان عندهم العلم بها ، وهذا البند تتسع دائرته الى كل ناحية من نواحي الحياة الفردية الاجتماعية ابتداء من العقائد الى النظام الاخلاقي والنظام التشريعي والنظام السياسي ، والنظام الاداري والنظام التعليمي والدوائر الاخرى المختلفة فكان من فضل هذا البند ان المسلمين فردا ومجتمعا قد حفظهم الله من الوقوع في الضلالات الفكرية والعملية التي يقع الانسان فيها من اتباع الظن ، فالنظام الاخلاقي الاسلامي مثلا ، فقرر فيه أن يجتنب المسلم الظن والبهتان والقذف ، والنظام التشريعي ، فقرر فيه أن لا تكون المؤاخذة على الشبه ، وهكذا قرر في التحقيق والتفتيش أنه لا يجوز للشرطة ان تمسك احدا وتسجنه الا بعد ثبوت الجريمة ، وقرر في السياسة الخارجية للدولة الاسلامية أنه لا يجوز لها أن تأخذ اية اجراءات ضد الحكومات الاخرى الا بعد التحقيق الكامل ، هكذا النظام التعليمي الاسلامي لا يسمح فيه للحكومة ان تهتم بتدريس الفلسفات التي تقوم عمارتها على الظن والتخمين ، وهكذا قرر في العقائد والايمانيات بان المسلم لا يجوز له أن يؤمن بعقيدة ما لم تكن ثابتة من الكتاب والسنة "(٢) .

ويأتي الاستاذ المودودي هنا بالتفسير التشريعي للآية ويستنبط منها عدة أحكام وقوانين لدوائر الحياة المختلفة ، وهكذا يثبت كونها احدا من

---

(١) بني اسرائيل : ٣٦ .

(٢) تفهيم القرآن جـ ٢ ص ٦١٦ .

البنود الاساسية للدستور الاسلامى ، وهذا مايتميز به تفسيره هذا . وجدير بالذكر ان الاستاذ المودودى نراه يتناول هذا الموضوع خلال تفسيره للآية الكريمة " يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين "(١) . وفى تفسيره لقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا "(٢) ،ويفصل الكلام فيه عن النواحى المختلفة(٣) .

حرمة اختيار طريق الجبارين والمتكبرين :

ويقول فى تفسير قوله تعالى " ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا "(٤) والمراد منه بأن المسلم يجب عليه أن يجتنب طريق الجبارين والمتكبرين ، وهذا الحكم ايضا يشمل الحياة الفردية والاجتماعية معا ، وكان من فضل هذا الحكم ان الدولة الاسلامية التى أقيمت على هذا الدستور فيما بعد فى المدينة المنورة ، لم تكن فيها اية علامة الكبر فى حياة الخليفة أو الولاة او قادة الجيش فى لباسهم وسكنهم وغذائهم ، بل كانت حياتهم الشخصية والرسمية بكاملها مثل حياة عامة المسلمين ، وكانوا يقومون بالمحافظة على هذا المنهج فى حياتهم حتى بعد الفتح والثراء(٥) .

وبعد ما ذكرنا هنا مايقول الاستاذ المودودى فى تفسيره من الآية ٢٣ الى الآية ٣٨ من سورة بنى اسرائيل ، يجدر بنا ان نأتى هنا بموجز المزايا التى يمتاز بها تفسيره لهذه الآيات الكريمة ، وذلك لكى نتمكن من تعيين مكانة هذا التفسير واليك موجز هذه المزايا :

---

(١) الحجرات : ٦ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) انظر للتفصيل تفهيم القرآن جـ ٥ ص : ٧٣-٧٨ .
(٤) بنى اسرائيل : ٣٧ .
(٥) تفهيم القرآن جـ ٢ ص ٤٣ حاشية ٤٣ .

أولا : ان تفسير الاستاذ المودودى لهذه الآيات الكريمة مع انه لا يشير الى المراجع والمصادر يمتاز بالجمع بين الرواية والدراية .

ثانيا : يتبين من تفسير الاستاذ المودودى للآيات الكريمة بان هذه الايات قد انزلها الله مقدمة لهجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ولذلك تضم البنود الأساسية لدستور الدولة الاسلامية التى كانت اقامتها مهمة النبى صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة المنورة .

ثالثا : يمتاز الاستاذ المودودى باهتمامه بالجانب التشريعى للآيات الكريمة ولاستنباطه منها عدة بنود اساسية للدستور الاسلامى وذلك مستشهدا بدستور الدولة الاسلامية التى اقامها النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ، وبهذا يتمكن من الثبوت بكون القرآن والسنة مصدرين اساسيين للدستور الاسلامى من ناحية ومن الرد على من ظن ان الدين لا يشمل الا العقائد والاخلاقيات او من اعتقد فى فصل الدين عن الدولة او من قال ان الاسلام ليس فيه حل للمشكلة الدستورية فى عصر الحديث من ناحية أخرى .

رابعا : ان الاسلوب الذى اختاره الاستاذ المودودى لبيان هذه البنود الدستورية هو ليس اسلوب الكتب الفقهية او الكتب القانونية الذى لا يفهمه الا الذى لديه الخبرة فى الفقه والقانون بل هو اسلوب سهل جذاب يفهمه كل من يراجع تفسيره لهذه الآيات الكريمة .

خامسا : اذا قرأنا التفاسير الأخرى قديما وحديثا واهتممنا بالمقارنة بين تفهيم القرآن وبين تلك التفاسير ، لرأينا أن الاستاذ المودودى يتميز بالاهتمام بالتفسير التشريعى للآيات واما المفسرون الآخرون فاكتفى اكثرهم ببيان النواحى التفسيرية الأخرى وذلك ماعدا الشهيد

سيد قطب الذى يهتم بالجانب الاجتماعى ايضا ، ولكنه لم يهتم بالجانب التشريعى (١) .

وجملة القول ان اقامة الحكومة الاسلامية على أسس الكتاب والسنة كان لاهميتها البالغة أن اهتم الاستاذ المودودى بهذا الموضوع بصفة خاصة خلال تفسيره للآيات الكريمة كما ركز على بيان الجوانب المختلفة للنظام الاسلامى وهو تناول هذا الموضوع وفصل الكلام فيه خلال تفسيره للآيات الواردة فيه فى المواقع المختلفة فى القرآن الكريم ولولا ضيق المجال لنقلنا بعض النماذج بهذا الصدد ، ولكن موضوعنا لا يسمح لبيان هذه التفاصيل فنكتفى بما نقلناه وفضلا عن هذا قد تناول الاستاذ المودودى هذا الموضوع فى عدة الكتب منها :

(١) الدولة الاسلامية .

(٢) كيف تقام الحكومة الاسلامية .

(٣) مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة .

(٤) الخلافة والملك .

(٥) نظرية اسلام السياسة .

(٦) نظام الحياة فى الاسلام .

(٧) الشريعة الاسلامية وطرق تنفيذها فى باكستان .

(٨) نظرية الاسلام وهديه .

(٩) الجهاد فى الاسلام .

(١٠) الجهاد فى سبيل الله .

(١١) اسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة .

---

(١) انظر للمقارنة الطبرى جـ١ ص ٤٦-٦٣ ، روح المعانى جـ١ ص ٥٢ الى ٧٢ ، ابن كثير جـ٣ ص ٣٤ الى ٤٠ ، الرازى جـ٢ ص ١٨٤-٢١٢ ، فى ظلال القرآن جـ٤ ص ٢٢١٨-٢٢٢٨ .

(١٢) الربا .

(١٣) الاسلام ومعضلات الاقتصاد .

(١٤) الحجاب

(١٥) حركة تحديد النسل

(١٦) حقوق الزوجين .

(١٧) الحضارة الاسلامية اسسها ومبادئها .

وقد تعرضنا لذكر بعض هذه الكتب في هذه الرسالة خلال حديثنا عن مؤلفات الاستاذ المودودى .

...

قصص الأنبياء في القرآن تمثل موكب الإيمان في طريقه الممتد الواصل الطويل

"يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد سياق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدى بها، تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه. وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية، وتلقى إيقاعها المطلوب.

والقرآن كتاب دعوة، ودستور نظام، ومنهج حياة، لا كتاب رواية ولا تسلية، ولا تاريخ، وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار، بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق، وتحقق جمال الفني الصادق، الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق ولكن يعتمد على ابداع العرض، وقوة الحق، وجمال الأداء.

وقصص الأنبياء في القرآن يمثل موكب الإيمان في طريقه الممتد الواصل الطويل، ويعرض قصة الدعوة إلى الله واستجابة البشرية لها جيلاً بعد جيل، كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النخبة المختارة من البشر، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذي خصهم بهذا الفضل العظيم، وتتبع هذا الموكب الكريم في طريقه اللاحب يفيض على القلب رضى ونورا وشفافية، ويشعره بنفاسة هذا العنصر العزيز - عنصر الإيمان - وأصالته في الوجود - كذلك يكشف عن حقيقة التصور الإيماني وتميزه في الحس من سائر التصورات الدخيلة."

______ (الشهيد سيد قطب - في ظلال القرآن المجلد الأول صفحة ١٠٥٥)

المبحث الخامس :

منهج الاستاذ المودودى لدراسة القصص الواردة فى القرآن الكريم

اهتم الأستاذ المودودى بصفة خاصة بالقصص الواردة فى القرآن الكريم وذلك لابراز هدف القصة وبيان حكمة تكرار القصة الواحدة او اجزائها فى المواضع المختلفة وبيان العلاقة بين القصة وبين مرحلة الدعوة التى نزلت فيها وتوجيه الدعاة نحو الاستفادة من القصة . ومن المعلوم ان القرآن الكريم قد وردت فيه عديد من قصص الانبياء السابقين والامم السابقة ولكن القرآن الكريم لا يذكر هذه القصص بالاسلوب الذى تسرد فيه القصص عادة بل نرى أن جزءا من القصة ذكر فى هذه السورة وجزء آخر ورد فى سورة أخرى حتى نرى أن بعضها ذكر فى موضع فى سورة وبعضها فى موضع اخر فى نفس السورة. وهكذا نرى ان بعضها نزل فى مرحلة للدعوة الاسلامية ونزل بعضها فى مرحلة أخرى ، وذلك لان الهدف من هذه القصص لم يكن بيان القصة فى معناه المعروف بل قد وردت كل قصة او جزء من اجزائها فى القرآن الكريم وفقا لمتطلبات مرحلة من مراحل الحركة الاسلامية ومقتضياتها وقد ذكر فى كل مرحلة من مراحل الحركة الاسلامية جزء من القصة الذى تقتضى ظروف هذه المرحلة نزوله ، ولا يمكن الوصول الى المراد الصحيح للآيات التى وردت فيها قصة او جزء من أجزائها الا اذا عرف القارئ ظروف الحركة الاسلامية حين نزولها والعلاقة بينها وبين متطلبات الحركة الاسلامية فى تلك المرحلة .

والاستاذ المودودى خلال تفسيره للآيات التى وردت فيها هذه القصص يعتنى بصفة خاصة ببيان هذه النواحى للقصة ليفهم القارئ فهما صحيحا لهذه الآيات ويهتدى به خلال عمله فى مجال الدعوة . والآن نذكر هنا بعض

النماذج لهذا الأسلوب للأستاذ المودودى .

بيان العلاقة بين القصة وبين المرحلة التى كانت الحركة الاسلامية فيها :

قد دخلت الحركة الاسلامية فى مرحلة جديدة بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة حيث واجهت هناك اليهود ومؤامراتهم لاول مرة ، فكان لذلك أن وجه الله سبحانه وتعالى الخطاب اليهم فحوالى اكثر من ثلث سورة البقرة (٢). فى الوقائع والحوادث لتاريخهم الطويل لعبرة المسلمين من ناحية ولاقامة الحجة عليهم من ناحية اخرى . والاستاذ يعتنى ببيان العلاقة بين هذه المرحلة للحركة الاسلامية وبين هذه القصص من تاريخ بنى اسرائيل فى مقدمته لسورة البقرة فيقول :

" كان القرآن الكريم فى مكة المكرمة يخاطب مشركى قريش بشكل عام وهم كانوا يجهلون الاسلام تماما . اما فى المدينة المنورة فاهتم القرآن فضلا عن هذا باليهود الذين لم تكن عقائد التوحيد والنبوة والوحى والاخرة غريبة عليهم ، وكانوا يتظاهرون بالايمان بالشريعة التى أنزلها الله على نبيهم موسى عليه السلام وكان طريقهم من حيث المبدأ نفس طريق محمد عليه الصلاة والسلام ولكنهم قد ضلوا سواء السبيل لانحطاطهم الطويل وابتداعهم فى العقائد والمذاهب والعادات ماليس له سند ولا تصديق فى التوراة على الاطلاق ، فليس هذا فحسب بل انهم عبثوا بالتوراة فأدخلوا تفسيراتهم وتاويلاتهم على نصها الاصلى وامتدت ايديهم الى كلام الله بالتحريف والوضع وطرحوا عنه روح الدين الحقيقى ولم يبق عندهم الا هيكل شكلى من الطقوس الفارغة التى لا حياة فيها . وقد وقع علماؤهم ومشايخهم وشيوخهم وعامتهم كلهم فى أعماق الهبوط من الناحية الاخلاقية والدينية(١) ".

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص ٤٦ .

ثم يقول الأستاذ مستمرا فى حديثه فيهم :

" هكذا كان حالهم الدينى حين شرف الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة بقدومه اليها ودعا اليهود الى العقيدة الصحيحة والى هذا يرجع السبب فى أن أكثر من ثلث هذه السورة موجهة الى بنى اسرائيل حيث سددت السورة آياته النقد لتاريخهم وانحطاطهم الخلقى وضلالهم وانحرافهم الدينى كما عرضت الاخلاقيات الرفيعة السامية ومبادىء الدين النقى العميقة الجوهرية لكى توضح فى جلاء كيف يسقط قوم نبى من أنبياء الله حين ينحرفون عن منهجه ولكى تفرق بخطوط بينة واضحة بين التقوى الصادقة الحقيقية وبين التمسك بالتقاليد الاسلامية وكذلك بين أسس الدين الحقيقى وبين ماليس كذلك " (١) .

وهكذا فى تقديمه لسورة البقرة يذكر الأستاذ المودودى الأوضاع التى كانت فيها الحركة الاسلامية بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة حيث واجهت الحركة اليهود مع مؤامراتهم ضد الحركة ويبين حالتهم الدينية والأخلاقية والاجتماعية ويشير الى الأسباب التى تعود اليها مخالفتهم للحركة الاسلامية مع أنهم كانوا يتظاهرون بالايمان بالتوحيد والرسالة والآخرة أى المبادىء الاساسية للاسلام ، وكانوا يعرفون بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم حق المعرفة ولكن مع ذلك كانوا يقاومون الحركة الاسلامية بكل مافى وسعهم ، ثم يبين الاستاذ العلاقة بين هذه الأوضاع وبين ما أنزله الله فى السورة من تاريخ اليهود الطويل حسب مقتضيات الحركة الاسلامية ومتطلباتها آنذاك .

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧ .

هذا وبعد أن يذكر الأستاذ المودودى هذه الخلفية فى مقدمته للسورة يشير الى علاقة كل من هذه القصص مع المرحلة التى كان فيها الحركة الاسلامية آنذاك ، ويبين حكمة ايراد هذه القصة بالتفصيل قبل بداية تفسيره للآيات التى وردت فيها القصة ،فمثلا وردت القصص والحوادث من تاريخ بنى اسرائيل من الآية (٤٠) الى الآية (١٢١) من سورة البقرة . فالاستاذ المودودى بعد ما ذكر عنهم ما ذكر فى مقدمة السورة راى مناسبا ان يتكلم عن حكمة ايراد هذه القصة بالتفصيل ويشير الى العلاقة بين هذه المرحلة للحركة الاسلامية وبين هذه القصص من تاريخ بنى اسرائيل قبل بداية تفسيره لهذه الآيات الكريمة فيقول :

" ولكى نفهم هذا الخطاب فهما تاما علينا ان نضع فى اذهاننا عدة نقاط هامة وهى :

أولا : ان هذا الحديث يهدف الى دعوة اتباع الانبياء السابقين (اليهود والنصارى) الذين كانوا لا يزالون فى عجز عن اصلاح انفسهم الى فهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقبولها ولهذا فقد اخبرهم الله فيه بان رسالة القرآن هى عين رسالة الكتب التى نزلت على الأنبياء السابقين وان مهمة محمد صلى الله عليه وسلم هى نفس مهمة من سبقه من الانبياء فكان هذا الخطاب يقصد أن يقول لهم : (لقد اسندت اليكم هذه المهمة اول الامر لكى تنفذوها وتدعوا العالم لقبولها والايمان بها لكنكم طرحتم هداية الله وتدليتم الى أعماق الانحطاط وما تاريخ امتكم الماضى وانحطاطها الخلقى والدينى الراهن إلا خير شاهد عليكم وهاهو عبد آخر من عباد الله ارسله بنفس الرسالة ولتنفيذ نفس المهمة ايضا . وليس فى هذا شىء غريب أو جديد عليكم فينبغى اذن ألا تعارضوا الحق وانتم تعلمونه وخير لكم ان تؤمنوا به وتتعاونوا مع من يؤمنون بنفس ما ارسل اليكم من قبل).

ثانيا : كذلك يرمى هذا الخطاب الى مناقشة اليهود والبرهنة على فسادهم وكشف انحطاطهم الدينى والخلقى . لذا نرى آياته تثبت اثباتا قاطعا خطأ موقفهم من الاسلام حين كانوا يعارضونه مع انهم كانوا يعترفون فى نفس الوقت بأن مبادئه وأسسه هما بالفعل عين مبادىء دينهم وان القرآن ليس فيه ما يخالف التوراة او يعارض تعاليمها من حيث المبدأ .

كما ان هذا الخطاب يبين أيضا أن اليهود فشلوا تماما فى اتباعها اعطاهم الله من هداية واخفقوا كل الاخفاق فى القيام بمسئوليات وواجبات الزعامة التى اسندت اليهم . ولاثبات هذا سيقت حوادث من تاريخهم وقصصهم لا يستطيعون لها انكارا او رفضا .

وفوق هذا فالخطاب يفضح المؤامرات التى كانوا يحيكونها والريب والمزاعم التى كانوا ينسجونها ويرددونها والحجج والبراهين التى كانوا يقدمونها والمكائد التى كانوا يدبرونها لينالوا من مهمة النبى صلى الله عليه وسلم ويشوهوا رسالته رغم تيقنهم من انها رسالة منزلة من عند الله .

وقد فضح هذا الخطاب ايضا ادعاءهم بالتقوى والايمان ووضح على انه ايمان يعوزه الاخلاص وتنقصه الاستقامة وان الدافع وراء عنادهم وعنادتهم لاهوائهم واثبت بما لا يدع ادنى مجال للشك انهم لا يريدون الخير ان يزدهر ويعم حقا .

كل هذا أدى دوره المطلوب واثر تاثيره المرغوب اذا فتح اعين العناصر الطيبة من اليهود وقضى على الكبرياء الروحية التى كانت تستحوذ على عقول زعماء اليهود الدينيين فى المدينة وما حولها الى جانب انه استولى الخوف والفزع على قلوبهم لافتضاح أمرهم فلم يتجاسروا على معارضة الاسلام فى صراحة وشجاعة .

ثالثا : فى الآيات التى سبقت هذا الخطاب دعيت البشرية للايمان بالهداية الألهية ثم اختير بنوا اسرائيل بعد ذلك كمثال لايضاح النتائج المرتبة على نبذ هذه الهداية بعيدا .

وسبب اختيار بنى اسرائيل نموذجا هو أنهم الأمة الوحيدة التى يعتبر تاريخها خلال أربعة الاف سنة الأخيرة درسا وعبرة حية لكل أمم عالم اذ تبدو فى روايته كافة الارتفاعات والانخفاضات والارتقاءات والتنزلات التى تنجم وفق هداية الله أو نبذها والتنكر لها .

رابعا : رغم ان هذا الخطاب موجه الى اليهود بذاتهم الا انه قصد به كذلك تحذير المسلمين من الوقوع فيما وقع فيه أتباع الأنبياء السابقين وهذا هو سبب اشارة القرآن فيه الى انحطاطات اليهود الخلقية وايراد تصوراتهم المستغربة وأفكارهم الخاطئة من الدين وذكر طرقهم الضالة فى التفكير واساليبهم الساقطة فى العيش والحياة واحدة واحدة الى جانب تقرير مطالب الدين الحق ومقتضياته كى يتمكن المسلمون من رؤية الصراط المستقيم فى جلاء ويبتعدوا عن الطرق العرجاء الأخرى .

وينبغى للمسلمين حين يقرأون ماورد فى هذا الخطاب من مثالب وانحرافات الا يغفلوا عن ما رواه ابوسعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال صلى الله عليه وسلم : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟)[1] .

ولم يكن هذا الحديث من باب التوبيخ فحسب بل كان النبى صلى الله عليه وسلم على بصيرة من الله أى السبل التى يتطرق منها الانحراف الى أمم الانبياء عليهم السلام وفى اى الاشكال التى يظهر بها هذا الانحراف كما كان

---

(١) صحيح البخارى — كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة — باب لتتبعن سنن من كان قبلكم .

يعلم ان المسلمين سيتبعون نفس الخطى التى أشير اليها فى هذا الخطاب شيئا فشيئا فحذرهم من ذلك "(١) .

وهكذا قبل بداية تفسيره للآيات الكريمة التى وردت فيها قصص من تاريخ بنى اسرائيل يعتنى الأستاذ المودودى ببيان حكمة ايراد هذه القصص فى السياق الذى هى وردت فى سورة البقرة ، ويبين العلاقة بين هذه القصص وبين المرحلة التى كانت فيها الحركة الاسلامية انذاك ، وفى هذا الصدد يقول الاستاذ المودودى :

بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة دخلت الحركة الاسلامية فى مرحلة جديدة فكانت الحركة الاسلامية حتى الان تواجه مقاومة كفار مكة ومن حولها ، فالقرآن المنزل خلال هذه المدة ، كان وفقا لمتطلبات الحركة الاسلامية فى هذه المراحل ، وهذا ما نجده فى السور التى نزلت بمكة المكرمة ولكن بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة دخلت الحركة الاسلامية فى مرحلة كانت تختلف عن المراحل السابقة فواجهت الحركة الاسلامية هناك عنصرا جديدا وهم اليهود الذين كانوا يعرفون ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ولكن مع ذلك قاموا بمقاومة الحركة الاسلامية بكل ما فى وسعهم فكان من الضرورى أن يبين الله سبحانه بالصراحة موقف الحركة الاسلامية تجاه اليهود فانزل الله سبحانه هذه الآيات ليبين هذا الموقف فذكر الله فيها عددا من القصص عن تاريخ بنى اسرائيل وذلك لتحقيق عديد من الاهداف من بينها ما يأتى :

أولا : اقامة الحجة على اليهود وذلك ببيان ان الدعوة التى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم هى نفس الدعوة التى جاء بها موسى عليه السلام فلهذا يجدر بهم

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص ٧٠–٧١ .

أن يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم بل يكونوا أول المؤمنين به صلى الله عليه وسلم.

ثانيا : ليبين الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان انكار اليهود للدعوة لم يكن جديدا بل يشهد تاريخهم الطويل انه كلما جاءهم نبي من الله سبحانه قاموا بتكذيبه وتعذيبه حتى قتلوا بعض الأنبياء عليهم السلام. فلهذا انكارهم للنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن امرا مستغربا وجديدا .

ثالثا : ليخبر الله سبحانه عن التحريفات التي جاء بها علماء اليهود والنصارى في التوراة والانجيل مع بيان الاهداف التي قام هؤلاء الناس على هذه التحريفات لاجلها ،وذلك لكي يعرف الناس كيف كان يلعب هؤلاء الناس بدين الله وبكتابه .

رابعا : لانقاذ أهل المدينة ومن حولها من سيطرة تقدسهم الظاهري وذلك بكشف حالتهم الأخلاقية والدينية الأصلية وبكشف الغطاء عن وجوههم الاصلية ليرى الناس اعماق الانحطاط التي وقع فيها خاصتهم وعامتهم .

خامسا : ومن الأهداف الأخرى لإيراد هذه القصص من تاريخ بني اسرائيل في هذا السياق توجيه المسلمين للاعتصام بالاسلام والتمسك بتعليماته وتحذيرهم من الوقوع فيما وقع فيه اليهود بتركهم سبيل الرشد والهداية فكان من الضروري ان ينبئهم القرآن عن الأسباب التي جرتهم الى هذا الانحطاط الخلقي والديني وعن النتائج اللازمة لوقوعهم في هذا الانحطاط.

وهكذا نرى ان الاستاذ المودودي خلال تفسيره للآيات التي وردت فيها قصة أو جزء من أجزائها كان يعتني ببيان العلاقة بين هذه القصة وبين المرحلة التي كانت فيها الحركة الاسلامية حين نزلت هذه القصة . وهذا ما يستطيع به القارىء أن يفهم المراد الصحيح لهذه الآيات الكريمة ومقتضياتها كما ان هذا

مايمكنه له أن يستفيد من هذه القصص خلال عمله في مجال الدعوة الاسلامية.

- بيان حكمة ايراد قصة اصحاب الكهف وقصة الخضر عليه السلام وقصة ذوالقرنين :

ومن القصص الواردة في القرآن الكريم قصة اصحاب الكهف وقصة الخضر عليه السلام وقصة ذو القرنين التي وردت في سورة الكهف ومن المعلوم أن سورة الكهف نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة حينما كانت الحركة الاسلامية في مواجهة المقاومة الشديدة من قبل كفار مكة المكرمة الذين قد بدأوا استخدام كل وسائل الأضطهاد والعنف والظلم والتعدى والضغط الاقتصادى للقضاء على الحركة الاسلامية وكان من متطلبات هذه المرحلة أن ينزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم مايهتدى به المسلمون لمواجهة تلك الاوضاع القاسية فقد انزل الله هذه القصص ليبين لهم من خلالها كيف يواجهون هذه المقاومة الشديدة وكيف يعملون في هذه الأوضاع القاسية فالاستاذ المودودى ، لكونه الداعية الحكيم ، يعتنى بصفة خاصة ببيان الاوضاع التي كانت فيها الحركة الاسلامية آنذاك لبيان حكمة ايراد هذه القصص في تلك الاوضاع مع بيان العلاقة بين هذه القصص وبين تلك المرحلة للحركة الاسلامية وذلك في تقديمه لسورة الكهف ، واليك نص بعض ماقال الاستاذ بهذا الصدد ، فيقول الاستاذ عن المرحلة التي كانت فيها الحركة الاسلامية حينما نزلت هذه القصص :

" تبدأ بهذه السورة سلسلة السور التي نزلت في المرحلة الثالثة من العهد المكي ونحن نقسم العهد المكي الى أربعة ادوار كبيرة فصلنا القول فيها في مقدمة سورة الأنعام (١) ، والدور الثالث حسب تقسيمنا هذا يبدأ مع بداية العام الخامس للبعثة ويستمر حتى العام العاشر تقريبا ، والسمة البارزة التي يتميز

---

(١) انظر تفهيم القرآن جـ١ ص ٥٢١-٥٢٢.

بها هذا الدور — يقول الأستاذ المودودى" هو قيام كفار مكة بمقاومة الحركة الاسلامية بسلاح الظلم والعنف والايذاء والتعدى والضغط الاقتصادى حتى اضطر عدد كبير من المسلمين للهجرة الى الحبشة وانحصر بقيتهم وفيهم النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته فى شعب أبى طالب وقوطعوا مقاطعة اقتصادية واجتماعية تامة "(١) .

كانت هذه هى الأوضاع التى كانت الحركة الإسلامية فيها حينما أنزل الله سبحانه هذه القصص على نبيه صلى الله عليه وسلم ردا على اسئلة قريش التى جاءوا بها بمشورة أهل الكتاب امتحانا لكونه صلى الله عليه وسلم نبيا أم لا . فأنزل الله هذه القصص ردا على اسئلتهم هذه وتطبيقا على الأوضاع التى كانت الحركة الاسلامية تواجهها انذاك فيبين الاستاذ المودودى العلاقة بين هذه القصص وبين هذه المرحلة للحركة الاسلامية كالآتى :

العلاقة بين قصة اصحاب الكهف وبين هذه المرحلة للحركة الإسلامية :

يبين الله سبحانه للكفار خلال قصة اصحاب الكهف انهم كانوا يؤمنون بنفس التوحيد الذى يعرضه القرآن الكريم ويدعو اليه وان حالهم وحال قومهم لم يكن مختلفا عن حال القلة المسلمة المضطهدة بمكة حال كفار قريش ثم لقن المؤمنين درسا عن طريق القصة ان المؤمن عليه الا يضعف او ينهزم امام الباطل ولو طغت عليه غلبة الكفار واصبح طاردا فى المجتمع الظالم لا يقدر على شىء حتى ولا يتنفس بل عليه ان يفر بدينه متوكلا على الله"(٢) .

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٣ ص ٦ .

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٧ .

ثم يقول الاستاذ مستمرا فى حديثه : " ثم يتحدث الله سبحانه ، عن طريق قصة اصحاب الكهف عن الظلم والشنائع التى كان يرتكبها زعماء مكة ومترفوها ضد الجماعة الاسلامية الصغيرة فيها وفى هذا الصدد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يصالح هؤلاء الظالمين ولا يهتم بهؤلاء الأكابر العظام بل يصبر نفسه مع صحابته الفقراء ،هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نصح اولئك الرؤساء والزعماء الا ينكبوا على زينة الحياة الدنيا القصيرة الفانية بل على العكس يرغبوا فى الباقيات الصالحات وينشدوا الخيرات الدائمة الأبدية" (١) .

فنرى هنا ان الأستاذ المودودى قبل بداية تفسيره لقصة أصحاب الكهف يعتنى ببيان الاوضاع التى كانت فيها الحركة الاسلامية حينما نزلت هذه القصة ويبين فى هذا الصدد بان نزول قصة أصحاب الكهف كان حينما دخلت الحركة الاسلامية فى مرحلتها الثالثة التى قد بدأ الكفار فيها مقاومة الحركة بالعنف والظلم والعدوان والشدة . فالحركة الاسلامية فى مرحلتها الثانية كان يقاومها الكفار بالسخرية والاستهزاء والتشنيع واشاعة الأباطيل والاكاذيب ولكن اذا لاحظ الكفار والمشركون فشلهم فى مقاومة الحركة الاسلامية بهذه الأساليب قرروا أن يقاوموا هذه الحركة بالعنف والشدة والظلم والاضطهاد وهذه كانت المرحلة الثالثة للحركة التى استمرت لخمس سنوات فكان من متطلبات هذه المرحلة للحركة الاسلامية ان ينزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم مايهتدى به اصحابه لمواجهة هذه الأوضاع القاسية فنزل الله سبحانه قصة أصحاب الكهف ليهديهم الى ماكان من مقتضيات هذه الحركة فى هذه المرحلة .

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص ٧ .

ثم يعتني الأستاذ ببيان التوجيهات الربانية التي تتضمنها قصة أصحاب الكهف لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهي :

اولا : مهما تكن الأوضاع فلا بد للداعية ان يواجه المقاومات والتحديات بالصبر والصمود . كما يتبين من عمل أصحاب الكهف في مواجهة مقاومة قومهم .

وثانيا : اذا لم يبق هناك مجال للإستمرار في الدعوة في بلدهم فمن متطلبات الدعوة ان يتركوا وطنهم ويهاجروا في سبيل الله كما عمل اصحاب الكهف بعد ما لم يبق لهم مجال للاستمرار في عمل الدعوة فكان لهذه التوجيهات الربانية ان هاجر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى الحبشة او الى المدينة المنورة فيما بعد .

وجدير بالذكر أن بعد بيان العلاقة بين قصة أصحاب الكهف وبين مرحلة الحركة الاسلامية التي أنزلها الله فيها يبين الاستاذ العلاقة بين قصتي خضر عليه السلام وذو القرنين وبين تلك المرحلة للحركة الاسلامية ولولا ضيق المجال هنا لذكرنا ماقاله الاستاذ في هذا الصدد فنكتفي بالاشارة اليه .

وهذه النماذج يتبين منها أسلوب الأستاذ المودودي في بيان حكمة ايراد القصص القرآنية وبيان علاقة هذه القصص مع مراحل الحركة الاسلامية التي انزلها الله فيها وذلك لكي يستطيع القارئ أن يفهم هذه القصص في ضوء تلك الاوضاع ويهتدي بها خلال عمله في مجال الدعوة ولو اتسع لنا المجال لذكرناها هنا بعض النماذج الأخرى لهذا الأسلوب للأستاذ المودودي فنكتفي بنقل هذه النماذج للاشارة الى ماكتبه الأستاذ المودودي من هذه الناحية خلال تفسيره للقرآن الكريم .

...

وهناك سؤال آخر تخالج أذهان الناس ، القرآن أنحى باللائمة على الذين اختلفوا بعد أن جاءهم الهدى من الله تعالى ، وتفرقوا في الدين ، هذا في جانب وفي الجانب الآخر توجد خلافات في تفسير أحكام القرآن وتأويلها ، لا بين المتأخرين فحسب ، بل بين التابعين ومن تبعهم حتى بين الصحابة أنفسهم ، إلى درجة أنك لا تجد آية من آيات القرآن اتفق المفسرون على قول واحد في تفسيرها أليس هؤلاء يستحقون نفس اللوم الذي ورد في القرآن ؟ إذا كان الجواب لا ، فأي اختلاف وأي فرقة تلك التي ينكرها القرآن وينحي باللائمة على أصحابها .

هذه قضية متشعبة كثيرة الجوانب لا تجدر بنا في هذا المقام أن نتناولها بالبحث المبسط . وحلا لما يساور ذهن عامة الناس من التعقيد يكفي الإشارة أن القرآن لا يمنع الخلاف النزيه البناء الذي يقع بين القائمين على تفسير الأحكام والقوانين ، بناء على دراساتهم الجدية المخلصة ، بينما هم يلتقون فيما يرجع إلى أصل الدين ويتفقون فيما يتعلق بنظام الجماعة الإسلامية .

أما الخلاف الذي يذمه القرآن ، فهو الذي نشأ من نفوس ذات هوى وعقول معوجة ، وانتهى به المطاف إلى التكتل والطائفية المقوتة والنزاع الداخلي وهذان الخلافان لا يتجانسان في أصلها ، ولا يتشابهان في نتائجها فكيف نحكم عليهما بحكم واحد .

الأستاذ أبو الأعلى المودودي

المبحث السادس :

منهج الاستاذ المودودى فى دراسة آيات الاحكام

سلك الاستاذ المودودى مسلكا معينا فى تحقيق المسائل الفقهية خلال تفسير الآيات الكريمة التى تتحدث عن الأحكام حيث نجده يستعرض اقوال الفقهاء وآراءهم ثم ينتهى الى قول راجح مع إيراد ادلة الرجحان، هذا أحيانا ، وأحيانا أخرى نراه ينقل اقوال الفقهاء وآراءهم بدون الحكم والترجيح فيما بينها وذلك لكى يرجح القارئ نفسه بعضها على البعض، واليك بعض النماذج لهذا الاسلوب للاستاذ المودودى :

الاهتمام بالمقارنة والترجيح بين المذاهب الفقهية :

فى تفسير قوله سبحانه (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)(١) بعدما يتكلم الاستاذ المودودى عن العديد من المسائل فى التفسير يعتنى ببيان الاحكام الفقهية التى استنبطها منه الفقهاء ويقارن بينها ويرجح بعضها على البعض مع بيان وجوه الترجيح والنماذج الآتية تدل على ذلك :

تعريف الزنا فى المذاهب الفقهية المختلفة :

فمثلا يقول عن تعريف الزنا فى المذاهب الفقهية المختلفة : "وهناك خلاف بين الفقهاء فى تعريف الزنا فهو عند الحنفية وطء الرجل المرأة فى القبل فى غير الملك وشبه الملك "(٢) وبموجب هذا التعريف يخرج الوطء فى الدبر وعمل قوم لوط وإتيان البهيمة عن ماهية الزنا الموجب للحد ، ويقتصر اطلاقه على أن يطأ الرجل المرأة فى قبلها بدون أن يكون له عليهما

---

(١) النور : ٢ .

(٢) ابن همام - فتح القدير جـ٥ ص ٢٤٧ .

حق شرعي من نكاح أو ملك يمين أوشبهته كوطء الرجل جارية إبنه.

وهو عند الشافعية "ايلاج الذكر بفرج محرم لعينه خال عن الشبة مشتهى طبعا "(١) ، وهو عند المالكية "وطء مكلف مسلم فرج آدمي لا ملك له فيه باتفاق تعمدا "(٢) .

وبموجب هذين التعريفين يدخل عمل قوم لوط تحت ماهية الزنا ولكن الصحيح حسبما نرى ان هذين التعريفين لا يتفقان مع المعنى المعروف للزنا ، لان القرآن يستعمل الالفاظ في معناها المعروف المتداول ، إلا اذا جعل لفظ من الالفاظ اصطلاحا خاصا له ، ولكنه على هذا الوجه لا يتركه بغير أن يبين مفهومه الذي يريد بهذا الاصطلاح ، وليس هناك من القرآن ما يوجب ان يكون القرآن قد استعمل لفظ الزنا في هذه الآية في معنى خاص غير معناه المعروف ، فيجب ان يكون مقصورة على وطء المرأة على الطريق الفطري بلا حق ولا يتسع للطرق الاخرى لقضاء الشهوة ، وفضلا عن هذا قد اختلف الصحابة في حكم عمل قوم لوط وعقوبته (٣) ، ولو كانوا يعدونه في الزنا حسب الاصطلاح الشرعي لما وجدنا بينهم اى خلاف في حكمه "(٤) .

وبهذا يستوعب الاستاذ ما جاء من اقوال ائمة الفقه في تعريف الزنا بل انه يتخير اشهر تعريف في كل مذهب وهذا لا يكون الا بعد تمحيص ودقة وقراءة واسعة وبعد ما يذكر المذاهب الفقهية المختلفة في تعريف الزنا ، يهتم الاستاذ المودودي بالمقارنة بين هذه المذاهب ، واخيرا يرجح المذهب الذي هو اقواها وانسبها في رأيه ، ويؤيد رأيه هذا بالادلة القوية منها :

---

(١) محمد بن ابي العباس : نهاية المحتاج الى شرح المنهاج جـ٧ ص ٤٢٢-٤٢٣ .

(٢) الخرشي على مختصر سيدي خليل جـ٨ ص ٧٥ .

(٣) انظر ابن الاثير الجزري : جامع الاصول في احاديث الرسول جـ٣ ص ٥٤٩ .

(٤) تفهيم القرآن جـ٣ ص ٣٢٨ .

أن القرآن لا يستعمل الالفاظ الا فى معناها المعروف ، وذلك ماعدا الاصطلاحات الخاصة له ، ومنها اختلاف الصحابة فى حكم عمل قوم لوط ،وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان عليا رضى الله عنه احرقهما وابابكر رضى الله عنه هدم عليهما حائطا [1] " وبهذا يثبت الاستاذ ان التعريف الصحيح للزنا هوماذهب اليه الحنفية.

٢ـ الشروط اللازمة لاعتبار الزنا جريمة مستلزمة للحد :

ويقول فى بيان الشروط اللازمة لاعتبار الزنا جريمة مستلزمة للحد :

" لا يحكم على أحد ذكر أو أنثى باقتراف الزنا واستحقاق العقوبة الا اذا وجد فيه بعض الشروط اللازمة . والشروط للزنا المحض تختلف عن الشروط للزنا بعد الاحصان ، والذى عليه اتفاق الفقهاء فى الزنا المحض أن يكون الجانى عاقلا بالغا [2] فاذا اقترف الزنا مجنون او صبى ، لا يقام عليه الحد ،واما الشروط الاخرى التى لابد من استيفائها فى الحكم على أحد بالزنا بعد الاحصان فضلا عن شرطى العقل والبلوغ فهى كالآتى :

اولا : ان يكون الجانى حرا ،واتفق الفقهاء عليه [3] .

وثانيا : ان يكون الجانى متزوجا بنكاح صحيح واتفق الفقهاء عليه [4] [5] . ثم بعد ذلك يبين الاستاذ الشرط الثالث ويذكر اختلاف الفقهاء فيه ويرجح الرأى الذى هو اقوى وأنسب فى نظره فيقول :

---

(١) نقلا عن ابن الاثير الجزرى ـ جامع الاصول فى احاديث الرسول جـ٣ ص ٥٥٠ .

(٢) انظر يحيى بن محمد بن هبيرة ـ كتاب الافصاح عن معانى الصحاح جـ ٢ ص ٢٣٣ .

(٣) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص : ٢٣٣ .

(٤) انظر المرجع السابق جـ ٢ ص : ٢٣٣ .

(٥) انظر تفهيم القرآن جـ٣ ص ٣٢٩ .

" ثالث هذه الشروط ان لا يكون الجاني قد عقد زواجه فحسب ، بل يكون قد تمتع بالدخول الصحيح على زوجته بعد زواجه ، وذلك لان مجرد عقد النكاح لا يجعل المرء محصنا ولا المرأة محصنة حتى يقام عليهما حد الرجم اذا ارتكبا الزنا ، وهذا الشرط ايضا قد اتفق عليه اكثر الفقهاء (١) . وأضاف ابوحنيفة ومحمد رحمهما الله شرطا آخر وهو ان يكون الزوجان عند الدخول حرين بالغين عاقلين (٢) وثمرة الخلاف ان الرجل اذا كان عقد زواجه مع امرأة كانت أمة أو مجنونة اوغير بالغة لا يقام عليه حد الرجم ولو كان قد تمتع بها بالدخول الصحيح وكذلك ان المرأة اذا كان عقد زواجها مع عبد او مجنون اوغير بالغ لا يقام عليها حد الرجم ، ولو كانت تمتعت بالدخول الصحيح وهذا الشرط الذي اضافه هذان الامامان بعد نظرهما اذا تأملنا فيه وجدناه في غاية من العدل والمعقولية " (٣) .

وبهذا نرى ان الاستاذ المودودي يذكر اتفاق الفقهاء على كون الدخول الصحيح بعد النكاح شرطا لجعل المرء محصنا اوالمرأة محصنة حتى يقام عليهما حد الرجم اذا ارتكبا الزنا ، ثم يذكر ما أضاف اليه الامام ابوحنيفة والامام محمد في هذا الشرط ، وهو ان يكون الزوجان عند الدخول حرين بالغين عاقلين . ثم يرجح الاستاذ رأيهما هذا ، والحقيقة أننا اذا فكرنا في رأيهما هذا لإتفقنا مع الاستاذ في ترجيحه لذلك الرأي وذلك لكونه في غاية العدل والمعقولية لان الدخول الصحيح لا يمكن التمتع به الا اذا كان الزوجان كلاهما حرين بالغين وعاقلين ، واذا كان أحدهما مجنونا او غير بالغ او عبدا لا يمكن للآخر أن يتمتع بالدخول به تمتعا صحيحا

---

(١) انظر يحيى محمد بن هبيرة ــ كتاب الافصاح عن معاني الصحاح جـ ٢ ص ٢٣٣ .

(٢) انظر الزيلعي ــ تبيين الحقائق ــ شرح كنز الدقائق جـ٣ ص ١٨٢ .

(٣) تفهيم القرآن جـ٣ ص ٣٢٩ حاشية رقم ٢ (١٠) .

فكيف يمكن اذن ان يقام عليه حد الرجم ، فهو لا ينطبق عليه شرط التمتع الصحيح من الزواج .

٣ — حكم الاكراه في ارتكاب جريمة الزنا :

ويقول في حكم الإكراه في ارتكاب جريمة الزنا انه من اللازم للحكم بالجريمة على من ارتكب الزنا أن يكون ارتكاب هذه الجريمة بارادته من غير إكراه ، فمن أكره على ارتكابه فليس بجان ولا يستحق العقوبة . وفي هذا الباب لا تنطبق قاعدة الشريعة العامة ان الانسان بريء من تبعة ما أكره عليه فحسب بل القرآن نفسه يعلن في آخر سورة النور(١) العفو عن الاماء اللاتي أكرهن على الزنا . وقد ثبت بغير واحدة من الروايات ان الرجل الذي اقيم عليه الحد اذا زنى بامرأة وتركت المرأة "(٢) . ثم يذكر الاستاذ روايتين في تاييده

اولاهما : عن وائل بن حجر أن امرأة خرجت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — تريد الصلاة ، فتلقاها رجل فتجللها فقضى حاجته منها فصاحت فانطلق ، مرت بعصابة من المهاجرين فقالت : " ان ذلك الرجل فعل بي كذا وكذا فانطلقوا فاخذوا الرجل الذي ظنت انه وقع عليها فاتوا به فقالت نعم هو هذا ، فأتوا به رسول الله فلما امر به ليرجم قام صاحبها الذي وقع عليها فقال يارسول الله انا صاحبها فقال لها اذهبي فقد غفر الله لك وقال للرجل قولا حسنا وقال للرجل الذي وقع عليها ارجموه "(٣) .

وثانيتهما : عن نافع مولى ابن عمر (ان صفية بنت ابي عبيد اخبرته ان عبدا من رقيق الامارة وقع على وليدة من الخمس ، فاستكرهها حتى اقتضها فجلده عمر الحد ونفاه ، ولم يجلدها من اجل انه استكرهها (٤) .

---

(١) (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) النور/ ٣٣ .

(٢) تفهيم القرآن جـ٣ ص ٣٣٠ — ٣٣١ .

(٣) سنن الترمذي — كتاب الحدود باب في المرأة اذا استكرهت على الزنا .

(٤) صحيح البخاري — كتاب الاكراه — باب اذا استكرهت المرأة على الزنا فلا حد عليها

ثم يقول : " بناء على هذه الشواهد لا خلاف فى الشريعة الاسلامية فى شأن المرأة ولكن الخلاف فى كون الاكراه معتبرا فى شأن الرجل فيقول ابو يوسف(١) ومحمد (٢) والشافعى (٣) والحسن (٤) بن صالح رحمهم الله ان الرجل اذا اكره لا يقام عليه الحد ويقول زفر (٥) رحمه الله : يقام لانه لا يمكن ان يأتى الرجل بفعلة الزنا الا بالانتشار والانتشار دليل على الشهوة التى حملته على اتيانها ، ويقول ابوحنيفة (٦) : ان أكرهه السلطان أى الحكومة او حاكم من حكامها لا يقام عليه الحد لان الحكومة ان كانت هى نفسها تكره الناس على ارتكاب الزنا ، فمن يبقى له الحق فى اقامة الحدود عليهم واذا اكرهه غير سلطان ، او احد غير الحكومة يقام عليه الحد لانه لا يمكن ان يرتكب الزنا بدون شهوة ، ولا يمكن ان يجد فى نفسه الشهوة بالاكراه فالقول الاول من هذه الاقوال هو الاصح عندنا لان الانتشار وان كان دليلا على الشهوة ولكنه ليس بدليل قاطع على الطوع والرضا ،ولنفرض ان ظالما يحبس رجلا مع امرأة شابة جميلة عارية ولا يتركه حتى يزنى بها ،ثم اذا ارتكبا الزنا فى مثل هذه الحال يأتى عليهما باربعة شهداء ويقدمها الى المحكمة فهل من العدل ان تقيم المحكمة الحد على الرجل بدون نظر فى عذره؟ ومن الممكن عقلا وعادة ان تحدث حوادث توجد فيها الشهوة بدون اختيار الرجل ورغبته وذلك كمثل رجل حبس ولم يؤت للشرب شىء غير الخمر فاذا شربها

---

(١) انظر الزيلعى ج ٣ ص ١٨٥ .

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) انظر اسحق ابراهيم بن على بن يوسف ـ المهذب فى فقه الامام الشافعى ج٣ ص ٢٦٨ .

(٤) انظر امام ابابكر احمد بن على الرازى الجصاص ـ احكام القرآن ج ٥ ص ٩٩ .

(٥) انظر الزيلعى ج٣ ص ١٨٤ .

(٦) انظر المرجع السابق ص ١٨٥ .

المسكين فهل تعاقبه المحكمة لانه ماكان من الممكن ان يتجرع الخمر الا بارادته وقصده وان كانت حالته حالة الاضطرار والاكراه .والحق ان مجرد وجود الارادة لا يكفى فى تحقيق الجريمة بل لابد من الحرية مع الارادة فمن وقع فى حالة يضطر فيها الى ارادة الجريمة فهو غير مجرم قطعا فى بعض الاحيان وجريمته خفيفة فى بعضها "(١) .

ان الاستاذ المودودى بعدما ذكر المذاهب الفقهية المختلفة فى حكم الاكراه فى ارتكاب جريمة الزنا يقارن بينها ويرجح المذهب الذى هو أقوى وأنسب فى رأيه ، وهو ماذهب اليه الامام الشافعى والامام ابويوسف والامام محمد ويترك مذهب الامام ابى حنيفة ثم يأتى بالادلة القوية فى تأييد رأيه هذا ويثبت ان مذهب الامام الشافعى فى حكم الاكراه فى جريمة الزنا هو اقوى وانسب من مذهب الامام ابى حنيفة وذلك مع كونه حنفيا فيتبين من هذا ان الاستاذ المودودى كانت آراؤه الفقهية خالية من التعصب المذهبى فهو لم يكن يؤيد مذهبا او يخالفه لتعصبه المذهبى بل كان يؤيده او يخالفه حسب مكانته فى ضوء الادلة من الكتاب والسنة ولكونه صحيحا او غير صحيح فى ضوء البراهين .

٤ — جريمة الزنا ليست قابلة للتراضى :

ويقول فى حكم تراضى الناس فيما بينهم اذا رفع امر الزانى الى المحكمة ، " ليست هذه الجريمة فى الشريعة الاسلامية قابلة للتراضى فيما بين الناس بانفسهم فقد ورد فى كتب الحديث كلها تقريبا ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " أنشدك الله الا ماقضيت بيننا بكتاب الله

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٣ ص ٢٣٠ .

فقام خصمه وكان أفقه منه فقال : أقض بيننا بكتاب الله وائذن لي . قال : قل . قال : إن ابني هذا كان عسيفا على هذا ، فزنى بامرأته فافتديت منه بمائة شاة وخادم ، ثم سألت رجالا من اهل العلم فاخبروني ان على ابني جلد مائة وتغريب عام . وعلى امرأته الرجم . فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – والذى نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكره ، المائة شاة والخادم رد . وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس على امرأة هذا ، فان اعترفت فا رجمها ، فغدا عليها فاعترفت فرجمها " (١) . فنعرف بذلك أن الشريعة الاسلامية لا مجال فيه لتراضى الناس فيما بينهم فى جريمة الزنا كما نعرف به فى نفس الوقت ان الشريعة الاسلامية لا مجال فيها للتعويض عن الاعراض بالغرامات المالية ، كالقوانين الغربية التى جاءت بتصورها لقيمة الاعراض القائم على الديوثية وقلة الحياء " (٢) .

ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة يعتنى باستنباط حكم فقهى هام وهو حكم التراضى بين الناس فى جريمة الزنا ، والحقيقة أن هذه المعاملة قد اصبحت مهمة جدا بعد ان جاءت الحضارة الغربية الاستعمارية بقوانينها التى تسمح للزانى ان يتراضى مع زوج المرأة التى هو زنى بها او مع ابيها او مع ولى أمرها وهذا القانون فى الحقيقة يدل على الديوثية وقلة الحياء التى تتميز بها الحضارة الغربية ، فلهذا لا مجال له فى الشريعة الاسلامية الغراء التى تقوم بالمحافظة على عصمة النساء وعفتهن ولكن الحضارة الغربية ، لسيطرتها على البلاد الاسلامية اثرت فى قوانين البلاد الاسلامية اثرا عظيما حتى نرى ان كثيرا من البلاد الاسلامية قامت بتغيير

(١) صحيح البخارى – كتاب الحدود ، باب الاعتراف بالزنا .

(٢) تفهيم القرآن جـ٣ ص : ٣٣٢ .

الشريعة الاسلامية بهذه القوانين الغربية ، ومنها هذا القانون الذى قد بين الاستاذ المودودى انه غير اسلامى فى ضوء الحديث النبوى فيمكننا ان نستنتج من هذا بان الاستاذ المودودى قد وفقه الله بالفهم الصحيح للنكات القانونية التشريعية العميقة ، وهذا مايتميز به تفسيره ، ولو اتسع لنا المجال لذكرنا هنا عدة من الامثلة لذلك .

ويقول فى تفسيرقوله تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة اشهر) [1] " ومن المعلوم ان علاقات الزوج وزوجته لا تستمر حارة على الدوام الا ان شريعة الله لا تسمح باستمرار العلاقات الفاسدة المتواترة دون تحديد لذا شرع الله فترة قصوى هى اربعة اشهر من الانفصال يعيش فيها الزوجان منفصلين فى الواقع دون اتصال او علاقات زوجية لكنهما يظلان زوجين من الناحية الشرعية وهذا ما يسمى " بالايلاء " فى الفقه الاسلامى وعليهما خلال هذه المدة ان يتصلحا او يفترقا بالرضاء . والمعروف لكى ينال كل واحد منهما حريته فى الزواج من شخص آخر يناسبه .

ويرى فقهاء الحنفية [2] والشافعية [3] فى هذه الآية ان فترة الشهور الأربعة تنطبق فقط على الحالات التى يتم الانفصال فيها عن طريق الحلف اما ان ظل الزوجان منفصلين لاى فترة دون قسم فلا ينطبق عليهما هذا القانون وسندهم فى هذا الرأى الآية ذاتها (للذين يؤلون) فالايلاء هو الحلف اما المالكية [4] فيرون ان هذه الفترة تنطبق على كل حالات الانفصال واثر عن ابن حنبل [5] قول يؤيد هذا ." [6] .

---

(١) البقرة ٢٢٦ .
(٢) الامام ابوبكر احمد بن على الرازى الجصاص/احكام القران جـ٢ ص ٤٦ .
(٣) انظر يحيى بن محمد هبيرة - كتاب الافصاح عن معانى الصحاح جـ٢ص: ١٦١-١٦٢ .
(٤) ابوعبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبى /الجامع لاحكام القران جـ٣ص١٠٦
(٥) انظر ابا محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسى - الكافى فى فقه الامام احمد بن حنبل جـ٣ ص : ٢٥٣-٢٥٤ .
(٦) تفهيم القرآن جـ١ ص ١٧٢ .

فنرى هنا أن الأستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة يكتفى بنقل المذاهب الفقهية المختلفة بدون أن يعتنى بالمقارنة بينها او بترجيح هذا على ذلك بل يترك على القارئ أن يهتم بالمقارنة بين هذه المذاهب المختلفة ويرجح انسبها على الأخرى .

من كل ماسبق يتبين ان الاستاذ المودودى فى تفسيره لآيات الاحكام يهتم ببيان الاحكام الفقهية التى استنبطها ائمة المذاهب الفقهية ثم يعتنى بالمقارنة بين هذه المذاهب الفقهية المختلفة وبترجيح بعضها على البعض وذلك فى ضوء الادلة من الكتاب والسنة او البراهين العقلية القوية هذا احيانا واحيانا اخرى يكتفى ببيان المذاهب الفقهية ويترك المقارنة والترجيح على القارئ . واما المقارنة والترجيح فالامور التى يهتم بها الاستاذ المودودى فيها كالآتى :

اولا : الأحكام الفقهية التى يستنبطها الأستاذ المودودى من آية من آيات الاحكام فى ضوء الأحاديث الواردة والآراء الفقهية فى الموضوع يؤيدها بالأدلة القوية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يكون أسلوب الأستاذ فى بيان هذه الاحكام اسلوبا جذابا وسهلا وهذا مايسهل لطلاب القانون والشريعة ان يستفيدوا منها .

ثانيا : المراجع التى يعتمد عليها الاستاذ المودودى لاستنباط هذه الاحكام الفقهية هى الاحاديث الواردة فى الموضوع او النظائر القانونية فى عهد النبوة او الخلفاء الراشدين او آراء الفقهاء فى القرنين الأول والثانى .

ثالثا : اهتمام الاستاذ بالمقارنة بين آراء الفقهاء الكبار يكون بطريقتين أولاهما أنه يكتفى بنقل آرائهم مع الأدلة التى جاءوا بها ويترك إلى القارئ

ان يرجح بعضها على البعض ،وثالثتهما ان الاستاذ نفسه يقوم بترجيح بعض من تلك الآراء الفقهية وذلك بالأدلة من القرآن والسنة او البراهين العقلية .

رابعا : اجتنابه التعصب المذهبي في الحكم بين الآراء الفقهية فنرى ان كونه حنفيا في مسلكه لا يجعله متعصبا في تاييد مسلكه بل في الحقيقة هو يؤيد مسلكا او ينتقده في ضوء الادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية فمثلا نراه يرجح راى الامام الشافعي على راى الامام أبي حنيفة في حكم الاكراه للرجل في جريمة الزنا .

وهذه هي بعض المزايا لاسلوب الاستاذ المودودي في تفسير آيات الاحكام حيث سلك معها مسلكا معينا يدل على علمه وسعة أفقه وكثرة مطالعته ودقة استنباطه وفقهه .

...

المبحث السابع :

الاهتمام بالخرائط والصور للأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم

من مزايا تفسير الأستاذ المودودى اهتمامه بالخرائط والصور للاماكن التى ورد ذكرها فى القرآن وطريقة الأستاذ المودودى فى الاستشهاد بالخرائط والصور خلال تفسيره انه يشرح كل من هذه الخرائط والصور مع بيان موقعها الجغرافى وموجزها التاريخى مع ذكر علاقتها مع الحادث الذى ورد فيه ذكرها . ومن المعلوم ان الخرائط او الصور لها أهمية بالغة فى فهم الحوادث التاريخية وتفصيلها ولهذا السبب اهتم بها الأستاذ المودودى اهتماما خاصا خلال تفسيره للآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر الأماكن المختلفة ولاهميتها البالغة قرر الأستاذ المودودى بانه لا يقتصر على مطالعة كتب التاريخ أو الجغرافيا لاثبات هذه الخرائط والصور بل برحلة خاصة الى ارض القرآن فكانت رحلته هذه من ٣ نوفمبر ١٩٥٩م الى ٤ فبراير ١٩٦٠ (١) . وزار خلال رحلته هذه الاماكن الواردة فى القرآن الكريم التى تقع فى المملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية وفلسطين وسوريا وجمهورية مصر العربية (٢) فيقول الاستاذ عن رحلته هذه ردا على احد الاسئلة لاذاعة المملكة العربية السعودية بجدة :

---

(١) عاصم الحداد ــ سفرنامه أرض القرآن ص ٢٩ ، ٢٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١ .

" الهدف الأساسي من رحلتي هذه زيارة الأماكن التاريخية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم أو كتب السيرة فانني هذه الأيام أكتب تفسيراً للقرآن الكريم الذى سميته " تفهيم القرآن " وخلال تفسيرى هذا قد وصلت الى النتيجة أن الانسان لا يمكن له أن يتمكن من معرفة هذه الأماكن معرفة صحيحة الا اذا رآها بعينيه ، فقمت بهذه الرحلة "(١) .

وجدير بالذكر أن الأستاذ المودودى قبل قيامه بهذه الرحلة قد تمكن من قراءة أكثر ما كتب عن هذه الاماكن في اللغات المختلفة قديمة كانت أو حديثة ، وهذا كما أسلفنا كان اسلوبه الخاص للبحث والتحقيق (٢) .

ومما يجدر الاشارة اليه أن الاستاذ المودودى لم يزل مستمرا في قراءة هذه الكتب خلال رحلته ايضا (٣) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان من طريقته خلال رحلته هذه انه كان يهتم بزيارة العلماء الذين كانت لهم خبرة خاصة في تاريخ العرب وجغرافيتها ، وكان يناقش معهم في الاماكن الواردة في القرآن الكريم كما يحكي لنا زميله في هذه الرحلة الاستاذ عاصم الحداد (٤) ، وذلك حرصا على اطلاعه على المعلومات الصحيحة لهذه الاماكن .

والآن يجدر بنا ان نذكر هنا بعض النماذج لهذه الخرائط والصور مع بيان ما قاله الأستاذ المودودى شرحا لموقعها الجغرافي وموجزها التاريخي :

---

(١) انظر عاصم الحداد : سفرنامه أرض القرآن ص ١٩٠ .

(٢) انظر ص ٣٣٥ من هذه الرسالة .

(٣) انظر عاصم الحداد ـ سفرنامه أرض القرآن ص ٧٧ ـ ١١٩ .

(٤) المرجع السابق ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٤٨ ، ٢٦٠ .

١ـ خريطة خروج بني اسرائيل من مصر :

وردت قصة موسى عليه السلام فى سورة الأعراف من الآية رقم ١٠٣ الى الآية رقم ١٥٩ ، وذكر الله سبحانه فيها قصة مقابلة موسى عليه السلام مع فرعون ومناقشته معه وقصة خروج بني اسرائيل من مصر وغرق فرعون فى البحر ونزول التوراة على سيدنا موسى عليه السلام ورفض بنى اسرائيل من الدخول فى فلسطين وتيههم فى التيهة وغيرها كثير من الحوادث من تاريخ بنى اسرائيل ، فيرى الأستاذ ضروريا خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمات ان يبين الأماكن التى وردت ذكرها فى القصة . ثم يشرحها على هامش الخريطة بالموجز التاريخى لهذه الحوادث ، فنحن نأتى هنا بصورة هذه الخريطة ونذكر الموجز التاريخى الذى جاء به الاستاذ المودودى فى هامش الخريطة شرحا لكل من هذه الاماكن التاريخية فيقول :

١ـ جشن : ... وهى المنطقة التى سكن فيها سيدنا يوسف عليه السلام بنى اسرائيل فى مصر (١) .

٢ـ منفس : هى كانت عاصمة مصر فى عهد سيدنا يوسف عليه السلام (٢) .

٣ـ البحيرات المرة : هى بحيرات الماء المر وتقع على بعد عدة كيلومترات من قناة السويس . ولكن كانت متصلة مع البحر فى الازمنة القديمة (٣) .

٤ـ رعمسيس : وهذا المكان قد خرج منه سيدنا موسى عليه السلام مع بنى اسرائيل (٤) ثم التحق به قوافل أخرى لبنى اسرائيل فى الطريق

---

(١) انظر الكتاب المقدس ـ سفر التكوين ـ الفصل السابع والاربعون الفقرات ٤ـ٦ .

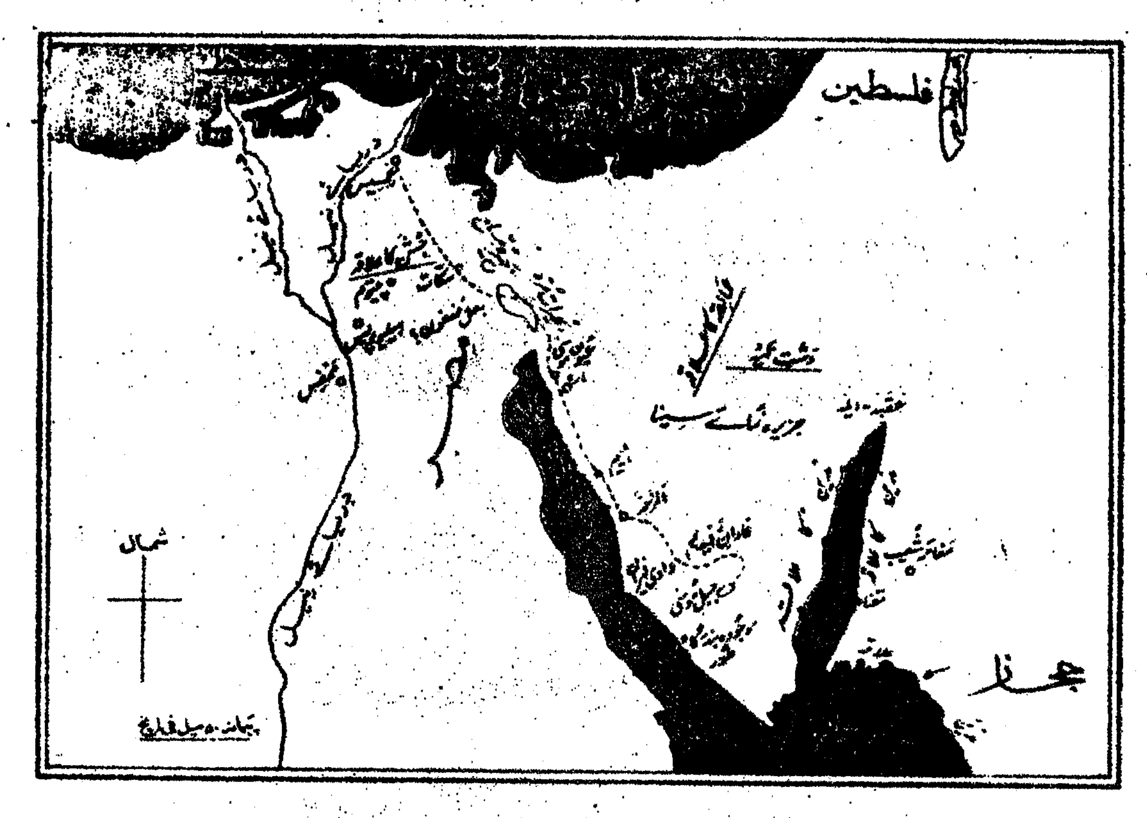
(٢) انظر نجيب فرنجية ـ الموسوعة العربية ص : ٢٣٧

(٣) انظر الكتاب المقدس ـ سفر الخروج ـ الفصل الرابع عشر ـ الفقرة : ١٠ .

(٤) المرجع السابق ـ سفر الخروج ـ الفصل الثانى عشر الفقرة ٣٧ .

تفہیم القرآن۔ جلد دوم

نقشہ خروجِ بنی اسرائیل



تشریح: جُشن کا علاقہ وہ علاقہ ہے جہاں مصر میں حضرت یوسف علیہ السلام نے بنی اسرائیل کو آباد کیا تھا۔

منفس حضرت موسیٰ علیہ السلام کے زمانے میں مصر کا دارالسلطنت تھا۔

بحیراتِ مُرّہ، تلخ پانی کی وہ کھاڑیاں ہیں جو آج نہر سویز سے فاصلے پر واقع ہیں، مگر قدیم زمانے میں سمندر کا پانی ان سے جا ملتا تھا۔

حضرت موسیٰ علیہ السلام رعمسیس سے بنی اسرائیل کو لے کر نکلے اور راستے میں بنی اسرائیل ہر طرف سے سمٹ کر اُن سے آکر ملتے چلے گئے۔ غالباً حضرت موسیٰ صحرا کے صاف راستے سے سینا کی طرف جانا چاہتے ہوں گے، مگر ایک طرف مصر کی فوجی چوکیوں سے بچنے کی کوشش اور دوسری طرف فرعون کے تعاقب نے ان کو جبل منفون کے قریب لا پہنچایا۔ یہاں غالباً انھوں نے بحیراتِ مرّہ کو کسی مقام سے عبور کیا اور یہیں فرعون غرق ہوا۔

حضرت موسیٰ اور بنی اسرائیل مارہ، ایلیم، المرخہ اور فاران رفیدیم کے راستے اُس مقام تک پہنچے جسے آج کل جبل موسیٰ کہتے ہیں اور جس کا قدیم نام سینا ہے۔ اسی کا نام طور بھی ہے اور اسی کی وادی کو وادیِ مقدس طُویٰ کہا گیا ہے۔

حمام فرعون وہ جگہ ہے جس کے متعلق آج تک جزیرہ نمائے سینا کے لوگوں میں یہ روایت پائی جاتی ہے کہ اسی جگہ فرعون کی لاش پانی میں تیرتی ہوئی ملی تھی۔

طور کے نام سے آج کل جو بندرگاہ جزیرہ نمائے سینا میں پائی جاتی ہے، اُس سے مراد کوہِ طور نہیں ہے، بلکہ یہ طور کی بندرگاہ ہے۔

المرخہ اُس علاقے کے سرے پر ہے جس کا نام بائیبل میں "بیابانِ سین" لکھا ہے۔ یہیں سے مَن و سلویٰ کا نزول شروع ہوا۔

رفیدیم کے قریب حوریب کی وہ مشہور چٹان واقع ہے جس پر حضرت موسیٰ نے عصا مارا تھا اور بارہ چشمے پھوٹ نکلے تھے۔

دشتِ تیہ وہ علاقہ ہے جس میں بنی اسرائیل چالیس سال تک بھٹکتے رہے۔ تیہ کے معنی بھٹکنے کے ہیں۔ یہ لفظ قرآن کی آیت فَاِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ اَرْبَعِيْنَ سَنَةً يَتِيْهُوْنَ فِي الْاَرْضِ (المائدہ آیت ۲۶) سے ماخوذ ہے۔

عقبہ یا اَیلہ، جس کا قدیم نام عصیون جابر تھا، وہ مقام ہے جہاں عام روایات کے مطابق اصحاب سبت کا مشہور واقعہ پیش آیا۔

ولعل سيدنا موسى عليه السلام كان في السفر الى سيناء عن طريق الصحراء ولكن حذرا من معسكرات الجيش المصرى وخوفا من تعاقب فرعـــون اضطر أن ينطلق عن طريق بعل صفون (١) ومن هنا في رأيي عبـــر سيدنا موسى عليه السلام البحيرات المرة مع بني اسرائيل ، وهنا أغـــرق الله فرعونا ومن معه . فهذا ما أرى والعلم عند الله سبحانه .

ثم مروا من العارة وايليم (وادى غرندل) والمرفة و (فاران رفيديم) وصل سيدنا موسى عليه السلام وبنوا اسرائيل جبل موسى الذى كانـــوا يسمونه بسيناء آنذاك (٢) ، والأسماء الاخرى التى تطلق عليه هي الطـــور والوادى المقدس طوى .

- حمام فرعون : هو الموقع الذى وجد فيه جسد فرعون بعد أن أغرقـــه الله في البحر. (٣)

وجدير بالذكر ان ميناء الطور التى تقع في شبه الجزيرة السيناء اليـــوم هي تختلف من جبل الطور الذى يسمونه جبل السينا اليوم .

- المرفة : تقع في المنطقة التى تسميها التوراة " بصحراء السين " وهـــذا هو المكان الذى بدأ فيه نزول المن والسلوى على بني اسرائيل . (٤)

وأما رفيديم (فاران) فتقع بقربها الصخرة الشهيرة التى قد ضربهـــا سيدنا موسى عليه السلام بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشر عينا . (٥)

---

(١) انظر المرجع السابق - الفصل الرابع عشر والفصل الخامس عشر .

(٢) المرجع السابق - الفصل الخامس عشر والسادس عشر .

(٣) انظر المرجع السابق - الفصل الرابع عشر .

(٤) انظر المرجع السابق - الفصل السادس عشر .

(٥) انظر المرجع السابق - الفصل السابع عشر .

ـ وأما التيه وهي المنطقة التي تاه فيها بنو اسرائيل لمدة أربعين سنة لقوله تعالى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) .(١) والعقبة أو الايلة هو المكان الذي اسمه القديم عسيون جابر والذي حدثت فيها واقعة أصحاب السبت الشهيرة "(٢) . فيستخدم الاستاذ هذه الخريطة ليبين الأماكن التي وردت ذكرها في سورة الاعراف خلال قصة موسى عليه السلام ثم يشرحها في هامش الخريطة مبينا موقعها الجغرافي وموجزها التاريخي وهذا مايتمكن به القارئ من فهم الحوادث الواردة في هذه الآيات الكريمة من تاريخ بني اسرائيل فهما جيدا ، ويمكن له ان يتصور في ضوء هذه الخريطة وهوامشها كيف تمكن سيدنا موسى عليه السلام من انقاذ أمته من احتلال فرعون الغاشم وكيف أغرق الله فرعون وقومه ، وماذا كانت كيفية سفرهم من مصر الى فلسطين مرورا من سيناء ، وماهي الحوادث التاريخية التي حدثت خلال سفرهم وهذا مايزداد به القارئ في علمه ومعرفته من ناحية وفي ايمانه ويقينه من ناحية أخرى ، وهذا ماتتبين به مكانة هذه الخرائط في فهم القرآن وتفهيمه .

ـ قصة سيدنا صالح عليه السلام وصور مباني ثمود :

وردت قصة سيدنا صالح عليه السلام في سورة الشعراء (الآيات ١٤١ـ١٥٩) وخلال هذه القصة ذكر الله سبحانه عن مدنية ثمود الفاسدة (الآيات ١٤٤ـ١٤٩) فيقول سبحانه على لسان سيدنا صالح عليه السلام (أتتركون في ماههنا آمنين . في جنت وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين) (٣) . والأستاذ المودودي خلال

---

(١) سورة المائدة ـ ٢٦ .
(٢) تفهيم القرآن ج٢ ص : ٦٦ـ٧٧ (هامش خريطة خروج بني اسرائيل من مصر) .
(٣) سورة الشعراء ـ الآيات ١٤٦ـ١٤٩ .

تفسيره لهذه الآيات الكريمة يأتي بعدة صور لعمائر ثمود ولجبال مدائن والبئر التي كانت تشرب منها ناقة سيدنا صالح عليه السلام ، ثم يتكلم عن مزايا مدنية ثمود فيقول : " ومن مزايا مدنية ثمود أنهم كانوا يبنون المباني الفخمة في الصخور كما كانت من مزايا عاد انهم كانوا يبنون مباني ذات العماد الفخمة فلذلك يقول الله سبحانه عن عاد أنهم كانوا (ذات العماد) (١) ، ويقول عن ثمود (الذين جابوا الصخر بالواد) (٢) ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يشير القرآن الى ميزة أخرى لمدنيتهم حيث يقول (تتخذون من سهولها قصورا) (٣) اى فضلا عن المباني الفخمة في الصخور كانوا يبنون القصور في السهول والميادين ، وأما هدفهم من انشاء هذه المباني ، فهو ما يشير اليه القرآن في قوله (فرهين) اى لم تكن هناك حاجة خاصة لانشاء هذه المباني الفخمة ولكنهم كانوا يجعلونها ليفتخروا بها ويتكبروا بها ، وهذا من سمات المدنية الفاسدة أن الفقراء لا يملكون ما يعيشون به ، وأما الاغنياء فهم بعد ما بنوا لهم القصور يعتنون بانشاء المباني الفخمة ليفتخروا بها (٤) .

يذكر لنا الاستاذ المودودى هنا بعض مزايا المباني التي بناها ثمود وذلك شرحا لصور تلك المباني التي يأتي بها الاستاذ خلال تفسيره لهذه الايات الكريمة فيبين الاستاذ المودودى ان المباني الفخمة في الجبال كانت فضلا عن القصور والعمائر الكبيرة التي بنوها في الميادين والسهول ولم يكن هناك أى هدف من انشاء هذه المباني الكبيرة الا ان يفتخروا بها ، وهذه

(١) الفجر الآية ٧ .
(٢) الفجر الاية ٩ .
(٣) سورة الأعراف ـ الاية ٧٤ .
(٤) تفهيم القرآن جـ٣ ص ٥٢٢ .

هي كانت حالتهم الاجتماعية حينما بعث الله فيهم رسوله صالح عليه السلام وأما حالتهم الدينية فيمكن لنا أن نتصور عنها بما أجابوا لدعوة صالح عليه السلام بقولهم (انما أنت من المسحرين) (١) ، أي قيام نبي الله صالح عليه السلام بالدعوة كان بسبب السحر في نظرة هؤلاء الفساق ، والحقيقة أن الاهتمام بالظواهر والاهمال عن الباطن هي من سمات المدنية الفاسدة وكلما ظهرت هذه السمات في مدنية قوم جعلتها فاسدة غير صالحة كمدنية ذلك القوم .

وبعد أن يبين لنا الاستاذ سمات حضارة ثمود الفاسدة ومزايا مبانيهم الفخمة يذكر لنا حالة هذه المباني حينما زارها خلال رحلته لأرض القرآن عام ١٩٥٩م فيقول : " وهذه المباني التي بناها ثمود ، رأينا بعضها خلال رحلتنا لأرض القرآن في ديسمبر ١٩٥٩م ويجدر بنا ان نأتي هنا ببعض الصور لتلك المباني الفخمة وتقع هذه المباني الفخمة على بعد عدة كيلومترات من " العلا " التي كانوا يسمونها وادي القرى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومازال سكانها يسمونها الحجر ومدائن صالح حتى يومنا هذا . وجدير بالذكر ان منطقة العلا هي منطقة خصبة وتوجد فيها عدد من العيون والحدائق ولكن منطقة الحجر هي منطقة منحوسة وعدد سكانها قليل جدا ولا ينبت فيها شيء من الارض وهناك عدة آبار ، أحدها كما يروى سكان المنطقة عن ابائهم هي البئر التي كانت تشرب منها الناقة التي قد اظهر الله على يد نبيه سيدنا صالح عليه السلام وهذه البئر توجد اليوم داخل المعسكر التركي القديم ولا يوجد فيها الماء ،

---

(١) سورة الشعراء الاية ١٥٣ .

(ونحن نأتى بصورتها هنا) ،وجدير بالذكر اننا اذا دخلنا نحن في هذه المنطقة رأينا جبالها متأثرة من الزلازل من اسفلها الى قمتها ،وهذا مايتبين من صورها التى نأتى بها هنا ، وتمتد هذه الجبال حوالى خمسون ميلا شرقا من ناحية خيبر ،ومن ثلاثين الى اربعين ميل شمالا في داخل المملكة الاردنية الهاشمية . فيتبين من هذا أن المنطقة التى تأثرت من الزلازل والبراكين كانت تمتد من ثلاثمائة الى اربعمائة ميل طولا وحوالى مائة ميل عرضا (١) .

فنرى هنا أن الأستاذ المودودى يبين لنا في شرحه لصور الاماكن التى ورد ذكرها في قصة قوم ثمود خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة ان آثار هذه الاماكن لم تزل موجودة حتى اليوم ، وهو زارها خلال رحلته لارض القرآن في عام ١٩٥٩م وهناك ثلاثة من الاثار التى يشير اليها القرآن خلال هذه القصة وهى كالاتى :

أولا : مبانى ثمود الفخمة التى يشير اليها قوله تعالى (وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين) (٢) .

وثانيا : البئر التى كانت تشرب منها الناقة التى أظهرها الله معجزة والتى يشير اليها قوله تعالى (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) (٣) .

وثالثا : الجبال المتأثرة من الزلازل والبراكين التى يشير اليها قوله تعالى (فأخذهم العذاب)(٤) وقوله تعالى (فأخذتهم الصيحة مصبحين) (٥)

---

(١) تفهيم القرآن ج٣ ص ٥٢٣ .
(٢) سورة الشعراء الآية ١٤٩ .
(٣) سورة الشعراء الآية ١٥٥ .
(٤) سورة الشعراء الآية ١٥٨ .
(٥) سورة الحجر الآية ٨٣ .

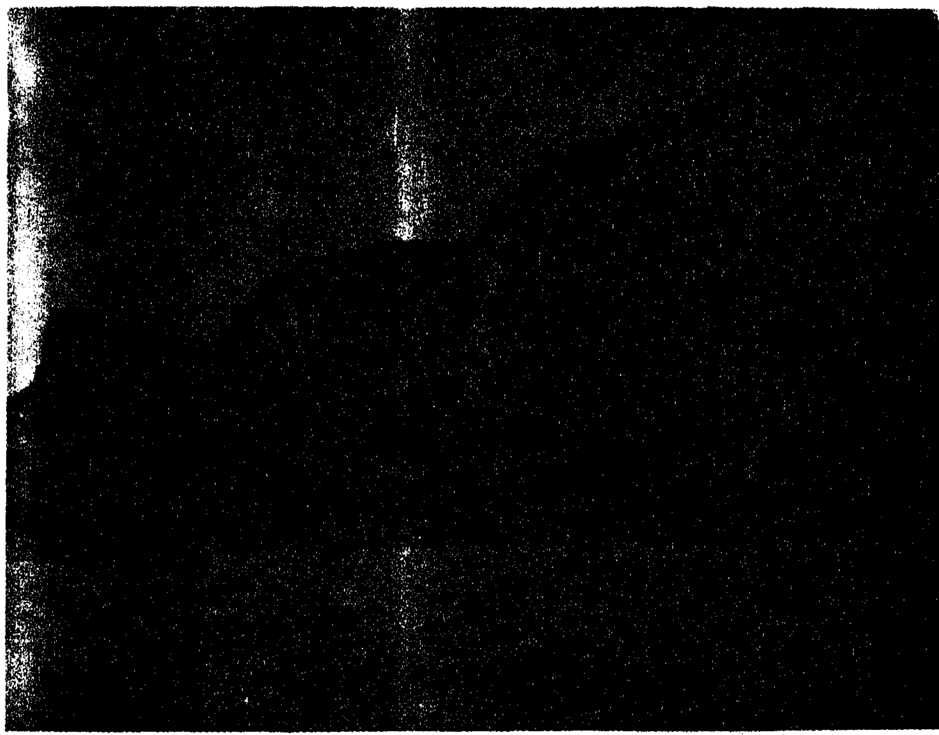
وقوله تعالى (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر)[1] ،
والأستاذ المودودى يذكر هنا عن زيارته لكل من هذه الاثار ويقول ان مبانى ثمود الفخمة فى الصخور لا تزال موجودة حتى الان وهكذا البئر التى كانت تشرب منها ناقة سيدنا صالح عليه السلام وكذلك الجبال التى تقع فى هذه المنطقة خير شاهد على ظهور الزلازل والبراكين فى المنطقة كما يخبر القرآن عنها . ثم يؤيد الاستاذ المودودى بيانه هذا بصور لكل هذه الاثار وهذا ما يزيد الانسان ايمانا وطمأنينة ، كما يزيده علما ومعرفة ويساعد فى فهم ما ورد فى القرآن فهما جيدا وهذا هو الهدف الذى اهتم الاستاذ المودودى لاجله بهذه الرحلة وبالاتيان بهذه الصور فجزاه الله أحسن الجزاء .

ثم يعتنى الأستاذ بالرد على اتهام بعض المستشرقين بأن هذه المبانى بناها النبطيون فلهذا بيان القرآن فى كونها ثمودية ليس بصحيح فيقول :
" وجدير بالذكر ان مبانى ثمود التى رأيناها فى الحجر مثلها بعض المبانى فى المدين الواقعة على شاطئ خليج العقبة وفى اقليم البطرا فى المملكة الاردنية الهاشمية وفى البطرا توجد مبانى ثمود هذه ومبانى النبطيين جنبا إلى جنب . والحقيقة ان هناك فرقاً واضحاً بين اسلوب مبانى ثمود وبين أسلوب مبانى النبطيين حتى يمكن للإنسان أن يميز بين الأسلوبين من نظرة واحدة . كما يمكن له ان يستنتج من هذا الفرق بين الأسلوبين أن مبانى ثمود ومبانى النبطيين تختلف كل الاختلاف فيما بينهما فى اسلوب بنائها وفى زمن انشائها (وهذا ما يتبين من الصور التى جئنا بها لهذه المبانى وتلك)

---

(١) سورة القمر الآية ٣١ .

العلاء کے پہاڑ



جبال العلاء

مدائن صالح کے پہاڑ



جبال مدائن صالح

مدائن صالح کی چند ثمودی عمارات



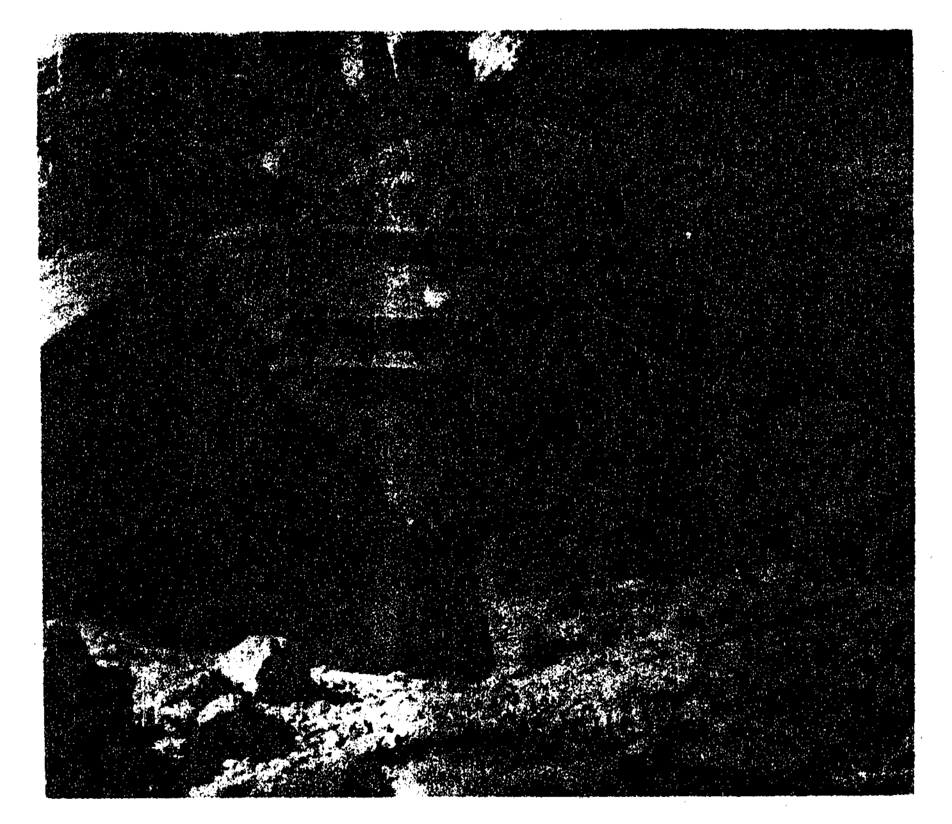
مبانی ثمودیة بمدائن صالح

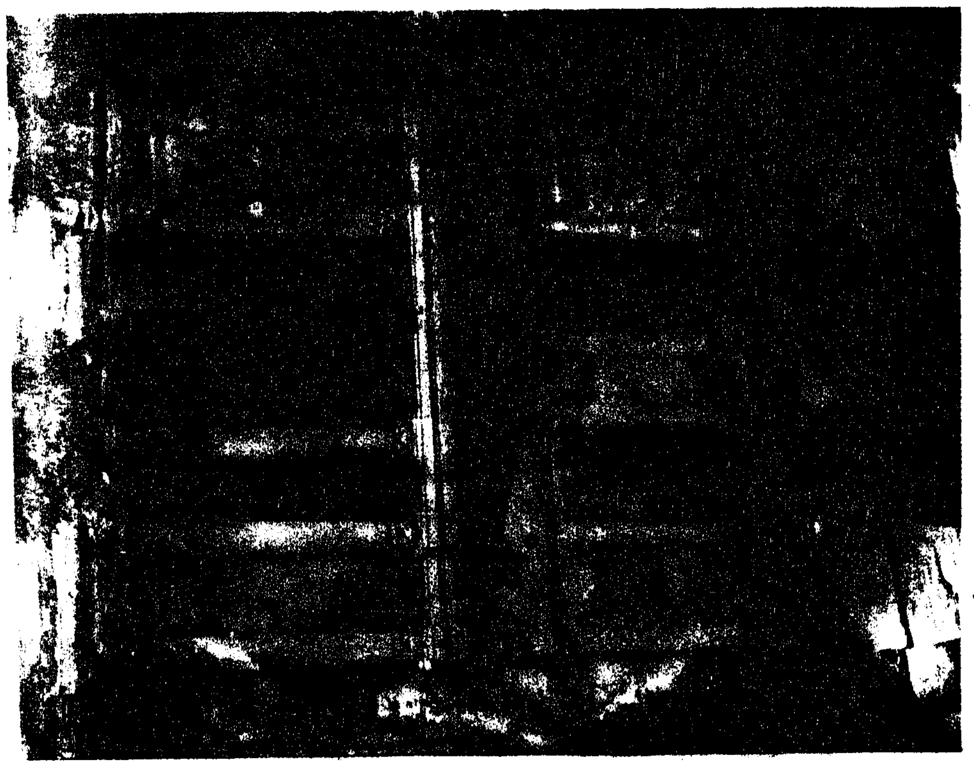
مدائن صالح میں وہ کنواں جس پر حضرت صالح علیہ السلام کی اونٹنی پانی پیتی تھی



البئر بمدائن الصالح التی کانت تشرب ناقة صالح علیہ السلام منها

مدین میں ثمودی طرز کی ایک عمارت





پترا میں نبطی طرز کی ایک عمارت

مبنى نبطيه فى بطرا

ولكن مع ذلك لا يستحيي المستشرق الانجليزى "داتى" حيث يدعى أن المبانى الصخرية فى الحجر أنشأها النبطيون فنسبتهم الى ثمود ليست بصحيحة وهكذا هو يتهم القرآن بالكذب (معاذ الله) ولكن الحقيقة كما ذكرنا آنفا ان الفرق بين أسلوب ثمود وبين أسلوب النبطيين لا يسمح لهذا الاتهام قط ولا يمكن بعده أن يأتى بهذا الاتهام الا من جمله التعصب والحقد أعمى . والحقيقة كما نرى ان أسلوب بناء المبانى الصخرية بدأ به ثمود ثم جاء النبطيون من بعدهم وتمكنوا من تطوير هذا الأسلوب خلال القرنين الاول والثانى الميلادى وهذا ما يتبين من الفرق الموجود بين الأسلوبين" (١).

وهكذا بعد ما يأتى الاستاذ بعدد من الصور لمبانى ثمود لتفهيم هذه الآيات الكريمة يهتم بالرد على الشبهات الواردة من قبل المستشرقين فى كون نسبة هذه المبانى الى ثمود صحيحا وذلك :

أولا : لعاداتهم القديمة للطعن فى الإسلام .

ثانيا : لكون اسلوب هذه المبانى كأسلوب مبانى الانباط .

فيتمكن الأستاذ من الرد على هذا الاتهام وذلك مستدلا بالفرق الموجود بين اسلوب مبانى ثمود وبين اسلوب مبانى النبطيين . فيبين ان اسلوب مبانى ثمود التى تقع فى مدائن صالح وأسلوب مبانى النبطيين التى تقع فى البطرا تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا فيتبين من دراسة هذه المبانى أن مبانى ثمود قد أنشئت قبل انشاء مبانى الانباط المتطورة من كل ناحية بآلاف السنين فقام ثمود بانشاء مبانيهم الصخرية فى الحجر أومدائن صالح قبل حوالى أربعة آلاف سنة من ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام . كما يبدأ دور الانباط حوالى خمسمائة سنة قبل ميلاد عيسى عليه السلام اى بعد حوالى أكثر من ثلاثة آلاف

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٣ ص ٥٢٣ .

سنة بعد انتهاء دور ثمود ، فقام النبطيون بانشاء المبانى الصخرية فى الحطرا فى القرن الاول قبل ميلاد المسيح أو فى القرن الأول الميلادى ،أى بعد أربعة الاف سنة تقريبا بعد ثمود ،وهذا مايشير اليه الفرق بين الاسلوبين ايضا . هذا ويرى الاستاذ أن المبانى الصخرية قد بدأ بها ثمود ، ثم تطور هذا الاسلوب فى العصور المتأخرة حتى جاء النبطيون الذين يختلف اسلوبهم عن اسلوب ثمود اختلافا كبيرا .

وأخيرا يجدر بنا ان نأتى هنا بقائمة الخرائط أو الصور التى جاء بها الأستاذ المودودى فى تفسيره للاماكن التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم او للأماكن التى ورد ذكرها فى كتب الحديث والسيرة . وذلك لنعين أهميتها ومكانتها فى فهم القرآن وتفهيمه :

قائمة الخرائط والصور الواردة فى
تفهيم القرآن

رقم مسلسل	اسم الخريطة او الصورة	اسم السورة مع رقم الاية	رقم الجزء ورقم الصفحة
١ــ	خريطة طريق هجرة سيدنا ابراهيم عليه السلام مع بيان مراكز دعوته عليه السلام .	البقرة ١٢٢	١٠٨/١
٢ــ	خريطة أماكن الحج المقدسة	البقرة ــ١٩٨	١٥٦/١
٣ــ	جبهة القتال فى غزوة أحد	آل عمران ــ١٢١	٢٨٤/١
٤ــ	خريطة طريق هجرة بنى اسرائيل من مصر وتيههم فى التيه .	المائدة ــ ٢٥	٤٦٠/١
٥ــ	خريطة أماكن الاقوام المذكورة فى سورة الاعراف .	الاعراف ــ٩٣	٥٨/٢

...

المبحث الثامن :

استشهاد الاستاذ المودودى فى تفسيره

من كتب اهل الكتاب

نرى الأستاذ المودودى خلال تفسيره للقرآن الكريم يرجع الى كتب أهل الكتاب ولاسيما الى التوراة والانجيل والتلمود ، لأجل تحقيق عدة أهداف ، يرى ان الاستعانة بكتب اهل الكتاب تفيد فيها ، ومن أهم هذه الاهداف :

أولا : البيان المفصل لما جاء فى القرآن الكريم مجملا ، وذلك لأن القران الكريم ليس بكتاب سرد تاريخى وانما هو كتاب هداية ربانية ، وهو دستور الهى يخلو من هذه التفاصيل ، ومثال ذلك قوله تعالى عن بنى اسرائيل : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله .. ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق)(١) .
يذكر المفسرون معنى هذه الاية ويقولون انها تعنى بأن الله ضرب عليهم الذلة والمسكنة لانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق(٢) ، بلا تفصيل فيما حدث لبنى اسرائيل ، ولا يكتفى الأستاذ المودودى بهذا الاجمال وبخاصة ان النبى — صلى الله عليه وسلم — أباح الأخذ عن أهل الكتاب بقوله : " وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج (٣) . ومن هنا يرى الاستاذ ضرورة التفصيل عن طريق الاخذ من اهل الكتاب ويورد فى اطار الآية السابقة التفصيلات التالية من " الكتاب المقدس " .

---

(١) سورة البقرة الآية ٦١ .

(٢) انظر الطبرى جـ ١ صفحة ٢٥ ، الرازى جـ ١ صفحة ١١٠ ، ابن كثير ، جـ ١ صفحة ١٠٢ ، الألوسى ، جـ ١ صفحة ٢٧٦ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب احاديث الأنبياء باب ماذكر عن بنى اسرائيل .

١ ـ انقسمت دولة اسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام الى مملكتين الاولى مملكة يهوذا وعاصمتها اوروشليم والثانية مملكة اسرائيل وحاضرتها السامرة ،ولما كانتا فى حروب وتطاحن فيما بينهما فى اغلب الاحيان طلب ملك يهوذا (الملك آسا) من ملك ارام (بنهدد) ليقف معه فى وجه الملك لاسرائيل (الملك بعشا) فقام النبى حنانى/ليحذر ملك يهوذا (الملك آسا) عن ذلك ولكنه بدلا ان يقبل ذلك التحذير قبض عليه وزج به فى السجن (١) .

٢ = عندما اعترض النبى الياس(ايليا) عليه السلام على اسرائيليين ووبخهم على عبادة " بعل " ودعاهم ان يعبدوا الله وحده ،هدده ملك السامرة (الملك آخاب) بالقتل وذلك بتحريض زوجته الوثنية (ايزابل) ففر النبى الياس بحياته الى جبال السينا (جبل الله حوريب) فدعا ربه فى محنته هذه قائلا :

" ان بنى اسرائيل قد نبذوا عهودك وقوضوا مذابحك وقتلوا انبياءك بالسيف وبقيت انا وحدى وقد طلبوا نفسى ليأخذوها " (٢) .

٣ ـ زج الملك (آخاب) هذا بنبى آخر (ميخا) فى السجن لرفعه كلمة الحق وقال " قوتوه خبز الضيق وماء الضيق الى أن ارجع بسلام"(٣)

٤ ـ وعندما شرع أهل يهوذا يعبدون الاوثان ويعملون السوء ،ويرتكبون الكبائر علانية ، اعترض على ذلك النبى " زكريا " فتحالفوا عليه ورجموه بالحجارة بامر الملك (يواش) فى دار بيت الرب " (٤) .

---

(١) انظر الكتاب المقدس ـ سفر اخبار الأيام الثانى ـ الفصل السادس عشر الفقرات ١ ـ ١٠ .

(٢) انظر الكتاب المقدس ـ سفر الملوك الثالث الفصل التاسع عشر الفقرات ١ ـ ١٠ .

(٣) انظر الكتاب المقدس ـ سفر الملوك الثالث ـ الفصل الثانى والعشرون فقرات ١٦ = ٢٧

(٤) انظر المرجع السابق سفر اخبار الايام الثانى الفصل الرابع والعشرون الفقرات ٧ ـ ٢٧ .

٥ — لما حطم الاشوريون مملكة السامرة الاسرائيلية وهددت الدولة اليهودية في اوروشليم بخطر وشيك ، بدأ النبي " أرميا " يحذر قومه من العواقب الوخيمة التي كانت في مرصادهم اذا لم يصلحوا أمورهم وقال بأن مصيرهم اذن يكون أسوأ من مصيرهم في السامرة ، فلم يكن من اليهود الا ان يردوا بالشتائم والسباب وضربوه حتى اتهموه بالعمالة والخيانة واخذوه وألقوه في جب ملكيا بن هملك الذى كان في دار السجن وذلك ليموت هناك جوعا وعطشا (١) .

٦ — والنبي عاموس اذا حذر الحكومة الاسرائيلية بالسامرة عن العواقب الوخيمة لاعمالهم السئية فاجبروه على الهجرة وقالوا : " اهرب الى أرض يهوذا وكل هناك خبزك وتنبأ هناك . وأما بيت ايل فلا تعد تتنبأ فيها لانها مقدس الملك وبيت الملك (٢) .

٧ — ولما اعترض النبي يحيى عليه السلام على المنكرات التي كانت ترتكب علانية في بلاط هيردوس ملك اليهوذا ، القى القبض عليه وزج به في السجن ثم قتله الملك على طلب صديقته وثم جاء برأسه في طبق وقدمه اليها " (٣) .

٨ — وآخر ضحايا كهان اليهود وزعمائهم هو كان سيدنا عيسى عليه السلام الذى كان يندد بهم على خطاياهم وينصحهم بالايمان والصدق ، ولارتكابه هذه " الجريمة " دبروا القبض عليه خداعا وحصلوا الموافقة على قتله من المحكمة ، وحينما سألهم الحاكم الروماني (بيلاطس) بأنه يرغب في اطلاق سراح احد من السجينين في يوم العيد وهما

---

(١) انظر المرجع السابق — نبوة ارميا — الفصل الثامن عشر والتاسع عشر والثامن والثلاثون .

(٢) المرجع السابق . نبوة عاموس ، الفصل السابع الفقرات ١٢ — ١٣ .

(٣) انظر المرجع السابق — انجيل للقديس مرقس . الفصل السادس — الفقرات ٢١ — ٢٩ .

المسيح عيسى بن مريم عليه السلام والقزاق برأبا ، فما رأيهم فى هذا ، فطلب الجميع اطلاق سراح برابأ القزاق وبحكم عيسى عليه السلام بالاعدام . فيحكى " الكتاب المقدس " : " ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ اقنعوا الجميع بطلب برابأ واهلاك يسوع ، فاجاب الوالى وقال لهم من تريدون ان اطلق لكم من الاثنين فقالوا برأبا . فقال لهم بيلاطس فماذا أصنع بيسوع الذى يقال له المسيح . فقالوا كلهم ليصلب . فقال لهم الوالى فاى شر صنع . فازدادوا صياحا وقالوا ليصلب " .(١)

وفى هذه الاية يشير القرآن الى أخزى جزء من تاريخ بنى اسرائيل ، ويعلن انهم استحقوا لعنة الله وغضبه لانهم تخيروا اكابر مجرميهم لرئاستهم وسياداتهم فى حين بعثوا بأطهر رجالهم الى السجون والمشانق (٢) .

ونرى أن الأستاذ المودودى يستشهد فى تفسيره للآية الكريمة بأمثلة عديدة من كتب اهل الكتاب ذاتهم ، وذلك لأن قوله تعالى هذا يتكلم عن أسود الابواب لتاريخ بنى اسرائيل ولكنه تعالى اكتفى بالاشارة اليه ولم يذكر التفاصيل لجريمتهم هذه ، وذلك لان القرآن ليس بكتاب التاريخ ، فيرى الأستاذ المودودى ضروريا أن يأتى بتفاصيل هذه الجريمة من كتب اهل الكتاب ذاتهم ليكون دليلا عليهم ، ولا يبقى للمنكرين سبيلا للانكار ولا للمشككين أساسا للشك

---

(١) الكتاب المقدس ــ انجيل للقديس متى ــ الفقرات ٢١ ــ ٢٤ .

(٢) تفهيم القرآن جـ ١ ص ٨٠ ــ ٨٢ .

فيمكن لنا أن نقول أن استشهاد الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية عن كتب اهل الكتاب حجة قوية على كونهم مجرمين ، فضلا عن كونه تصديقا لما ورد فى القرآن الكريم ، ولا غرابة فى طريقة الاستاذ المودودى هذه ، فأهل الكتاب عندهم من الاخبار عن تاريخهم فى كتبهم المقدسة ، كما ان نقل هذه الاخبار يعد تصديقا لما ورد فى القرآن الكريم ودليلا على تناوله لغيب الماضى مما يثبت اعجازه .

وأيضا فان هذا النقل لا يضر الاسلام فى شىء فهو بعيد عن الاصول والفروع ، والاستاذ يقظ فى هذه القضايا وينقل حين ينقل بحذر وذكاء والاستاذ المودودى يتفرد فى اسلوبه هذا .

ويقول الاستاذ المودودى فى تفسير قوله تعالى (الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) (١) . يذكر فى عدة مواضع من التوراة أن علامة قبول قربان المرء أن تظهر من الغيب نار تلتهمه ، فتحكى التوراة عن احد تلك القرابين فتقول " فأخذ منوح جدى المعز والتقدمة واصعدهما للرب على الصخرة فعمل الملاك عملا عجيبا ومنوح وزوجته ينظران فكان عند ارتفاع اللهيب عن المذبح نحو السماء ان ملاك الرب صعد فى لهيب المذبح ومنوح وزوجته ينظران فخرا على اوجههما الى الارض " (٢) .

وكذلك جاء فيها ان النبى الذى كان يقدم قربانا كانت تظهر نار وتأكله فتقول التوراة عن قربان قدمه موسى وهارون عليهما السلام : "ودخل موسى

---

(١) سورة ال عمران ــ الاية ١٨٣ .

(٢) الكتاب المقدس . سفر القضاة . الفصل الثالث عشر ــ الفقرات ١٩ ــ ٢٠ .

وهارون خباء المحضر وخرجا وباركا الشعب ، فتجلى مجد الرب على الشعب كله . وخرجت نار من عند الرب فأكلت المحرقة والشحوم التى على المذبح فنظر جميع الشعب وهتفوا وسقطوا على وجوههم " (١) وتقول عن القربان قدمه سليمان عليه السلام " ولما اتم سليمان الدعاء هبطت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح وملأ مجد الرب البيت " (٢) ولكن التوراة ، تخلوا تماما من القول بأن مثل هذا القربان فى ذاته لابد منه لاثبات النبوة وتأكيدها ، أو أن من لم يعط هذه المعجزة فليس نبيا قط ، وانما ذلك عذر مختلق اخترعه اليهود لينكروا به نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — ولكن ماكان أدهى من هذا وما يثبت عداوتهم للحق هو ان بعض انبيائهم جاءوهم بنفس المعجزة هذه (أى النار التى تظهر من الغيب لتاكل القربان) ولم يتورع هؤلاء المجرمون عن قتلهم ومثال ذلك ماجاء فى التوراة عن سيدنا الياس عليه السلام (ايلياه) حين تحدى الذين كانوا يعبدون البعل فى عهد الملك أخاب وقال :

(فقال ايلياء للشعب انا الان وحدى بقيت نبيا للرب وهؤلاء انبياء البعل أربع مائة وخمسون رجلا . فليعطوا لنا بثورين فيختاروا لهم ثورا ثم يقطعوه ويجعلوه على الحطب ولا يضعوا نارا ، وأنا أيضا اهيئ الثور الآخر واجعله على الحطب ولا اضع نارا . ثم تدعون انتم باسم آلهتكم وانا ادعو باسم الرب والذى يجيب بنار فهو الاله ، فاجاب جميع الشعب قائلين الكلام حسن . فقال ايلياء لانبياء البعل : اختاروا لكم ثورا وافعلوا اولا لانكم كثيرون وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا نارا . فاخذوا الثور الذى أعطاهم وقربوا ودعوا باسم البعل من

---

(١) الكتاب المقدس — سفر الاحبار ، الفصل التاسع الفقرات ٢٣-٢٤ .

(٢) نفس المرجع — سفر الاخبار الايام الثانى — الفصل السابع الفقرة ١ .

الغداة الى الظهر وهم يقولون ايها البعل اجبنا فلم يكن من صوت ولا مجيب وكانوا يرقصون حول المذبح الذى صنعوا . فلما كان الظهر سخر منهم ايليا وقال اصرخوا بصوت أعلى فانه اله لعله فى محادثة او فى خلوة او فى سفر او لعله نائم فيستيقظ وكانوا يصرخون بصوت عظيم وتمشطوا على حسب رسمهم بالسيوف والرماح حتى سالت دماؤهم عليهم . فلما فات الظهر وهم يتنبأون الى ان حان اصعاد التقدمة وليس صوت ولا مجيب ولا مصغ . قال ايليا لجميع الشعب ادنوا منى ، فدنا جميع الشعب منه ،فرمم مذبح الرب الذى كان قد تهدم ،واخذ ايليا اثنى عشر حجرا على عدد اسباط بنى يعقوب الذى كان كلام الرب اليه قائلا اسرائيل يكون اسمك . وبنى تلك الحجارة مذبحا على اسم الرب وعمل حول المذبح قناة تسع كيلين من الحب . ثم نضد الحطب وقطع الثور وجعله على الحطب * وقال املأوا اربع جرار ماء وصبوا على المحرقة وعلى الحطب ثم قال ثنوا فثنوا ، ثم قال ثلثوا فثلثوا . فجرى الماء حول المذبح دائرا وامتلأت القناة ايضا ماء. فلما حان اصعاد التقدمة تقدم ايليا النبى وقال ايها الرب اله ابراهيم واسحاق واسرائيل ليعلم اليوم انك اله فى اسرائيل وانى أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الامور .استجبنى يارب استجبنى ليعلم هذا الشعب انك ايها الرب انت الاله وانك انت رددت قلوبهم الى الوراء ، فسقطت نار الرب واكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب حتى لحست الماء الذى فى القناة . فلما رأى ذلك جميع الشعب خروا على وجوههم وقالوا الرب هو الاله "(١) .

(١) الكتاب المقدس — سفر الملوك الثالث — الفصل الثامن عشر — الفقرات ٢١—٣٩ .

ولكن ماذا كانت النتيجة ،نرى أن زوجة ملك اليهود (ايزابـــل) لكونها عابدة للبعل ، أصبحت عدوة للنبى الياس عليه السلام ،وزوجهـــا الملك اخاب لكونه عابدا لزوجته منفذا لاوامرها امر بقتل الياس عليه السـلام فاضطر عليه السلام الى الفرار من بلده والالتجاء الى جبال سينا فتقـــول التوراة : "فأنفذت ايزابل رسولا الى ايليا، وقالت كذا تفعل الالهـــة وكذا تزيد ان لم أجعل نفسك فى مثل الساعة من غد كنفس واحد منهـــم . فخاف وقام ومضى على وجهه ووافى بئر سبع التى ليهوذا وخلف غلامه هناك .. فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الاكلة اربعين يوما واربعين ليلة الى جبـل الله حوريب . ودخل المغارة هناك وبات فيها . فاذا بكلام الرب اليه يقـول مابالك ههنا ياايليا . فقال انى غرت غيرة للرب اله الجنود لان بنـــى اسرائيل قد نبذوا عهدك وقوضوا مذابحك وقتلوا انبياءك بالسيف وبقيـــت أنا وحدى وقد طلبوا نفسى ليأخذوها" (١) . وعلى هذا يقول الله لهـــم فى هذه الآية : " يا اعداء الحق أنى لكم ان تطلبوا معجزة (القربان الـذى تأكله النار؟ ومتى توقفتم عن قتل اولئك الانبياء الذين اشهدوكم هـــذه المعجزة . (٢)

فنرى هنا ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة يستشهـد بالتوراة وذلك ليأتى بتفصيل ماورد فى القرآن الكريم موجزا ردا على اكاذيب اليهود ومنها قولهم بان الله عهد اليهم الايؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربـان تأكله النار . ويأتى بالامثلة من التوراة ليبين الحقيقة بان اليهود ليســوا صادقين فى اعتراضهم هذا وذلك لانهم لو كانوا صادقين فى اعتراضهم هـذا لم يقتلوا الانبياء الذين جاؤوا بهذه المعجزة ومنهم سيدنا الياس – عليـه

(١) الكتاب المقدس – سفر الملوك الثالث – الفصل التاسع عشر الفقرة ٢ – ١٠

(٢) تفهيم القرآن جـ ١ صفحة ٣٠٧ – ٣٠٩ .

السلام ــ والحقيقة أن هذا الاستشهاد بكتبهم المقدسة لا يترك لهم أى مجال لانكار ما يقول القرآن عن جريمتهم هذه .

فيمكننا أن نستنتج من هذين المثالين ان التفاصيل التى يأتى بها الأستاذ المودودى من كتب أهل الكتاب فى تأييد ما يقوله القرآن الكريم عنهم موجزا يهتم فيها بالامور الآتية :

اولا : ألا تكون هذه التفاصيل مخالفة بما جاء به القرآن الكريم .

ثانيا : ان تكون خاليةمن الاتهامات والاكاذيب التى يرمون بها أنبياءهم .

ثالثا : أن تكون برهانا قاطعا على صدق ما ورد فى القرآن ، وتكون حجة قوية على من يشك فيه أو ينكر عنه .

ثانيا : الاستشهاد على تحريف الكتب السابقة :

وأما اهتمام الاستاذ المودودى بالرجوع الى كتب اهل الكتاب للاستشهاد على كون هذه الكتب محرفة او للرد على الاتهامات والاكاذيب التى رمى بها أهل الكتاب أنبياءهم او للرد على الاتهام ان القرآن الكريم قد تعلمه النبى صلى الله عليه وسلم من علماء اهل الكتاب أو من كتبهم فلا يمكن لاحد أن ينكر أهميته وذلك لان القرآن نفسه يشير الى التحريف فى كتب أهل الكتاب فى عدة مواضع ومنها قوله تعالى : " فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله "(1). وكان من نتائج هذا التحريف أن كتبهم الدينية تتوفر فيها الاكاذيب والاتهامات على الانبياء ــ عليهم السلام ــ

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٩ .

والقرآن الكريم ينتقد هذا التحريف فى كتبهم المقدسة ويبرئ هؤلاء الانبياء عليهم السلام من هذه الاتهامات والاكاذيب . ولكن مع ذلك نرى المستشرقين مازالوا يصرون على الاتهام ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد تلقى القرآن الكريم من علماء أهل الكتاب او اخذ من كتبهم ،وذلك حتى يومنا هذا ، فلذا كان من الضرورى ان يرد على هذه الاتهامات. فالاستاذ المودودى وفقه الله ان يهتم بهذه المهمة فنراه يراجع كتب اهل الكتاب ويأتى بامثلة وأدلة على كون هذه الاتهامات غير صحيحة فمثلا يقول فى تفسير قوله تعالى :" ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم امر ربكم ،وألقى الالواح ،وأخذ برأس أخيه يجره اليه ،قال ابن ام ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين "(١) . فالقرآن الكريم هنا يبرئ نبى الله هارون من الاتهام الذى قد رماه به اليهود ، فتقول التوراة خلال ذكرها لقصة جعلهم العجل معبودا :

" ورأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل فاجتمع الشعب على هارون وقالوا قم فاصنع آلهة تسير امامنا فان ذلك الرجل موسى الذى أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون انزعوا شنوف الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها . فنزع جميع الشعب شنوف الذهب التى فى أذانهم واتوابها هارون .فاخذها من ايديهم وصورها فى قالب وصنعها عجلا مسبوكا فقالوا هذه الهتك يابنى اسرائيل التى اخرجتك من ارض مصر . فلما راى ذلك هارون بنى أمامه مذبحا ونادى هارون وقال غدا عيد للرب "(٢) .

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٥٠ .

(٢) الكتاب المقدس ــ سفر الخروج ــ الفصل الثانى والثلاثون الفقرات ١-٥ .

فالقرآن الكريم يكذب هذه الاباطيل في مواقع مختلفة ويبين أن هذه الجريمة لم يرتكبها نبي الله هارون — عليه السلام ، بل ارتكبها عدو الله السامري . ومنها قوله سبحانه " فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا . قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ، أفطال عليكم العهد امارد تم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاختلفتم موعدي . قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري . فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي . افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري ." (١)

والحقيقة أنه أمر غريب أن بني اسرائيل قد اتهموا انبياءهم بالاتهامات الشنيعة والجرائم القبيحة مثل الشرك والسحر ، والزنا ، والكذب ، والخدعة والكبائر الاخرى التي لا تليق بالانبياء عليهم السلام قط . بل لا تليق بأي انسان مؤمن بل بأي انسان عادي ، ولكننا لو فكرنا في التاريخ الاخلاقي لهؤلاء القوم لفهمنا ان عملهم هذا ليس عجيبا في معاملتهم ، وذلك لانهم اذا وقعوا في الانحطاط الديني والاخلاقي ولم يسلم احد منهم من الوقوع في هذا الانحطاط وحتى علماؤهم ومشايخهم قد وقعوا فيه . فكانت نتيجة ذلك بانهم بدأوا بالبحث عن المبررات الدينية لاعمالهم الشنيعة وجرائمهم القبيحة فنسبوا الى انبيائهم الجرائم القبيحة والاعمال الشنيعة التي كانوا يرتكبونها وذلك لكي يستطيعوا ان يقولوا ان اذا لم يتمكن الانبياء من الاجتناب لهذه الجرائم الشنيعة فكيف لنا ان نتمكن من اجتنابها ، وهذا ما فعله

---

(١) سورة طه الآيات (٨٦—٩٠) .

الهندوسيون اذا وقعوا في الانحطاط الديني والاخلاقي فانهم ايضا نسبوا الى آلهتهم واكابرهم الدينية الجرائم القبيحة التي كانوا يرتكبونها وذلك ليأتوا بنفس الدليل ويستطيعوا ان يقولوا ان اذا لم تجتنب الآلهة ورجال الدين هذه الجرائم والاعمال القبيحة فكيف لنا ان نجتنبها ، وهذه الاعمال اذا تليق بالآلهة والاولياء فكيف اذن الا تليق بنا . (١)

والأستاذ المودودي خلال تفسيره لهذه الآيات يرجع الى كتب أهل الكتاب و يأتي بنص من التوراة للاستشهاد على الاتهامات والاكاذيب القبيحة التي رمى بها بنوا اسرائيل أنبياءهم — عليهم السلام — عامة وسيدنا هارون عليه السلام خاصة . ويبين السبب الذي ارتكبوا هذه الجريمة لاجله ، وهكذا يستدل على كون هذه الكتب محرفة ، هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى يبين الاستاذ المودودي ان القرآن الكريم هوالذي يبرئ هو الا الانبياء — عليهم السلام — وهنا يبرئ سيدنا هارون عليه السلام من هذه الاتهامات القبيحة ويبين ان الانبياء عليهم السلام لا تليق بهم هذه الاعمال القبيحة قط . وهكذا يثبت ان الاتهام ان النبي — صلى الله عليه وسلم — تعلم القرآن من علماء اهل الكتاب او كتبهم ليس له اى اساس علمي أو عقلي (٢) .

وردت قصة سيدنا موسى وسيدنا هارون — عليهما السلام — في سورة طه من الآية ٩ الى الآية ٩٨ . والجزء الاول من هذه القصة ينتهي الى الاية رقم (٧٩) ويتعلق بالحوادث تبدأ من بعثتهما عليهما السلام الى فرعون وتنتهي

---

(١) تفهيم القرآن — مجلد ٢ صفحة ٨١

(٢) انظر للمقارنة : الطبري جـ ٩ صفحة ٤٥ ، ٤٦ ،الرازي جـ ١٥ صفحة ١١—١٣ ،ابن كثير جـ ٢ صفحة ٢٤٧—٢٤٨ ،الألوسي جـ ٩ صفحة ٦٦—٦٨ ، في ظلال القرآن جـ ٣ صفحة ١٣٧٣ — ١٣٧٤ .

بغرق فرعون فى البحر ، والجزء الثانى يبدأ من الآية (٨٠) ويتعلق بقصة السامرى وبعد ماينتهى الاستاذ من تفسيره للجزء الاول لهذه القصة ، يرى ضروريا ان يقارن بين ماورد فى القرآن الكريم وبين ماورد فى التوراة عن بعض من تلك الحوادث وذلك لبيين التحريف فى التوراة ويوضح كذب من قال ان القران ينقل هذه القصص من بنى اسرائيل فيقول :

١ ـ قد ورد فى التوراة ان معجزة العصا قد أعطاها الله لموسى عليه السلام فتقول " فأجاب موسى وقال انهم لا يصدقوننى ولا يسمعون لقولى بل يقولون لم يتجل لك الرب. فقال له الرب ماتلك بيدك قال عصا ه قال القها على الارض فالقاها على الارض فصارت حية فهرب موسى من وجهها . فقال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها فمد يده وامسكها فصارت عصا فى يده "(١) . ثم تقول : " خذ بيدك هذه العصا تصنع بها الآيات " (٢) ، ولكن ماندرى كيف انتقلت هذه المعجزة الى سيدنا هارون عليه السلام بدون اى ذكر ، فتقول : (وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاثة وثمانين سنة حين كلما فرعون . وكلم الرب موسى وهارون قائلا اذا كلمكما فرعون وقال اعطيانى آية فقال لهارون : خذ عصاك والقها بين يدى فرعون فتصير ثعبانا . فدخل موسى وهارون على فرعون وصنعا كما امر الرب القى هارون عصاه بين يدى فرعون وعبيده فصارت ثعبانا) (٣) .

٢ ـ وحينما تحكى التوراة عن مقابلة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون للمرة الاولى لا تذكر فيها المقالمة التى جرت بين موسى وهارون عليهما السلام

---

(١) الكتاب المقدس . سفر الخروج . الفصل الرابع الفقرات ٢ ـ ٤ .

(٢) المرجع السابق الفقرة ١٧ .

(٣) المرجع السابق سفر الخروج الفصل السابع الفقرات ٧ ـ ١٠ .

وبين فرعون فى توحيد الله وربوبيته والتى يقول القرآن عنها : (قال فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى . قال فمابال القرون الاولى . قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى . الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (١) . ولكن هذه المكالمة القيمة التى جرت بين موسى وهارون عليهما السلام وبين فرعون تذكرها التوراة كالاتى :

(وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون كذا قال الرب اله اسرائيل اطلق شعبى لكى يعيدوا لى فى البرية. فقال فرعون من هو الرب فاسمع لقوله واطلق اسرائيل لا اعرف الرب ولا اطلق اسرائيل قالا اله العبرانيين وافانا فنذهب مسيرة ثلاثة ايام فى البرية ونذبح للرب الهنا لئلا يصيبنا بوباء أوسيف(٢) .

٣ — وتحكى التوراة قصة سحرة مصر فتقول :

(وكلم الرب موسى وهارون قائلا : اذا كلمكما فرعون وقال اعطيا نحو آية فقل لهارون خذ عصاك والقها بين يدى فرعون فتصير ثعبانا . فدخل موسى وهارون على فرعون وصنعا كما أمر الرب. ألقى هارون عصاه بين يدى فرعون وعبيده فصارت ثعبانا فدعا فرعون ايضا الحكماء والعرافين فصنع سحرة مصر كذلك بسحرهم القى كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين فابتلعت عصا هارون عصيهم) (٣) .

---

(١) سورة طه : الآيات ٤٩—٥٥ .

(٢) الكتاب المقدس — سفر الخروج الفصل الخامس — الفقرات ١—٣ .

(٣) نفس المرجع الفصل السابع — الفقرات ٨ — ١٢ .

بينما يحكي القرآن الكريم نفس القصة بقوله تعالى : (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى . فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى . قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى . فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى . قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى . فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى . قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى . فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا ، وقد افلح اليوم من استعلى . قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى . قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى . فأوجس فى نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف انك انت الاعلى . وألق مافى يمينك تلقف ما صنعوا وانما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى . فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى) (١)

واننا لو قارنا بين القصة التى يذكرها القرآن الكريم وبين ما ورد فى التوراة لرأينا أن التوراة لا تذكر الامور التى تعتبر لب القصة ومنها ، ومنها كون موعد يوم الزينة وحضور الناس فيه ، وايمان السحرة بعد هزيمتهم (٢) .

يقول القرآن الكريم ان موسى وهارون عليهما السلام قد طلبا من فرعون ان يرسل بنى اسرائيل معهما وذلك لقوله سبحانه (فأتياه فقولا انا رسول ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم) (٣) حيث

---

(١) سورة طه الآيات ٥٧ — ٧٠ .

(٢) تفهيم القرآن جـ ٣ صفحة ١٠٩ — ١١٠ .

(٣) سورة طه الآية ٤٧ .

تقول التوراة بانهما قالا (كذا قال الرب اله اسرائيل اطلق شعبي لكي يعيدوا لي في البرية . فقال فرعون من هو الرب فأسمع لقوله وأطلق اسرائيل لا أعرف الرب ولا اطلق اسرائيل . قالا اله العبرانيين وافانا فنذهب مسيرة ثلاثة ايام ونذبح للرب الهنا لئلا يصيبنا بوباء أو سيف "(١) .

٥ — وردت في التوراة قصة خروج بني اسرائيل وغرق فرعون في سفر الخروج (٢) ونجد فيهما تفصيلا لما ورد في القرآن موجزا ، ولكن كما نرى هناك بعض الامور الغريبة ايضا ، فمثلا لما وصل بنو اسرائيل شاطئ البحر وجه الله سبحانه خطابه الى سيدنا موسى عليه السلام الذي قد انتقلت اليه معجزة العصا مرة ثانية وقال :" وانت ارفع عصاك ومد يدك على البحر فشقه فيدخل بنو اسرائيل في وسطه على اليبس(٣) ولكن ورد فيها بعد قليل : (ومد موسى يده على البحر فارسل الرب على البحر ريحا شديدة طول الليل حتى جعل البحر جفافا وقد انشق الماء . ودخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليبس والماء لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم) (٤) .

ولا يتضح من ذلك أن هذا كان من أمر طبيعي او كان المعجزة اظهرها الله على يد موسى عليه السلام واذا كان امرا طبيعيا وهل من الممكن أن ريحا شرقية ينقسم الماء في شطرين ويجعل بينهما طريقا يابسا وهل هناك نظيرا آخر لذلك (٥) .

---

(١) الكتاب المقدس — سفر الخروج الفصل الخامس الفقرات ١—٣ .

(٢) المرجع السابق من الفصل الحادي عشر الى الفصل الرابع عشر .

(٣) المرجع السابق الفصل الرابع عشر — الفقرة ١٦ .

(٤) المرجع السابق الفصل الرابع عشر — الفقرات — ٢١-٢٢ .

(٥) تفهيم القرآن مجلد ٣ صفحة ١٠٩—١١٠ .

ونرى هنا بان الأستاذ المودودى يقارن بين ماورد في القرآن الكريم وبين ماورد في التوراة في قصة موسى عليه السلام وذلك ليبين :

اولا : إن التوراة بنفسها تشهد على كونها محرفة ، ومن الادلة التى يمكن لنا أن نستشهد بها في هذا الصدد هوان معجزة العصا قد بعث الله بها سيدنا موسى – عليه السلام – ولكن هذه المعجزة انتقلت الى سيدنا هارون عليه السلام بدون اى ذكر. ثم انتقلت منه مرة ثانية الى موسى عليه السلام. وذلك ايضا بدون اى ذكر ،وهذا التضاد لا يمكن ان يكون في كتاب الله قط ،فيثبت من هذا ان التوراة قد وقعت فيها التحريفات .

والدليل الاخر الذى يذكر الاستاذ المودودى بهذا الصدد هو ان تقول الفقرة رقم (١٦) من الفصل الرابع عشر لسفر الخروج بأن انشقاق البحر كان نتيجة للمعجزة على يد موسى عليه السلام. ولكن ورد في نفس الفصل بعد يسير ان ذلك الانشقاق كان نتيجة للريح الشرقية ، ولا يمكن ان يكون مثل ذلك التضاد الصريح في كتاب الله ، فهذا دليل بين على وقوع التحريف في التوراة .

ثانيا : إن الاتهام بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد تعلم القرآن من كتب أهل الكتاب أو من علمائهم ليس بصحيح قط. ومن اقوى الادلة على ذلك هو الفرق البين الواضح بين اسلوب القرآن وبين اسلوب التوراة في بيان احداث تاريخ بني اسرائيل واسلوب القرآن في بيان تلك الاحداث هو أنسب واجدر بسيرة الانبياء عليهم السلام ودعوتهم من أسلوب التوراة فمثلا المكالمة بين موسى وهارون عليهما السلام وبين فرعون حول توحيد الله سبحانه وربوبيته والتى كانت من

مقتضيات بعثتهما عليهما السلام نجدها في القرآن الكريم ولا نجدها في التوراة . ويقول القرآن بان مطالبة موسى وهارون عليهما السلام من فرعون كان لارسال بني اسرائيل معهما . وتقول التوراة أن المطالبة لارسال بني اسرائيل معهما لكي يعيدوا في البرية . وهكذا يقول القرآن في قصة السحرة بأنهم آمنوا بالله بعد هزيمتهم في الموعد مع موسى وهارون عليهما السلام ولكن التوراة تخلو عن ذكر ايمانهم .

وهكذا نرى الاستاذ المودودي يستشهد بكتب اهل الكتاب لاتيان تفاصيل لما ورد في القرآن موجزا أحيانا ، وللاستدلال على كون هذه الكتب محرفة أحيانا أخرى . وللرد على الاتهام بان النبي — صلى الله عليه وسلم — تعلم القرآن الكريم من علماء اهل الكتاب وكتبهم تارة ، وهذا ما يتميز به تفسيره من التفاسير الأخرى .

• • •

المبحث التاسع :

عدم الخوض في المباحث الجانبية

ويمتاز الأستاذ المودودي لعدم خوضه في المباحث الجانبية خلال تفسيره للقرآن الكريم وذلك لان القارىء لا يلتفت بنظره الى الامور التي ليست لها أية علاقة بفهم القرآن أو تفهيمه ، وهناك كثير من المباحث الجانبية التي ليست لها علاقة مباشرة بالتفسير ، في حين أننا نرى بعض المفسرين يذكرونها بكل تفاصيلها فكتب بعضهم البحوث الطويلة في الشجرة التي أكل منها سيدنا آدم وحواء عليهما السلام ، وكيفية تمكن الشيطان من الدخول في الجنة ليضل آدم وحواء عليهما السلام ، أو عدد أصحاب الكهف وأسماؤهم ، أو اسم الشخص الذي جاء بعرش بلقيس لسليمان عليه السلام أو اسم الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وغيرها عديد من المسائل التي لا علاقة لها بالتفسير .

والأستاذ المودودي لم يهتم بهذه المباحث الجانبية ،الا أنه يعتني ببيان الدروس التي ينبغي للمسلم أن يتلقى منها/العبر فيقول عن منهجه هذا :

" وانني حاولت خلال تفسيري للقرآن الكريم بأن لا أعتني بالمباحث التي لا علاقة مباشرة لها بالتفسير او التي تلفت نظر القارىء الى الامور التي ليست لها علاقة بفهم القرآن الكريم "(١) .

واليك بعض النماذج لهذا الاسلوب للاستاذ المودودي :

١ـ يقول الاستاذ في تفسيره لقوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (٢) . يظهر من هذا ان الله سبحانه قبل أن يبعث آدم وحواء

---

(١) ديباجة تفهيم القرآن جـ١ ص : ١١ .

(٢) سورة البقرة الآية ٣٥ .

عليهما السلام الى الأرض التى عينهما فيها خلفاء له سبحانه سكنهما في الجنة بادئ الامر لاختبار رغباتهما ونزواتهما ، ولاجراء هذا الاختبار اختيرت شجرة من الاشجار وحذرهما سبحانه وتعالى حتى من مجرد الاقتراب منها ، فان فعلا ذلك فقد أخطأ فى حق الله ، وعصيا أمره ونالا مصير الظالمين . وأما الشجرة التى وردت هنا فلا يهمنا اسمها او نوعها لان الشجرة فى ذاتها لا يمكن فيها شر أو اثم وانما اختيرت لاجراء الاختبار . فلذا لم يذكر الله سبحانه اسمها أو خصائصها . وكانت الجنة أنسب مكان لاجراء هذا الاختبار اذا قصد بها أن يتبين للانسان أن الجنة هى المكان الذى يليق به ولكنه اذا عصى ربه سبحانه نتيجة لرغبات الشيطان ونزواته سيحرم نفسه من الفوز بها ، وليس من سبيل لاستردادها والرجوع اليها سوى مواجهة "العدو" الذى يقعد له كل مرصد ليضل عن سبيل ربه مواجهة حازمة ناجحة "(١) .

ويتبين من تفسير الأستاذ المودودى لقوله تعالى هذا بأنه لم يهتم ببيان اسم الشجرة التى قد اختار الله سبحانه لاختبار سيدنا آدم وحواء عليهما السلام ولا اعتنى بتعيين نوعها أو خصائصها ، وذلك لان الله سبحانه لم يمنعهما من اقترابها لكونها شرا فى نفسها . بل لاجراء الإختبار ، فلهذا لم يذكر الله اسمها أو نوعها . فلا يهم القارئ أن يعرف هذا الاسم أو النوع ، ولكن مع ذلك نرى بعض المفسرين يهتمون بتعيين اسم الشجرة أو نوعها بكل الاهتمام ويأتون فيها بعدة أقوال . . ويقول بعضهم انها كانت شجرة السنبلة ، وقال البعض بانها كانت شجرة الحنطة ، والبعض بأنها

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص ٦٦ .

الزيتونة والبعض بانها النخلة والبعض بانها الكرم ، والبعض بانها البسر ، وغيرها من الأقوال ، وجدير بالذكر ان هذه الاقوال فى تعيين اسم الشجرة اونوعها لم ينقل منها شيء عن النبى صلى الله عليه وسلم" (١) .

٢- ويقول فى تفسير قوله سبحانه وتعالى (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها ... الآية) (٢) من غير المفيد أن نخوض فى البحث عن شخصية هذا الرجل أو اسم القرية فهو ليس بمهم وذلك لأن الهدف الأساسى الذى وردت هنا هذه القصة لاجله هو بيان الحقيقة بأن الله سبحانه من يجعله وليا يخرجه من الظلمات الى النور وهذا ما يتم ايضاحه بدون تحديد شخصية المار أو اسم المدينة ، فليس لدينا مصدر صحيح لتحديدهما . وفضلا عن هذا معرفة أسمائهما لاتضيف الينا شيئا جديرا بالاهمية قد يساعدنا على فهم الهدف الذى وردت فيه هذه القصة لأجله ، غير انه يتبين من سياق الحديث أن هذا المار كان نبيا . وأما استفساره الذى يشير اليه قوله سبحانه (قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها) فهذا لا يعنى ان هذا النبى لم يكن يؤمن بالبعث او كان يشك فيه بل يعنى انه كان يطلب ان يرى الحقيقة رأى العين كما طلب الانبياء الآخرون" (٣) .

ونرى هنا ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره لهذه الاية الكريمة لا يهتم بتحديد شخصية المار أو القرية التى هو مر بها وذلك لان هذا ليس مهما

---

(١) انظر للمقارنة : الطبرى جـ١ / ١٨٣-١٨٥ ، الرازى جـ٣ ص ٦ ، ابن كثير جـ١ / ص ٧٩ ، الألوسى جـ١ ص ٢٣٤-٢٣٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩ .

(٣) تفهيم القرآن جـ١ ص ٢٠٠ .

فى فهم الهدف الذى وردت هذه القصة لاجله ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ليس هناك مصدر صحيح لمعرفة هذه الامور ولا يوجد لها ذكر فى القران الكريم أو الاحاديث الصحيحة فيتبين من هذا ان تحديد شخصية المار أو القرية لم يكن ضروريا عند الله سبحانه ولا عند نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلهذا لم يعتن الاستاذ بهذا البحث الجانبى بل اعتنى ببيان الهدف الذى وردت هذه القصة لأجله .

وجدير بالذكر ان هناك عدد غير قليل من المفسرين الذين حاولوا تحديد شخصية المار واسم القرية فمنهم من قال بان المار كان كافرا ومنهم من قال بانه كان نبيا ، ومنهم من قال بأنه كان خضرا ومنهم من قال بانه كان حزقيل بن بوار ، وهكذا أقوال أخرى نجدها فى بعض التفاسير ، وكذلك تضاربت الاقوال حول اسم القرية فقال البعض بانها بيت المقدس وقال البعض بانها كانت القرية التى خرج منها بنو اسرائيل حذرا من الموت وهم ألوف . وقال البعض بانها كانت دير سابراباد ، وقال البعض بانها كانت دير سلماباذ ، وقيل دير هرقل وقيل : المؤتفكة وقيل : قرية (العنب) على فرسخين من بيت المقدس ، وقلما نقل من هذه الاقوال شئ عن النبى صلى الله عليه وسلم (١) .

وأما رأى الاستاذ بان المار كان نبيا فهذا مايؤيده السياق الذى وردت فيه هذه القصة ، وان الله سبحانه يذكر فى هذا السياق قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام حيث يسأل ربه ، (رب ارنى كيف تحيى الموتى)(٢) ، وكلتا القصتان وردتا فى نفس السياق ولتحقيق نفس الهدف ، وهذا مايتضح منه بأن

---

(١) انظر للمقارنة الطبرى جـ٣ / ١٩-٢١ ؛ الرازى جـ٧ ص ٣٠-٣٤ ، ابن كثير جـ١ / ٣١٤ ، الألوسى جـ٣ / ١٩-٢١ .

(٢) البقرة - الآية ٢٦٠ .

الطار كان نبيا ، واما استفساره الذى يشير إليه قوله سبحانه (قال ربى أنى يحيى هذه الله بعد موتها) فهذا كما يرى الأستاذ المودودى ، لا يعنى بأنه لم يكن يؤمن بالبعث او كان يشك فيه ، بل يعني انه كان يرغب فى مشاهدة الحقيقة ، وهذا مايدل عليه ماورد فى نفس السياق فى قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام حيث سأل ربه (رب أرنى كيف تحي الموتى ، قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) (١) .

ثالثا : ويقول فى تفسير قوله تعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل ، فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا) (٢) : ان الموضوع الأساسى ليس عددهم ، بل الدرس المستفاد من قصتهم ، فهذه القصة يستفاد منها أن المؤمن الصادق لا ينبغى له ان يحيد عن الحق أو يخضع للباطل فى أى حال من الاحوال ويستفاد منها أن ثقة المؤمن واعتماده يجب ان لا يكون على أسباب الدنيا بل على الله تبارك وتعالى ، وأن على المؤمن ان يتقدم فى طريق الحق ، واثقا بالله متوكلا عليه حتى وان لم يبد فى بيئته اثر من آثار موافقة الحق وتأييده والسير فى ركابه .

ويستفاد منها ان العادة التى يعتبرها الناس قانون الفطرة والطبيعة ويعتقدون انه لا شىء فى العالم يشذ عنه او يخالفه لا يخضع له الله سبحانه فى الحقيقة ولا تجرى عليه احكامه فهو سبحانه قادر ، اذا اراد ، على ان يحول هذه العادة ، ويقلب هذا القانون عملا خارقا وحدثا شاذا متى شاء وأين شاء ،

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٠ .
(٢) سورة الكهف الآية ٢٢ .

فلا يصعب عليه أن ينوم احدا لقرنين من الزمن ثم يوقظه كأنه نام بضع ساعات دون ان يؤثر طول الزمان في عمره وشكله وهيئته أو لباسه أو صحته أو أي شيء فيه .

ويستفاد من هذه القصة أيضا انه لا يخرج عن قدرة الله بعث الاجيال البشرية كلها سابقا ولاحقا في لمحة واحدة وهو الذي اخبر به الانبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب السماوية .

ويستفاد منها انه كيف يجعل الجاهل آيات الله بضاعة لمزيد من الضلال بدلا من أن يجعلها مصابيح تنير بصيرته . فلقد اجرى الله معجزة أصحاب الكهف ليستيقن الناس بها وقوع الآخرة ، فظن الجاهلون ان الله أراهم هذه الآية ليعبد الناس بعض أوليائه .

تلك هي الدروس التي على المرء أن يأخذها من قصة أصحاب الكهف ، وتلك هي الامور الجديرة بالالتفات في هذه القصة اما الاعراض عن هذه الدروس الهامة والغرق في لجة البحث عن عدد اصحاب الكهف واسمائهم وماذا كان لون كلبهم فليس الا شغل من يترك اصل الشيء وله يتعلق بالقشور والترهات . ولهذا نصح الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما نصح المؤمنين عن طريقه (صلى الله عليه وسلم) بان الناس اذا اثاروا هذه الموضوعات التافهة وخاضوا في البحث في مثل هذه النكات السطحية البعيدة عن اللب ، فلا تخض معهم ، ولا تضع وقتك في البحث والتحقيق في هذه الاسئلة التافهة واجعل صلب اهتمامك بالعمل ، ولاجل ذلك لم يذكر الله عددهم الصحيح ، حتى لا يجد المضللون ما يغذي رغبتهم ويشبع خيالهم . وراء القشور والترهات "(١) .

(١) تفهيم القرآن ج٣ ص ١٩-٢٠ .

فنرى هنا أن الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة لا يعتنى بالمباحث التى ليست لها علاقة مباشرة بفهم القرآن أو بتفهيمه . ويرى الأستاذ المودودى انه لا فائدة فى الخوض فى هذه المباحث وليست لهما اية علاقة مباشرة مع تفسير هذه الآيات بل المقصود الحقيقى للايراد لهذه القصة هنا هو لفت النظر الى بعض الدروس التى لها أهمية بالغة فى حياة المسلم ، ثم يعتنى الأستاذ ببيان هذه الدروس فى أسلوبه الجذاب الأخاذ (١) .

ويتبين من هذه النماذج أن الاستاذ المودودى خلال تفسيره للقرآن الكريم لم يكن يعتنى بالمباحث التى ليست لها علاقة مباشرة بفهم القران او تفهيمه بل على العكس كان يعتنى كل الاعتناء بالدروس التى ينبغى للمسلم أن يتلقى منه .

...

---

(١) انظر للمقارنة تفسير ابن جرير للطبرى جـ ١٥ ص ١٤٩ — ١٥٠ ، الرازى جـ ١١ ص ١٠٦ — ١٠٩ ، ابن كثير جـ ٣ ص ٧٨ ، الألوسى جـ ١٥ ص ٢٦٠ — ٢٤٦ .

المبحث العاشر :

منهج الاستاذ المودودى في الرد على التأويلات الباطلة في تفسير القرآن الكريم

ومن مزايا تفهيم القرآن أن الاستاذ المودودى اهتم فيه بالرد على التأويلات الباطلة فى تفسير القرآن الكريم ، قديمة كانت او حديثة ، ويتبين من التاريخ أن اصحاب الفرق المختلفة فى الماضى والحاضر قاموا بتأويل الآيات القرآنية لتأييد مذاهبهم الخاصة او معتقداتهم الباطلة وجاءوا ، بالمعانى التى لا توافق الكتاب والسنة واللغة ولا تليق بالروح الاسلامية الصحيحة ، وذلك لانهم لا يرجعون اليه الا لاتيان الادلة لتأييد مذاهبهم الخاصة ، فهم لا يجدون فيه الا مايعتقدون ، وذلك لان القرآن الكريم لا يمكن الوصول الى معانيه الحقيقية الا اذا رجع اليه الانسان بذهن غير متحيز ، وهذا مايشير اليه الاستاذ المودودى حيث يقول : " والشرط الاساسى لفهم القرآن الكريم أن يتناوله الدارس بعقل متفتح مستقل غير متحيز اليه أوعليه ، وسواء كان المرء يؤمن به كتابا منزلا من الله أم لا ، فعليه أن يحرر ذهنه بأقصى مايمكنه ، ويبعد عنه التحيز ويتخلص من كافة الآراء التى كونها واكتسبها مسبقا ، ثم يقرؤه بالرغبة المجردة فى فهمه . أما الذين يدرسونه فى ضوء المفاهيم الشخصية المسبقة فلن يجدوا فيه غير افكارهم فحسب ولهذا لا يستطيعون الوصول الى ماينبغى فهمه وتبليغه من القرآن الكريم واذا كانت طريقتهم هذه لا تنفعهم دراسة اى كتاب ، فكيف تنفعهم دراسة القرآن الكريم وهو الكتاب الفريد "(١) .

فيمكننا من هذا أن نعين مكانة هذه التاويلات الباطلة للآيات القرآنية والحقيقة أن اصحاب الفرق المختلفة لا يرجعون الى القرآن الكريم ليفهموا

---

(١) تفهيم القرآن جـ ١ ص ٣١-٣٢ .

هذا الكتاب العزيز فهما صحيحا وهذا ما يجعل تأويلاتهم للآيات القرآنية تأويلات باطلة ، مما لابد للمفسر ان يعتني بالرد عليها . لهذا نرى الاستاذ المودودى يهتم بالرد عليها خلال تفسيره للآيات القرآنية التي جاء هؤلاء الناس بتأويلاتها لاهدافهم الخاصة ، واليك بعض النماذج لما قلنا :

الرد على التاويلات الباطلة التي جاء بها الشيعة في تفسير القرآن الكريم :

ومن الفرق المختلفة الذين قاموا بتأويل الآيات القرآنية لتأييد مذاهبهم الخاصة هم أهل التشيع ، ومن المعلوم ان هذا المذهب يرجع اصله الى الخلافات بين سيدنا على رضى الله عنه وبين سيدنا معاوية رضى الله عنه ، ولكنهم وسعوا دائرة هذه الخلافات ، فبدأوا يعتقدون فى كون سيدنا على رضى الله عنه وصيا للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكونه أفضل من سائر الصحابة ، هذا من ناحية ،ومن ناحية اخرى ، رمى بعضهم أكابر الصحابة والصحابيات بالاتهامات والاكاذيب ، ومن دواعى الأسف الشديد أن دائرة هذه الاتهامات والأكاذيب ليست مقصورة على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بل يتسع نطاقها إلى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم المطهرات ، وما هو اكثر ألما بأنهم اذ رأوا ان هناك عدد غير قليل من الآيات القرانية الذى لا يسمح بذلك قاموا بتأويل هذه الآيات القرآنية تأويلات عجيبة وجاءوا بالاحاديث الموضوعة او الضعيفة فى تأييدهم او استدلوا من بعض الاحاديث الشريفة ماليست له اية علاقة بها ، فالاستاذ المودودى يعتني بالرد على هذه التأويلات بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القاطعة واليك بعض النماذج لذلك .

الرد على الاتهام ان السيدة عائشة رضى الله عنها ليست من أمهات المؤمنين :

ومن أشنع الاتهامات والأكاذيب التى رمى بها الشيعة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وازواجه صلى الله عليه وسلم مارموا به أم المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله عنها ،ولكنهم اذا رأوا أن قوله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه أمهاتهم) (١) لا يسمح لهم ان يأتوا بهذه الاتهامات ،جاءوا بتأويله العجيب فقالوا ان شرف امهات المؤمنين لم يبق فى السيدة عائشة رضى الله عنها بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لان سيدنا على رضى الله عنه قد طلقها نائبا عن النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيرد الاستاذ المودودى على هذا التأويل الباطل خلال تفسيره للاية الكريمة فيقول :

" ويجدر بنا أن نذكر فى هذا المقام ان لجميع ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ، والسيدة عائشة رضى الله عنها منهن بالطبع ، نفس المنزلة فى نظر القرآن ، ولكن هناك جماعة جعلت سيدنا على والسيدة فاطمة واولادهما رضى الله عنهم اجمعين محورا للدين وأداروا نظام الدين كله حولهم ومن ثم طعنوا فى السيدة عائشة وكثير من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ، ولما وقفت فى طريقهم هذه الاية التى تضطر كل من يدعى الايمان لان يسلم بان السيدة عائشة رضى الله عنها أم له ،زعموا لحل هذه المشكلة زعما غريبا وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم قد اعطى سيدنا على رضى الله عنه السلطة فى أن يبقى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من يشاء من زوجاته المطهرات فى عصمته صلى الله عليه وسلم ويطلق بنفسه منهن من يشاء . فقال ابومنصور أحمد بن أبى طالب الطبرسى فى كتابه (الاحتجاج) :

---

(١) سورة الاحزاب : ٦

[illegible] -"أن النبى صلى الله عليهوسلم قال لسيدنا على رضى الله عنه : (يا أبا الحسن أن هذا الشرف باق مادمن على طاعة الله فأيتهن عصت الله بعدى بالخروج عليك فطلقها من الازواج واسقطها من شرف أمهات المؤمنين)[1] ومع أن هذا الحديث باطل لا أصل له ، هو يخالف الايات الواردة فى هذه السورة أيضا [2] ، وذلك لان الازواج المطهرات اللاتى فضلن البقاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية التخيير لم يعد له صلى الله عليه وسلم الحق فى طلاقهن "[3] .

وهكذا يثبت الاستاذ المودودى من الادلة من القرآن الكريم ان هذا التأويل باطل والحديث الذى جاء به هؤلاء الناس فى تأييد هذا التاويل الباطل لا أصل له لكونه مخالفا للقرآن الكريم ، فالاستدلال من هذا الحديث غير صحيح ، ثم بعد هذه الأدلة من القرآن الكريم يأتى الاستاذ بالبراهين العقلية فيقول : " وفضلا عن ذلك فان أى انسان غير متعصب اذا أعمل العقل وحده وفكر فى معنى هذا الحديث ظهر له فى وضوح انه لغو صريح وافتراء مبين مهين فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان الانسان لا يتوقع من رجل عادى ان يفكر فى طلاق امرأته بعد موته ويفوض زوج ابنته حق طلاقها نيابة عنه اذا هى خالفته ، فكيف بالرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم مع رفعة مقامه وسمو قدره "[4] .

---

(١) ابومنصور احمد بن أبى طالب الطبرسى - كتاب الاحتجاج ص : ٨٢ .

(٢) الاحزاب : ٢٨ ، ٢٩ ، ٥١-٥٢ .

(٣) تفهيم القرآن ج ٤ ص : ٧٢ .

(٤) المرجع السابق ج ٤ ص : ٧٢ .

فيتبين مما قاله الاستاذ المودودي في رده للتأويل الذي جاءت به الشيعة للآية الكريمة ان هذا التأويل تأويل باطل ،والحديث الذي يستدلون به الشيعة على كون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خارجة من أمهات المؤمنين المطهرات حديث موضوع ، وذلك لانه يخالف القرآن الكريم والعقل السليم ،ويتضح من القرآن الكريم ان الازواج المطهرات اللاتي فضلن البقاء في زوجية النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول قوله سبحانه : (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما) (١) لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم الحق لطلاقهن لقوله سبحانه (لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ،وكان الله على كل شيء رقيبا) (٢) .

وكيف كان له اذن أن يقوم بتفويض هذا الحق الى سيدنا على رضي الله عنه ، فيتبين من هذا ان الحديث مردود لكونه مخالفا للقرآن الكريم ، وأما من الناحية العقلية ،فلا يخفى لغويته على من أعطاه الله سبحانه الايمان مع العقل السليم.

---

(١) الاحزاب : ٢٨ — ٢٩.

(٢) الاحزاب : ٥٢ .

الرد على الاتهام ان ازواج النبي – صلى الله عليه وسلم – لسن من أهل بيته – صلى الله عليه وسلم :

ومن اتهامات أهل التشيع على ازواج النبى – صلى الله عليه وسلم – المطهرات بانهن لسن من أهل بيت النبى – صلى الله عليه وسلم ، فدائرة اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم عند الشيعة مقصورة على سيدنا على رضى الله عنه والسيدة فاطمة رضى الله عنها واولادهما فحسب رضى الله عنهم ، فكان لعقيدتهم هذه بانهم جاؤوا بتأويل غريب لقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (١) . فقالوا انه نزل فى سيدنا على رضى الله عنه والسيدة فاطمة رضى الله عنها واولادهما فحسب واما ازواج النبى – صلى الله عليه وسلم – فهن لسن من اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا يشملن حكم هذه الآية .

ويعتنى الاستاذ المودودى بالرد على هذا التأويل الباطل خلال تفسيره للآية الكريمة ويقول : " يظهر من السياق الذى وردت فيه هذه الاية ان المراد باهل البيت ازواج النبى الطاهرات وذلك لان الخطاب يبدأ بقوله (يانساء النبى) (٢) وهن بعينهن المخاطبات فى الايات ما قبلها وما بعدها كما أن اهل البيت فى اللغة العربية تطلق على زوجة الرجل وأولاده ولا يمكن لاحد ان يطلق كلمة ، اهل البيت مستثنيا منه الزوجة ، وقد وردت هذه الكلمة فى موضعين آخرين فى القرآن الكريم نفسه بمعنى يشمل " الزوجة " بل هى فى مقدمة من تشملهم هذه الكلمة فقد جاء فى سورة هود حين بشرت الملائكة ابراهيم عليه السلام بولده اسحاق عليه السلام فتعجبت زوجته حين سمعت ذلك وقالت " . . ياويلتى أ ألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشيء عجيب) (٣) فردت عليها الملائكة (اتعجبين من امر الله ، رحمة الله

---

(١) سورة الاحزاب : آية ٣٣
(٢) سورة الاحزاب الآية ٣٢ .
(٣) سورة هود الآية ٧٢ .

وبركاته عليكم اهل البيت) (١) ،وهكذا ورد في سورة القصص حينما وصل موسى - عليه السلام - الى بيت فرعون وهو رضيع ،وكانت امرأة فرعون تبحث عن مرضعة لترضع موسى عليه السلام فقالت اخته (هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) (٢) . فاستخدام اهل اللغة واستخدام القرآن الكريم نفسه لهذا اللفظ وسياق الآية ذاتها كل ذلك اذن يدل دلالة قاطعة على أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم المطهرات يدخلن في اهل بيته صلى الله عليه وسلم ،كما يدخل فيهم اولاده - صلى الله عليه وسلم - بل الاصح ان الخطاب في الآية موجه اليهن اصلا ،فأما الاولاد فيدخلون فيه ضمنا وعلى هذا الاساس رأى ابن عباس (٣) وعكرمة (٤) ان المراد من اهل البيت في هذه الآية الكريمة هن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم (٥) .

وهكذا يبين الاستاذ المودودي مستدلا بالقرآن الكريم واللغة والسياق للآية والتفسير المأثور عن الصحابة والتابعين ان كلمة " اهل البيت " تشمل ازواج النبي والاولاد معا ، ولا يصح اطلاقها على الاولاد بدون الازواج قط .

وقد ورد في اشهر كتب اللغة ان المراد من " أهل البيت " زوجاته صلى الله عليه وسلم وبناته وصهره علي رضي الله عنهم أجمعين (٦) .

وهكذا السياق الذي وردت فيه هذه الاية الكريمة لا يسمح لهذا التأويل الباطل قط ، وذلك لانه يشمل التوجيهات الربانية الخاصة بازواج

---

(١) سورة هود الآية ٧٣ .

(٢) سورة القصص الآية ١٢ .

(٣) انظر تنوير المقياس من تفسير ابن عباس صفحة ٣٥٣ .

(٤) انظر ابن جرير الطبري جـ ٢٢ صفحة ٧ .

(٥) تفهيم القرآن جـ٤ ص ٩٢-٩٣ .

(٦) انظر لسان العرب جـ١١ ص ٢٩ ،والقاموس المحيط : جـ٣ ص ٣٣١ .

النبى صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن اذن أن هن اللاتى يخرجن من حكم قوله تعالى هذا فى نفس السياق فيقول سبحانه وتعالى (يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) (١) . فيتبين من هذا كما يرى الاستاذ المودودى ان الآية الكريمة نزلت اصلا فى ازواج النبى – صلى الله عليه وسلم – المطهرات ولكن يشمل حكمها سيدنا على ، والسيدة فاطمة ، واولادهما رضى الله عنهم لان النبى صلى الله عليه وسلم ادخلهم فى هذا الحكم ، وهذا ما يدل عليه حديث ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها وام المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها الذى يستدلون به هؤلاء الناس على كون ازواج النبى صلى الله عليه وسلم المطهرات خارجة من دائرة اهل البيت فهذا الحديث كما روى من أم المؤمنين عائشة وام المؤمنين ام سلمة ، ننقله هنا والالفاظ لام سلمة فتقول رضى الله عنها : (ان هذه الآية نزلت فى بيتى وانا جالسة عند الباب فقلت : يارسول الله ألست من أهل البيت ؟ فقال : انك الى خير ، أنت من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ، وفاطمة ، وحسن ، وحسين ، فجعلهم بكساء وقال : " اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا " (٢) . وروى هذا الحديث من عدة طرق ، وفى رواية الترمذى قال صلى الله عليه وسلم " انت على مكانك وانت على خير " (٣) .

---

(١) الاحزاب : ٣٢–٣٣ .

(٢) الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن جلد ٢٢ ص ٧ .

(٣) سنن الترمذى – كتاب التفسير – باب سورة الاحزاب .

وفى رواية احمد : " قلت : يارسول الله ـ ألست من أهلك ؟ قال بلى فادخلى فى الكساء قالت : فدخلت فى الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه على وابنيه وابنته ، رضى الله عنهم "(١) . ولكننا لو صرفنا نظرعن رواية الامام احمد ، واقتصرنا على ما رواه الترمذى والطبرى المفهوم الصحيح للحديث كما يرى الاستاذ المودودى لا يسمح لهذا الاستدلال قط ، فيقول الاستاذ : " ويخطئ من يستند الى هذه الاحاديث فيخرج ازواج النبى المطهرات من مضمون لفظ اهل البيت لانه :

اولا : مايثبت من القرآن صراحة لا يمكن رده باى حديث . وثانيا : معنى هذه الاحاديث ليس كما استخرج منها والروايات التى تقول ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يدخل ام المؤمنين عائشة أو أم المؤمنين أم سلمة تحت الثوب الذى أدخل فيه عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ليس المراد منها قط ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اقر بخروجهما من زمرة اهل البيت ، بل يعنى ان الزوجات يدخلن فى زمرة اهل البيت لان القرآن يخاطبهن بذلك ، لكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خشى ان يخطئ الناس من ظاهر لفظ القرآن ويحسبوا ان عليا رضى الله عنه وفاطمة وولديهما رضى الله عنهم اجمعين ليسوا من اهل البيت ولهذا شعر بضرورة التصريح لهم . ولكن لم تكن ضرورة هذا التصريح لازواج النبى المطهرات اللاتى قد نزلت هذه الآية فيهن "(٢) .

وهكذا يثبت الاستاذ المودودى بالادلة من القرآن والسنة واللغة والسياق الذى وردت فيه هذه الآية بانها نزلت فى الازواج المطهرات أصلا وأدخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليا وفاطمة وولديهما فى حكم الآية لكونهم من اولاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا هو المفهوم الصحيح للحديث

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل ـ مرويات ام سلمة رضى الله عنها .

(٢) تفهيم القرآن جـ ٤ ص ٠٩٣

الذى يستدل به هؤلاء المفسرون على كون أمهات المؤمنين خارجات من اهل البيت ، وكان الواضح من سياق الآية انها نزلت فى الازواج المطهرات، ولم تكن هناك أية حاجة لتصريحه ،ولكن خشى النبى صلى الله عليه وسلم أن يخطئ الناس بظاهر الآية أن دائرة اهل البيت مقصورة على الازواج ، المطهرات فحسب ، فدعا عليا وفاطمة وحسن وحسينا وألقى عليهم ثوبه فصرح بكونهم من اهل بيته صلى الله عليه وسلم . وهذا مايتبين من رد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على سؤال أم المؤمنين أم سلمة حينما سألت عنه — صلى الله عليه وسلم — : "ألست من اهل البيت ؟ "، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — انك الى الخير ،أنت من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالرسول — صلى الله عليه وسلم — لم ينكر على كونها من اهل البيت بل قال : انت من ازواج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أى أنت مشمولة فى حكم الآية لكونك من ازواج النبى — صلى الله عليه وسلم .

هذا وهناك أحاديث اخرى تدل على اطلاق كلمة "أهل البيت على ازواج النبى — صلى الله عليه وسلم — المطهرات ومنها مارواه البخارى عن طريقه عن أنس بن مالك رضى الله عنه فيقول : "بنى النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش فأولم بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجئ قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجئ قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد احدا أدعو فقلت : يانبى الله — ما اجد احدا ادعوه فقال : فارفعوا طعامكم . وبقى ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله فقالت : وعليك السلام ورحمة الله ،كيف وجدت أهلك بارك الله فيك؟

فتقرى حجر نسائه كلهن ، يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقلن له كما قالت عائشة . . . الخ"(١) فيتبين من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استخدم كلمة اهل البيت لازواجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما استخدمها لسيدنا علي وفاطمة وابنيهما ـ فيثبت ان حكم الآية تشمل الازواج المطهرات وعلى وفاطمة واولادهما معا .

وجدير بالذكر ان الاستاذ المودودى لا يتفرد في تفسيره بل سبقه كثير من المفسرين الكبار الذين رأوا ان الاية نزلت فى الازواج المطهرات وتشملها الازواج المطهرات وعلى وفاطمة واولادهما معا ،ومنهم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس الذى يرى ان الآية نزلت فى الازواج المطهرات"(٢) ومنهم عكرمة الذى كان ينادى فى السوق أن الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) نزلت فى نساء النبى خاصة(٣) . ومنهم ايضا ابن جرير الطبرى والرازى والالوسى وابن كثير الذين رأوا ان حكم الآية يشمل الازواج المطهرات وسيدنا على والسيدة فاطمة وحسن وحسين معا رضى الله عن الجميع(٤) .

٢ـ <u>النقد على عقيدة كون غير الانبياء معصومين :</u>

ومن المعلوم أن من مقتضيات الايمان بالرسل الاساسية عقيدة كونهم معصومين ، وذلك لان الله سبحانه وتعالى بعثهم لتبليغ رسالته الى البشرية . فكان من مقتضيات فريضتهم هذه ان يكونوا فى عصمة الله الخاصة ولكن هذه العصمة الخاصة دائرتها مقصورة على الانبياء ـ عليهم السلام ـ

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب التفسير ـ باب قوله سبحانه (لا تدخلوا بيوت النبى) من سورة الاحزاب.

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس صفحة ٣٥٣.

(٣) انظر الطبرى جـ ٢٢ صفحة ٧.

(٤) انظر للمقارنة الطبرى مجلد ٢٢ ص ٥ـ٨ ، الرازى ـ جـ ٢٥ ، صفحة ٢١٠ ، ابن كثير جـ ٣ ص ٤٨٦ ، روح المعانى جـ ٢٢

فحسب ، وهذه هي عقيدة أهل السنة . ولكن من عقائد الشيعة الخاصة أن سيدنا على وفاطمة وبعض الائمة من اولادهما معصومين كالانبياء عليهم السلام . وهذه العقيدة لا يوافقها القرآن ولا السنة ولكنهم اذ جعلوها عقيدة لهم جعلوا لها أدلة ايضا ، ومنها استدلالهم من الآية الكريمة (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) (١) فيقولون أن الله قد طهرهم من الذنوب فاصبحوا معصومين كالانبياء — عليهم السلام — ولكننا كما فصلنا القول آنفا هذه الآية لم تنزل خاصة في سيدنا على وفاطمة ، وابنيهما كما تقول الشيعة ، بل تشمل الازواج المطهرات رضى الله عنهن وسيدنا على رضى الله عنه وفاطمة رضى الله عنها وابنيهما رضى الله عنهما هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى جعلهم طاهرين لا يجعلهم معصومين كالانبياء عليهم السلام ، وينتقد الاستاذ المودودى عقيدتهم هذه بالأدلة من القرآن ، فيقول : " وهناك فرقة لم تكتف في تفسير هذه الاية بارتكاب ظلم اخراج نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، من زمرة اهل البيت وقصر اللفظ على سيدنا على والسيدة فاطمة واولادهما بل بلغت في الظلم والعسف قدرا اكبر واعظم اذ استنتجت من قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) ان عليا وفاطمة واولادهما رضى الله عنهم معصومون كعصمة الانبياء عليهم السلام ، وذلك لان المراد من الرجس الخطأ والذنب . وقد طهر أهل البيت منه بنص هذه الآية ولكن استدلالهم هذا لا يؤيده سياق الآية ولا الالفاظ الواردة فيها لان نص الآية لا يقول ان الله قد اذهب عنكم الرجس وطهركم تماما ، بل المراد ان الله يريد اذهاب الرجس عنكم وتطهيركم وهكذا سياق الآية وما يتصل بها من قبل ومن بعد لا يفصح عن ان المقصود

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٣٣.

هنا ذكر مناقب اهل البيت، انما الموضوع هنا هو نصح اهل البيت ان افعلوا كذا وكذا ولا تفعلوا كذا وكذا ، وذلك لان الله يريد ان يطهركم وبألفاظ اخرى المراد منه انكم اذا اخترتم كذا وكذا من السلوك فسوف تنالكم نعمة الطهر والنظافة والا فلا ، ولكننا اذا قلنا ان المراد من قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) هو بان الله قد عصم اهل البيت كالانبياء – عليهم السلام – كما يعتقد أهل الشيعة، فليس هناك ما يمنعنا من التسليم بان كل المسلمين المتوضئين والمغتسلين والمتيممين معصومون كذلك لقوله تعالى " ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم" (١) (٢) .

وهكذا يثبت الأستاذ المودودى بالادلة القوية ان استدلال أهل التشيع بقوله تعالى هذا على كون سيدنا على والسيدة فاطمة واولادهما معصومين ليس بصحيح وذلك لان :

اولا : السياق الذى يقع فيه قوله تعالى هذا لا يسمح لهذا المفهوم قط ، فنرى ان سياق الآية وردت فيه التوجيهات الالهية لاهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم تذكر فيه مناقبهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى اهل بيت النبى – صلى الله عليه وسلم – كما فصل الكلام آنفا خلال تفسير الآية تشملهم الازواج المطهرات وسيدنا على وفاطمة واولادهما معا .

ثانيا : قوله تعالى " ويطهركم تطهيرا " لا يجعلهم معصومين كالانبياء عليهم السلام ، وذلك مثل قوله تعالى (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) الذى لا يجعل كل المسلمين المتوضئين معصومين

---

(١) سورة المائدة الآية ٦ .

(٢) تفهيم القرآن جـ ٤ ص ٩٣ ، ٩٤ .

فنرى ان نفس الكلمة " يطهر " وردت في كلتيا الآيتين ، فكيف يمكن اذن أن نفس الكلمة " يطهر " وردت في هذه الآية يختلف مفهومها من المفهوم الذى كان لها في تلك الآية . فيتبين من هذا أن تأويلهم هذا للآية الكريمة تاويل باطل لا يؤيده القرآن ولا السنة .

هذه هي بعض النماذج لاسلوب الاستاذ المودودى في الرد على التاويلات الباطلة للشيعة في تفسير القرآن الكريم فهو يرد على هذه التاويلات بالادلة من الكتاب والسنة احياناً ويأتى بالرد بالبراهين العقلية القوية احيانا اخرى . وهكذا يجمع بين الرواية والدراية في رده على هذه التأويلات الغريبة ، ولولا ضيق المجال لذكرنا هنا عديد من النماذج لذلك فلنكتف بما نقلناه .

...

الرد على التأويلات الباطلة للقاديانيين :

قد فصلنا القول فى هذه الرسالة[1] بأنه كانت نشأة القاديانية فى شبه القارة الهندية فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى تحت رعاية الاستعمار الغاشم البريطانى لتحقيق اهدافه الشنيعة فقد ادعى زعيمهم المتنبى "غلام أحمد القاديانى "انه المسيح الموعود وانه نبى ثم جاء بالتأويلات الباطلة للآيات القرآنية والاحاديث النبوية لكى يؤيد بها مايدعيه . وجدير بالذكران الاهداف الشنيعة التى كان يرغب الاستعمار الغاشم فى تحقيقها بواسطة المتنبى الكاذب عديدة ، منها القضاء على عقيدة ختم النبوة التى كانت أساسا لوحدة المسلمين ومظهرا لولائهم للنبى صلى الله عليه وسلم .ومنها القضاء على فريضة الجهاد التى كان يخاف منها الاستعمار أشد الخوف ومنها غرس نحلة العملاء المستقلة فى صفوف المسلمين وما الى ذلك من الاهداف الشنيعة .

وقد تمكن مسلمو باكستان من القضاء على هذه الفتنة حيث اصدر البرلمان القرار الشهير بكون القاديانيين غير المسلمين ، والحقيقة ان للعلماء والجماعات الاسلامية دورا كبيرا فى الوصول الى هذا الهدف ، والاستاذ المودودى لكونه الداعية الخبير لعب دورا أساسيا فى القضاء على هذه الفتنة وكما ذكرنا فى هذه الرسالة[2] قد صدر حكم أعدامه شنقا لتأليف رسالته الشهيرة "المسألة القاديانية " وقد انقذه الله فيما بعد من تنفيذ هذا الحكم فيه .

---

(١) انظر ص ٧٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر ص ١٤٨ من هذه الرسالة .

وكان من الطبيعى ان يعتنى الاستاذ المودودى بالرد على التاويلات الباطلة التى جاء بها القاديانيون لتأييد عقائدهم الباطلة الواهية فهو يعتنى بهذا الامر بكل العناية ولا سيما خلال تفسيره للقران الكريم فياتى بالادلة من الكتاب والسنة ويضيف اليها البراهين العقلية القوية ويبين ان هذه التاويلات الباطلة ليس لها اى اساس فلا يليق بالمسلم ان يعتنى بها واليك بعض النماذج لاسلوب الاستاذ المودودى للرد على القاديانيين خلال تفسيره للقرآن الكريم .

الرد على تاويلهم الباطل لكون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيين :

ان اكبر الموانع واشدها فى طريق هذه الدعوى الباطلة كان قوله سبحانه (ماكان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما) (١) . وذلك لانه يدل على كون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء عليهم السلام وآخرهم ويبين بكل صراحة انه لن ياتى نبى بعده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا ماتدل عليه الاحاديث الشريفة التى نقلت عنه صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضوع .

فلذا لم يكن للمتنبى الكاذب الا ان يقوم بالتاويلات الباطلة لهذه الآية الكريمة والاحاديث الواردة فى هذا الموضوع فقال ان المراد من "الخاتم" هو " الطابع " فيكون المراد من خاتم النبيين ان الانبياء الذين سيظهرون بعده ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكونون مختومين بخاتمه ـ صلى الله عليه وسلم وقال ان المراد من كون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ " خاتم النبيين هو كونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ افضل النبيين . فباب النبوة مفتوح ولكن كمالات النبوة قد انتهت اليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ واذ لم يجد دليلا لتاويلاته

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٤٠ .

الباطلة فى القرآن ولا فى السنة ولا فى اللغة قال ان قوله " خاتم النبيين " قد استخدم فى الآية على سبيل المبالغة كما تستخدم القابات خاتم الشعراء وخاتم الفقهاء وغيرها على سبيل المبالغة .

وقد تناول الاستاذ المودودى هذا الموضوع بالتفصيل خلال تفسيره للآية ونظرا لاهميتها البالغة تناول جميع النواحى المتعلقة بالموضوع وتمكن من الرد على هذه التأويلات الباطلة الواهية بالادلة من القرآن والسنة واللغة والاجماع وبالبراهين العقلية القوية .

يبدأ الاستاذ المودودى تفسيره للآية ببيان المراد الصحيح للآية الكريمة فى السياق الذى هى وردت فيه فيقول :

" فى هذه الآية الكريمة الواحدة قطعت جذور كل الاعتراضات التى أخذها المخالفون على زواج النبى — صلى الله عليه وسلم — بزينب — رضى الله عنها — فكانت هذه الاعتراضات والافتراءات كالآتى :

اولا : كان اعتراضهم الاول انه — صلى الله عليه وسلم — تزوج بزوجة ابنه مع ان المرأة اذا تزوجها الابن تحرم على الاب حتى فى شريعته — صلى الله عليه وسلم — فرد سبحانه على هذا بقوله (ماكان محمد أبا احد من رجالكم) اى متى كان الرجل الذى تزوج محمد — صلى الله عليه وسلم بمطلقة ابنه حتى يحرم عليه الزواج بها .

ثانيا : فكان اعتراضهم الثانى ان متبناه زيدا اذا لم يكن ابنا له حقيقيا فزواجه بمطلقته كان مباحا له على الاكثر ولم كان ضروريا فقيل لهم (ولكن رسول الله) اى كان من مقتضيات كونه — صلى الله عليه وسلم — رسولا ان يهتم بالقضاء على التقاليد والتعصبات الجاهلية التى حرمت حلالا بدون اى سبب معقول وذلك لكى لا يبقى مجال

للشك في كونه حلالا ، ثم انه ـ سبحانه وتعالى ـ أكد ذلك بقوله (وخاتم النبيين) اى هو اخر نبى بعثناه في العالم ، ولن يأتى بعده ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبى ولا رسول حتى اذا توقف ـ عليه السلام ـ عن تنفيذ اى اصلاح او تعديل فى القانون او المجتمع قام به النبى الآتى بعده . ولذلك كان من واجبه صلى الله عليه وسلم أن يتولى بنفسه تحطيم هذا التقليد الجاهلى "(١) .

وهكذا يثبت الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة ان السياق الذى وردت فيه هذه الآية الكريمة لا يتحمل فيه اى مفهوم لقوله سبحانه (خاتم النبيين) الا انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ اخر الانبياء والمرسلين ولا ياتى بعده نبى ولا رسول قط واما كون مفهوم قوله سبحانه (خاتم النبيين) افضل الانبياء عليهم السلام ، أو طابع الانبياء كما يدعى المتنبى الكاذب فلا يسمح له سياق الآية قط ، وذلك لأن اذا كان باب النبوة مفتوحا وكانت هناك اية امكانية لبعثة نبى او رسول آخر بعد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يبق هناك اية حاجة لاهتمام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالزواج بالسيدة زينب لتحطيم التقاليد الجاهلية فكان من الممكن ان يكلف الله نبيا آخر لتحقيق هذا الهدف فيما بعد .

فيتبين من هذا ان تاويل قوله سبحانه (خاتم النبيين) بطابع النبيين يجعل دليله سبحانه ضعيفا جدا ولا يجعله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بريا من الاتهامات التى كان يرميه بها المخالفون فيصبح هذا التاويل باطلا فى ضوء السياق الذى وردت فيه هذه الآية الكريمة .

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٤ ص : ١٠٣ - ١٠٤ .

ـ الاستشهاد من اللغة العربية :

وبعد ما يثبت الاستاذ المودودى ان هذه التاويلات الباطلة لا يسمح لها السياق الذى وردت فيه الآية يعتنى بالتحقيق اللغوى لكلمة "خاتم" وياتى بالادلة من أشهر القواميس والمعاجم للغة العربية مثل لسان العرب(١) والقاموس المحيط (٢) وأقرب الموارد (٣) فيثبت أن المراد من "الختم" فى اللغة العربية واساليبها هو الطبع بالخاتم والسد والوصول الى الانتهاء، ونهاية الشيء والفراغ من العمل ، فيقال ختم العمل ، فرغ من العمل ،ختم الاناء : سده بالطين ونحوه فلا يدخل فيه ولا يخرج منه شيء ، ختم الكتاب : حفظ ما فى الكتاب بوضع نقش الخاتم عليه حتى لا يجرى عليه التزوير خاتمة كل شيء ،عاقبته وآخره ختم الشيء : بلغ آخره ،وفى هذا المعنى يقال ختم القرآن ، وفيه تسمى الآيات الاخيرة من السورة خواتيمها ويكون خاتم القوم آخرهم "(٤) .

ثم يرد الاستاذ المودودى على الاستدلال المتنبى الكاذب من استخدام لقب (خاتم الشعراء) لأفضل الشعراء واستخدام لقب (خاتم الفقهاء) لأفضل الفقهاء لكون المراد من (خاتم النبيين) "افضل النبيين" فيقول :

"ان استخدام هذه الالقاب على سبيل المبالغة لا يعنى ابدا ان المعنى الاصلى من الناحية اللغوية للفظ (الخاتم) هو الكامل او الافضل وان استخدام

---

(١) انظر لسان العرب جـ١٢ ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٢) انظر القاموس المحيط جـ٤ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٣) انظر اقرب الموارد . جـ ١ ص : ٢٥٧ .

(٤) تفهيم القرآن جـ٤ ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

هذا اللفظ بمعنى "الآخر" خطأ فى أساسه والحقيقة أن هذا الدليـــل لا يأتى به الا من كان جاهلا بقواعد اللغة وليست قاعدة فى اية لغـــة ان اللفظ اذا استخدم بالمعنى المجازى احيانا اصبح المعنى المجــازى هو معناه الحقيقى ويحرم استعماله فى معانيه الاصلية من الناحية اللغويــة فان قلت لعربى " جاء خاتم القوم " فهل يفهم انك تعنى " جاء كاملهـــم وفاضلهم " بل سيفهم انك تعنى ان القوم جاءوا كلهم وجاء ايضا آخر من كـــان باقيا منهم "(١) .

وهكذا يثبت الاستاذ المودودى مستندا الى أمهات الكتب فـــى اللغة العربية أن اللغة لا تسمح للمعانى التى جاء بها المتنبى الكاذب لقولــه تعالى (خاتم النبيين) وتأويل كلمة "الخاتم" "بالطابع" أو "الافضـل" او "الكامل" فى قوله تعالى هذا ليس الا تحريفا صريحا للقرآن ولا يدل الا على تزوير المتنبى او جهالته او على وجود كلتا الصفتين فيه ثم يستنتج الاستاذ من هذه الادلة " وبناء علـى هذا قد اتفق اهل اللغة واهل التفسير علـــى أن المراد من (خاتم النبيين) هو آخر النبيين " . وكلمة "الخاتم" اذا استخدمت فى معنى الطابع لا يكون المراد منه فى اللغة العربية واساليبهـا خاتم البريد الذى تمهر به الرسائل انما يعنى ذلك الخاتم الذى يوضـــع على الظرد او الظرف ليمنع دخول شئ اليه او خروج شئ منه "(٢) .

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٤ ص ١٣٩ .

(٢) المرجع السابق جـ ٤ ص ١٤٠ .

٩ — الاستشهاد بالأحاديث النبوية :

وبعد استشهاده باللغة العربية على كون تاويل المتنبى الكاذب باطلا يمتنى الاستاذ المودودى ببيان ماثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية الكريمة وينقل عددا من الاحاديث الصحيحة من البخارى ومسلم وكتب الصحاح الستة الاخرى وهذه الاحاديث الشريفة يتبين من كل واحد منها بكل صراحة ان النبى — صلى الله عليه وسلم — لم يكن (خاتم النبيين) فى معنى الطابع او الافضل قط ، بل كان (خاتم النبيين) فى المعنى انه كان آخرهم ولا ياتى بعده نبى ولا رسول ولو اتسع لنا المجال لنقلنا هنا كل هذه الاحاديث الشريفة ولكننا نكتفى هنا بنقل بعضها فحسب :

اولا : عن ابى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال النبى — صلى الله عليه وسلم — " مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وانا (خاتم النبيين) رواه البخارى ومسلم وابوداود والطيالسى والامام احمد واللفظ للبخارى (١) .

وهذا هو التفسير الذى ثبت عنه — صلى الله عليه وسلم — للآية الكريمة وهو التفسير للآية يتبين منه بكل الصراحة ان المراد من " خاتم النبيين " ليس الا آخر النبيين وليس هناك اى مجال لأى مفهوم آخر ، والحقيقة ان بعد هذا التفسير من النبى — صلى الله عليه وسلم — للآية الكريمة لا يمكن لاحد أن ياتى بتاويل آخر لها إلا وهو لا يخاف من الله ولا يستحى عنه .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب خاتم النبيين .

وجدير بالذكر ان هذا الحديث الشريف لا يمكن لاحد ان يصرف النظر عنه بالحيلة انه ضعيف او موضوع او خبر آحاد ، وذلك لانه ورد فى صحيح البخارى وصحيح مسلم وكتب الصحاح الستة الاخرى ورواه البخارى بطريقين (١) ومسلم بأربع طرق (٢) والترمذى (٣) وابوداؤد الطيالسى (٤) كل واحد بأسانيده .

ثانيا : عن جبير بن مطعم عن ابيه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : انا محمد وانا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحى بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبى . وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى ، رواه مسلم والبخارى والترمذى والامام مالك والحاكم واللفظ لمسلم (٥) .

وهذا الحديث الشريف — ايضا — يبين بكل الصراحة ان المراد من كون النبى — صلى الله عليه وسلم (خاتم النبيين) آخر النبيين ولا يأتى بعده — صلى الله عليه وسلم — نبى ولا رسول كان مختوما بخاتمه — صلى الله عليه وسلم — او كان اقل فضلا منه — صلى الله عليه وسلم ، وكان ظليا او بروزيا (٦) وذلك لان النبى — صلى الله عليه وسلم — قد سمى نفسه (العاقب) ثم شرح بان المراد من العاقب هو الذى ليس بعده نبيا باى نوع من الانواع ، والحقيقة أنّ هذا هو التفسير الصحيح لقوله تعالى خاتم النبيين ولا يمكن بعد هذا التفسير ان يأتى احد بتأويل اخر لقوله (خاتم النبيين) الا اذا كان هدفه تزوير الناس بهذا التأويل الباطل .

---

(١) البخارى، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين .
(٢) مسلم، كتاب الفضائل، باب خاتم النبيين .
(٣) سنن الترمذى، كتاب المناقب، باب فضل النبى صلى الله عليه وسلم .
(٤) انظر منحة المعبود فى ترتيب مسند ابى داود الطيالسى كتاب السيرة النبوية باب ما جاء فى نسبه صلى الله عليه وسلم وبعض اسمائه صلى الله عليه وسلم .
(٥) مسلم ، كتاب الفضائل باب اسماء النبى صلى الله عليه وسلم .
(٦) يدعى المتنبى القاديانى الكاذب بانه ظل للنبى صلى الله عليه وسلم وبروز له .

وهذا الحديث ايضا قد رواه الشيخان (١) والترمذى (٢) والموطأ (٣) والحاكم (٤) . ولهذا لايمكن لاحد ان يصرف النظر عنه بقول من اقاويله الباطلة .

ثالثا : وعن سعد بن وقاص رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه " انت منى بمنزلة هارون من موسى عليه السلام الا انه لانبى بعدى . (٥)

وهذا الحديث الشريف رواه الشيخان (٦) واحمد (٧) وابوداؤد الطيالسى (٨) وهذا مايدل على كون هذا الحديث الشريف صحيحا . وهذا الحديث الشريف ايضا صريح فى مفهومه ويساعدنا فى فهم المراد الصحيح لقوله تعالى (خاتم النبيين) . فنرى هنا ان النبى - صلى الله عليه وسلم - اذا شبه عليا رضى الله عنه بهارون عليه السلام رأى ضروريا ان يبين بكل صراحة انه لايكون نبيا بعده وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (الا انه لا نبى بعدى) ولو كان باب النبوة مفتوحا ، ولو للنبيين المختومين كما يدعى المتنبى الكاذب لماذا لم يهتم النبى صلى الله عليه وسلم باستثنائهم من هذا النفى التام . وهذا مايدل على كون هذه التأويلات باطلة .

---

(١) البخارى : كتاب المناقب باب أسماء النبى صلى الله عليه وسلم .
(٢) الترمذى كتاب الاداب باب اسماء النبى صلى الله عليه وسلم .
(٣) الموطأ : كتاب اسماء النبى صلى الله عليه وسلم
(٤) المستدرك : كتاب التاريخ باب اسماء النبى صلى الله عليه وسلم .
(٥) مسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب على .
(٦) صحيح البخارى : كتاب المغازى باب غزوة تبوك .
(٧) مسند الامام احمد : باب مرويات سعد بن ابى وقاص .
(٨) انظر منحة المعبود فى ترتيب مسند ابى داؤد الطيالسى - كتاب مناقب الصحابة باب ماجاء فى الاشارة الى خلافة امير المؤمنين على رضى الله عنه .

وقد أورد الاستاذ المودودى فى هذا الموضوع اربعة عشر حديثا صحيحا من كتب الاحاديث المختلفة اكثرها من الشيخين والاخرى من كتب الصحاح الستة وكل واحد من هذه الاحاديث الشريفة برهان قاطع على كون تاويلات المتنبى الكاذب لقوله (خاتم النبيين) باطلة ثم يسأل الاستاذ بعد نقل هذه الاحاديث المباركة :

" فأى تفسير لقوله تعالى (وخاتم النبيين) عسى ان يكون اكثر صحة واقوى اسنادا واقطع ثبوتا واوضح دلالة من هذا ؟ ان قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – حجة فى ذاته ولكنه يزداد قوة فى الحجة اذا كان شرحا لنص من نصوص القرآن . ومن ذا عسى ان يكون اعرف بالقرآن واحق بتفسير معانيه من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يبين معنى الختم بالنبوة غير المعنى الذى بينه صلى الله عليه وسلم فنراه جديرا بالالتفات اليه فضلا عن تقبله ونعترف بصحته "(١) .

– الرد على استدلال القاديانيين من بعض الروايات :

هذا ولا يفوت الاستاذ المودودى ان يرد على ما يستدل به القاديانيون من بعض الروايات فى تاييد تاويلهم الباطل لقوله (خاتم النبيين) فهناك روايتان اللتان يستدلون بهما القاديانيون فأولاهما ما رواه مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فانى آخر الانبياء وان مسجدى آخر المساجد)(٢) .

---

(١) تفهيم القرآن جـ٤ ص ١٤٤ .

(٢) مسلم – كتاب الحج – باب الصلاة بمسجد مكة والمدينة .

فاستدل القاديانيون بهذا الحديث على ان كما لا يمنع قوله صلى الله عليه وسلم (ان مسجدى آخر المساجد) من انشاء المساجد الجديدة وكذلك قوله (انى آخر الانبياء) لا يمنع ان ياتى بعده صلى الله عليه وسلم الانبياء فيتناول الاستاذ المودودى تأويلهم الباطل فيرد عليه بالادلة القوية فيبين ان السياق الذى ورد فيه هذا الحديث فى صحيح مسلم لا يسمح لهذا التاويل الباطل قط بل يتبين من الاحاديث الواردة فى السياق انه ليس فى الدنيا الا ثلاثة مساجد لها الفضل على سائر المساجد والصلاة فيها خير من الصلاة وفى غيرها فلا يجوز للناس على هذا ان يشدوا الرحال للصلاة فى اى مسجد اخر غير هذه المساجد الثلاثة وهى :

المسجد الحرام بمكة المكرمة الذى بناه ابراهيم عليه السلام والمسجد الاقصى الذى بناه سليمان عليه السلام والمسجد النبوى بالمدينة المنورة الذى بناه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم بانه لما كان آخر الانبياء عليهم السلام ولا ياتى بعده نبى اخر الى يوم القيامة فلا يبنى فى الدنيا بعده مسجد اخر تكون الصلاة فيه خيرا من الصلاة فى المساجد الاخرى ويجوز شد الرحال للصلاة فيه ".

والرواية الثانية التى يستدل بها القاديانيون هو ما نسب الى السيدة عائشة رضى الله عنها انها قالت (قولوا انه خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبى بعده) (١) . فيقولون ان هذا الحديث يؤيد تاويلهم لقوله (خاتم النبيين) فيرد الاستاذ المودودى على هذا ويقول :

" ليست معارضة الأقوال الصريحة للنبى صلى الله عليه وسلم بقول من اقوال احد الصحابة رضى الله عنه الا تماديا فى التطاول واساءة الادب مع مكانة

---

(١) السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ٥ ص ٢٠٤ .

الرسول صلى الله عليه وسلم وفضلا عن هذا فليست الرواية التى ينقلون فيها هذا القول عن عائشة رضى الله عنها بحجة فى نفسها وذلك لان لم يروها محدث ثقة فى اى كتاب موثق من كتب الحديث وقد روى فى احد التفاسير (الدر المنثور فى التفسير بالمأثور) .

ولا يعلم احد باسانيدها فهل يجدر بنا ان هذه الرواية الضعيفة والتى هى محض قول صحابية من الصحابة رضوان الله عليهم تذكر امام تلك الاحاديث النبوية الصحيحة التى رواها المحدثون باسانيد صحيحة" (١) .

وبهذا يرد الاستاذ المودودى على الادلة التى يأتى بها القاديانيون فى تأييد تاويلاتهم الباطلة لقوله (خاتم النبيين) ويثبت بالادلة القوية بان الروايتين اللتين ياتى بها القاديانيون فى تأييدهم كلتاهما لا يمكن استخدامهما لتحقيق هذا الهدف وذلك لان احداهما ضعيفة او موضوعة لا يجدر ذكرها امام الاحاديث الصحيحة واما الرواية الثانية فالسياق الذى هى وردت فيه لا يسمح للمفهوم الذى يستنبط منها القاديانيون وهكذا لا يترك الاستاذ لهم سبيلا لاستخدام الاحاديث النبوية لتحقيق اهدافهم الشنيعة .

_ الاستشهاد من اجماع الامة :

وبعد ما ينتهى الاستاذ المودودى من ذكر الادلة من القرآن والسنة واللغة على كون تاويلات المتنبى الكاذب باطلة يذكر اجماع الامة فى هذا الموضوع من عهد الصحابة رضوان الله عليهم الى يومنا هذا وذلك لان اجماع الامة يكون المصدر الثالث الاساسى للتشريع الاسلامى بعد الكتاب

---

(١) انظر تفهيم القرآن ج ٤ ص : ١٤٤ .

والسنة ويعتبر احد المصادر الاساسية للتفسير ،والتفسير للاية الذى يثبت من الاجماع اذن يعتبر تفسيرا صحيحا ويكون فى مكانته بعد التفسير بالقرآن والسنة .

وفى هذا الصدد يبدأ الاستاذ المودودى أدلته بذكر اجماع الصحابة رضى الله عنهم على كون النبى صلى الله عليه وسلم (خاتم النبيين) بمعنى " اخر النبيين " عليهم السلام وذلك من اجماعهم على كون المتنبيين كلهم كذابين وعلى راسهم المتنبى مسيلمة الذى لم يقم بدعوى النبوة المستقلة بل كان يدعى بكونه شريكا فى نبوة النبى صلى الله عليه وسلم اواذا كلمنا فى اصطلاح المتنبى القاديانى الكاذب كان يدعى بكونه مختوما بختم النبى صلى الله عليه وسلم ولكن مع ذلك قد اجتمع الصحابة رضوا لله عنهم على كونه كاذبا فى هذه الدعوى وخرجوا لقتال مسيلمة واتباعه وقاتلوا معهم واذا اسروا استعبدوا رجالهم وسبيت نساءهم (١) ولعله لا يوجد على اجماع الصحابة مثال اكثر صراحة من ذلك (٢) .

ويواصل الاستاذ حديثه ببيان اجماع الامة على كون المراد من (خاتم النبيين) (اخر النبيين) ويذكر اجماع الائمة والفقهاء والمحدثين والعلماء على هذا المعنى للاية الكريمة وينقل اقوال اكثر من عشرين من هؤلاء الائمة والفقهاء والمحدثين والعلماء الكبار وذلك من القرن الاول من الهجرة الى نهاية القرن الثالث عشر من الهجرة ومنهم الامام : ابوحنيفة (المتوفى عام ١٥٠هـ) الذى يقول : (من طلب من المتنبى علامة فقد كفر لقوله عليه السلام " لا نبى بعدى ") (٣) ومنهم العلامة ابن جرير

---

(١) انظر ابن كثير: البداية والنهاية جـ٦ ص ٣٢٣ــ٣٢٦ .

(٢) انظر تفهيم القرآن جـ٤ ص ١٤٥ .

(٣) انظر ابن احمد المكى : مناقب الامام الاعظم جـ١ ص ١٦١ .

الطبرى (المتوفى ٣١٠ هـ) [١] ومنهم الامام الطحاوى المتوفى (٣٢١) [٢] ومنهم العلامة ابن حزم الاندلسى (المتوفى ٤٥٦هـ) [٣] ومنهم الامام الغزالى (المتوفى ٥٠٥ هـ) [٤] ومنهم محى السنة البغوى (المتوفى ٥١٦) [٥] ، ومنهم الزمخشرى (متوفى ٥٣٨) [٦] ، ومنهم الامام الرازى [٧] ، (المتوفى ٦٠٦ هـ) ومنهم البيضاوى [٨] (المتوفى ٦٨٥) ومنهم ابن كثير [٩] (المتوفى ٧٧٤هـ) ومنهم السيوطى [١٠] (المتوفى ٩١١هـ) ومنهم الامام الشوكانى المتوفى عام ١٢٥٥ هـ [١١] ومنهم العلامة الالوسى المتوفى عام ١٢٧٠ هـ) [١٢] وما الى ذلك من الائمة الكبار والفقهاء والمحدثين والمفسرين رحمهم الله اجمعين .

وبعد ما يذكر الاستاذ المودودى اقوال هؤلاء الائمة الكبار والفقهاء والمحدثين والمفسرين فى كون المراد من (خاتم النبيين) "آخر النبيين" يقول فى تعليقه كالاتى :

" ومما يثبت بهذه الاقوال قطعا ان العالم الاسلامى منذ القرن الاول الى يومنا هذا مازال يرى معنى (خاتم النبيين) اخرهم الذى لا نبى بعده ، وانه مازال المسلمون مجمعين على العقيدة بان باب النبوة مغلق الى ابد الاباد

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٢٢ ص ١٢ .
(٢) انظر شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ص : ٨٢ .
(٣) انظر المحلى جـ١ ص ٢٦ .
(٤) انظر الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١١٤ .
(٥) انظر معالم التنزيل جـ ٥ ص ٢٦٥ .
(٦) انظر تفسير الكشاف جـ٢ ص ٢١٥ .
(٧) انظر التفسير الكبير جـ٢٥ ص ٢١٥ .
(٨) انظر تفسير البيضاوى جـ ٢ ص : ٤٢٤ .
(٩) انظر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٤٩٣ .
(١٠) انظر تفسير الجلالين ص ٣٥٤ .

(١١) فتح القدير جـ٤ ص ٢٨٥ .
(١٢) روح المعانى جـ٢٢ ص ٣٢-٣٩ .

بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا يختلف اثنان منهم قط في ان كل ما قام بدعوى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم او صدقه في دعوته وآمن بنبوته الكاذبة هو كافر خارج من دائرة الاسلام (1) .

— البراهين العقلية :

وبعد ما يذكر الاستاذ المودودي هذه الادلة من القرآن والسنة واللغة والاجماع على كون المراد من (خاتم النبيين) "اخر النبيين يأتي بعدة من البراهين العقلية القوية في تاييد كون النبي صلى الله عليه وسلم (خاتم النبيين) في معنى آخر النبيين ومنها :

أولا : " أن مسألة النبوة مسألة هامة ودقيقة جدا ، وهي في نظر القرآن احدى عقائد الاسلام الاساسية التي يتوقف على الايمان اوعدم الايمان بها اسلام المرء وكفره فان كذب نبيا حقيقيا فهو كافر وان صدق وآمن بمتنبي كاذب فهو كافر ، فلذلك لا يرجى من الله عدم الوضوح في مثل هذا الامر الخطير ، فهو لو كان مرسلا احدا بعد محمد صلى الله عليه وسلم لصرح به بكلمات واضحة في كتابه ولاعلن هذا عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلانا واضحا ، ولم يغادر صلى الله عليه وسلم دار الفناء الا ان يخبر أمته بكل الصراحة ان آمنوا بمن يأتي بعده من الانبياء " (2) . والحقيقة ان دليل الاستاذ المودودي هذا دليل قوي جدا والايمان بالنبوة من عقائد الاسلام الاساسية فكان من متطلبات هذه العقيدة الهامة ان يبين الله سبحانه بكل صراحة هل ياتي بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي أم لا ، فكان لاهمية هذه العقيدة البالغة بان الله سبحانه اخبر عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل بكل وضوح و صراحة كما يشير اليه قوله

---

(١) تفهيم القرآن جـ٤ ص ١٥١ .

(٢) المرجع السابق جـ٤ ص ١٥١ .

سبحانه (واذ قال عيسى ابن مريم يبنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) (١)، ومع أن التوراة والانجيل قد قام اليهود والنصارى بعديد من التحريفات في كليهما ولكننا حتى الآن نجد فيهما مايدل على ذلك فورد في التوراة على لسان سيدنا موسى عليه السلام (يقيم لك الرب الهك نبيا من بينكم من اخوتك مثلى له تسمعون) (٢) وهكذا ورد في الانجيل على لسان سيدنا عيسى عليه السلام (لا أكلمكم ايضا كلاما كثيرا لان رئيس هذا العالم يأتى وليس له في شيء) (٣).

فيتبين من هذا بأن الله سبحانه كلما بعث نبيا راى ضروريا ان يخبره بانه سيبعث نبيا اخرا بعده ، وذلك لكي تؤمن امة هذا النبي بالنبي الجديد اذا بعثه الله فكيف اذن بان الله لم يهتم بهذه السنة في القرآن ولماذا لم يخبرنا عن مجيء اى نبى جديد اذا كان باب النبوة مفتوحا كما يقول المتنبى الكاذب وهكذا لماذا لم يخبرنا النبى صلى الله عليه وسلم عن بعثة اى نبى اخر حتى مختوما بخاتمه صلى الله عليه وسلم أو ظليا او بروزيا كما يدعى المتنبى القاديانى بل على العكس ، نرى بان الله قد انزل في القرآن مايدل صراحة على كونه صلى الله عليه وسلم آخر النبيين . وهكذا كما ذكرنا انفا ان هناك كثير من الاحاديث النبوية الصحيحة التى تدل بكل صراحة بان النبى صلى الله عليه وسلم كان آخر النبيين ولن يأتى بعده نبى ولا رسول قط ، فيتبين من هذا أن باب النبوة قد غلق بعده صلى الله عليه وسلم قطعيا ، فيثبت من هذا ان النبى صلى الله عليه وسلم (خاتم النبيين) بمعنى اخر النبيين

---

(١) الصف : ٦ .

(٢) الكتاب المقدس ـ سفر تثنية الاشتراع ـ الفصل الثامن عشر الفقرة رقم ١٥ .

(٣) الكتاب المقدس : انجيل القديس يوحنا الفصل الرابع عشر ـ الفقرة رقم ٣٠ .

ولا يأتي بعده نبي ولا رسول ولا مختوما بخاتمه صلى الله عليه وسلم ، ولا ظليا ولا بروزيا كما يدعي القادياني الكاذب.

ثانيا : هل الانسانية في حاجة الى نبي جديد ؟ :

ومن البراهين العقلية الاخرى التي جاء بها الاستاذ المودودي في هذا الصدد هو ان البشرية ليست في حاجة الى نبي جديد وذلك لان الله سبحانه كما يتبين من القرآن لم يبعث نبيا الا اذا كانت حاجة لبعثته ،والسؤال اذن " هل الانسانية في حاجة لنبي جديد بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،وهذا السؤال سؤال هام جدا وذلك لان اذا كانت هناك اية حاجة لبعثة نبي جديد بعد النبي صلى الله عليه وسلم فمن لابد ان يبعث الله نبيا جديدا واذا لم تكن هناك اية حاجة ،ولماذا اذن سيبعث الله نبيا بعده صلى الله عليه وسلم ،وفي هذا الصدد يرى الاستاذ المودودي في ضوء القرآن بأن الله لم يبعث نبيا الا لتحقيق احد من الاهداف الاتية :

اولا : تقتضي الضرورة لبعثة نبي الى قوم من الاقوام اذا كان لم يبعث فيهم نبي من قبل ولم تصلهم دعوة نبي آخر بعث في القوم الآخر.

ثانيا : اذا كانت دعوة النبي السابق قد نسيت او حرفت او لم يكن اتباعها ممكنا .

ثالثا : اذا كان الناس لم يتلقوا الهداية والتعاليم كاملة عن طريق النبي السابق فيقتضي اكمال الدين مزيدا من الانبياء .

رابعا : اذا اقتضت الحاجة بعث نبي ليساعد نبيا آخرا "(١) .

ثم يتناول الاستاذ المودودي هذه الاسباب لبعثة النبي الجديد واحدة تلو اخرى ،فيثبت بالادلة القطعية انه ليست هناك اية حاجة

---

(١) تفهيم القرآن جـ٤ ص ١٥٢ .

لبعثة النبى الجديد بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول :" ومن البين الواضح انه لم تبق أية ضرورة من هذه الضرورات الاربع بعد محمد صلى الله عليه وسلم :

فاما الضرورة الاولى : فالقرآن نفسه يقول انه صلى الله عليه وسلم بعث لهداية الناس أجمعين (١) وتاريخ العالم الحضارى يثبت ان الظروف والحالات مازالت تتتابع منذ بعثته صلى الله عليه وسلم بحيث امكن لدعوته الوصول الى كل أمم وشعوب ويمكن ان تصل فى كل وقت فلم تعد بعد ذلك اية حاجة لبعث أنبياء لكل قوم على حدة .

وأما الضرورة الثانية : فيشهد القرآن وكل تراث الحديث والسيرة على أن التعليم الذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم محفوظ تام الحفظ في صورتها الصحيحة فلم يقع فيها اى مسخ ولا تحريف ولم ينقص من الكتاب الذى جاء به صلى الله عليه وسلم او يزد عليه حرف واحد حتى يومنا هذا وليس من الممكن ان يحدث فيه اى تحريف الى يوم القيامة (٢) ، وهكذا التعاليم القيمة التى لقنها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله نجد آثارها حتى اليوم حية مصونة كأننا امام شخصه صلى الله عليه وسلم وفى عصره وفى زمانه فبذلك انتهت الضرورة الثانية ايضا .

وأما الضرورة الثالثة : فيصرح القرآن فى وضوح وجلاء ان الدين قد اكتمل عن طريقه صلى الله عليه وسلم (٣) فلا حاجة اذن لنبى اخر ليكمل الدين ويتم الشريعة .

---

(١) يقول الله سبحانه (قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) سورة الاعراف ـ ١٥٨ .
(٢) يقول سبحانه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) الحجر ـ ٩ .
(٣) يقول سبحانه (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) المائدة : ٣ .

واما الضرورة الرابعة : فان كان لابد من بعثة النبي مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتأييده وتصديقه لبعث معه في عصره ، فان هذه الضرورة بالطبع سقطت وبطلت ".(١) .

وبهذا يتمكن الاستاذ المودودى من الثبوت بالادلة القطعية بأنه ليست هناك اية حاجة للبشرية لبعثة النبي الجديد بعد محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان الاسباب التي تقضي لبعثة نبي في قوم من الاقوام قد انتهت كلها ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيتبين من هذا ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (خاتم النبيين) بمعنى آخر النبيين ، ولن يأتي بعده نبي ولا رسول لامختوما بخاتمه صلى الله عليه وسلم ، ولا بروزيا ولا ظليا كما يدعي المتنبي الكاذب القاديانى .

فيتضح مما أسلفنا ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة يهتم بصفة خاصة بالرد على التأويلات الباطلة التي جاء بها القاديانيون في تأييد انكارهم لعقيدة ختم النبوة ، ويتناول ادلتهم الباطلة في هذا الصدد ويبين مستدلا من سياق الآية الكريمة واشهر الكتب في اللغة العربية والاحاديث النبوية الشريفة واجماع الامة من القرن الاول من الهجرة الى نهاية القرن الثالث عشر من الهجرة والبراهين العقلية القاطعة ان هذه الادلة باطلة واهية ليس لها أى أساس علمي ولا عقلي وان النبي صلى الله عليه وسلم (خاتم النبيين) بمعنى آخر النبيين وان باب النبوة مغلق بصفة كاملة ودائمة ولا يمكن ان ياتي بعده صلى الله عليه وسلم نبي جديد حتى مختوما او ظليا او بروزيا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى هذا ما يدل على امعان نظر الاستاذ المودودى في الدين وكثرة مطالعته وسعة فكره وشدة ولائه لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وحماسه للدفاع عن الاسلام فجزاه الله خير الجزاء عن الاسلام والمسلمين .

---

(١) تفهيم القرآن جـ٤ ص ١٥٣ .

الرد على التأويلات الباطلة لمنكرى السنة

كما فصلنا القول فى هذه الرسالة أن حركة انكار السنة النبوية هى احدى الحركات الهدامة التى أنشئت فى شبه القارة الهندية تحت رعاية الاستعمار الغاشم الانجليزى لتحقيق أهدافه الشنيعة وذلك نتيجة للعبودية الفكرية التى وقع فيها كثير من المثقفين الجدد بعد استيلاء الحضارة الغربية اللادينية التى جاء بها الاستعمار الانجليزى ،فكان لخضوعهم الكامل أمام هذه الحضارة المستوردة انهم جعلوا كل ماجاءت به هذه الحضارة من العلوم والفلسفات المادية مقياسا للقبول والرد فى دينهم ، فقاموا بتأويل الآيات القرآنية حسب ذلك المقياس الجديد . ولكنهم لما رأوا أن ماثبت عن المعصوم عليه الاسلام فى تفسير هذه الآيات لا يسمح لهم ان يأتوا بهذه التأويلات الباطلة ، قاموا بانكار مكانة السنة فى التفسير والتشريع ، فبدأوا يفسرون القرآن حسب مقياسهم الجديد ، فأول من قام بهذا النوع من التفسير هو السيد احمد خان الشهير ،مؤسس كلية (عليكره) فيقول الاستاذ ابوالحسن على الندوى عن ذلك التفسير بانه اصبح "تاويلا يبلغ به حد التحريف والعبث باصول العربية واللغة والنحو ،والتواتر والاجماع" (١) .

وجملة القول ان السيد احمد خان فى تفسيره (تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان) يقوم بانكار كل مالا يثبته الحس والتجربة (٢) ، ويرفض عن وجود الجن

---

(١) انظر للتفصيل الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية للاستاذ ابى الحسن الندوى ص ٧١ .

(٢) انظر السيد احمد خان ــ مقالات ج ٢ ص : ٢٠٧ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٩٧ - ٢٥٨ .

والملائكة والشيطان ، والمعجزات وكثير من المبادىء الدينية الاخرى (١) ويأتى بالتأويلات العجيبة لهذه الالفاظ القرآنية . فمثلا يقول عن الجن أن المراد منه هو من يسكن في الغابة والصحراء(١) . ويقول عن الملائكة ان المراد منها القوى المدبرة للعالم (٢) وفي الجملة على هذا النوع كانت تاويلاته الاخرى لالفاظ القرآن واياته . ولما كانت السنة لم تكن تسمح لهذا النوع من التأويلات الباطلة قام بانكارها وقال : " مادون في هذه الكتب من الاحاديث انما هي الفاظ للرواة لا نعرف مابين اللفظ الاصلي الصادر من شفتيه عليه السلام ـ والمعبر به من وفاق أوخلاف " (٣) .

وكان لنفس العبودية الفكرية امام الحضارة الغربية أن زميله جراغ على(٤) قام بتأويل الجهاد في سبيل الله " ببذل الوسع في تحقيق الهدف وانكر عن كونه قتالا مع أعداء الدين (٥) . ثم بعد وفاة السيد احمد خان تحولت هذه الفكرة الى حركة مستقلة قادها مولوى عبد الله الجكرالوى (٦) ثم خواجه

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١٥٠ ـ ١٩٦ .

(٢) انظر المرجع السابق جـ١ ص ١٢٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٤) هو جراغ على بن محمد (١٨٤٤ ـ ١٨٩٥) أحد أعضاء حركة عليكرة البارزين . وله عديد من كتب اشهرها " تحقيق الجهاد " الذى يقول فيه ان المراد من الجهاد هو بذل السعى لتحقيق الهدف ولا يشمله القتال .

(٥) جراغ على ـ تحقيق الجهاد ص ٢ .

(٦) هو عبد الله بن عبد الله الجكرالوى (المتوفى ١٩١٤ الميلادى) ولد في جكراله بمقاطعة ميانوالى باقليم بنجاب (باكستان) وتلقى دروسه على يد المحدث الشهير نذير حسين الدهلوى ثم اصبح منكرا للسنة النبوية ، وله عديد من الكتب التي ألفها في تأييد مذهبه .

أحمد الدين الامرتسري (١) ثم الحافظ محمد اسلم الجيراجيوري (٢) والتي يقودها الان الشودري غلام أحمد برويز (٣) .

وبعد انكارهم لكون السنة النبوية احد مصادر اساسية لتفسير القرآن الكريم بدأوا يفسرون القرآن الكريم حسب أفكارهم الخاضعة للعلوم والفلسفات المادية الجاهلية التي جاءت بها الحضارة الحديثة . ولما لم يكن هناك مقياسا آخرا لتفسيرهم هذا ، جعل كل واحد منهم آراءه واهواءه مقياسا له ، فلذا نراهم يختلفون فيما بينهم في بعض التاويلات للآيات القرآنية ويوافقون فيما بينهم في بعض التأويلات الاخرى .

---

(١) هو خواجه أحمد الدين بن الخواجه ميان محمد الامرتسري (١٨٦١-١٩٣٦) ولد في مدينة امرتسر باقليم بنجاب (الهند) وتلقى دراسته الابتدائية في المدرسة التبشيرية بامرتسر . ثم أخذ ثانويته من الثانوية الاسلامية بامرتسر، ثم اشتغل بالتدريس وقام بالدعوة الى انكار السنة النبوية وله عديد من الكتب التي الفها في تاييد مذهبه .

(٢) هو الحافظ محمد اسلم الجيراجيوري بن علامة سلامة الله الجهوبالي (١٨٨٠ - ١٩٥٥م) كان احد دعاة البارزين الى الانكار للسنة النبوية وله عدد غير قليل من الكتب التي ألفها لنشر مذهبه .

(٣) هو غلام احمد برويز بن فضل الدين (المولود عام ١٩٠٣م) ولد في مدينة بتالة باقليم بنجاب بالهند تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في المدارس الرسمية ثم اشتغل موظفا في الدوائر الحكومية المختلفة حتى اصبح موظفا كبيرا بعد استقلال جمهورية باكستان الاسلامية فاصدر مجلة " طلوع الاسلام " الشهرية للدعوة الى انكار السنة النبوية وله عدد غير قليل من الكتب التي ألفها في تأييد مذهبه .

فمثلا منهم من يقول ان عدد الصلوات اليومية هو خمسة ، ومنهم من يقول ثلاثة ومنهم من يقول انه اثنان كما أن منهم من يقول أن المراد من اقامة الصلاة هو اقامة نظام الربوبية (١) ولكن مع هذه الخلافات فيما بينهم ، نرى اكثرهم يتفقون فيما بينهم في اكثر الامور ومنها انكارهم لكون السنة المصدر الثاني للتشريع وانكارهم للمعجزات على ايدي الانبياء عليهم السلام ، وتفسيرهم لقطع يد السارق بكسر شوكته بالسجن او بالغرامة ، وتأويلهم للجن بسكان البادية ، وتفسيرهم للزكاة باستثمار الاموال في المشاريع الانمائية ، وانكارهم عن وجود الجنة والنار ، وانكارهم عن الاسراء النبوي ، وانكارهم لاباحة الاسترقاق في الاسلام ، وتفسيرهم للنظام الاقتصادي الاسلامي باشتراكية الاموال واعطاءهم بيد السلطة الحاكمة (اومركز الملة كما يسمونها) ، الحق المطلق لتفسير الاحكام القرآنية وتشريع القوانين الاسلامية (٢) . وهكذا كثير من التأويلات الباطلة للآيات القرآنية الواردة في العقائد والاحكام والنظام الاجتماعي الاسلامي .

وجدير بالذكر ان المثقفين الجدد ولاسيما اكثر الحكام والاداريين المتفرنجين الذين استولوا على الحكم بعد استقلال جمهورية باكستان الاسلامية قد انتشرت فيهم دعوة منكري السنة انتشارا عظيما وذلك لكونها مطابقة لاهوائهم الشخصية ولاسيما فترة حكم الدكتاتور ايوب خان ، كانت فترة خصبة لانتشار هذه الدعوة فقامت الحكومة بتأسيس " مجمع البحوث الاسلامية " باسلام آباد لتحقيق هذا الهدف وعين الدكتور فضل الرحمن ، احد الدعاة البارزين لانكار السنة رئيسا للمجمع كما كان اكثر اعضائه من منكري السنة أيضا .

---

(١) انظر خادم حسين ـ فرقة اهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها ، ص ٢٢٦ـ٢٤٢ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٥٠ـ١٥٦ .

وقد اهتم علماء الحق بالرد على تأويلات منكري السنة الباطلة منذ بدايـــة عهدها ، بل اتفق اكثرهم على كون منكري السنة غير مسلمين . وذلك لان الاسلام الذى جاء به هؤلاء الناس بعد تأويلاتهم الباطلة كان يختلف عن الاسلام الحقيقى فى أسسه وفروعه بكثير فكان من واجب العلماء أن يبينوا هذا الفرق بكل صراحة .

واعتنى الاستاذ المودودى بالرد على التأويلات الباطلة لمنكرى السنـــة بصفة خاصة وذلك بالادلة من القرآن الكريم والبراهين العقلية القاطعة ، فنـــرى اهتمامه هذا فى مجلته وتاليفاته ومحاضراته وتفسيره معا ، فهناك عديد من الكتب والبحوث تختص بهذا الموضوع مباشرة أوغير مباشرة ، واما ماكتبه الاستاذ المودودى مباشرة فمنه كتابه " القرآن والحديث " وكتابه " مكانة السنة فى التشريع " وعدد يشتمل من المقالات القيمة والردود على الاسئلة التى نشرت فى مجلته " ترجمان القـــرآن " الشهرية ، اوالتى تشملها تاليفاته " تفهيمات " أو " رسائل ومسائل " او ماكتبه فى تفسيره للايات الكريمة التى قد أولها منكرو السنة لتحقيق أهدافهم الباطلة ، وأمـــا ماكتبه الاستاذ المودودى حول هذا الموضوع غير مباشرة لانقاذ المثقفين الجـــدد من العبودية الفكرية للحضارة الحديثة المادية فى كتبه القيمة مثل " نحن والحضارة الغربية " و " الحجاب " و " الربا " و " حركة تحديد النسل " و " الاسلام ومعضلات الاقتصاد " و " الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة " و " مفاهيم اسلاميـــة حول الدين والدولة " و " تفهيمات " و " رسائل ومسائل " وعدة من البحوث والمقالات الاخرى فى هذا الموضوع . ولو اتسع لنا المجال لذكرناهنا بعض النماذج لما كتبـــه الاستاذ المودودى فى تأليفاته ردا على [illegible] الباطلة لمنكرى السنة ، ولكننا نقتصر هنا على نقل بعض النماذج لما كتبه الاستاذ فى تفسيره ردا على التأويلات الباطلـــة لمنكرى السنة النبوية .

أهمية السنة فى فهم المراد الصحيح للقرآن :

من المعلوم أن القرآن الكريم كتاب أنزله الله لهداية البشرية وهذا الكتاب فريد فى نوعه حيث أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث وعشرين سنة من حياته النبوية ، وذلك لان القرآن الكريم لا يتكلم الا عن المبادئ الاساسية للدين فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ، فأنزل الله القرآن وبعث معه النبى صلى الله عليه وسلم لكى يبينه ويفسره بقوله صلى الله عليه وسلم وعمله ، فلم يكن اذن قوله صلى الله عليه وسلم وعمله الا " تفسيرا رسميا " لما أنزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ، فلا يمكن الوصول الى المراد الصحيح لما انزل الله الا بهذا التفسير فكيف يتمكن الانسان من تفسيره ، اذن بدون الاعتناء بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وتقريرا . فهذا ما يتبين منه مكانة السنة واهميتها للتفسير ، كما يتضح منه بطلان موقف منكرى السنة ، فالاستاذ المودودى يتناول هذا الموضوع فى مقدمة تفسيره للقرآن فيقول :

" فوظيفة القرآن الرئيسية أن يقدم فوائد خلقية وعقلية واضحة للطريق الاسلامى ويدعمها بالبراهين العقلية أحيانا ، وباثارة العواطف احيانا اخرى ، وهو قد خط الحدود الرئيسية لكل شعبة فى الحياة دون اعطاء لوائح اوقواعد تفصيلية بقدر ما يلزم الجانب العملى لبناء منهج الحياة الاسلامى الى جانب انه يضع فى أماكن هامة معينة معالم للهداية ليبين لنا أهمية اقامة شئون الحياة الاجتماعية المختلفة وفقا لهدايته ورضائه ، وقد أسند البناء العملى الفعلى لمنهج الحياة الاسلامى حسب التعليمات التى يحويها الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم الذى بعثه الله خاصة لينشئ النموذج المثالى لحياة الفرد والدولة ، وفقا للمبادئ الاساسية التى جاء بها القرآن الكريم " (١) .

---

(١) انظر تفهيم القرآن جـ١ ص ٣٧ .

فيتبين من هذا أن الهدف الذى بعث الله النبى لاجله هو لم يكن الا بيان المراد الصحيح للقرآن بقوله وعمله وتقريره فلا يمكن للانسان أن يتمكن من فهم القرآن أوتفهيمه وتفسيره الا بالاحتجاج بالسنة النبوية ويؤيد الاستاذ موقفه هذا بضرب مثال يجدربنا أن نذكره هنا فيقول : " ان الله تعالى لم يرسل الكتاب فحسب بل بعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين للناس تعاليمه ، ويشرح لهم مبادئه بممارستها فى الواقع العملى وتقريبا للذهن أضرب مثلا بالمهندس ، فلو وضع رسم المبنى المقترح دون تعيين مهندس للاشراف على انشائها ، فلابد من اعداد كل دقيقة من دقائق رسمه وكل تفصيل من تفاصيل خطته ، أما اذا عين مع الرسم مهندس لانشاء المبنى على الفور ، فبالطبع لا تكون هناك اية حاجة الى خطة تحوى أدق التفاصيل ، بل يكفى آنئذ وجود الخطوط الاساسية للرسم وملامحه الرئيسية (١) .

وهكذا يثبت الاستاذ المودودى بالادلة القوية أن فهم المراد الصحيح للقرآن الكريم وتفهيمه اوتفسيره لا يمكن الا بالاحتجاج بالسنة النبوية . واهم هذه الادلة واقواها هو ان القرآن لم تذكر فيه الا الاصول والمبادىء للاحكام والتعليمات الاسلامية فى دوائر الحياة المختلفة ، واما التفصيلات العملية لهذه الاحكام والتعليمات فلا نراها فى القرآن الكريم الا قليلا ، وذلك لان الله لم ينزل الكتاب فحسب ، بل بعث معه نبيه صلى الله عليه وسلم ايضا ،لكى يبين المراد الصحيح لما أنزل الله عليه صلى الله عليه وسلم بتطبيقه عملا بعمله صلى الله عليه وسلم أو بشرحه شرحا مفصلا بقوله عليه السلام " ولو تكلمنا بالاصطلاحات الحديثة لقلنا ان هذا ما يجعل تفسيره صلى الله عليه وسلم للقرآن " تفسيرا رسميا " من الله

---

(١) انظر تفهيم القرآن جـ ١ ص ٢٧ .

عز وجل ، وهذا ما يدل عليه كثير من الايات القرآنية منها (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) (١) . ومنها قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) (٢) وعدة من الايات الكريمة الاخرى . فيتبين من هذا أن القرآن الكريم لا يمكن التمكن من تفسيره الصحيح الا بالاحتجاج بالسنة النبوية . ولولا هذا وكانت وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم تبليغ ما أنزل عليه السلام فحسب كما يظن منكروا السنة ، لم يقتصر القرآن على بيان الاصول والمبادئ للدين ، بل قد بين الاحكام والتعليمات كلها بالتفصيل ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى ، لم ينزله الله سبحانه وتعالى متفرقا خلال ثلاثة وعشرين عاما ، بل قد أنزله على نبيه عليه السلام مرة واحدة .

فيمكننا أن نستنتج من هذا ان الاهتمام بتفسير القرآن بدون الاعتناء بالسنة لا يؤيده القرآن ، ولا العقل السليم ، فلا تكون نتيجته الا استخدام القرآن للاهواء الشخصية .

ـ النتائج اللازمة لانكار السنة : ومن مقتضيات انكار السنة ولوازمه أن الله بعث نبيه عليه السلام عبثا ، وذلك لانه اذا لم تكن هناك أية حاجة للاحتجاج بقوله وعمله صلى الله عليه وسلم لفهم القرآن الكريم اوتفهيمه فلماذا بعثه الله اذن ، فان كان الهدف تبليغ الكتاب فحسب ، كما يقول منكروا السنة ، فكان من الممكن تحقيق هذا الهدف باى طريق آخر ، من تنزيل الكتاب عن طريق الملائكة مثلا او من تنزيل الكتاب مباشرة على كل انسان . ولم تكن هناك اية حاجة لبعثه صلى الله عليه وسلم لتبليغ الكتاب فحسب ، واذا كان اعتقادهم بان الله قد بعثه صلى الله عليه وسلم لبيان المراد الصحيح للقرآن بقوله وفعله ، ولكن السنة غير موجودة الان في حالتها الصحيحة ، فيكون من متطلبات عقيدتهم هذه ان يبعث

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٢) سورة النجم الآية ٣ — ٤ .

الله نبيا آخرالبيين لنا ماهوالمراد الصحيح للقرآن . فهذا مايقتضى انكار ختم النبوة ، فالاستاذ المودودى يشير الى هذه المتطلبات اللازمة لانكار ختم النبوة خلال تفسيره لقوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر ، وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون) (١) . فيقول : " فيبين الله هنا الحكمة التى اقتضت ان يبعث الله رسوله من الانس فكان من الممكن ان ينزل الله " الذكر " عن طريق الملائكة اوينزله على كل انسان مباشرة ولكن تنزيل الذكر من هذا الطريق اوذاك لم يحقق الهدف الذى اقتضت حكمته ورحمته تنزيله لاجله فكان من الضرورى أن يأتى به انسان من بينهم ويقدمه امامهم شيئا فشيئا حسب مقتضيات الظروف ، ويبين لهم بقوله وعمله المراد الصحيح لما أنزل الله عليه ، ويرد على الشبهات والاسئلة الواردة ويقوم بمقاومة المخالفات والتحديات وذلك بالطريق الذى يليق بمكانته ، وأما الذين يؤمنون " بالذكر " يبين لهم المراد الصحيح منه بقوله وعمله ، وهكذا يتمكن من انشاء المجتمع الذى يقوم على الاصول والمبادىء التى جاء بها " الذكر " (١) .

وبعد مايبين الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة ان من متطلبات بعثة النبى صلى الله عليه وسلم الاساسية هو بيان المراد الصحيح لما انزل الله علية بقوله وفعله صلى الله عليه وسلم ، وبالتالى يبين اهمية السنة النبوية لفهم المراد الصحيح للقرآن الكريم وتفهيمه ثم يعتنى بمناقشة موقف منكرى السنة فيقول :

" والحقيقة ان هذه الاية الكريمة حجة قاطعة على كل من ينكر عن كون الانسان نبيا كما هى حجة قاطعة على منكرى السنة الذين يقتصرون على "الذكر" بدون الاعتناء بما يثبت منه صلى الله عليه وسلم فى تفسيره من قوله او فعله صلى الله عليه

---

(١) تفهيم القرآن جـ٢ ص ٥٤٣ — ٥٤٤ .

وسلم سواء كان هذا الانكار بالدليل بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد اقتصر على ابلاغ "الذكر" بدون تبيين أو تفسير له ، أو بالدليل بان يكتفى لنا الذكر واما تفسيره عن النبى صلى الله عليه وسلم فلسنا بحاجة اليه او بالدليل بانه لم يبق فى حالته الصحيحة الا "الذكر" واما تفسيره أو شرحه بقوله عليه السلام او عمله فليس باقيا على حالته الصحيحة فلا يفيدنا فى فهم القرآن أو تفهيمه "(١) .

ثم يأخذ الاستاذ المودودى هذه الادلة واحدة تلو أخرى فيرد عليها بالبراهين العقلية القوية فيقول : وأما دليلهم الاول فمن متطلباته اللازمة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتمكن من تحقيق الهدف الذى أنزل الله "الذكر" عليه صلى الله عليه وسلم من أجله بدلا من أن يبعث به ملكا او ينزله على كل انسان مباشرة .

وأما دليلهم الثانى : فمن مقتضياته اللازمة أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله وذلك لانه اذا كانت نتيجة تنزيل القرآن عليه صلى الله عليه وسلم ونتيجة تنزيل القرآن على كل انسان مباشرة سواء فيافائدة بعثته صلى الله عليه وسلم أو تنزيل القرآن الكريم عليه صلى الله عليه وسلم اذن .

وأما دليلهم ان تفسير النبى صلى الله عليه وسلم للقرآن ليس موجودا فى حالته الصحيحة فهذا مايؤيد موقف منكرى ختم النبوة ، وذلك لان الله لم يرسل رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما يتبين من هذه الآية الكريمة الا لتبيين "الذكر"

---

(١) المرجع السابق .

وتفسيره . فاذا قلنا ان هذا التفسير ليس موجودا فى حالته الصحيحة فلم يكن المراد منه الا :

اولا : ان رسالته صلى الله عليه وسلم لم تبق فى حالتها الصحية لكى نتبعها فيكون ايماننا به صلى الله عليه وسلم كايماننا بسيدنا هود وصالح وشعيب عليهم السلام فنحن نؤمن بهم ولكن لا نتبعهم وهذا ما يقتضى بعثة النبى الجديد .

وثانيا : ان القرآن بدون التبيين والتفسير من النبى صلى الله عليه وسلم ليس بكاف لهدايتنا كما يتبين من هذه الآية الكريمة فهذا ما يقتضى تنزيل كتاب جديد لهدايتنا ، قاتلهم الله الى اين يؤديهم انكارهم للسنة النبوية صلى الله عليه وسلم" (١) .

فنرى هنا ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة يبين فى أول امره ان الهدف الذى بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم لاجله هو تبيين القرآن وتفسيره بقوله وفعله ثم يبين الاستاذ كيف قام النبى صلى الله عليه وسلم بأداء هذه المهمة الجليلة ثم يذكر الاستاذ الادلة التى يتذرع بها منكروا السنة ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن وظيفته صلى الله عليه وسلم الا ابلاغ ما انزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ، واما تفسيره بقوله وعمله فهو ليس من مهمته صلى الله عليه وسلم ، ومنها ان قوله وعمله لبيان المراد الصحيح للقرآن لا يناسب للاتباع الان وذلك لانه صلى الله عليه وسلم يصبح انسانا عاديا كغيره بعد ابلاغ ما انزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ، ومنها ان قوله وعمله صلى الله عليه وسلم لبيان المراد الصحيح للقرآن ليس موجودا الآن . فلا يمكن لنا الاحتجاج به لفهم القران او تفهيمه .

ثم يأخذ الاستاذ هذه الادلة ويرد عليها واحدة تلو أخرى فيتمكن من الاثبات بالبراهين العقلية القوية ان هذه الادلة لا تؤيد مذهب منكرى السنة

---

(١) المرجع السابق .

قط بل على العكس تؤدى الى النتائج الخطيرة التي يستلزم منها :

اولا : كون بعثة النبى صلى الله عليه وسلم عبثا .

ثانيا : اهمال النبى صلى الله عليه وسلم فى اداء مهمته .

وثالثا : يكون انكار عقيدة ختم النبوة صحيحا وهكذا يتمكن الاستاذ المودودى من رد ادلتهم كلها عليهم وذلك بالادلة والبراهين القاطعة فلله الحمد .

_ الرد على تأويلهم الباطل لاقامة الصلوة :

كما ذكرنا آنفا فى تقديمنا لهذا المبحث ان منكرى السنة يختلفون فيما بينهم فى عدد الصلوات وكيفيتها . فيرى عبد الله الجكرالوى ان عدد الصلوات خمسة ويرى الخواجه احمد الدين ان عددها اثنان فقط كما رأى برويز ان اقامة الصلوة ليس المراد منها اقامة الصلوات الخمس كما يظن عامة المسلمين . بل المراد الحقيقى منها هو اقامة نظام الربوبية (١) . وحيث ان برويز هو اكثر اثرا ونفوذا منهم ، فيرى الاستاذ المودودى انه من الضرورى ان يرد على تاويله الباطل للركن الثانى من اركان الاسلام الخمسة الاساسية فيقول خلال تفسيره لقوله تعالى (فسبحن الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) (٢) :

" وهذه الآية الكريمة فيها اشارة واضحة الى اربعة مواقيت للصلاة وهى الفجر ، والمغرب والعصر والظهر ، والآيات الاخرى التى تشير الى مواقيت الصلاة هى كالآتى :

١ _ (واقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الفجر وقرآن الفجر) (٣)

٢ _ (واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل) (٤) .

---

(١) انظر للتفصيل خادم حسين الهى بخش _ فرقة اهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها ص ٢٢٦ _ ٢٤٢ .

(٢) الروم الآية ١٧ _ ١٨ .

(٣) بنى اسرائيل _ ٧٨ .

(٤) هود آية ١١٤ .

٣ — (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار)(١) .

فالآية الاولى تذكر فيها مواقيت الصلاة من الظهر الى العشاء ثم الفجر، وفى الآية الثانية المراد من طرفى النهار هو الفجر والمغرب ، والمراد من " زلفا " من الليل" هو العشاء وفى الآية الثالثة المراد من قبل طلوع الشمس هو الفجر ومن قبل غروب الشمس هو العصر ، وآناء الليل يشمل المغرب والعشاء ، واطراف النهار هى ثلاث . الفجر والظهر والمغرب ، فهكذا يدل القرآن على مواقيت الصلوات الخمسة التى يصلى فيها المسلمون فى العالم منذ أربعة عشر قرنا ، ولكن الحقيقة ان لو لم يعين النبى صلى الله عليه وسلم هذه المواقيت بقوله وعمله لم نتمكن من تعيينها من هذه الآيات الكريمة فحسب " (٢) .

ثم يقول الاستاذ مستمرا فى حديثه : " والان يجدر بنا ان نعتنى بما يؤلون به منكروا السنة حكم (اقامة الصلاة) فهم يستهزؤون بالمعنى المعروف لاقامة الصلاة فيقولون ان الصلاة التى يقيمها المسلمون اليوم لم يأمر بها الله قط ، بل المراد الصحيح من (اقامة الصلاة) كما يامر بها القرآن هو اقامة نظام الربوبية فالسؤال الذى نطرحه الى هؤلاء القوم هو أى نوع من نظام الربوبية هذا الذى قد أمر الله لاقامته قبل طلوع الشمس وبعد غروبها كما فى قوله تعالى (واقم الصلاة طرفى النهار)(٣) ، أو الذى لابد من اقامته يوم الجمعة لقوله تعالى (اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله)(٤) واى نوع من نظام الربوبية هذا الذى لا يمكن اقامته الا بعد غسل الانسان وجهه ويديه الى المرفقين ورجليه

---

(١) طه — ١٣٠ .
(٢) تفهيم القرآن جـ ٣ ص ٧٤ .
(٣) هود الآية ١١٤ .
(٤) الجمعة الآية ٩ .

ومسحه رأسه لقوله تعالى (اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق) (١) . ثم اى نظام الربوبية هذا الذى تقتضى اقامته للجنب ان يغتسل لقوله تعالى (لا تقربوا الصلاة . . . ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا) (٢) ثم اذا كان هو مسافرا ولم يجد الماء فلابد له ان يتيمم لاقامة هذا النظام لقوله تعالى (او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه) (٣) . واكثر عجبا لهذا النظام الربوبى ان الانسان اذا كان مسافرا فعليه ان لا يقيمه كاملا بل يكتفى باقسامته نصفا لقوله تعالى (واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) (٤) ، وهكذا تقتضى اقامة هذا النظام الربوبى العجيب ان يقيمه طائفة من المسلمين وراء الامام حيث يستمر الباقون فى القتال ، واذا سجد واهؤلاء السجدة الاولى وراء الامام يعودون الى القتال فيأتى الباقون لاقامة هذا النظام الربوبى وراء الامام لقوله تعالى (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك) (٥) .

والحقيقة ان هذه الآيات الكريمة كلها حجة قاطعة على كون المراد من اقامة الصلاة هو اقامة الصلاة بمعناها المعروف . فاما كون المراد من اقامة الصلاة هو اقامة نظام الربوبية كما يقول منكروا السنة فهذا ليس الا تحريفا صريحا فى القرآن الكريم فلا يصر على هذه المعانى لاقامة الصلاة الا من لا يخاف الله عز وجل او من لا يؤمن بكون القرآن كتاب الله ويسخر به ،ولا يتكلم عن القرآن الا لكى يخدع الناس بكلامه المعسول (٦) .

---

(١) المائدة الآية ٦
(٢) النساء الآية ٤٣
(٣) المائدة الآية ٦
(٤) النساء ــ الآية ١٠١
(٥) النساء الآية ١٠٢
(٦) تفهيم القرآن جـ ٣ ص ٧٤١ــ٧٤٢ .

فنرى هنا كيف يتمكن الاستاذ المودودى من الرد القاطع على تأويل منكرى السنة الباطل لاقامة الصلاة ويبين بالادلة القوية من القرآن الكريم ان سياق الايات الكريمة التي ورد فيها حكم اقامة الصلاة لا يسمح للتأويل الذى يأتى به منكروا السنة بل على العكس يتبين من هذه الآيات الكريمة كلها ان المراد من اقامة الصلاة ليس الا اقامة الصلاة بمعناها المعروف ، وهكذا يثبت الأستاذ المودودى بالبراهين القاطعة ان تاويل حكم اقامة الصلاة باقامة نظام الربوبية ليس الا تحريفا صريحا فى القرآن الكريم او الاستهزاء بكتاب الله العظيم . وفوق هذه الادلة القوية التى اوردها الاستاذ المودودى على كون هذا التاويل باطلا نذكر هنا دليلا آخرا على كون هذا التأويل باطلا ، وهو ان النظام الاسلامى الاجتماعى لم يهتم النبى صلى الله عليه وسلم باقامته الا بعد هجرته (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة المنورة ، ولو كان حكم اقامة الصلاة فى الآيات الكريمة النازلة بالمدينة المنورة فحسب ، لكان يمكن ان يعتنى الانسان بهذا التاويل الباطل . ولكن هناك عدة من الآيات القرآنية المكية التى ورد فيها حكم اقامة الصلاة او التى تدل على ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة المكرمة ومنها قوله تعالى (واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين)(١) وقوله تعالى (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى)(٢) فهل يسمح سياق هذه الآيات الكريمة لتأويل الصلاة بنظام الربوبية ، وهل هناك مايدل على ان الله قد أمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) لاقامة النظام الاسلامى بمكة المكرمة ؟ او مايثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم اعتنى باقامة النظام الاسلامى بمكة المكرمة ؟

---

(١) الروم الآية ٣١ .

(٢) العلق ٩-١٠ .

الرد على انكار خوارق العادة على أيدى الانبياء عليهم السلام : ومن التأويلات الباطلة التى يأتى بها منكرو السنة للآيات القرآنية تاويلاتهم الباطلة للآيات الكريمة التى يذكر الله سبحانه فيها عن ظهور خوارق للعادة او المعجزات على أيدى الانبياء عليهم السلام ومثال ذلك كون النار بردا لسيدنا ابراهيم او كون العصا ثعبانا لسيدنا موسى عليه السلام او كون يده عليه السلام بيضاء ،أو انشقاق البحر له عليه السلام او ابتلاع الحوت ليونس عليه السلام ثم خروجه حيا او استخدام سيدنا سليمان عليه السلام الجن والطير للخدمات المختلفة او كلامه عليه السلام معهم ، أو ولادة سيدنا عيسى عليه السلام بدون الاب أو رفع جثمانه ،او معراج النبى صلى الله عليه وسلم وما الى ذلك من الخوارق للعادة التى اظهرها الله على ايدى الانبياء عليهم السلام ، ويعود جحودهم هذا الى كون خرق العادة أو المعجزة مخالفا للقوانين الطبيعية ، فلذا حملوها على الاستعارات او المجازات أو جاءوا لها من التأويلات الباطلة . فالاستاذ المودودى يرد على كل من هذه التاويلات الباطلة بالادلة القاطعة من القرآن او بالبراهين العقلية القوية خلال تفسيره للآيات التى ذكر الله فيها هذه الخوارق ولو اتسع لنا المجال لنقلنا هنا هذه الامثلة كلها ، ولكننا نقتصر هنا على ذكر ما قال الاستاذ فى رده على انكارهم لخرق العادة لكونه مخالفا للقوانين الطبيعية ، فيقول الاستاذ خلال تفسير قوله تعالى (فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين .ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) (١) :

" ان السؤال الاساسى فى موضوع الخوارق هو أن الله سبحانه بعد ما خلق الكون وقدره فهل يمكن له سبحانه ان يتصرف فيه كيفما يشاء ام لا ؟ وهل هو يدبر الكون بنفسه ام لا ، وهل له السلطة النافذة فيه ام لا ، وهل يقدر سبحانه على

---

(١) الاعراف : ١٠٧-١٠٨.

أن ياتى باى تغيير فى القوانين الطبيعية ام لا ، فالذين يظنون أن الله لم تبق له اية سلطة فى الكون بعدما خلقه ، ولا يمكن له أن يأتى بأى تغيير فيه مخالفا للقوانين الطبيعيةالجارية ، فتصورهم لله وللكون لا يسمح لهم أن يؤمنوا بالخوارق للعادة على ايدى الانبياء عليهم السلام قط ، فأولى بهم وأجدر ان ينكروا بالقرآن بدلا ان يقوموا بتاويلهم الباطل ، وذلك لان القرآن لم ينزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم الا لابطال هذا التصور الباطل لله سبحانه ، وأما الذين يؤمنون بأن الله خالق للكون ومدبر له وقادر على أى تصرف وتغيير فيه ، ولو كان خلافا للقوانين الطبيعية المادية الجارية فلا مانع لهم بالايمان بالخوارق للعادة على ايدى الانبياء عليهم السلام . واما الذى يؤمن ان الثعبان لا يمكن تخليقه الا بالطريق الطبيعى فحسب ، ولا يقدر الله سبحانه ان يخلق ثعبانا بأى طريق آخر ، فلابد له ان يكذب كون العصا ثعبانا او على العكس. ولكن الذى يؤمن بان الله هو الذى يحيى ميتا ، وهو يقدر أن يحيى ويميت كما يشاء ، فهو لا يستغربه كون العصا ثعبانا كما لا يستغربه تخليقها من بيضة الحية "(١) .

وهكذا نرى ان الاستاذ المودودى قد وفقه الله سبحانه لأن يرد على دليل منكرى السنة الاساسى لانكارهم لظهور خوارق العادة على ايدى الانبياء عليهم السلام ، وهو كون خرق العادة مخالفا للقوانين الطبيعية الجارية ، والدليل الذى ياتى به الاستاذ المودودى هو ان القوانين الطبيعية الجارية فى الكون لا تمنع خالق الكون ومدبره ان يتصرف فيه أو يأتى بأى تغيير فى هذه القوانين ، وهذا الدليل لا يترك اى مجال لانكار خرق العادة اذا كان الانسان مؤمنا بكون الله خالقا للكون ومدبرا له وقادرا على اى تصرف فيه ، واما استدلالهم بالآية الكريمة

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٢ ص ٦٥-٦٦ .

(ولن تجد لسنة الله تبديلا) [1] فى كون خوارق العادة غير ممكنة ، فهذا غير صحيح ، وذلك لان سياق هذه الآية الكريمة لا يسمح بكون المراد من (سنةالله) فى الآية الكريمة القوانين الطبيعيةالجارية بل المراد الصحيح من سنة الله فى هذا السياق هو سنته سبحانه فى معاملة الناس ، وفى هذا الصدد نرى أن سنة الله هو تأييد أنبيائه مع خوارق العادة ، فلذا هذه الآية الكريمة هى دليل عليهم وليست دليلا لهم .

وهذه النماذج من (تفهيم القرآن) يتبين منها بكل صراحة ان الاستاذ المودودى كان يهتم خلال تفسيره للقرآن الكريم ان يعتنى بصفة خاصة بالرد على التأويلات الباطلة التى جاء بها منكروا السنة للآيات القرآنية وفى هذا الصدد كان يأتى بالادلة من القرآن الكريم والبراهين العقلية القوية القاطعة معا ، وكان ذلك فضلا عن جهاده الطويل ضد هذه الفئة الطاغية ، وهذا مايدل على بطلان ماجاء به البعض من الاتهام بان الاستاذ المودودى لم يكن يهتم بالتفسير بالمأثور خلال تفسيره للقرآن الكريم .

...

---

(١) سورة الاسراء : الآية ٧٧ .

أسكن الله مالك الكون النوع البشري في الأرض بعد أن ثبت في قرارة نفسه المعاني السابقة كما أنه جل شأنه أتى الإنسان الأول وزوجه آدم وحواء عليهما السلام هدى من عنده ليتبعاه، هما وذريتهما في الأرض. ولم يخلق الإنسان الأول في حالة الجهل والظلام. بل إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم وحواء ليبدأ حياتهما في الأرض على حالة من النور والعلم. فكان الإنسان الأول يعرف ما هو الحق ويعلم ما ينبغي له علمه من قانون للحياة وكان منهجه في الحياة طاعة الله (أي الإسلام) ووصى بدوره ذريته بأن لا يطيعوا إلا الله ولا يموتوا إلا وهم مسلمون. إلا أن الإنسان قد حاد عن المنهج الصحيح (أي الدين القيم) في القرون المتعاقبة رويداً رويداً، واتبع السبل المعوجة والمناهج المنحرفة المتضاربة وضل عن الطريق السوي لعدم مبالاة به مرة وبمسخه بجحود ومكابرة مرة أخرى. فأشرك بالله في ذاته وصفاته ذواتاً عديدة من السماء والأرض، وهمية ومادية، بشرية وغير بشرية وخلط أنواعاً من الأوهام وضروباً من النظريات وألواناً من الفلسفات بنبع طاهر من العلم (أي علم الحق) الذي آتاه الله وصنع من ذلك مذاهب لا عداد لها ولا حصر، ونبذ وراء ظهره ما قرره الله من مبادئ عادلة للأخلاق والمدنية (أي الشريعة) أو مسخها ثم وضع كما أوحى له هواه وعصبيته نظماً ومناهج للحياة ملأت أرض الله ظلماً وفساداً وجوراً وشقاء[1].

الأستاذ أبو الأعلى المودودي

[1] مقدمة تفهيم القرآن.

المبحث الحادى عشر:

ابراز موقف الاسلام من الفلسفـــات
الجاهلية المعاصرة خلال التفسير

كما أسلفنا أن العصر الذى بدأ الاستاذ المودودى دعوته فيه كان عصرا لم ير التاريخ الاسلامى مثله من قبله وذلك لأن الحضارة الجاهلية الحديثة التى جاء بها الاستعمار الأوربى الغاشم قد سيطرت على العالم الاسلامـى من شرقه الى غربه ومن شماله الى جنوبه ،والنظريات الجاهلية والفلسفـات المادية التى جاءت بها هذه الحضارة تأثر بها المسلمون فى حياتهم الفردية والاجتماعية ، وأفكار العلماء اللادينيين والفلاسفة الملاحدة مثل داروين وهيجل وماركس ومكيافيلى وفرويد وغيرهم من اساطين الحضارة الغربيـة الحديثة آمن بها المسلمون المثقفون كأنها حقائق علمية ثابتة لا مجـال للشك فيها ، ونتيجة لهذه الظاهرة بدأ بعضهم يشكك فى وجود اللـه سبحانه وتعالى والوحى والرسالة والبعث بعد الموت ،هذا فى دائـرة العقائد، واما فى دائرة القيم الاخلاقية فنرى الاخذ بالقيم الاخلاقية المادية وهكذا فى دائرة السياسة والمدنية والاقتصاد ، وقد دفع هذا الواقـع الاستاذ المودودى ان يتصدى له ويعالجه بتعاليم الاسلام السامية ، فقـام بتأليف عديد من الكتب القيمة لمواجهة هذا التحدى وازالة الشكوك والشبهات التى جاءت بها هذه الفلسفات والافكار المادية ، كما اهتم بصفة خاصـة بابراز موقف الاسلام من هذه النظريات الجاهلية خلال تفسيره للقـرآن وذلك خلال تفسيره للآيات المتعلقة بالعقائد والقيم الاخلاقية والجوانـب الاجتماعية ،وسنذكر بعض النماذج لذلك من تفسيره تفهيم القرآن .

والحقيقة التى لا يمكن ان يختلف فيه إثنان هو ان الانسان مهما كان عالما او حكيما او فيلسوفا ، لا يستطيع ان يعرف حق المعرفة الهـدف

الاساسى الذى خلق الانسان لاجله او الطريقة الصحيحة لتحقيق هذا الهدف وذلك لان الانسان مهما يكن نظره واسعا لايستطيع أن يرى الا ماهو موجود ، أما ماسيقع فى المستقبل فلايمكن له ان يعرف عنه الا بالظن او القياس ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لايمكن له ان يعرف شيئا عن ما وراء المحسوسات ويضاف الى ذلك قصوره فى الادراك وضآلته فى العلم فكيف يليق به ان يقوم باعداد منهج لحياته الفردية او الاجتماعية ،وان قام به ، فكيف يمكن له ان يجعل منهجا صحيحا لحياته مع هذا العلم المحدود .

وهذه الحقيقة يشير اليها الاستاذ المودودى خلال تفسيره لقوله تعالى (فمن يكفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) (١) . فيقول الاستاذ :

" والحقيقة ان الانسان لكونه ضعيفا من ناحية علمه وفكره ونظره ،لا يستطيع أن يلقى نظرة شاملة على جميع نواحى الحياة المختلفة فى نفس الوقت ، فلهذا لا يمكن له ان يختار لنفسه منهجا صحيحا يضمن فيه العدالة الكاملة لجميع قواه المختلفة ، والذى يؤدى الى التوازن الصحيح بين جميع عواطفه واهوائه ، والذى يناسب جميع متطلباته الداخلية والخارجية ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى يهتم هذا المنهج بمراعاة جميع مشاكله الشخصية والاجتماعية ويأتى لها بحل عادل ، وهكذا يوفر الفرصة المناسبة لاستخدام الامكانيات المادية فى الحياة الفردية والاجتماعية بالحق والعدل(٢) .

فيتبين مما قاله الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة ان الفلسفات والنظريات التى اتخذها الانسان قديما او حديثا باطلة لان الانسان لا يمكن له ان يعرف معرفة صحيحة الهدف الاساسى الذى خلقه الله لاجله .

---

(١) المائدة : ١٢.

(٢) تفهيم القرآن : ١/٤٥٢.

ومن هذا يظهر ان النظم والفلسفات والنظريات التي يتخذها الانسان بدون العلم الصحيح لا تكون صحيحة ولا عادلة ، ولذا يطلق عليها اسم الجاهلية ، والمنهج الصحيح الوحيد لحياة الانسان الفردية والاجتماعية لا يمكن ان يجعله الا من عنده العلم الصحيح بكل ما يتعلق بالانسان فردا ونوعا وهو ليس الا عند خالقه سبحانه وتعالى .

وهذه الحقيقة يمكن ان نضرب مثلا لاثباتها هب أن هناك عالما كبيرا يقوم بايجاد مكينة خاصة لتحقيق هدف خاص ويقرر طريقة خاصة لاستخدام هذه الماكينة ، فهذا العالم يكون بلاريب اعرف الناس بالهدف الذى صنعت هذه الماكينة لاجله كما هو يكون اعلم الناس بطريقة استخدامها ، ولو قال أحد بانه اعرف منه بهدفها او طريقة استخدامها فهو كاذب او احمق ، والذى يصدقه يكون اكثر منه حمقا وجهلا .

وهذا المثال يمكننا ان نعين فى ضوئه المكانة الصحيحة للنظم والفلسفات التى جعلها الانسان ، كما يمكن لنا ان نقارن فى ضوئه بينهما وبين نظام الاسلام ، وهو الدين الذى ارسله الله لهداية الانسان ، فالاستاذ المودودى يبين هذا الفرق خلال تفسيره للآية حيث يقول : " ان التطور الحقيقى للحياة الانسانية وفوزها المؤكد فمن مقتضياته ان يتخذ الانسان له الطريق المتوسط الصحيح من بين تلك الطرق المعوجة الخاطئة طريق يضمن القسط والعدل لجميع قوى الانسان ومتطلباتها ولجميع عواطفه ومقتضياتها ، ولجميع مشاكل حياته ومسائلها ، وفى الجملة بكل ما يتعلق بجسده وروحه ، فردا كان او مجتمعا ، طريق لا عوج فيه ولا انحراف ، طريق لا تكون فيه عناية خاصة بناحية من نواحى الحياة المختلفة على حساب النواحى الاخرى ، فلا تظلم فيه قوة من قوى الانسان المختلفة ولا عاطفة من عواطفه

المتنوعة ، والحقيقة ان هذا الطريق المتوسط من متطلبات فطرة الانسان وكلما ترك الانسان هذا المنهج الصحيح العادل واختار له منهجا آخرا من المناهج المعوجة الاخرى ، اضطرت فطرته ان تثور ضد هذا الظلم ، وذلك للوصول الى هذا المنهج السليم ، ولكن كما قلنا ، الانسان لا يقدر على ان يطلع عليه بنفسه بل يهديه اليه خالقه سبحانه وتعالى ، فانه سبحانه بعث رسله ليدعوا الانسان ويهدوه الى هذا الصراط المستقيم أو سواء السبيل كما يسميه القرآن الكريم "(١).

ان الأستاذ المودودى يثبت خلال تفسيره للآية بالادلة القوية ان المنهج الصحيح الوحيد لحياة الانسان الفردية والاجتماعية هو المنهج العادل الذى جعله الله للانسان لكونه خالقا له وعالما بمتطلباته الروحية والجسدية ، ولان لا يمكن لأحد غير الله سبحانه ان يعرف متطلبات فطرة الإنسان فلا يليق لأحد غيره ان يجعل منهجا لحياة الانسان الفردية والاجتماعية ، بل فى الحقيقة لا يقدر احد غيره على ذلك ، فكلما حاول الانسان ذلك ، قديما او حديثا ، فشل وضل عن الصراط المستقيم ضلالا بعيدا ، وهذه الحقيقة يشير اليها قوله سبحانه (والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (٢) ، ومن هنا يمكن لنا ان نعين مكانة النظم والفلسفات الجاهلية كما يمكن لنا ان نعين موقفنا منها .

وجدير بالذكر ان الأستاذ المودودى تناول هذا الموضوع فى عديد من الكتب أيضا أهمها : الإسلام والجاهلية ، والدين القيم ، وطريق السلام ، وتجديد الدين واحيائه ، والصلاح والفساد ، وفى محكمة العقل ، والاسلام فى

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص ٤٥٣ .

(٢) سورة العصر : ١–٣ .

مواجهة التحديات المعاصرة ،ولو اتسع لنا المجال لنقلنا هنا بعض النماذج من هذه الكتب ، فنكتفي هنا ان نشير الى هذه الكتب ليتزود من يريد الوقوف على المزيد .

- الاهتمام بالنقد لفلسفة التطور لداروين :

كما اسلفنا ان المراد من فلسفة التطور لداروين (DARWIN) هو ان الانسان ليس بنوع مستقل ، بل هو اصبح الانسان متطورا من المرحلة الحيوانية شيئا فشيئا ، ولان هذا التطور يتم حسب قانون الانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب فلهذا هناك الصراع الدائم بين الانواع المختلفة ولا يبقى منها الا الاقوى . وهذه الفلسفة تجعل الانسان حيوانا محضا ليس محلا للتكاليف الدينية والاخلاقية . ومن العجيب ان هذه الفلسفة مع كونها نظرية وهمية نالت استقبالا حارا في العالم الغربي ،كما تأثر بها كثير من المسلمين المتفرنجين بعد استيلاء الحضارة الغربية الجاهلية على العالم الاسلامي فقام بعضهم بالعقا ويلات الباطلة للآيات القرآنية ليثبتوا هذه الفلسفة الجاهلية من القرآن الكريم كما بدأ الآخرون يشكون فيما جاء به القرآن وقام البعض بانكاره وما الى ذلك .

والاستاذ المودودي خلال نقده للحضارة الغربية الحديثة وفلسفاتها الجاهلية اعتنى بنقد هذه الفلسفة الجاهلية ،وبين بالبراهين والادلة القوية ان هذه النظرية ليست حقيقة علمية ثابتة كما يظن بعض المثقفين المتفرنجين بل في الحقيقة هي نظرية وهمية ولا يليق بمسلم أن يؤمن بها كحقيقة علمية ولا يجدر به ان يشك في نظرية القرآن لبداية الانسان ،وتفسير القرآن وفقا لهذه الفلسفة الجاهلية ليس الا تحريفا معنويا للقرآن .

فيقول الاستاذ في تفسير قوله تعالى (الذى احسن كل شئ خلقه ،وبدأ خلق الانسان من الطين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) (١) .

" يتبين من قوله تعالى هذا بأن الله خلق الانسان الاول فى صورة الانسان رأسا ثم جعل نسله من نطفة عن طريق التوالد والتناسل ، فكان من آياته البينات انه خلق الانسان الاول من الطين ، ونفخ فيه الروح وجعله كائنا حيا عاقلا كما من آياته البينات انه وضع فى جسمه نظاما خاصا للتوالد والتناسل الذى يتحير فيه حينما يتفكر عقل الانسان .

وهذه الآية من الآيات القرآنية تدل على ان الانسان الأول قد خلقه الله فى صورة الانسان رأسا ويرى البعض أن نظرية القرآن فى بداية الخلق غير صحيحة لكونها مخالفة لنظرية التطور لداروين ولكن بصرف النظر عن الحقيقة ان نظرية التطور لداروين هى نفسها نظرية غير علمية نقول هذا ان القائلين بنظرية التطور هم انفسهم لا يستطيعون ان ينكروا ان جرثومة الحياة الاولى قد خلقت مباشرة ، وذلك لانهم اذا لم يؤمنوا بذلك فلابد ان يؤمنوا بان الحياة بدأت صدفة ، ولكن الحقيقة ان نظرية بداية الخلق صدفة ليست الا هراء ،وذلك لان خلية واحدة تركيبها مليئة بالتعقيدات والحكم العلمية الدقيقة ،فلذا نظرية ظهورها بالصدفة خطأ فاحش وجهل أشد جهالة من قول القائلين بنظرية الارتقاء فى نظرية الخلق المباشر واذ أسلم المرء ان الجرثومة الاولى للحياة ظهرت فى هيئة الوجود مباشرة فما هو المانع فى تسليم القول بان الله هو خالق لأول فرد لكل نوع من الحيوانات ثم انتشرت هذه الأنواع بالتوالد والتناسل بطرق واساليب متنوعة . والحقيقة ان الانسان اذ أسلم بهذه الحقيقة تمكن من الحل للتعقيدات التى لم يتمكن داروين واتباعه من حلها مع بذلهم ما فى وسعهم " (٢) .

---

(١) السجدة : ٧-٨ .

(٢) تفهيم القرآن جـ ٤ ص ٤٠ .

فنرى هنا أن الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية الكريمة بعد مايذكر نظرية القرآن لبداية الخلق ، ينتقد نظرية التطور لداروين لكونها نظرية غير علمية ، كما ينتقد نظرية الصدفة لبداية الحياة لكونها نظرية غير علمية وغير عقلية ، وذلك بالبراهين العقلية ، والحقيقة ان القائلين بهاتين النظريتين ليست لديهم "الادلة العلمية" على مايقولون لان هذا الموضوع يتعلق بعصر ماقبل التاريخ الذى لا يمكن للعالم من العلماء ان يقول فيه شيئا الا بالظن والقياس ، وهذا مايفعل القائلون بهاتين النظريتين . ومن البين الواضح أن ماقيل بالظن اوالقياس يختلف كل الاختلاف عن الحقائق العلمية ، فالاصرار على كون هذه النظريات علمية ليس الا طريقة غير علمية وغير عقلية .

وهكذا يقول الاستاذ المودودى فى تفسيره لقوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) (١) ، " لا يمكن لنا ان ندرك بالتفصيل كيف كانت بداية النوع الانسانى ولا يمكننا ان نعرف بالضبط كيف خلق الله البشر من المواد الطينية ثم كيف صوره وسواه ، ثم كيف نفخ الروح فيه ، ولكن الحقيقة التى لا يمكن لنا انكارها هى ان بيان القرآن عن بداية الانسان يختلف كل الاختلاف عن مايقول به داروين واتباعه الذين يقولون ان الانسان لم يخلقه الله مباشرة بل هو جاء متطورا من الحيوانات الاخرى ولا يوجد هناك نقطة خاصة فى خط الارتقاء الطويل كانت بداية الانسان منها ، ولكن القرآن يقول بكل صراحة ان الانسان كانت بدايته كانسان ولم يمر عليه دور من الادوار كان فيها حيوانا كالحيوانات الاخرى ، بل فى الحقيقة خلقه الله مباشرة ، وقد اعطاه من العقل والشعور كما كانت بدايته فى نور العلم والهداية " (٢) .

---

(١) الاعراف : ١١ .

(٢) تفهيم القرآن جـ ٢ ص : ١١ .

ثم يبين الاستاذ النتائج العلمية والاخلاقية التى تأتى بها كلتا النظريتين اى النظرية القرآنية لبداية الانسان والنظرية الداروينية للتطور ، ويثبت بالادلة القوية ان نظرية داروين للارتقاء يجعل الانسان حيوانا مفترسا يكون فى عاداته او معاملته مع الاخرين كاى حيوان ولكن نظرية القرآن لبداية النوع الانسانى يجعله خليفة الله فى الارض الذى يعتبر نفسه مسئولا لكل مايعمل من الخير او السوء ثم يرد الاستاذ المودودى على من يعترض على نظرية القرآن فى بداية الإنسان ويقول : " ولكن من المتوقع جدا ان يعترض احد ويقول ان نظرية القرآن لبداية الانسان مهما تكون عالية وسامية من النواحى الاخلاقية والنفسية ، ولكن مع ذلك كيف يمكن لنا ان نترك لاجلها حقيقة علمية ثابتة اكتشفها داروين ونسأل اصحاب الاعتراض هل يعتقدون ان هذه النظرية نظرية علمية ، والحقيقة أن المنتمين الى العلوم الذين لا يعرفون من حقيقتها الا النظرة السطحية يظنون ان هذه النظرية اصبحت حقيقة علمية بيد ان المدركين لحقيقة العلوم يعرفون كل معرفة ان حشر بعض الادلة لاثبات هذه النظرية لم يخرج عن دائرة ظنية وان مايتوهم بانها دلائل الاثبات هى دلائل الامكان فحسب ، ولذا مايمكن لنا ان نقول على الاكثر هو ان نظرية الارتقاء والتطور اشبه بالامكان كامكان نظرية وجود كل نوع على حدة "(١) .

فترى هنا أن الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية يرد على من ظن أن نظرية التطور لداروين نظرية علمية ثابتة ، أوشك فى كون نظرية القرآن لبداية الخلق صحيحة او حاول أن يؤول الآيات القرآنية للتوفيق بين الاسلام وبين هذه النظرية الجاهلية ، ويبين بالبراهين العقلية ان نظرية

---

(١) تفهيم القرآن جـ ٢ ص : ١١-١٢ .

داروين للتطور ليست حقيقة علمية ، ولا يليق للمسلم ان يجعلها محكا لنظرية القرآن لبداية الخلق أو يؤول الآيات القرآنية للتوفيق بين هذه النظرية وبين الاسلام .

وجدير بالذكر أن رأي الاستاذ المودودى فى كون هذه النظرية نظرية غير علمية يؤيده ما قاله كثير من العلماء المحققين واساطين علم الاحياء نقدا لهذه النظرية ومنهم الجراح الفرنسى الدكتور موريس بوكاى الذى انتقد نظرية داروين للتطور بالبراهين العلمية القوية فى كتابه " أصل الانسان " كما يقول فى لقائه مع مجلة "البلاغ" الكويتية "ان ما قاله داروين خطأ فى خطأ .... ولم يؤسس نظرياته على أية اكتشافات تؤكد أن هناك صلة بين الانسان والسلالات التى ابتدعها ... انها افتراضات خاطئة بناها رجل يؤمن بالمادية وادى فى كتابى (أصل الانسان) مثال طويل عن داروين "(١) .

ولولا ضيق المجال لنقلنا هنا عديد من النماذج لآراء العلماء المحققين فى كون هذه النظرية نظرية غير علمية ، فنكتفى بما نقلناه لبيان مكانة هذه النظرية العلمية .

...

---

(١) مجلة "البلاغ" الكويتية عدد : ٧٠٦ وتاريخ ١٩ ذى القعدة ١٤٠٣ هـ

التفسير الجدلي والتفسير المادي للتاريخ :

والفلسفة الجاهلية الاخرى التى لاتقل فى خطورتها وشناعتها للبشرية من نظرية داروين للارتقاء هى الفلسفة الجدلية للتاريخ التى جاء بها هيجل (١٧٧٠-١٨٣١) والتى بنى عليها ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) فلسفته المادية للتاريخ فيما بعد ، فكان لهذه النظرية الضالة انتشارا عظيما في العالم بعد أن اقيمت الدولة الشيوعية في روسيا في اكتوبر عام ١٩١٧ الميلادى كما تأثر بها عدد غير قليل من المسلمين المتفرنجين لوقوعهم فى براثن العبودية الفكرية للحضارة الجاهلية الحديثة .

وقبل أن نذكر ما قاله الاستاذ المودودى فى نقده لهاتين النظريتين يجدر بنا ان ناتى بموجزهما . واما نظرية هيجل الجدلية فالمراد منها ان الحضارة الانسانية تطورت بظهور الاضداد وتمازجها فيما بينها ، وان كل دور من ادوار التاريخ وحدة فتكون فى حد ذاته الافكار والنظريات السياسية والاقتصادية والعلمية والدينية حسب مستوى خاص فى ذلك الدور ، وعندما تصل هذه النظريات قمتها ينبثق من حضنه عدوه اى الطائفة الاخرى من الافكار والنظريات ، ويبدأ الصراع بين القديم والجديد حتى يحصل التمازج بينهما وياتى فى الوجود دور جديد يضم العناصر الصالحة القديمة والعناصر الصالحة الجديدة وهذه العملية المستمرة للارتقاء يسميها هيجل العملية الجدلية ويرى ان الله سبحانه او "روح العالم" او العقل الكلى ياتى بها لاكمال ذاته وهو يستخدم الانسان كاداة لتحقيق هذا الهدف.

وأما ماركس فهو يختلف من هيجل فى ان هذا الصراع بين القديم والجديد والتمازج بينهما ياتى نتيجة للدواعى الاقتصادية وليس هناك اى وجود للعقل الكلى او روح العالم او ذات الله سبحانه كما يظن هيجل .

يتضح مما ذكرنا ان الايمان بالتفسير الجدلي للتاريخ يجعل الانسان يعتقد ان كل دور حضاري في تاريخ البشرية هو احسن من الدور السابق لانه يشمل العناصر الصالحة للدور والعناصر الصالحة الجديدة ، وهذا مالا يترك اي مجال للايمان بالدين الذي ارسله الله قبل القرون . وهكذا الايمان بالتفسير المادي للتاريخ لماركس يلتزم فيه الانكار بذات الله سبحانه ورسله ومبادئ الدين الاساسية الاخرى ، وفي الجملة ان الايمان بهاتين النظريتين لا يترك اي مجال للايمان بالاسلام .

واهتم الاستاذ المودودي بالنقد لهاتين النظريتين في كتبه المختلفة ومنها كتابه الشهير "الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة" الذي اعتنى الاستاذ فيه بالنقد للنظريات الجاهلية الحديثة المختلفة فيقول في مناقشته للتفسير الجدلي للتاريخ :

" ان قول هيجل بان الله سبحانه روح العالم وقوله ان الله يتخذ الانسان أداة لاستكمال ذاته وان تاريخ ارتقاء المدنية الانسانية انما هو تاريخ السفر الذي يقوم به الله سبحانه الى منتهى كماله ، فما كل هذه الآراء سخيفة واهية ليس في السماء ولا في الارض ما يثبت صحتها ثبوتا يعتبره "الثبوت"" (١) ثم يضيف اليه قائلا : " فهذه اخطاء هيجل الاساسية قد جعلت فلسفته للتاريخ لغزا من الالغاز ثم اننا اذا تاملنا في نظريته للجدال التاريخي وان كنا نلمح فيها بعض جوانب الصحة والصدق الا ان عنصر القياس والتخمين فيها يغلب على عنصر الاستشهاد باحداث التاريخ" (٢) .

---

(١) الاستاذ المودودي : الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ص : ٣٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٣ .

ويقول في نقده للتفسير المادى للتاريخ : " أما ماركس فلم يكتب له هذا الحظ اليسير من عمق النظر وسعة الافق الذى كتب لهيجل ، انه لا يحاول اصلا ان يعرف ويفهم فطرة الانسان وصنعه وتركيبه فهو ، لذلك انما ينظر منه الى الحيوان الخارجي الذى تمسه الحاجة الى اسباب المعيشة ولا ينظر ابدا الى الانسان الداخلى الذى يعيش داخل (كبسول) هذا الحيوان الخارجي والذى ليس الحيوان الخارجي الا اداة من ادواته والذى تختلف مقتضيات طبيعته عن مقتضيات طبيعة الحيوان الخارجي . ان قصور نظر ماركس وضالته فهمه جعلت كل نظرياته الاجتماعية باطلة كل البطلان واصبح يظن ان الانسان الداخلى انما هو تابع بل عبد مذلل للحيوان الخارجي ، وان كل ما أوتيه من قوى العقل والاستدلال والتفكير والبحث والمشاهدة والاستنباط والتحقيق والاختراع انما هو مقصور على خدمة الحيوان الخارجي وتحقيق شهواته ومتطلباته واغراضه ولهذا فان أقصى ما قام به الانسان الداخلى حتى الان او يستطيع ان يقوم به في المستقبل ، لا يعدو ، على حسب قول ماركس ان يكون وضعا لمبادئ الاخلاق والقانون ، واختراع تصورات وتقرير طريق للحياة وفقا لاهواء الحيوان الخارجي ، ما أضأل هذه الفكرة الحقيقية للانسان ، وما أبلد الاذهان التى ترتاح اليه وتقبله" (١) .

فيتضح من هذا ان السبب الحقيقي لعدم تمكن هيجل وماركس من الوصول الى الحقيقة هو بانهما لم يستطيعا ان يعرفا حقيقة الانسان ومتطلبات طبيعته الاساسية ومقتضياتها وذلك لان الانسان كما ذكرنا انفا مهما يبذل سعيه في البحث والتحقيق لا يمكن له ان يعرف حقيقة الانسان معرفة صحيحة ولا يمكن له ان يضع له منهاجا صحيحا وعادلا ، المنهج الصحيح والطريق الفطرى للحياة

---

(١) الاستاذ المودودى : الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ص ٣٤ .

الانسانية الذى يعبر عنه القران الكريم بالاصطلاحات الخاصة " كالصراط المستقيم " و "الرشد " و "الهدى " و " سواء السبيل " و " سبيل الرب" وما اليها .

والصراط المستقيم او سواء السبيل الذى فطر الله الانسان عليه والذى يوافق بمقتضيات فطرته لا يمكن الوصول اليه الا باتباع الرسل عليهم السلام الذين بعثهم الله لهداية البشرية كما يشير اليه قوله سبحانه (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (١) . واما الصراع الذى نراه خلال قرون التاريخ الطويلة والذى يسميه هيجل بالعملية الجدلية ويسميه ماركس بالعملية الجدلية المادية ، فسببه في نظر الاسلام كما يرى الاستاذ المودودى هو ابتعاد الانسان عن هذا الخط المستقيم ووقوعه فى الطرق المعوجة الاخرى ومحاولته للوصول الى الخط المستقيم وابتعاده عنه مرة اخرى . فيقول الاستاذ " لقد كانت الانسانية على فطرتها فى بدء الامر (كان الناس امة واحدة) (٢) ثم ظهرت فى الناس ميول الى تعدى حدود هم المشروعة (وما اختلفت فيهم الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) (٣) ، فهذه الميول مازالت تحيد بالانسان بعيدا عن الصراط المستقيم الفطرى مرة بعد اخرى ولكن فى كل مرة نجد ان مرارة التجارب وقلق الفطرة الانسانية يجبرانه على الرجوع الى طريق الفطرة ولكن الانسان ماكان يرجع الى طريق الفطرة الا ليبتعد عنه مرة اخرى الى الجهة المعاكسة ثم يجد نفسه مرة اخرى مضطرة الى الرجوع الى طريق الفطرة "(٤) .

---

(١) سورة الحديد ـ ٢٥ .

(٢) سورة البقرة ـ ٢١٣ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الاستاذ المودودى ـ الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة ص ٣٨ .

والاستاذ المودودى يتناول هذا الموضوع فى تفسيره (تفهيم القرآن) خلال تفسيره لقوله تعالى (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل)[1] وبعد ما يبين فيه ان الانسان لكونه ضعيفا فى فكره ونظره وعلمه لا يمكن له ان يجعل له منهجا صحيحا وعادلا ويشير الى النتائج الخطيرة التى يؤدى اليها قيام الانسان بهذه المهمة يقول" فاذا جعل الانسان نفسه هاديا له وشارعا يسيطر عليه جانب من جوانب الحقيقة المختلفة او حاجة من حوائج الحياة البشرية او قضية من قضايا الحياة الفردية اوالاجتماعية وذلك الى حد أنه يهمل الجوانب والحاجات والقضايا الاخرى كان ذلك قصدا او بدون قصد ، فانه اذا اهتم بتنفيذ رأيه هذا بالقوة والعنف لكانت النتيجة الاختلال فى ميزان الحياة البشرية ، فيبدأ ركب الحياة يسير على طريق من الطرق المعوجة الاخرى ، ثم اذا وصل هذا الطريق المعوج الى حده الاقصى تثور النواحى والحاجات والقضايا التى اهمل الانسان حتى الآن ، بل عدل عنها ويقوم بكل القوة لكى يهتم بها بالقسط ولكن اين القسط ؟ لان نفس العملية تبدأ مرة ثانية ايضا ، فاحدى القضايا التى كانت اكثر اهمالا بها فى الاول ، تستولى على الاذهان وتسيل بها فى سبيلها الخاص حسب مقتضياتها الخاصة حتى تغفل فيها القضايا الاخرى فتطغى مداها كالمرة الاولى ، وتستمر هذه العملية حتى لا يمكن للحياة الانسانية ان تسير على صراط مستقيم ، بل لا يزال مستمرا فى الاهتزاز بين الطرفين من الهلاك والدمار فالحقيقة ان جميع الطرق التى جعلها الانسان لحياته الفردية والاجتماعية تقع بصورة خط منحنى يبدأ من اتجاه خاطئ ويسير الى اتجاه خاطئ ثم ينعطف الى اتجاه خاطئ آخر[2] ".

---

(١) المائدة ـ الاية ١٢ .

(٢) تفهيم القرآن جـ ١ ص : ٤٥٢ .

فيتبين مما قال الاستاذ المودودى فى تفسيره لقوله تعالى هذا بان الصراع المستمر الذى نجده فى ساحة التاريخ الطويلة سببه الحقيقى بان العقل الكلى او روح العالم او ذات الله سبحانه ياتى به لاستكمال ذاته كما يظن (هيجل) ولا ان الدواعى الاقتصادية تاتى بها كما يظن ماركس بل السبب الحقيقى لهذا الصراع هو ان الانسان اذا ضل سواء السبيل ومع كونه ضعيفا فى النظر والفكر قام بجعل منهج حياته بنفسه فمن الطبيعى بان اهتمامه بقضية خاصة يشغله عن العناية بالقضايا الاساسية الاخرى التى تثور ضدها وتؤدى الى صراع مستمر فيما بينها .

ثم يبين الاستاذ المودودى المنهج الصحيح العادل الذى يسميه الله سبحانه هنا بسواء السبيل ، فيوضح بان " هذا المنهج العادل ، هو المنهج الوحيد الذى جعله الله سبحانه للانسان لكونه خالقا له وعالما لمتطلبات حياته الفردية والاجتماعية وهذا هو الطريق الوحيد الذى يضمن القسط والعدل لجميع قوى الانسان وعواطفه ولجميع مشاكل حياته فردا كان او مجتمعا ، والطريق الذى لا تكون فيه عناية خاصة بناحية من نواحى الحياة المختلفة على حساب النواحى الاخرى ، فهذا هو الطريق الصحيح الذى تطلبه الفطرة الانسانية وهذا الذى يضمن التطور الصحيح للركب البشرى ولكن هذا الطريق الصحيح والعادل لا يمكن الوصول اليه الا بوساطة الانبياء عليهم السلام الذين قد ارسلهم الله لهداية البشرية الى هذا المنهج الصحيح العادل ، المنهج الذى يسميه القران بسواء السبيل "(1) .

وبعد ما يبين الاستاذ المودودى حقيقة الصراع المستمر فى ساحة التاريخ الانسانى ويبين المنهج الصحيح العادل للتطور يعتنى بالنقد على الفلسفة الجدلية لهيجل والفلسفة الجدلية المادية لماركس فيقول :

---

(1) انظر تفهيم القران ج1 ص 453 .

" انه اذا رأى بعض الفلاسفة لعصرنا الحاضر ان الحياة الانسانية تدور بين طرفي الافراط والتفريط ، استنتجوا ان العملية الجدلية هي الطريق الوحيد الفطري لارتقاء الحياة الانسانية فلذا من متطلبات ارتقاء الحياة الانسانية ان تقوم الدعوى اولا ويأخذ معه الحياة الانسانية الى الحد الاقصى ثم يظهر منه جواب الدعوى ويأخذها معه الى الحد الأقصى الآخر ثم يظهر من الصراع بينهما المزيج الذي يؤدي ركب الحياة الى الارتقاء ولكن الحقيقة ان هذا الصراع المستمر لا يؤدي البشرية الى الارتقاء بل في الحقيقة يؤديها الى المشاكل التي هي الموانع الحقيقية في الارتقاء واذا ظهرت احدى هذه الدعاوى اخذت معها الركب البشري الى احدى الطرق المعوجة وتبعده عن سواء السبيل ثم تثور هذه النواحي التي عدلت عنها وتقوم ضدها لكل القوة لتصل الى سواء السبيل وهذا هو جواب الدعوى الذي يأخذ معه ركب الحياة البشرية واذا تقربت هذه الدعوى الى سواء السبيل وظهر الصلح بين هذا وذاك وكاد ان يكون مزيجهما نافعا للبشرية ،ولكن اذا لم تكن معالم سواء السبيل واضحة وبينة ولا يكون هناك الايمان الذي يجعل الركب البشري يسير على سواء السبيل فيأخذه هذا جواب الدعوى الى نهاية اخرى ، حيث تمهل بعض القضايا البشرية الاخرى التي تثور ضده ولا تزال هذه الدورة مستمرة الى النهاية . ولو ان هوءلاء الفلاسفة قد وصلتهم الهداية التي يهدي اليها القرآن الكريم لوافقوا على ان الطريق الصحيح لارتقاء البشرية هو ليس الا سواء السبيل ولا يصلح لها ان تسير على الخطوط المعوجة الاخرى "(١) .

ولو فكرنا فيما كتبه الأستاذ المودودي نقدا للتفسير الجدلي للتاريخ او التفسير المادي للتاريخ لوصلنا الى النتائج التالية :

---

(١) تفهيم القرآن جـ١ ص : ٢٥٤ .

اولا : المنهج الصحيح العادل للانسان الذى يضمن فيه العدالة الكاملة لجميع متطلبات فطرة الانسان لا يمكن ان يجعله الا من خلقه ويعرف مقتضياته وحاجاته معرفة صحيحة وكاملة .

ثانيا : ان الانسان لكونه ضعيفا فى النظر والفكر والعلم لا يمكن له ان يجعل نفسه منهجا صحيحا عادلا لحياته الفردية والاجتماعية فلهذا كلما حاول ان يجعل منهجا لحياته لم يتمكن من جعل منهج صحيح عادل بل انه قد اخذ جانبا من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية او قضية من القضايا البشرية واهمل الجوانب والقضايا الاخرى التى ثارت ضده وهذا ما ادى الى الصراع المستمر الذى نراه فى ساحة التاريخ .

ثالثا : ان هذا الصراع المستمر فى تاريخ البشرية ليس سببه بان الله سبحانه يستخدم الانسان لاستكمال ذاته كما يظن هيجل ولا الدواعى المادية كما يظن ماركس بل سببه الحقيقى هو قيام الانسان بجعل منهج حياته بنفسه واهتمامه بقضية من القضايا البشرية واهماله القضايا الاساسية الاخرى التى تثور ضده وتبعده عن سواء السبيل اى المنهج الصحيح العادل .

رابعا : ان التفسير الجدلى للتاريخ لهيجل او التفسير المادى للتاريخ لماركس لا اساس لهما علميا فكلاهما اهتما بقضية من القضايا البشرية واهملا كثيرا من القضايا الاساسية الاخرى وهذا ما جعل كلا التفسيرين غير صحيحين وغير علميين .

خامسا : ان التطور الحقيقى فى التاريخ البشرى ليس نتيجة للصراع بين الدعوى وجواب الدعوى ومزيجهما كما يظن هيجل وماركس بل التطور الحقيقى للركب البشرى يضمنه اتخاذ سواء السبيل منهجا للحياة الفردية والاجتماعية .

يتبين من هذه النماذج ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره للقــرآن الكريم كان يعتنى بصفة خاصة بابراز موقف الاسلام من النظم الجاهليــة والفلسفات والنظريات اللادينية والمادية التى جاءت بها الحضارة الغربيــة الحديثة وذلك بالاسلوب الحكيم الجذاب بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية ، وهكذا تمكن من انقاذ الجيل المثقف الجديد مــن العبودية الفكرية للحضارة الغربيةالحديثة ، ولولا ضيق المجال لذكرنــا هنا بعض النماذج الاخرى لاسلوبه هذا .

...

المبحث الثاني عشـــــر :

مكانة منهج الاستاذ المودودى فى تفسير القرآن

وبعد أن انتهينا من دراستنا لاهم المزايا لمنهج الاستاذ المودودى فى تفسير القرآن الكريم نرى ضروريا ان نتكلم عن مكانة هذا المنهج فى ضوء هـــذه الدراسة ، وهذا مايقتضى أن نضع أمام نظرنا ماذكرناه فى الفصل الاول لهــذه الرسالة خلال حديثنا عن أوضاع ذلك العصر من النواحى المختلفة لنتمكن من تعيين مكانة هذا المنهج الصحيحة .

يتبين مما ذكرناه بهذا الصدد أن الصراع الذى قد بدأ فى اوربا بيـــن العلم والكنيسة قد انتهى بانتصار حركة العلم على الكنيسة ، وكان لهذا الصراع الطويل العنيف أن الفلسفات والنظريات التى ظهرت فى اوربا فى ذلك العصـر كالتفسير الجدلى للتاريخ لهيجل والتفسير الجدلى المادى للتاريخ لماركـس ، ونظرية التطور والارتقاء لداروين ، والتفسير الجنسى لعلم النفس لفرويد وماالى ذلك من الفلسفات والنظريات التى ظهرت فى ذلك العصر كانت كلها مادية لادينيـــة ، تقوم على فلسفة أبدية المادة الجاهلية التى لا تؤمن بوجود اى خالق لهذا الكون ، وجدير بالذكر ان انكارهم لوجود الله سبحانه لم يكن على أى اساس علمى بـــل كان لحقدهم الشديد لرجال الكنيسة ، ويقول العالم الفرنسى الشهير الدكتـــور موريس بوكاى : " ان كثيرا من العلماء من ممثلى المادية افترضوا اشياء كثيـــرة وهى فى جملتها خطأ ، وهم يعرفون ذلك ، ولكنهم يفعلون ذلك لانهم ماديون " (١) وكان لمؤثرات انتصار الحركة العلمية على الكنيسة أن فقد الانسان الغربى اذعانـه فى كل ماجاءه من الكنيسة وأمن بهذه النظريات اللادينية والفلسفات الجاهليـــة بدون أن يفكر فى لغويتها من الناحية العلمية .

---

(١) الدكتور موريس بوكاى — فى مقابلته مع مندوب مجلة " البلاغ " الكويتية ، العدد ٧٠٦ وتاريخ ١٩٨٣/٦/٢٨م .

• ان ظهور هذه النظريات اللادينية والفلسفات المادية الجاهلية كان في نفس الوقت الذي كانت فيه بداية النهضة العلمية والتكنولوجية في أوربا ، فقررت دول أوربا الصناعية أن تقوم بالغزو الاستعماري ضد العالم بأسره ، وذلك للبحث عن الاسواق لمنتوجاتها الصناعية من ناحية ، وللبحث عن المعادن لمصانعهم من ناحية ثانية .

• ان ظهور هذه النظريات اللادينية والفلسفات الجاهلية في اوربا وبداية نهضتها الصناعية والعلمية كان في الايام ذاتها حينما قد استولى فيها الخمود والانحطاط الفكري والسياسي على العالم الاسلامي بأسره ، وذلك لعدم عناية الامة الاسلامية بالواجب الذي قد بعثها الله من أجله لقوله سبحانه (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) وقوله تعالى (كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (٢) فكان من الطبيعي ان يقع العالم الاسلامي فريسة سهلة لذلك الغزو الاستعماري .

• ان خضوع العالم الاسلامي لغزو الاستعمار السياسي كان تمهيدا لخضوعه لغزو الاستعمار الحضاري وهذا الحادث المؤلم يعتبر من أكبر الحوادث لتاريخ البشرية حيث نحي . الاسلام عن قيادة البشرية الفكرية والحضارية وحلت محلها الجاهلية المادية الحديثة ، ويقول الشهيد سيد قطب :

" ثم وقعت تلك النكبة القاصمة ونحي الاسلام من القيادة ، نحي عنها لتتولاها الجاهلية مرة أخرى في صورة من صورها الكثيرة ، صورة التفكير المادي الذي تتعاجب به البشرية اليوم ، كما يتعاجب الاطفال بالثوب المبرقش واللعبة الزاهية الالوان " (٣) .

---

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .
(٢) سورة آل عمران : ١١٠ .
(٣) الشهيد سيد قطب ـ مقدمة (في ظلال القرآن) ص : ١٦ .

. ان الهدف الاساسى من وراء غزو الاستعمار الفكرى والحضارى للعالم الاسلامى هو كان القضاء على اذعان الامة الاسلامية فى كون الاسلام دينا ربانيا كاملا شاملا لكل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية وفى صلاحيته لقيادة البشرية وحل مشاكلها فى ذلك العصر ، وذلك لكى تقع الامة الاسلامية فى العبودية الفكرية للغرب وحضارتها الجاهلية ولا تتمكن من القيام بمواجهة غزو الاستعمار السياسى والحضارى وهذا الهدف الشنيع كان لتحقيقه ان اهتم الاستعمار بتخطيط المخططات والمؤامرات الماكرة اهمها كالآتى :

١ــ انشاء حركات التفرنج والتغريب فى البلاد الاسلامية ، وهذه الحركات كانت تهدف الى الخضوع الكامل امام الحضارة الغربية الجاهلية والايمان بكل قادم من الغرب صحيحا كان أو خطأ .

٢ــ قيام المستشرقين والمبشرين المتعصبين باصدار الكتب والبحوث لتشويه صورة الاسلام الحقيقية ببث الشكوك والشبهات حول تعليماته السامية ونشر الاكاذيب والاتهامات حول شخص الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ــ تعميم الثقافة الافرنجية الحديثة فى المجتمعات الاسلامية .

٤ــ نشر وتعميم الفلسفات المادية الجاهلية والنظريات اللادينية الحديثة فى الجيل المثقف الجديد .

٥ ــ الغاء الشريعة الاسلامية فى البلاد الاسلامية المختلفة ونفاذ القوانين الوضعية الافرنجية محلها .

٦ ــ انشاء ودعم الحركات الهدامة المعادية للاسلام كالماسونية والشيوعية والقاديانية والبهائية وجحود السنة النبوية وتطوير الاسلام بالتوفيق بين الاسلام وبين الحضارة الجاهلية الحديثة وما الى ذلك من الحركات الهدامة .

٧ ــ القضاء على وحدة الامة الاسلامية وذلك بالقضاء على الخلافة العثمانية من ناحية وبث نعرات القومية الوطنية او القومية اللسانية الجاهلية

من ناحية ثانية ، وباشعال نار الخلافات المذهبية من ناحية ثالثة .

٨ ـ استخدام وسائل التعليم والتبشير والاعلام وما الى ذلك من وسائل الدعاية لاكمال النفوذ الحضارى .

ان المؤثرات الفكرية والحضارية لغزو الاستعمار السياسى والحضارى على العالم الاسلامى هى كالآتى :

١ ـ كان لتعميم الثقافة الافرنجية اللادينية ونشر الفلسفات المادية الجاهلية كالتفسير الجدلى للتاريخ لهيجل والتفسير الجدلى المادى للتاريخ لماركس، وفلسفة التطور لداروين والتفسير الجنسى لعلم النفس لفرويد فى المجتمعات الاسلامية أن اذعان المسلمين المثقفين فى كون الاسلام دينا ربانيا كاملا وفى صلاحيته لقيادة البشرية وحل مشاكلها فى ذلك العصر بدأ يضعف يوما فيوما وهذا ما انتهى الى النتائج الآتية :

أ ـ ان عددا كثيرا من المسلمين المثقفين فقدوا اذعانهم فى مبادئ الاسلام الاساسية وفى صلاحيته لقيادة البشرية وحل مشاكلها فى ذلك العصور وأوا ان الفلسفات الجاهلية والنظم اللادينية الحديثة وحدها تتمتع بصلاحية حل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة .

ب ـ وعدد غير قليل من الآخرين تأثروا بهذه الفلسفات المادية الجاهلية والنظريات اللادينية بعقليتهم الخاضعة وجعلوها مقياسا للرد والقبول وقاموا بتطوير الاسلام بالتوفيق بينه وبين هذه الفلسفات المادية الجاهلية بهذه العقلية الخاضعة .

٢ ـ وهكذا المستشرقون المتعصبون لم يكن هدف " تحقيقاتهم العلمية " الا خدمة الاستعمار فى تحقيق اهدافه الشنيعة وذلك بتشويه صورة الاسلام باثارة الشبهات حول مبادئ الاسلام أحيانا وبالرمى بالاتهام والاكاذيب

شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم حينا آخر ، وباثارة الشبهات حول كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم من النواحي المختلفة او بايراد الاعتراضات حول بعض الاحكام كالجهاد في سبيل الله ، والجزية وتعدد الزوجات واباحة الاسترقاق وما الى ذلك من الاحكام الاسلامية. حتى

ثالثا ، وهذا الهجوم المخطط الماكر الذي جاء به هؤلاء المستشرقون المتعصبون في تاليفاتهم حول الاسلام باسم " التحقيق العلمي " كان له تاثيرا كبيرا في الشباب المثقف وهذا التاثير قد انتهى الى النتائج الآتية :

أ — ان كثيرا من المسلمين المثقفين آمنوا بكل ماكتبه المستشرقون المتعصبون من الخرافات والاكاذيب والاباطيل وفقدوا اذعانهم في كون الاسلام دينا حقا بعث به الله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وبدأوا ينظرون الى الاسلام بالنظر الملون الذي ينظر به اليه .. هؤلاء المستشرقون المتعصبون وقاموا ببث اكاذيبهم واباطيلهم في المجتمعات الاسلامية ليتمكنوا من القضاء على اذعانهم في الاسلام ومن أبرز تلاميذ هؤلاء المستشرقين في العالم الاسلامي هو الدكتور طه حسين .

ب — وقام البعض الاخرون للدفاع عن الاسلام وذلك بالعقلية الخاضعة فلهذا لم يكن دفاعهم عن الاسلام دفاعا جريئا بل كان دفاعا انهزاميا فقاموا بالجحود عن حجية الحديث في التفسير والتشريع كما جاءوا بالتاويلات البعيدة للجهاد والجزية وتعدد الزوجات واباحة الاسترقاق وما الى ذلك من الامور التي انتقدها المستشرقون ومن أبرز هذا النوع من المفكرين الخاضعين هو السيد احمد خان في شبه القارة الهندية .

٣— وهكذا الحركات الهدامة التي ظهرت او انتشرت في العالم الاسلامي تحت رعاية الاستعمار المباشرة او غير المباشرة كالقاديانية او البهائية او حركة انكار السنة او حركة التغريب والتفرنج او حركة تطوير الاسلام بالتوفيق بين الاسلام وبين الجاهلية الحديثة اوحركة التبشير او الشيوعية او العلمانية وما الى ذلك من الحركات المعادية للاسلام لها دور هام في تشويه صورة الاسلام وبث الشبهات حول مبادئه القيمة وتعليماته السامية والقضاء

اذعان المسلمين فى صلاحية الاسلام لقيادة البشرية وحل مشاكلها فى ذلك العصر .

٤ ـ وهكذا مؤامرة استبدال القوانين الوضعية الافرنجية بالشريعة الاسلامية فى البلاد الاسلامية لها دور هام فى القضاء على الاذعان ان الاسلام دين ودولة ولا يمكن العمل به الا بالاحتكام بالشريعة الاسلامية فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى هذا ما زعزع به عقيدتهم الاساسية ان حق التشريع مختص بالله سبحانه وتعالى ولا يجوز لهم ان يقوموا بتشريع اى قانون الا فى ضوء الكتاب والسنة ومن ناحية ثالثة هذا ما انتشرت به فيهم النظرية الضالة أن الدين تقتصر دائرته على أداء الطقوس فحسب واما دوائر الحياة الفردية والاجتماعية الاخرى المختلفة فليست له اية علاقة بها .

وفى الجملة كانت هذه هى التحديات والتيارات المعادية التى كان يواجهها الاسلام والمسلمون فى ذلك العصر ولكن العلماء والمشائخ الذين كان من واجبهم ان يقوموا لمواجهتها لم يتمكنوا من مواجهتها وذلك لاتخاذهم موقف الاعتزال والرفض تجاه كل ما كان يجرى حولهم فى العالم . فكان لموقفهم السلبى هذا انهم نحوا عن قيادة المجتمعات الاسلامية ، هذا من ناحية ،ومن ناحية اخرى كان لعدم معرفتهم التحديات والتيارات المعادية للاسلام معرفة صحيحة بانهم لم يتمكنوا من مواجهتها وهذا ما انتهى الى خضوع المجتمعات الاسلامية الكامل للحضارة الغربية والفلسفات المادية الجاهلية التى جاءت بها .

هذه هى كانت الاوضاع القاسية التى كان يمر بها الاسلام حينما قرر الاستاذ المودودى ان يقوم باحياء الدعوة الاسلامية فى شبه القارة الهندية فى بداية الربع الثانى للقرن العشرين الميلادى ، وذلك بعد استعداده لهذا الامر الجليل بدراسة الفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية الحديثة دراسة عميقة فاحصة من ناحية وبعد امعان النظر فى الكتاب والسنة والعلوم

الدينية المختلفة من ناحية اخرى . ثم قام الاستاذ المودودى بامر الدعوة فعلا باصدار مجلة ترجمان القرآن الشهرية عام ١٩٣٣م واهتم فى بداية أمره بالمهمتين الاساسيتين وهما : اولا : نقد الجاهلية الحديثة بكل انواعها وثانيا : ابراز اوجه النظام الاسلامى المختلفة وذلك باسلوب عصرى جذاب مبرهن بأدلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية ليتمكن من القضاء على البعودية الفكرية للجاهلية الحديثة من ناحية ومن اعادة ثقة المسلمين فى صلاحية الاسلام وحل مشاكلها فى ذلك العصر من ناحية أخرى .

وظل الاستاذ المودودى يجتهد فى مجال الدعوة بكل ما فى وسعه حتى وفقه الله أن يقوم بتاسيس الجماعة الاسلامية عام ١٩٤١م ثم بعد ستة شهور من تاسيس الجماعة الاسلامية قرر الاستاذ المودودى ان يقوم بتاليف تفسيره تفهيم القرآن والاسباب التى دفعته الى ذلك القرار كالآتى :

أ ـ ان القرآن كتاب دعوة وحركة وقد أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم لقيادة الحركة الاسلامية ولهذا لا يمكن العمل فى مجال الدعوة الاسلامية الا بالاهتداء بهذا الكتاب العظيم ولكن التفاسير الموجودة فى ذلك الوقت ما كانت لها المكانة الرفيعة ، لم يكن للعاملين فى مجال الدعوة أن يهتدوا بها خلال عملهم فى الدعوة فى عصر ملئ بالتحديات المعادية للاسلام وذلك لان هذه التفاسير اما قد ألفت قبل ظهور هذه التحديات والتيارات المعادية والحركات الهدامة وأما مؤلفوها لم يهمهم ما كان يجرى حولهم او ما كان بالمرصاد للاسلام والمسلمين من التحديات والتيارات بل كل ما كان يهمهم مع الاسف الشديد كان اشعال نار الخلافات بين المذاهب الفقهية المختلفة ، واما قد الفت للتوفيق بين الاسلام وبين الجاهلية الحديثة وفلسفاتها المادية اللادينية وذلك بالجحود عن حجية الحديث فى التفسير والتشريع كتفسير احمد خان ومن سلك مسلكه واما التفاسير التى قد حاول فيها مؤلفوها ان يهتموا بمواجهة هذه التحديات والتيارات المعادية لم تكن الا قليلا ولكن هذه التفاسير ايضا لم يتمكن فيها مؤلفوها من مواجهة هذه التحديات مواجهة صحيحة وذلك لعدم

اطلاعهم على الفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية الحديثة اطلاعا واسعا فاحصا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ،كان لكون أسلوب هذه التفاسير اسلوبا علميا قديما بانه لم يتمكن من الاستفادة بها الا العلماء والمشايخ وفضلا عن ذلك كان لعدم اهتمام هؤلاء المفسرين بعمل الدعوة انهم لم يتمكنوا من بيان ما كانت من التوجيهات الالهية في كتابه العظيم لعمل الدعوة .

وجملة القول لم يكن هناك تفسيرا يهتدى بها العاملون في مجال الدعوة خلال عملهم في هذا المجال في ذلك العصر .

ب ـ ان الاستاذ المودودى بعد ان كتب كثيرا لبيان التوجيهات الحكيمة للعاملين في مجال الدعوة من ناحية ولابراز اوجه النظام الاسلامي المختلفة من ناحية اخرى ، ولمواجهة التحديات المعادية من ناحية ثالثة ، قد وصل الى النتيجة بانه مهما يبذل جهوده لتحقيق هذه الاهداف لا يمكن له ان يتمكن من النجاح الا اذا جعل القرآن الكريم وسيلة له وذلك لان هذا هو الكتاب الذى قد أنزله الله لتحقيق هذه الاهداف في كل زمان ومكان .

وفي الجملة كانت هذه هي الاسباب التي دفعت الاستاذ المودودى الى القيام بتأليف تفسيره للقرآن الكريم وكان من متطلبات هذه الاسباب ومقتضياتها ان يهتم الاستاذ بالامور الآتية :

١ ـ الاهتمام الكامل بأصول التفسير وذلك بالجمع بين الرواية والدراية .

٢ ـ الاهتمام ببيان التوجيهات الالهية الواردة في القرآن الكريم للعاملين في مجال الدعوة الاسلامية .

٣ ـ القضاء على أسطورة فصل الدين عن الدولة وذلك ببيان اهمية الاحتكام بما أنزل الله من ناحية وبابراز اوجه النظام الاسلامي المختلفة من ناحية ثانية وباثبات صلاحية الاسلام لقيادة ركب البشرية وحل معضلات حياة الفردية والاجتماعية في ذلك العصر من ناحية ثالثة .

٤ ـ الرد على الاتهام والاكاذيب التي جاء بها المستشرقون لتشويه صورة الاسلام الحقيقية من النواحي المختلفة وذلك بالادلة العلمية والعقلية القاطعة .

٥ ـ القضاء على العبودية الفكرية للفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية الحديثة بالنقد العلمي المبرهن بالبراهين العقلية والعلمية القوية .

٦ ـ الاهتمام بازالة الشبهات التي أثارها المفتنون الى حركات الهدامة المختلفة وذلك أيضا بالبراهين والادلة العقلية القوية .

٧ ـ الرد على التأويلات الباطلة للآيات القرآنية وذلك مستدلا بالكتاب والسنة من ناحية ومدعما بالبراهين العقلية القوية من ناحية أخرى .

٨ ـ القضاء على فتنة تطوير الاسلام بالتوفيق بين الاسلام وبين الجاهلية الحديثة وذلك ايضا بالبراهين العقلية والعلمية القوية .

٩ ـ الاهتمام بتجنب التعصب المذهبي في ترجيح الآراء الفقهية المختلفة .

١٠ ـ الاهتمام بالاسلوب العصري الجذاب المبرهن وذلك ليتمكن القارىء من فهم المراد بالسهولة ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، ليتسخر به ذهنه وقلبه معا .

فيتبين مما ذكرنا من النماذج لمزايا منهج الاستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم آنفا أنه يهتم بهذه النواحي بكل اهتمام ودقة فبينما نراه يعتني بأصول التفسير بالجمع بين الرواية والدراية ، نراه يهتم ببيان التوجيهات الالهية الواردة في القرآن الكريم للعاملين في مجال الدعوة وذلك خلال تفسيره للآيات الواردة حول الدعوة ومتطلباتها احيانا وفي تقديمه للسور القرآنية مبينا العلاقة بين السورة وبين مرحلة الدعوة التي هي نزلت فيها حينا آخر ومبينا حكمة ايراد القصص القرآنية حينا ثالثا .

هكذا نرى الاستاذ المودودي بأنه خلال تفسيره للقرآن الكريم يهتم بصفة خاصة بالقضاء على أسطورة فصل الدين عن الدولة وفكرة اقتصار الدين على أداء الطقوس الخالية ، وذلك ببيان أهمية الاحتكام بما أنزل الله من ناحية وبابراز اوجه النظام الاسلامي المختلفة من ناحية اخرى فكان بهذا ان تمكن الاستاذ من اعادة ثقة الشباب المثقف في صلاحية الاسلام لقيادة الركب البشرى وحل معضلات الحياة في ذلك العصر .

وهكذا نرى الاستاذ المودودي يعتني عناية خاصة بازالة الشبهات التي جاء بها المستشرقون والمبشرون لتشويه صورة الاسلام وذلك بالرمي بالاكاذيب شخص الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية وبالطعن في اسلوب القرآن من ناحية اخرى وبالافتراء ان النبي صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن من علماء اهل الكتاب

وكتبهم من ناحية ثالثة وبالاقاويل حول حجية السنة النبوية او بتشويه بعض احكام الاسلام كالجهاد والجزية وتعدد الزوجات والاسترقاق وما الى ذلك من ناحية رابعة ، والاستاذ المودودى يرد على تلك الاكاذيب والاباطيل فى مقدمته لتفهيم القرآن احيانا وفى تقديمه للسور القرآنية حينا آخر وبالاستشهاد من كتب أهل الكتاب حينا ثالثا وخلال تفسيره للآيات الكريمة التى طعن فيها المستشرقون حينا رابعا .

وكان من هذا المنطلق ان الاستاذ المودودى اهتم بالنقد العلمى المبرهن للفلسفات المادية الجاهلية والنظم اللادينية الحديثة وذلك خلال تفسيره للآيات الكريمة التى تتحدث عن تخليق الكون وبداية البشرية وما الى ذلك ليتمكن من القضاء على العبودية الفكرية للجاهلية الحديثة والفلسفات المادية اللادينية التى جاءت بها .

وهكذا لايفوت الاستاذ ان يرد على التأويلات الباطلة للآيات القرآنية التى جاء بها بعض من المفسرين للتوفيق بين الاسلام وبين الجاهلية الحديثة أو التى جاء بها القائمون بالحركات الهدامة لتحقيق أهدافهم الشنيعة وذلك لانقاذ المسلمين من براثن هذه الحركات الهدامة .

وهكذا اهتم الاستاذ المودودى ان يجتنب التعصب المذهبى فى ترجيح الآراء الفقهية المختلفة وذلك ليتمكن المسلمون من التوحيد كلمتهم لمواجهة التحديات والتيارات المعادية .

وفضلا عن ذلك اهتم الاستاذ المودودى باتيان الخرائط والصور للاماكن التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم وذلك ليتمكن القارئ من فهم الايات التى ورد فيها ذكر هذه الاماكن فهما صحيحا ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى لتزيد به ثقته فيها .

وهكذا كان عدم الاهتمام الاستاذ المودودى بالمباحث الجانبية يهدف الى أن القارئ لايلتفت الى المباحث التى ليست لها اية علاقة مباشرة اوغير مباشرة مع فهم القرآن الكريم وتفهيمه .

فيتبين من هذا ان تفسير الاستاذ المودودى كان وفقا لاصول التفسير من ناحية ومن ناحية اخرى كان مطابقا لمتطلبات العمل فى مجال الدعوة فى عصر ملئ بالتحديات والتيارات المعادية للاسلام .

الخاتمة

كلمة الختـــام

الحمد لله الذى وفقنى لاكمال هذه الرسالة بصورتها الموجودة ، وأرجــو أن يقبل منى مابذلت فى اكماله من السعى والجهد ويجعله وسيله لسعادتى فــى الدنيا ومغفرتى فى الآخرة وآمل أن يكون عملى هذا خطوة فى السير فى سبيـــل الدعوة الاسلامية . وبالله التوفيق .

وفى خاتمة هذه الرسالة أود أن أسجل هنا ماتوصلت اليه من نتائج هامة خلال البحث وهى كالآتى :

- ان العصر الذى بدأ الاستاذ المودودى دعوته فيه كان عصر التحديـــات والتيارات ، بل يمكننا أن نقول انه كان عصرا لم يمر على التاريخ الاسلامى قط ، وذلك لان الامة الاسلامية بعد أن شرفها الله تعالى بمنصب قيادة البشريـة لقوله سبحانه (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكـــون الرسول عليكم شهيدا)(1) وظلت فى أداء واجبها ، فكريا وحضاريا لعدة قرون حتى اعتراها الوهن والانحطاط فكريا وعمليا وذلك لفصل الدين عـــن الدولة فكانت النتيجة حرمانها من منصب القيادة .

- وكان لوقوع العالم الاسلامى فى ذلك الانحطاط والاضمحلال فكريا وعمليـــا ، أن تمكن الاستعمار الاوربى الغاشم من السيطرة عليه سياسيا وحضاريا ، ونحى الاسلام من المنصب ليحل محله الحضارة الجاهلية الغربية ، والحقيقـــة كما يرى الشهيد سيد قطب رحمه الله " كانت نتيجة تنحية الاسلام عن قيادة البشرية حدثا هائلا فى تاريخها ، ونكبة قاصمة فى حياتها ، نكبة لم تعرف لها البشرية نظيرا فى كل ما ألم بها من نكبات "(2) .

---

(1) البقرة - الآية ١٤٣ .

(2) الشهيد سيد قطب - مقدمة التفسير فى ظلال القرآن : ص ١٥ .

- ان غزو الاستعمار السياسى على العالم الاسلامى كان يليه غزوه الحضارى ، وذلك فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وفى كل بلد من البلاد الاسلامية ولم ينج من هذه الغارة السياسية والحضارية الا من شاء الله .

- ان الحضارة الغربية الحديثة التى سيطرت على العالم الاسلامى تحت رعاية الاستعمار الغاشم كانت حضارة مادية جاهلية وذلك من مبادئها الى مظاهرها ومن أصولها الى فروعها ومن رأسها الى عقبها ، وهكذا العلوم والفلسفات والنظم والنظريات التى جاءت بها هذه الحضارة كلها مادية لادينية وكان لرعاية الاستعمار الغاشم لها أن حصل لها نفوذا كبيرا فى المجتمعات الاسلامية .

- ان التجاوب الناشىء فى البلاد الاسلامية تجاه هذا الغزو الحضارى كان ذا اتجاهين :

أولا : التجاوب الانفعالى والمراد منه الخضوع الكامل امام الحضارة الغربية فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية وقبول كل ماجاءت به هذه الحضارة الجاهلية الفاسدة فى العقائد والالهيات ، والاخلاق والتعليم والسياسة والاقتصاد والاجتماع والمدنية وما الى ذلك من دوائر الحياة المختلفة وكانت زعامة المجتمعات الاسلامية بايدى اصحاب هذا الموقف لكونهم المثقفين الجدد ، وهذا ماجعل تاثير هذه الحضارة يتوسع ويشمل المجتمعات الاسلامية قاعدة وشعبا .

ثانيا : التجاوب السلبى والمراد منه الرفض الكامل لكل ماجاء من الغرب من العلوم والفنون والنظريات والفلسفات ، ولان اصحاب هذا الموقف كانوا ينتمون الى طبقة العلماء والمشايخ فعارضوا كل قادم من الغرب من نافع وضار ، فكان مصير جحودهم فقدان تاثيرهم على المجتمع واقتصار دورهم فى رسوم دينية وفى بعض المناسبات فقط . وهكذا ابتعدوا أو ابعدوا من معترك الحياة وقيادة الشعب .

- وكان الغاء الخلافة العثمانية على أيدى عملاء الاستعمار من أكبر الحوادث التى حدثت فى العالم الاسلامى خلال القرن الرابع عشر الهجرى وذلك لانه انتهى الى المآسى التالية :

أولا : القضاء التام على وحدة الامة الاسلامية وظهور النعرات القومية الجاهلية فى العالم الاسلامى .

ثانيا : خضوع أغلبية البلاد الاسلامية للاستعمار الغربى الغاشم سياسيا وحضاريا .

ثالثا : بداية الغاء الشريعة الاسلامية وحل القانون الوضعى الافرنجى محلها .

رابعا : ظهور دعوات التفرنج فى البلاد الاسلامية المختلفة .

- وهناك كثير من الحركات الهدامة والدعوات المعادية للاسلام التى ظهرت فى العالم الاسلامى تحت رعاية الاستعمار الغاشم لنشر الحضارة الغربية والعلوم والنظريات والفلسفات اللادينية التى جاءت بها ، هذا من ناحية، وللقضاء على الاذعان فى صلاحية الاسلام لقيادة البشرية وحل مشاكلها فى ذلك العصر من الناحية الاخرى ، وللقضاء على وحدة كلمتهم من الناحية الثالثة . واهم هذه الحركات هى حركة التغريب والتفرنج التى قادها السيد أحمد خان فى شبه القارة الهندية ، والاستاذ قاسم امين والدكتور طه حسين فى العالم العربى وضيا كوك الب ومصطفى كمال فى تركيا والعلمانية والديمقراطية والشيوعية والماسونية والتبشير والقاديانية والبهائية وكثير من الحركات الهدامة الاخرى .

- ان الحضارة الجاهلية الحديثة والعلوم والفلسفات والنظريات الجاهلية المادية التى هى جاءت بها كان لها تاثيرا بالغا فى حياة الامة الاسلامية الفردية والاجتماعية ولاسيما فى الدوائر الآتية :

العقائد والألهيات : وأما العقائد والآلهيات فقد تاثرت من الفلسفات اللادينية المادية التفسير الجدلي للتاريخ لهيجل والتفسير الجدلي المادي للتاريخ لماركس وفلسفة التطور لداروين وما الى ذلك من الفلسفات الجاهلية المادية التي تلتزم انكار كل مايوجد وراء المحسوسات وهكذا بدأ الاذعان بالله سبحانه والبعث والوحي والرسالة يضعف يوما فيوما .

القيم الاخلاقية : وهكذا تأثرت القيم الاخلاقية الاسلامية التي كانت غايتها السامية كسب مرضات الله سبحانه بخدمة عباده حسب تعليماته الكريمة من هذه الحضارة اللادينية وفلسفاتها المادية وحلت محلها القيم الاخلاقية المادية التي تولدت من بطن التفسير المادي الجدلي لماركس وفلسفة التطور لداروين وفلسفة السياسة اللادينية لمكيافيلي والتفسير الجنسي لعلم النفس لفرويد وما الى ذلك من الفلسفات المادية الجاهلية .

التعليم والثقافة : وأما التعليم فكان لاهميته ان ركز عليه الاستعمار بصفة خاصة وقام بتغيير منهج التعليم الاسلامي بمنهج التعليم الافرنجي اللاديني الذي قد أنجبته الحضارة الغربية الجاهلية وتشمله العلوم والنظريات والفلسفات الجاهلية الحديثة فألغيت المعاهد الدينية وحلت محلها الكليات والجامعات الحديثة وذلك علاوة على عدد غير قليل من المعاهد والكليات التبشيرية التي أنشأها المبشرون المسيحيون تحت رعاية الاستعمار . وهكذا ظهرت عديد من الحركات والدعوات لتعميم هذه الثقافة اللادينية . وزاد الطين بلة اذ قررت الحكومة ان ابواب المعيشة لم تفتح الا بمفتاح الثقافة الغربية فكانت النتيجة ان كل سلالة جديدة من المسلمين كانت اسرع اليها من سابقتها . وبدأ يتخرج فيها جيل جديد لم تكن لها اية علاقة بالاسلام سوى الاسم . فقد أصبح متفرنجا

من حيث الفكرة والنظر والوجدان والسيرة والاعمال ، واما الثقافة الدينية فكان من الطبيعي ان تفقد تاثيرها يوما فيوما وذلك لكون منهج التعليم الديني منهجا قديما قد أكل عليه الدهر وشرب ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الثانية لاغلاق ابواب الرزق على متخرجي المعاهد الدينية ، ومن الناحية الثالثة لموقف علماء الاسلام السلبي تجاه الحضارة الغربية ، فكانت النتيجة ان نحي خريجي المعاهد الدينية من معترك الحياة واصبح المجال خاليا للمثقفين الجدد الخاضعين للحضارة الغربية الجاهلية .

السياسة : وأما المجال السياسي فيمكننا أن نتصور عنه في تلك الاوضاع فقد خضعت اغلبية البلاد الاسلامية للاستعمار الأوربي الغاشم والمسلمون المثقفون الذين كانت زعامة المجتمعات الاسلامية في ايديهم ، قد تأثروا من النظريات السياسية الحديثة مثل الديمقراطية والعلمانية والاشتراكية ، والشيوعية ، والليبرالية ، والقومية الوطنية وما الى ذلك من الفلسفات السياسية الحديثة كما تأثروا من القيم الاخلاقية الفاسدة التي قد جاء بها المفكرون السياسيون ككمكيافيلي وروسو وماركس وانجلز ولينين وما الى ذلك من المفكرين السياسيين .

وكان من مستلزمات هذه الفلسفات السياسية الجاهلية ظهور نظرية فصل الدين عن الدولة وانكار حاكمية الله سبحانه لتحل محلها حاكمية الجمهور ، أو الشعب ، وتنحية القيم الاخلاقية الاسلامية عن المجال السياسي وانتشار النعرات القومية الوطنية الجاهلية في العالم الاسلامي وعلى هذا كانت نتيجة كل ذلك ان الحركات السياسية التي قامت في ذلك العصر لاستخلاص البلاد الاسلامية المختلفة من الاحتلال الاستعماري كانت كلها قومية وطنية ولم تكن تهدف الا الى اقامة الحكومات القومية الجمهورية اللادينية او الشيوعية

أو الاشتراكية في بلادهم الاسلامية ، وكانت زعامة هذه الحركات في ايدى المثقفين الجدد الذين اكثرهم لم يؤمنوا بصلاحية الاسلام لقيادة البشرية في ذلك العصر ولاسيما في المجال السياسي . وكانوا يعتقدون ان النظم السياسية الحديثة وحدها كانت تتمتع بهذه الصلاحية .

وأما شبه القارة الهندية فكانت زعامة المسلمين السياسية فيها في ايدى العلماء والمشايخ في البداية ثم انتقلت الى ايدى المثقفين الجدد فيما بعد تدريجيا . واهم الاحزاب السياسية في شبه القارة الهندية في ذلك العصر هي :

اولا : حزب المؤتمر الهندي الذي كانت زعامته في ايدى (الغاندى) و(النهرو) وغيرهما من الهندوسيين ، وكان هذا الحزب يهدف الى اقامة الحكومة القومية الديمقراطية التي تكون فيها الاغلبية للهندوس وتكون السلطة الحقيقية في ايديهم ليتمكنوا من القضاء على الاسلام والمسلمين معا .

ثانيا : حزب رابطة المسلمين فكان هدفه اقامة دولة مسلمة مستقلة ، ولكن الاسلام الذى كان قادتهم يتكلمون عنه لم يكن الا الاسلام الجغرافي او الاسلام القومي، ان صح هذا التعبير . ولم يكن لديهم اية فكرة لاقامة النظام الاسلامى بعد استقلال البلاد وهذا مايشهد عليه ما عمله قادة باكستان فعلا في هذا الصدد بعد انشاء هذه الدولة المسلمة عام ١٩٤٧ الميلادى .

القانون والشريعة : ان القانون له صلة وثيقة بالمبادئ الاساسية للمجتمع ، هذا بصفة عامة، واما الشريعة الاسلامية الغراء فانزلها الله سبحانه ليحكم بها المسلمون وهذا التحكيم ليس تطوعا اونافلة ، بل هو اساسا لايمانهم بالله ، فخطط الاستعمار بالغاء الشريعة الاسلامية للقضاء على هذا الاساس الايماني وقام بتغيير الشريعة الاسلامية بالقوانين الوضعية الافرنجية التي تخالف المبدأ

بأن حق التشريع مختص بالله سبحانه وكانت تختلف كل الاختلاف عن الشريعة الاسلامية وتحل ماتحرم الشريعة وتحرم ماتحل الشريعة فأحلت الزنا والخمر والميسر وكثيرا من المنكرات الاخرى وقضت على كثير من الخيرات ولكن ماهو أخطر وأشنع من كل ذلك هو قبول المسلمين الفكرة الخاطئة ان حق التشريع لا يختص بالله سبحانه بل يختص بالبرلمان او مجلس النواب الذى يمكن له ان يحل اى حرام ويحرم اى حلال .

الاقتصاد والمعيشة : وأما فى دائرة الاقتصاد والمعيشة فانتشرت فى المسلمين الفلسفات الاقتصادية الحديثة كالشيوعية والرأسمالية والنظم الاقتصادية الاخرى وانشئت الحركات والدعوات الخاصة لنشر هذه الافكار والفلسفات الاقتصادية فى المجتمعات الاسلامية ، ومن أشنع النتائج التى جاءت بها هذه النظريات الاقتصادية فقدان الوعى والتمييز بين الحلال والحرام . فبدأ المسلمون يشتغلون فى الحرف المحرمة والبيوع الفاسدة ويقبلون الوظائف غير الشرعية وبلغ الامر الى حد أن كثيرا من المسلمين التحقوا بالجيش الاستعمارى الغاشم ليقاتلوا فى سبيل الطاغوت ورأى بعض قادتهم ان حالة المسلمين الاقتصادية لا يمكن تحسنها الا بجواز الربا ، فقام بعض من علماء السوء باصدار الفتوى بجوازها .

الحالة الاجتماعية : وأما الحياة الاجتماعية فتأثير الحضارة الغربية فيها أدى الى اشنع واخطر النتائج منها ظهور الحركات والدعوات الخاصة باسم " تحرير المرأة " وكانت تهدف الى خروج المرأة المسلمة من حجابها وبيتها فى اتباع المرأة الاوربية وذلك للقضاء على كيان الاسرة المسلمة والقيم الاخلاقية الاسلامية ومنها بداية التعليم المختلط فى الكليات والجامعات التى جاءت بالمفاسد الاجتماعية التى لا تعد ولا تحصى ومنها بداية خروج المرأة

المسلمة للمشاركة في أنشطة الحياة الاجتماعية مثل الوظائف في دوائر الحكومة أو المشاركة في المباريات القومية والدولية أو المشاركة في مهرجانات الشباب والشابات المختلطة أو في البرامج التمثيلية كالمسرح والسينما أو في حفلات الرقص والموسيقى ، أو خدمة ركاب الطائرات ونزلاء الفنادق كما روجت في المجتمعات الاسلامية الأفكار التي تخالف أحكام الشريعة الاسلامية كفكرة منع تعدد الزوجات مع اباحة اتخاذ الخليلات والعشيقات وفكرة عدم وقوع الطلاق الا عن طريق المحكمة وحركة تحديد النسل وما الى ذلك من الحركات التي أنشئت في المجتمعات الاسلامية للقضاء على القيم الأساسية لحياتنا الاجتماعية .

الأدب والصحافة : وأما الأدب والصحافة فكان لاهمية هاتين الوسيلتين البالغة أن خططت الحركات الهدامة والدعوات المعادية للاسلام لاستخدامهما لنفوذها في المجتمعات الاسلامية فصدرت عدد من الجرائد والمجلات لنشر الأفكار والنظريات اللادينية والفلسفات والعلوم المادية التي جاءت بها الحضارة الجاهلية الحديثة . وهكذا ألفت وترجمت عديد من الكتب لتحقيق هذا الهدف ولاسيما بعد تأسيس جمعية الكتاب المتقدمين في شبه القارة الهندية عام ١٩٣٥ م قام الكتاب المتقدمين بالهجوم العنيف على الاسلام وقيمه السامية للحياة الاجتماعية وبدأوا يصدرون الكتب والقصص وينتقدون فيها مبادئ الاسلام الأساسية ويستهزءون بالقيم الاسلامية للحياة الاجتماعية كما اهتم هؤلاء الكتاب الملاحد بنشر صور النساء العاريات أو شبه العاريات في مجلاتهم وجرائدهم ليتمكنوا من القضاء على الحياء والعفة في المجتمع الاسلامي .

مجال العمال : من المعلوم أن مجال العمال قد حصلت له الأهمية البالغة بعد الانقلاب الشيوعي في روسيا عام ١٩١٧ الميلادى ، فكان

لمخططات الشيوعية العالمية ان اهتم الشيوعيون بالتركيز فى هذا المجال بصفة خاصة فتأسست المنظمات الشيوعية للعمل فى مجال العمال فى البلاد الاسلامية المختلفة ، وهذه المنظمات كانت تعمل للشيوعية باسم حقوق العمال فقد حصلت لهم السيطرة الكاملة فى هذا المجال .

الحالة الدينية : وأما الحالة الدينية فى العالم الاسلامى ولا سيما فى شبه القارة الهندية فتأثرت من غزو الاستعمار الحضارى بالأوجه الآتية :

اولا : كان لجعل الاستعمار الثقافة الغربية الحديثة الوسيلة الوحيدة للوصول الى الوظائف الرسمية من ناحية ولرفض علماء الاسلام والمشايخ من اى تغيير فى منهجهم التعليمى الذى قد أكل عليه الدهر وشرب من الناحية الثانية ان اهتمام المسلمين بالتعليم الدينى بدأ يضعف يوما فيوما .

ثانيا : كان ظهور الحركات الهدامة والدعوات المعادية للاسلام فى المجتمعات الاسلامية يهدف الى القضاء على الاسلام من الداخل والخارج معا . واهم الحركات الهدامة والدعوات المعادية التى أنشئت او راجت فى العالم الاسلامى تحت راية الاستعمار ورعايته هى : التبشير والاستشراق والماسونية والشيوعية والعلمانية والديمقراطية اللادينية والقومية الوطنية الجاهلية من الخارج ، والقاديانية والبهائية وجحود السنة النبوية وتطوير الاسلام بالتوفيق بين الاسلام والحضارة الغربية من الداخل .وهذا فضلا عن اهتمام الاستعمار باشعال نار الخلافات بين الفرق الاسلامية المختلفة وذلك للقضاء على وحدتهم من ناحية ، وللفت نظرهم عن التحديات والتيارات المعادية للاسلام من الناحية الثانية .

ثالثا : كان لاتخاذ العلماء والمشايخ الموقف السلبى الاعتزالى تجاه الحضارة الغربية بانهم لم يتمكنوا من مواجهة التحديات والتيارات التى جاءت بها هذه

الحضارة الاستعمارية ، وهذا ما انتهى الى تنحيتهم عن منصب القيادة فى المجتمعات الاسلامية التى قد استولى عليه المثقفون الجدد الخاضعون للحضارة الغربية والمؤمنون بكل ما ياتى من الغرب صحيحا كان او غير صحيح وحقا كان او باطلا .

- وجملة القول ان غزو الاستعمار السياسى والحضارى قد تأثرت به حياة الامة الاسلامية الفردية والاجتماعية بكل نواحيها ويقول الامام حسن البنا الشهيد عن تاثير هذا الغزو البالغ فى العالم الاسلامى :

" وقد عمل الاوربيون جاهدين على ان تغمر موجة هذه الحياة المادية بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة جميع البلاد الاسلامية التى امتدت اليها ايديهم . واوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الامم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة . وقد احكموا خطة هذا الغزو الاجتماعى احكاما شديدا واستعانوا بدهائهم السياسى وسلطانهم العسكرى حتى تم لهم ما ارادوا .... وتمكنوا بعد ذلك من ان يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعليم وان يصبغوا النظم السياسية والتشريعية والثقافية بصبغتهم الخاصة فى اقوى بلاد الاسلام ...... ونجح هذا الغزو الاجتماعى المنظم العنيف اعظم نجاح فهو غزو محبب الى النفوس لاصق بالقلوب طويل العمر قوى الاثر وهو لهذا اخطر من الغزو السياسى والعسكرى باضعاف الاضعاف" (١) .

- ان الدعوات التى ظهرت فى ذلك العصر لمواجهة التحديات والتيارات التى جاءت بها الحضارة الغربية كدعوة الشيخ ابى الكلام ازاد والعلامة الدكتور محمد اقبال فى شبه القارة الهندية لها دور هام فى مواجهة هذه التحديات

---

(١) مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا ص : ١٣٨-١٣٩ .

الا أن تلك الدعوات لم تصبح حركة اسلامية شاملة تتمكن من مواجهة التحدى الحضارى الافرنجى فى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية .

- انه كان من متطلبات ذلك العصر ومقتضياته ان تقوم الحركة الاسلامية الشاملة لاحياء التصور الصحيح للاسلام وللقضاء على العبودية الفكرية للحضارة الغربية واعادة ثقة المسلمين فى صلاحية الاسلام لقيادة البشرية فى ذلك العصر ، هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى لمواجهة التحديات والتيارات المعادية للاسلام ولبداية الجهاد لاقامة الدولة الاسلامية على منهاج الخلافة الراشدة ، فشاء الله سبحانه ظهور هذه الحركة الشاملة فى العالم الاسلامى لتحقيق هذه الاهداف السامية ، فظهرت دعوة اخوان المسلمين فى العالم العربى ودعوة الجماعة الاسلامية فى شبه القارة الهندية فى نفس الوقت ، فلله الحمد .

- ان الاستاذ المودودى بعد ما وفقه الله خلال تأليف كتابه الشهير (الجهاد فى الاسلام) ان يعرف ماهى الدعوة الاسلامية وماهى متطلباتها قرر ان يقوم للعمل فى مجال الدعوة ورأى ضروريا ان يعد نفسه لهذه المهمة الجليلة فكريا وعلميا ليتمكن من العمل فى مجال الدعوة فى عصر ملئ بالتحديات والتيارات وافرغ فى ذهنه العديد من امهات الكتب فى العلوم الدينية والعصرية من عام ١٩٢٩ الى عام ١٩٣٢ م ثم قام الاستاذ بعمل الدعوة فعلا باصدار مجلة ترجمان القرآن الشهرية عام ١٩٣٣ م .

- وكان لهذه الدراسة العميقة الواسعة ان حصل للاستاذ المودودى امعان النظر فى الكتاب والسنة والعلوم الدينية الاخرى مع الاطلاع الواسع على العلوم والفلسفات المعاصرة ، وهذا ما تمكن به الاستاذ من العمل فى مجال الدعوة فى عصر ملئ بالتحديات والتيارات المعادية للاسلام .

- ان الاستاذ المودودى بدأ عمله فى مجال الدعوة بالاهتمام بناحيتين اساسيتين وهما :

اولا : النقد العلمى الشامل لكل نوع من انواع الجاهلية القديمة والحديثة ومؤثراتها فى المجتمعات الاسلامية مع انتقاده لموقف مثقفى الجدد الخضوعى امام الحضارة الغربية وموقف الرفض والاعتزال السلبى للعلماء والمشايخ ، وذلك مع عنايته الخاصة بمواجهة التحديات والتيارات التى كان يواجهها الاسلام والامة الاسلامية وبإزالة الشبهات التى جاء بها اعداء الاسلام حول مبادئ الاسلام وتعليماته .

ثانيا : الاهتمام الخاص بابراز التصور الصحيح للاسلام مبينا الحقيقة أن الاسلام دين ودولة وهو نظام كامل شامل لكل ناحية من نواحى الحياة الفردية والاجتماعية ولا يمكن العمل بمتطلباته الا باقامة الحكومة الاسلامية وذلك مع اهتمامه ببيان اوجه النظام الاسلامى المختلفة ومبادئ الاسلام الاساسية ونظرته نحو الانسان والكون وغاية عباداته ومزايا حضارته ومدنيته ومبادئه الاساسية فى المدنية والسياسة والاقتصاد وما الى ذلك من نواحى الحياة الاسلامية المختلفة .

- ان مرحلة النقد والدعوة تبدأ من اصدار مجلة ترجمان القران الشهرية عام ١٩٣٣ م وتستمر الى اغسطس عام ١٩٤١ الميلادى وكان خلال تلك الفترة ان اهتم الاستاذ بابراز موقف الاسلام عن كل من سياسة حزب المؤتمر الهندى تجاه المسلمين والاسلام ونظرية الاسلام القومى لحزب رابطة المسلمين كما كان خلال تلك الفترة ان هاجر الاستاذ المودودى من حيدر اباد الدكن الى بنجاب ملبيا دعوة العلامة الدكتور محمد اقبال ليجعل قرية دار الاسلام هناك مركزا لدعوته .

- وكان بتأسيس الجماعة الاسلامية فى اغسطس عام ١٩٤١ م الميلادى ان بدأت مرحلة التكوين والتربية للحركة الاسلامية فى شبه القارة الهندية ، وتستمر هذه المرحلة الى عام ١٩٤٧ م ، وتمتاز هذه المرحلة بالعناية الخاصة بالتكوين والتربية وذلك لكى تتمكن الجماعة من اداء واجبها كحركة اسلامية شاملة فى عصر مليء بالتحديات والتيارات المعادية للاسلام .

- وكان بعد تقسيم شبه القارة الهندية وانشاء دولة باكستان الاسلامية عام ١٩٤٧م ان دخلت الحركة الاسلامية فى مرحلة جديدة تسمى مرحلة الجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية والبرنامج الذى اختارته الجماعة الاسلامية وفقا لمتطلبات هذه المرحلة للدعوة كالآتى :

١) تطهير الافكار من شوائب الجاهلية وجعلها وفقا لما جاء به الاسلام .

٢) استخلاص الافراد الصالحين والاهتمام بتربيتهم علميا وعمليا حسب مقتضيات الدعوة الاسلامية .

٣) الاهتمام بالاصلاح الاجتماعى .

٤) الجهاد لاقامة الحكومة الاسلامية .

ولا تزال الجماعة الاسلامية تتمسك بهذا البرنامج الحكيم وتتمشى وفقا لمقتضياته حتى اليوم .

- ان الكتب التى ألفها الاستاذ المودودى خلال مراحل الحركة الاسلامية المختلفة كانت وفقا لمتطلبات الحركة الاسلامية فى هذه المراحل ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى ، تمتاز هذه الكتب القيمة لاسلوبها الجذاب المبرهن بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية حيث تتسخر بها العقول والقلوب معا .

- ان هذه الكتب القيمة لها دور هام فى انقاذ الجيل المثقف الجديد من العبودية الفكرية للحضارة الغربية واعادة ثقتهم فى صلاحية الاسلام لقيادة البشرية فى العصر الحاضر كما لها دور كبير فى مواجهة التحديات المعاصرة والقضاء على الحركات والدعوات الهدامة المعادية للاسلام التى ظهرت فى العالم الاسلامى تحت رعاية الاستعمار الغاشم . وبهذا تعتبر تاليفاته القيمة " من منارات الفكر الاسلامى التى ادت دورا كبيرا فى تقديم حقائق الاسلام للمسلم المعاصر بطريقة مبسطة مبلورة يسهل فهمها واستيعابها "(١).

- ان تأليفات الاستاذ المودودى يتسع نطاقها الى كل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية ومنها الكتب التى ألفها الاستاذ المودودى حول الكتاب والسنة والسيرة النبوية كما ان منها الكتب التى يتكلم فيها الاستاذ عن عقائد الاسلام الاساسية ومنها الكتب التى الفها الاستاذ حول الدعوة الاسلامية ومقتضياتها كما منها الكتب التى يبين فيها اهمية اقامة الحكومة الاسلامية . ومنها الكتب التى يتكلم فيها الاستاذ عن مبادئ الاسلام الاساسية فى الاخلاق والتشريع والسياسة والاقتصاد والاجتماع وما الى ذلك من أوجه الحياة المختلفة كما ان منها الكتب التى يبين فيها الاستاذ موقف الاسلام من الفلسفات الجاهلية ومنها الكتب التى يتصدى فيها الاستاذ التحديات المعاصرة المختلفة كما ان منها الكتب التى ينتقد فيها الاستاذ الحركات الهدامة المعادية للاسلام ، ومنها الكتب التى يتكلم فيها عن قضايا الامة الاسلامية كما ان منها الكتب التى تناول فيها الاستاذ قضايا بلاده الداخلية . وفى الجملة تاليفات الاستاذ المودودى تتسع دائرة موضوعاتها الى نواحى الحياة المختلفة كلها .

- ان الهدف الذى اختارته لها الجماعة الاسلامية هو اقامة دين الله سبحانه والمراد من اقامة الدين هو اقامته كاملا سواء اكان فى الحياة الفردية او كان فى الحياة الاجتماعية ، وسواء كان فى دائرة العبادات اوكان فى المدنية

(١) الاستاذ محمد قطب ـ فى مقابلته مع مندوب مجلة "ريدر دائجست" الشهرية .

أو السياسة او الاقتصاد او الاجتماع وذلك لان الدين لا يمكن لنا ان نقبل بعضه ونرفض بعضه .

- ان العقيدة التى اختارتها الجماعة الاسلامية هى عقيدة (لا اله الا الله محمد رسول الله) مع متطلباتها ومقتضياتها كما يتبين من الكتاب والسنة النبوية .

- ان دعوة الجماعة الاسلامية هى نفس الدعوة التى قامت بها الحركة الاسلامية فى بدايتها وهى ان تخص العبادة بكل انواعها لله تعالى فحسب ، وان تزكى النفوس من النفاق والاعمال من التناقض وان تكون زمام السلطة فى ايدى المؤمنين الصالحين .

- ان منهج الجماعة الاسلامية لدعوتها ماخوذ من الكتاب والسنة .فلذا يطابق كل المطابقة بمتطلبات الدعوة الاسلامية ومقتضياتها .

- ان البرنامج الذى اختارته الجماعة الاسلامية لتحقيق اهدافها كان وفقا لتوجيهات الكتاب والسنة السامية ومطابقا لمتطلبات الحركة الاسلامية ومقتضياتها .

- ان أهم المزايا التى تمتاز بها الحركة الاسلامية هى كالاتى :

١) الشمولية ٢) الحركة العالمية ٣) الاهتمام بالجمع بين الدين والسياسة ٤) الاهتمام بالتنظيم والتربية

٥) الاستحكام فى نظام الجماعة ٦) الاهتمام بالمحاسبة

٧) اجتناب استخدام الطرق السرية والوسائل غير الشرعية

٨) اجتناب الخوض فى الخلافات بين المسلمين

٩) الجمع بين العلماء والمشايخ والمثقفين الجدد .

١٠) الاهتمام بالخدمات الخيرية .

- ان أهم المؤثرات لدعوة الاستاذ المودودى فى شبه القارة الهندية فى العالم الاسلامى كالاتى :

١- احياء التصور الصحيح للاسلام .

٢- احياء التصور الصحيح للتوحيد .

٣- القضاء على اسطورة فصل الدين عن الدولة .

٤- ابراز الفرق بين الاسلام وما ينسب الى المسلمين .

٥- ابراز الفرق بين التاريخ الاسلامى وبين تاريخ الملوك المسلمين .

٦- ابراز اهمية الحكومة الاسلامية .

٧- انقاذ الشباب المثقفين من العبودية الفكرية للحضارة الغربية .

٨- اعادة ثقة الجيل المثقف الجديد فى صلاحية الاسلام لقيادة البشرية .

٩- دعم الحركات الاسلامية العالمية بكتب الدعوة القيمة .

١٠- انشاء الحركات الاسلامية فى البلاد الاسلامية المختلفة .

١١- تصدى التحديات المعاصرة .

١٢- مواجهة الحركات الهدامة المختلفة .

١٣- القضاء على السيطرة الشيوعية فى المجالات المختلفة .

١٤- تطهير العمل السياسى بالدخول فى المجال السياسى .

- ان الجماعة الاسلامية لها علاقات وثيقة وعميقة مع الحركات الاسلامية العالمية الأخرى وهذه العلاقات لها دور هام فى بناء الطريق الى وحدة الحركات الاسلامية على المستوى العالمى ، كما ان هذه اما يساعد العالم الاسلامى فى مواجهة التحديات والتيارات التى تواجهها الامة الاسلامية .

- ان التفاسير التى كانت موجودة فى شبه القارة الهندية قبل قيام الاستاذ المودودى لتاليف تفسيره يتبين من دراستها الفاحصة ان اكثرها اما كانت

على المنهج القديم الذى لم يهتم فيها المفسرون بمايجرى فى العالم حولهم ، واما كانت تهدف الى التوفيق بين الاسلام وبين ماجاء به الحضارة الغربية من العلوم والفلسفات الجاهلية ، واما كانت تخفى تاييد المذاهب والفرق الفقهية والفكرية المختلفة لاشعال نار الخلافات بين المسلمين . واما التفاسير التى قد اهتم فيها بعض من المفسرين بالمواجهة للتحديات المعاصرة والتيارات الهدامة فلم تكن الا قليلا وذلك ايضا باسلوب قديم لم يتمكن من الاستفادة منها الا العلماء والمشايخ . واما التفاسير التى تهتم بالمواجهة للتحديات المعاصرة والتيارات والحركات الهدامة المعادية للاسلام باسلوب عصرى مبرهن جذاب وتبين فيها التوجيهات الالهية الحكيمة للعاملين فى مجال الدعوة وتبرز فيها اهمية اقامة الحكومة الاسلامية مع بيان اوجه النظام الاسلامى المختلفة ، وكل ذلك بالاهتمام الكامل باصول التفسير فلم تكن موجودة والعاملون فى مجال الدعوة كانوا فى أشد حاجة لمثل ذلك التفسير ، وهذا ماجعل الاستاذ المودودى ان يقوم بتاليف تفسيره (تفهيم القرآن) .

- ان الاستاذ المودودى بعد دراسته المقارنة الفاحصة للاديان المختلفة والعلوم والفلسفات والنظم المعاصرة قام بدراسة الفاحصة للكتاب والسنة والسيرة النبوية ووصل الى النتيجة ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى يصلح للقيادة البشرية فى كل زمان وفى كل مكان ، وذلك للاسباب الآتية :

١- هو دين جعله الله الخالق حسب مقتضيات الفطرة الانسانية ووفقا للغاية التى هو خلقه لاجلها .

٢- هو الدين الوحيد الذى يوجد فى حالته الاصلية وذلك لكون القرآن الكريم محفوظا من التحريف والتغيير .

٣- هو الدين الوحيد الذى يشمل العدالة الاجتماعية لكل نواحى الحياة الفردية والإجتماعية.

- ان قرار الأستاذ المودودى للقيام بعمل الدعوة كان نتيجة لما وصل اليه الاستاذ بعد دراسة القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية ان القرآن هو كتاب الدعوة والسيرة النبوية هى سيرة قائد هذه الدعوة والاحاديث النبوية هى توجيهاته الحكيمة لهذه الدعوة ولذا لا يمكن العمل بمقتضيات الكتاب والسنة ولا يمكن اتباع السيرة النبوية الا بالقيام بعمل الدعوة.

- ان قرار الاستاذ المودودى للقيام بتأليف تفهيم القرآن كان لوصوله إلى النتيجة انه مهما يبذل جهوده لتفهيم الاسلام والدعوة اليه لا يمكن له ان يتمكن من النجاح الا اذا اهتم بتفهيم القرآن وتفسيره، هذا من ناحية ومن الناحية الثانية كان قيام الاستاذ لتأليف هذا التفسير لعدم وجود أى تفسير حسب مقتضيات الدعوة الاسلامية.

- ان العمل فى مجال الدعوة الاسلامية قد تمكن به الاستاذ المودودى من فهم القرآن فهما صحيحا، كما كان بهذا العمل انه تمكن من تفهيم القرآن وتفسيره باسلوب لا يمكن ان يختاره الا من يكون المفسر الداعية.

- ان الاستاذ المودودى كان يرغب فى تاليف تفسيره موجزا فى البداية، ولكنه فيما بعد وصل الى نتيجة هى ان هذا الاسلوب لا يمكن به تحقيق الهدف الذى كان يؤلف تفسيره لاجله، وذلك لان العمل فى مجال الدعوة يقتضى التوجيهات التفصيلية لكل دائرة من دوائر الحياة الفردية والاجتماعية، وبهذا نرى أن تفسيره فى الجزئين الأولين موجز وفى الاجزاء الأربعة الاخيرة مفصل.

- ان الاستاذ المودودى قد أخذ ما اكثر من ثلاثين سنة فى تاليف تفسيره (تفهيم القرآن) وذلك لانه لم يؤلفه جالسا فى مكتبه او منزله بل الفه وهو يقود الحركة

الاسلامية ويجاهد لاقامة الحكومة الاسلامية ويتصدى للتحديات والتيارات ويواجه الحركات والدعوات الهدامة ويؤلف الكتب مبينا اوجه النظام الاسلامي المختلفة ونقدا للجاهلية القديمة والحديثة بكل انواعها ، ويقول الاستاذ خليل الحامدي متكلما عن الاوضاع التي ألف الاستاذ المودودي تفسيره فيها :

" فبينما نراه مفسرا للقرآن الكريم نراه في الوقت نفسه قائدا لركب الدعوة ، مربيا للجيل الجديد مقاوما للفتن التي تحارب مسيرة الاسلام وزعيما للمعارضة في وجه النظام الدكتاتوري ، وهكذا احيانا هو في مكتبه يتقلب بين الكتب والمصادر وحين اخر هو في الجولات يخاطب الجماهير ويتناول مشكلاتها وحينا ثالثا في قاعات الجامعات يناقش رجال الحكم والعلم والقانون لاقناعهم على كون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان وحينا رابعا يزج به في السجون والمعتقلات لا لشيء الا لكونه يرفض جميع الحاكميات الا الحاكمية لله وحده "(١) .

وكان من الطبيعي ان هذه الظروف تلهمه معاني جديدة في القرآن لا يعثر عليها الا من كان يمر بنفس الظروف والقضايا التي مرت بها الدعوة الاسلامية في مراحلها المختلفة ، وهذا ما يمتاز به اسلوب تفهيم القرآن من بين التفاسير .

- ان الاستاذ المودودي كان يهتم باصدار تفسيره في مجلة ترجمان القرآن الشهرية قبل اصداره بصورة كتاب مستقل وذلك حرصا على ان العلماء والمشايخ يخبرونه على اخطائه التفسيرية وكان يبادر الى تصحيح اخطائه اذا نبهه احد عليها مستدلا بالكتاب والسنة .

---

(١) الاستاذ خليل الحامدي - تفهيم القرآن وخصائصه ص : ١١ .

- ان الاستاذ المودودى كان يعتني بالتحقيق والدقة خلال تفسيره للقرآن الكريم وذلك الى حد انه كان يعتقد انه لو كتب حرفا واحدا بدون الاحتياط والدقة سينتهى الى حبط اعماله كلها .

- ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره للآية او الآيات كان يعتني فى اول امره بالسياق الذى وردت فيه هذه الآية او الآيات . ثم يرى ماهو يكون المراد منه من الناحية اللغوية ثم يعرض امام عينيه الآيات الاخرى الواردة فى الموضوع ويرى ماهو يكون المراد منها فى ضوء هذه الايات الكريمة . ثم كان يرى ماهو المعنى للاية الذى ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم وماهو المعنى الذى فهم منها الصحابة رضى الله عنهم ، وهذا مايتبين مما كتبه الاستاذ متكلما عن مبادئ التفسير الاساسية ومن تتابع تفسيره بالدقة ، كما ان هذا مايدل عليه ماكتبه الاستاذ ردا على التاويلات الباطلة للشيعة والقاديانيين ومنكرى السنة فى تفسيره او فى كتبه الاخرى .

- ان مقدمة تفسير الاستاذ المودودى تشمل المبادئ الاساسية لدراسة القرآن وفهمه فهما صحيحا كما يرد فيها الاستاذ على الأسئلة التى يواجهها القارئ خلال تلاوته للقران الكريم اذا لم يكن له امعان النظر فى الكتاب والسنة .

- ان الاستاذ المودودى قبل بداية تفسيره لسورة كان يأتى بمقدمة تفصيلية يبين فيها سبب تسمية السورة وزمن نزولها مع ذكر المرحلة التى كانت فيها الحركة الاسلامية آنذاك ، كما ياتى فيها بموجز مباحث السورة مع العناية الخاصة ببيان التوجيهات الالهية لعمل الدعوة الاسلامية او لتنظيم الحياة الفردية والاجتماعية على الاسس الاسلامية .

- ان الاستاذ المودودى كان لإمعان نظره فى الكتاب والسنة مع اطلاعه الواسع على العلوم والفلسفات المعاصرة ان اسلوبه فى التفسير يمتاز بالجمع بين الرواية والدراية .

- ان الاستاذ المودودى كان لكونه داعية مع كونه مفسرا انه كان يعتقـــد أن القرآن الكريم هو الكتاب الذى انزله الله لقيادة الحركة الاسلامية ، وكان لعمله الطويل فى مجال الدعوة انه تمكن من لفهم الصحيح للتوجيهات الالهية الواردة فى القرآن لعمل الدعوة ، فلذا هو يعتنى بصفة خاصة ببيان مطالب الدعوة ومتطلباتها خلال تفسيره للقرآن الكريم ، وهذا مايجعل تفسيـــره موسوعة قيمة لما يتعلق بالدعوة ومتطلباتها .
- ان فريضة اقامة الدين او اقامة الحكومة الاسلامية كان لاهميتها البالغـــة ان اعتنى بها الاستاذ بصفة خاصة خلال تفسيره للقرآن الكريم ، وبيـــن بالادلة القاطعة ان العمل بمقتضيات الدين وتعليماته القيمة لا يمكن الا باقامة الحكومة الاسلامية ، ولذا نظرية فصل الدين عن الدولة واقتصاره على أداء الطقوس كالمسيحية نظرية غير اسلامية ولا يسمح لها القرآن ولا السنـــة النبوية .
- ان الاستاذ المودودى له اسلوب خاص فى دراسة القصص القرآنية خـــلال تفسيره للآيات الكريمة التى وردت فيها قصص الانبياء السابقين او الامـــم السابقة وهو اسلوب المفسر الداعية ، فهو خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة يهتم ببيان العلاقة بين القصة وبين مرحلة الحركة الاسلامية التى هى نزلت فيها ويذكر التوجيهات الالهية التى تضم القصة لهذه المرحلة للدعوة ، ثم يبين ماهى فيها من التوجيهات للعاملين فى مجال الدعوة اليوم .
- ان الاستاذ المودودى اهتم ببيان اوجه النظام الاسلامى المختلفة خـــلال تفسيره للآيات الكريمة التى تشمل التوجيهات الالهية نحو الحياة الانسانيـــة الفردية والاجتماعية ويثبت بالادلة القوية ان الاسلام دين كامل شامل صالح لقيادة البشرية فى كل زمان ومكان وفى كل دائرة من دوائر الحيـــــاة

الفردية والاجتماعية .

- ان اسلوب الاستاذ المودودى لدراسة آيات الاحكام وبيان المسائل الفقهية خلال تفسيره للقرآن الكريم يمتاز بدراسة المقارنة للمذاهب الفقهية وترجيح بعض الآراء الفقهية على الأخرى مستدلا بالكتاب والسنة اوالبراهين العقلية القوية واجتنابا كل الاجتناب التعصب المذهبى .

- ان استشهاد الاستاذ المودودى من كتب اهل الكتاب خلال تفسيره للآيات الكريمة التى تتحدث عن تاريخ اهل الكتاب كان لتفصيل ماورد فى القرآن الكريم موجزا او لاتيان الشهادة على كون هذه الكتب محرفة ولاثبات الحقيقة ان اتهام اهل الكتاب الشنيعة على انبياءهم باطلة كاذبة ،هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى للرد على اتهام المستشرقين الباطلة ان النبى صلى الله عليه وسلم قد تعلم القرآن من علماء اهل الكتاب او من كتبهم .

- أن اهتمام الاستاذ المودودى باتيان الخرائط والصور للاماكن الواردة فى القرآن الكريم كان لاهميتها البالغة فى دراسة القرآن الكريم وفهمه وكانت لهذه الاهمية ان قرر الاستاذ المودودى ان يقوم برحلة علمية خاصة الى أرض القرآن ويزور الاماكن الواردة فى القرآن ليتمكن من فهم الآيات المتعلقة فهما صحيحا ثم يتمكن من تفهيمها وتفسيرها فى ضوء دراسته .

- ان أسلوب الاستاذ المودودى بالعناية بالقصص الواردة فى القرآن يمتاز باهتمامه ببيان العلاقة بين القصة وبين مرحلة الدعوة التى أنزلها الله فيها كما يعتنى الاستاذ ببيان الدروس التى ينبغى للداعية ان يتعلمه منها .

- ان الاستاذ لم يهتم فى تفسيره بالمباحث الجانبية التى ليست لها اية علاقة مباشرة اوغير مباشرة فى فهم القرآن وذلك لان القارئ لا يلتفت نظره الى هذه المباحث الجانبية فهو على العكس يهتم ببيان الدروس التى ينبغى للقارئ أن يتعلم منها .

- ان الاستاذ المودودى خلال تفسيره للقرآن الكريم يهتم بصفة خاصة بالرد على التأويلات الباطلة للآيات الكريمة التى جاء بها الفرق المختلفة لتاييد مذاهبهم الخاصة سواء اكانت هذه الفرق قديمة مثل الشيعة اوالخوارج والمعتزلة او كانت حديثة مثل القاديانية وانكار السنة والخرافية واسلوب الاستاذ المودودى فى الرد على هذه التاويلات الباطلة يمتاز باستدلاله بالقرآن والسنة والاجماع والبراهين العقلية القوية معا .

- ان اهتمام الاستاذ المودودى بالمواجهة للتحديات المعاصرة والحركات الهدامة المعادية للاسلام كان لابراز موقف الاسلام عما جاءت به الحضارة الجاهلية الحديثة من النظريات اللادينية والفلسفات المادية ، وذلك بالبراهين العقلية القوية ليتمكن من القضاء على العبودية الفكرية للحضارة الغربية التى قد وقع فيها كثير من المثقفين الجدد بعد غزو الاستعمار الحضارى للعالم الاسلامى .

- ان تفسير الاستاذ المودودى يتبين من دراسته المقارنة مع التفاسير الاخرى القديمة منها والحديثة ان الاستاذ قد وفقه الله ان يجمع فيه بين الرواية والدراية وهذا ماتزيد به ثقتنا فيه .

- ان تفسير الاستاذ المودودى مع كل ماكان له من امعان النظر فى الكتاب والسنة والاطلاع الواسع على العلوم والفلسفات المعاصرة ومع كل اهتمامه بالجمع بين الرواية والدراية ومع كل مابذله من السعى والجهد فى التحقيق والدقة خلال تاليفه هناك بعض من آرائه التفسيرية التى اختلف به فيها بعض العلماء والمشايخ المعاصرين وذلك لعدة اسباب منها :

اولا : ان الانسان مهما يكن عالما اومفكرا اومفسرا لا يكون معصوما عن الخطأ ، فكل انسان يؤخذ منه ويؤخذ عليه الا الانبياء عليهم السلام ، والنبى لا يؤاخذ عليه لكونه معصوما .

ثانيا : أن الاختلاف فى الآراء التفسيرية لابأس به اذا كان مستدلا من الكتاب والسنة ، ولاسيما اذا لا يجعل المفسر رأيه مقياسا للحق والباطل ، وهذا الاختلاف نجده فى المفسرين الكبار من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتبع التابعين رحمهم الله ، وكان من هذا المنطلق ان الاستاذ كان يختلف فى بعض ارائه التفسيرية عن بعض من المفسرين مستشهدا بالادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية القوية ولذا اختلاف بعض العلماء والمشايخ ببعض آرائه التفسيرية لابأس فيه ولا حرج .

ثالثا : ومن الطبيعى ان يكون هناك فرقا بين تفسير المفسر الداعية الذى يفسر القرآن وهو يعمل فى مجال الدعوة ويمر من المراحل التى مرت بها الدعوة الاسلامية حين نزول القرآن وبين المفسر الذى يؤلف تفسيره جالسا فى مكتب او مدرسة وزاوية لأن الأول يعيش فى ظلال القرآن ولكن الثانى يعيش فى البيئة التى تختلف من البيئة التى يعيش فيها الاول ، وبهذا يمكن لنا ان نفهم حقيقة هذا الاختلاف بين آرائهما التفسيرية .

رابعا : وهناك بعض من العلماء والمشايخ الذين لم يعجبهم قيام الاستاذ المودودى بعمل الدعوة فبدأوا يختلفون به وينتقدونه فى كل صغيرة وكبيرة ، فقاموا كعادتهم بنقد تفسيره ايضا الا ان نقدهم يخلو من الادلة من الكتاب والسنة والبراهين العقلية ، فلهذا هذا النوع من النقد ليس له أثرا يذكر .

وجملة القول ان تفهيم القرآن " ليس بكتاب يحتفظ به فقط فى الدولاب ويحترم فقط تقديسا له او يقرأ فيه فقط للتلذذ بل كتاب قاد الحركة ووجه الامة وكشف الغمة وكوّن جيلا كاملا يعيشه فى المنشط والمكره يستهديه فى الملمات ويستنير به فى الظلمات ويسترشده فى اجواء الجامعات وفى المصانع وفى ضوضاء

الآلات وفى المتاجر والمستودعات ، وفى الحقول والزروع ، وفى المدن : مراكز الحضارة ، وفى القرى : معاقل البداوة ، وفى المعارك التى يخوضها حملة الدعوة لتطبيق الاسلام تشريعا للدولة ومنهجا للحكومة ، وفى المداولات التى تجرى فى المحاكم وأقبية القضاء وقاعات المحاماة لاحقاق الحق وابطال الباطل وفى الجبهات التى يلجأ اليها المغاوير الافغان لضرب القوات المحتلة فى ربوع الافغانستان .

ويقرأ هذا الكتاب لمواجهة العقائد الباطلة من الشرك والوثنية والخرافات ومقارعة الافكار الهدامة من الرأسمالية والشيوعية والمادية والوجودية ، وقمع الدعاوى الزائغة من القاديانية والبهائية وتطهير الاذهان من دسائس الصهيونية ومكايد التبشير واباطيل الاستشراق وزيف التغريب ويقرأ لتحطيم الطواغيت الذين يتحكمون فى رقاب الناس الذين ولدتهم أمهاتهم احرارا فاستعبدوهم وينفذون فيهم مالم ينزل الله به من سلطان"(1) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين . ""

...

---

(1) الاستاذ خليل الحامدى ـ تفهيم القرآن وخصائصه ص ١ .

المصادر والمراجــــع

الكتــب :

١ - أبوالاعلى المودودى - صفحات من حياته وجهاده ، الاستاذ احمد ادريس ، المختار الاسلامى بالقاهرة (ط عام ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).

٢ - ابوالاعلى المودودى : فكره ودعوته ، الاستاذ اسعد جيلانى ، ترجمـــة الدكتور سمير عبدالحميد ابراهيم ، شركة الفيصل للطباعة والنشر بلاهـــور (ط عام ١٩٧٨م).

٣ - اتجاهات التفسير فى العصر الحديث - الدكتور عبدالمجيد عبدالسلام المحتسب دار الفكر بيروت (ط ١٣٩٣هـ).

٤ - الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر - الدكتور محمد محمد حسين - مكتبــة الاداب ومطبعتها بالجماميز (الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ).

٥ - احكام القران - الامام ابوبكر احمد بن على الرازى الجصاص ، تحقيق : محمـــد الصادق قمحاوى . دار المصحف - شركة مكتبة ومطبعة عبدالرحمن محمـــد بالقاهرة .

٦ - ارد و أدب اور اسلام (الادب الاردى والاسلام) الاستاذ هارون الرشيد ، اسلامك ببلى كيشنز (الاسلاميون للطباعة والنشر - لاهور) لاهور (ط نوفمبر ١٩٦٨م)

٧ - الاستشراق والمستشرقون - د . مصطفى السباعى . المكتب الاسلامى (ط - عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

٨ - الاسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة - الاستاذ المودودى ، ترجمــــة الاستاذ خليل الحامدى ، دار القلم . الكويت (ط ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

٩ - الاسلام واوضاعنا القانونية - الشهيد عبدالقادر عودة - الاتحاد الاسلامـى العالمى للمنظمات الطلابية ، الكويت (ط ١٤٠١هـ/١٩٨٢م) .

١٠ - الامام ابوالاعلى المودودى - الاستاذ خليل احمد الحامدى - دار العروبة للدعوة الاسلامية ، المنصورة ، لاهور ، باكستان (ط عام ١٩٨٠م).

١١- اشتراكيتهم واسلامنا - الاستاذ بشير العوف - مؤسسة الانتاج الطبعي - بيروت (ط ١٩٦٦)٠

١٢- الاصابة في تمييز الصحابة - الامام الحافظ شهاب الدين ابوالفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢هـ) مكتبة المثنى ،بغداد ، دار احياء التراث العربي ٠ بيروت ٠

١٣- الاعلام ،خير الدين الزركلي ، بيروت (ط ١٣٧٩ هـ/١٩٦٩م) ٠

١٤- اقبال اورقائد اعظم (الدكتور محمد اقبال والقائد الأعظم محمد علي جناح) الاستاذ احمد سعيد - اقبال اكادمي - جلبرك لاهور باكستان ط ١٩٧٧

١٥- الاقتصاد في الاعتقاد - حجة الاسلام محمد ابوحامد الغزالي الطوسي - المطبعة الادبية بمصر ٠

١٦- اقرب الموارد - العلامة السعيد سعيد الخوري الشرتوني اللبناني - مطبعة مرسلي اليسوعية ٠ بيروت (ط ١٩٧٩م ٠)

١٧- الانسان بين المادية والاسلام - محمد قطب - دار الاحياء الكتب الدينية - عيسى البابي الحلبي وشركاه ٠ القاهرة (ط - ١٩٦٥م)٠

١٨- انوار التنزيل واسرار التاويل (المعروف بتفسير البيضاوي) العلامة القاضي ناصر الدين ابوسعيد عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر (ط ١٣٧٥ هـ/١٩٥٥م)٠

١٩- باكستان ماضيها وحاضرها - الدكتور احسان حقي - دار النفائس للطباعة والنشر بيروت (ط ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م٠)

٢٠- البداية والنهاية - الامام ابوالفدا اسماعيل بن كثير (م ٧٧٤م) مكتبة المعارف ٠ بيروت (ط ١٩٧٧م٠)

٢١- البرهان في علوم القران - الامام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي - تحقيق : محمد ابوالفضل ابراهيم ٠ عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، (ط ١٣٩١هـ ٠)

٢٢- بيان القرآن - الشيخ اشرف علي التهانوي - تاج كمبيني ليمتد - لاهور ٠

٢٣- باكستان كى نظرياتى بنيادين - (المبادىء الفكرية لدولة باكستان) الدكتور وحيد قريشى - ايجوكيشنل ايمبوريم لاهور(ط ١٩٧٣م).

٢٤- باكستان مين ائين كى تدوين اورجمهوريت كامسئلة (مشكلة تدوين الدستور والديمقراطية فى باكستان) الاستاذ خورشيد احمد - مكتبة معاوية كراتشى ط ١٩٧٠م.

٢٥- باكستان ناگزير تها (كان لابد من الباكستان) سيد حسن رياض - جامعة كراتشى (ط ١٩٧٠م).

٢٦- باكستان مزدور تحريك - (حركة نقابة العمال فى باكستان) الاستاذ محمد شفيع ملك ، كراتشى .

٢٧- باكستانى عورت دوراهى پر (المرأة الباكستانية على مفترق الطرق) الشيخ امين حسن الاصلاحى - مركزى انجمن خدام القرآن - لاهور .

٢٨- بيپلز بارتى - مقاصد اور حكمت على (حزب الشعب لبوتو - سياسته واهدافه) جسارت برنٹرز كراتشى .

٢٩- تاريخ ادبيات مسلمانان پاك وهند (التاريخ الادبى لمسلمى باكستان والهند) جامعة بنجاب . لاهور ط ١٩٧٢م.

٣٠- تاريخ تعليم الهند (تاريخ التعليم فى شبه القارة الهندية) سيد نور الله وجى بى نائك - الترجمة باللغة الاردية : مسعود الحق . ساؤتهه ايشين ببلشرز - كراتشى (الطبعة الثانية ١٩٨١).

٣١- تاريخ هند وپاك - الشيخ المقرىء احمد بيلى بيتى - محمد سعيد ايند سنز كراتشى (تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية) ط ١٩٧٤.

٣٢- تاريخ جماعت اسلامى (تاريخ الجماعة الاسلامية) سيد اسعد جيلانى - المناره كسنتر المنصورة لاهور (ط ١٩٨٢).

٣٣- تاريخ الشعوب الاسلامية - الدكتور عبد العزيز سليمان نوار . دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت(ط . عام ١٩٧٣).

٣٤ - تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق - العلامة فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ط ١٩٧٤.

٣٥- تحريك آزادى هند اورمسلمان (حركة تحرير شبه القارة الهندية) الاستاذ المودودى اسلامك ببلى كيشنز ، لاهور (ط ١٩٧٤).

٣٦- تحريك اسلامى ايند ه لائحة عمل (منهج الحركة الاسلامية فى المستقبل) (الاستاذ المودودى - اسلامك ببلى كيشنز - لاهور .

٣٧- تحقيق الجهاد ، جراغ على - مطبعة رفاه عام ، لاهور ط ١٩١٢.

٣٨- تدبر قرآن (تدبر القرآن) الشيخ امين احسن الاصلاحى - مركزى انجمن خدام القرآن لاهور باكستان (ط . اغسطس ١٩٧٦).

٣٩- تذكرة دعاة الاسلام - الاستاذ المودودى - المكتب الاسلامى ، بيروت ، ط ١٣٩٥ .

٤٠- ترجمان القرآن - الشيخ ابوالكلام آزاد . شيخ غلام على ايند سنز ادبى ماركيت لاهور .

٤١-أ الترغيب والترهيب . الشيخ زكى الدين عبد العظيم عبد القوى المنذرى ، دار احياء الكتب العربية بمصر .

٤١ب التعريف عن مجمع المعارف الاسلامية - الاستاذ خليل الحامدى - مجمع المعارف الاسلامية بلاهور.

٤٢- تصريحات . الاستاذ المودودى . احباب ببلى كيشنز لاهور - باكستان ، (ط ١٩٧٩).

٤٣- تفسير الجلالين - الإمام جلال الدين المحلى والإمام جلال الدين السيوطى ، المكتبة الشعبية .

٤٤- تفسير الثنائى .الشيخ ثناء الله الامرتسرى . ثنائى اكادمى لاهور - باكستان (ط ١٩٧٧).

٤٥- تفسير القرآن العظيم . الحافظ عماد الدين ابوالفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى . دار احياء الكتب العربية .

٤٦أ - تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير المنار - الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا - دار المنار بمصر (الطبعة الرابعة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م).

٤٦ب - التفسير الماجدى . الشيخ عبد الماجد الدريا آبادى - تاج كمبنى - لاهور.

٤٧- التفسير والمفسرون . الدكتور محمد حسين الذهبى . دار الكتب الحديثة ، القاهرة (ط . ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م)

٤٨ - تفهيم القرآن - الاستاذ أبو الاعلى المودودى - المجلد الأول - مكتبة تعمير انسانيت - لاهور (ط ١٥ - ١٩٧٨م)
المجلد الثانى : ادارة ترجمان القرآن - لاهور (ط ١١/١٩٧٨)
المجلد الثالث: مكتبة تعمير انسانيت - لاهور (ط٩/١٩٧٦)
المجلد الرابع : " " " " (ط ٨/١٩٧٦.)
المجلد الخامس : ادارة ترجمان القرآن - لاهور - (ط ٦/١٩٧٨)
المجلد السادس : " " " " (ط ٧/١٩٧٨.)

٤٩- تفهيم القرآن وخصائصه - الاستاذ خليل احمد الحامدى (بحث صغير يشمل المحاضرة التى القاها الاستاذ خليل الحامدى حول هذا الموضوع فى احدى المؤتمرات . وهذا البحث لم يزل غير مطبوع حتى الآن) .

٥٠- التقرير عن أنشطة الجماعة الاسلامية بالهند - الامين العام للجماعة الاسلامية بالهند - نقلا عن المجلة الخاصة صدرت من قبل الجماعة الإسلامية بالهند فى ذكرى المؤتمر السنوى السادس عام ١٩٨١م.

٥١- التقرير عن خدمات الجماعة الاسلامية نحو المهاجرين الأفغان لعام ١٩٨٢م الاستاذ طفيل محمد أمير الجماعة الاسلامية بباكستان .

٥٢- تنوير القياس من تفسير ابن عباس . دار الكتب العلمية . بيروت .

٥٣- جامع الاصول فى احاديث الرسول - الامام مجد الدين ابو سعادات المبارك بن محمد ابن الاثير الجزرى (م ٦٠٦ هـ) تحقيق عبد القادر الارناؤوط - مكتبة الحلوانى (١٣٨٩ هـ/١٩٦٩م)

٥٥- جامع البيان فى تفسير القرآن - ابوجعفر محمد بن جرير الطبرى ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت (ط ٤ - ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م .

٥٦ - الجامع لاحكام القرآن - ابوعبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي - دار العلم (عام ١٣٨٦ هـ) .

٥٧ - جماعت اسلامى كى ٢٩ سال (الجماعه الاسلامية خلال تسعة وعشرين عاما) الاستاذ المودودى - قسم النشر والتوزيع للجماعة الاسلامية بباكستان (ط ١٩٧٠) .

٥٨ - جماعت اسلامى كامقصد ، تاريخ اورلائحه عمل (الجماعه الاسلامية - هدفها تاريخها وبرامجها) الاستاذ المودودى - قسم النشر والتوزيع للجماعة الاسلامية بباكستان .

٥٩ - الحجاب - الاستاذ ابوالاعلى المودودى - دار الانصار - القاهرة (١٩٧٧) .

٦٠ - الحضارة الاسلامية - اسسها ومبادئها - الاستاذ ابوالاعلى المودودى - دار الخلافة للطباعة والنشر - القاهرة .

٦١ - الحكم والدولة - الدكتور محمد المبارك - دار الفكر - بيروت - الطبعة الاولى (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م) .

٦٢ - الحلول المستوردة وكيف جنت على امتنا - الاستاذ الدكتور يوسف القرضاوى مكتبة وهبة - القاهرة (ط ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م) .

٦٢ ب - حوار بين الدعاة الاعلام - المودودى والندوى وسيد قطب - الاستاذ احمد محمد جمال - دار العروبة للدعوة الاسلامية . المنصورة ، لاهور (ط : ١٤٠١ هـ / ١٩٨١) .

٦٤ - الخرشى على مختصر سيدى خليل - دار صادر - بيروت .

٦٥ - خصائص التصور الاسلامى ومقوماته . الشهيد سيد قطب - الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م) .

٦٦ - خزائن العرفان على كنز الايمان - الشيخ محمد نعيم الدين المراد آبادى جاند كمبنى لاهور .

٦٧ - دائرة المعارف الاسلامية بالاردية - جامعه بنجاب - لاهور (الطبعة الاولى - ١٩٧١) .

٦٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

٦٩- دستور الجماعة الاسلامية بباكستان .(ط ١٩٨٢.)

٧٠- دورمغليه (العهد المغولي) صلاح الدين ناسك - عزيز بك يو - لاهور (ط ١٩٧٣.)

٧١- الربا . الاستاذ ابوالاعلى المودودي - ترجمة محمد عاصم الحداد - مؤسسة الرسالة . بيروت (١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.)

٧٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - العلامة محمود الآلوسي البغدادي - دار احياء التراث العربي . بيروت .

٧٣- رود كوثر - شيخ محمد اكرام - ادارة الثقافة الاسلامية - لاهور .

٧٤- روداد جماعت اسلامي (التقرير عن انشطة الجماعة الاسلامية) قسم النشر والتوزيع للجماعة الاسلامية .

٧٥- سفرنامه ارض القرآن (الرحلة الى أرض القرآن) الاستاذ محمد عاصم الحداد اسلامك بيلى كيشنز (لاهور - ط ١٩٦٨.)

٧٥م زاد المعاد في هدى خير العباد - ابن القيم الجوزية ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة .

٧٦- سنت كى آئينى حيثت (مكانة السنة في التشريع) الاستاذ المودودي - اسلامك ببليكيشنز - لاهور ط ١٩٧٠م.)

٧٧- سنن ابي داؤد - الامام الحافظ المصنف ابوداود سليمان السجستاني (م ٢٧٥ هـ) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد - دار احياء السنة النبوية

٧٨- سنن الترمذي - ابوعيسى محمد بن عيسى - تحقيق وتعليق : ابراهيم عطوة عوض - شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر (١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م.)

٧٩- سيد قطب الشهيد الحي - صلاح عبد الفتاح الخالدي - مكتبة الاقصى - عمان - الاردن (ط ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.)

٨٠- سيد مودودي - بجپن جواني - برهاپا - (الاستاذ المودودي - طفولته شبابه وشيخوخته) الاستاذ اسعد جيلاني - احباب ببليكيشنز - لاهور (ط ١٩٧٨م .)

٨١ - سيد ابوالاعلى المودودى - الشودرى عبد الرحمن عبد - اسلامك بيلى كشنز لاهور(ط ١٩٧٨م).

٨٢- السيرة النبوية لابن هشام - - - المعروف بسيرة ابن هشام.
تحقيق : مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى عبد الحفيظ السبكى . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر(ط ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).

٨٣- شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية - الامام الطحاوى تحقيق : احمد شاكر الناشر زكريا على يوسف . مطبعة العاصمة . الرياض .

٨٤- الصحاح - اسماعيل بن حماد الجوهرى - تحقيق عبد الغفور عطار ، القاهرة(ط ١٤٠٢هـ).

٨٥- صحيح البخارى- الامام ابوعبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى . دار مطابع الشعب - (ط ١٣٧٨).

٨٦- صحيح المسلم - الامام ابوالحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - دار احياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى - القاهرة .

٨٧ - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية . الاستاذ ابوالحسن على الندوى - دار الندوة للتوزيع - لبنان (الطبعة الثانية ١٣٨٨)

٨٨- ضياء القرآن - الشيخ القاضى محمد كرم شاه الأزهرى - ضياء القرآن ببلي كيشنز لاهور (١٤٠٠هـ).

٨٩- الطبقات الكبرى لابن سعد - محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى (م ٢٣٠هـ) دار صادر - بيروت .

٩٠- العلمانية - نشاتها وتطورها واثارها فى الحياة الاسلامية المعاصرة - سفر بن عبد الرحمن الحوالى - دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع - مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى - جامعة ام القرى بمكة المكرمة (ط ١٤٠٢هـ)

٩١- الغارة على العالم الاسلامي - أ - ل شا تليه - ترجمة محب الدين الخطيب - مكتبة اسامة بن زيد - بيروت .

٩٢- الغزو الفكري - اهدافه ووسائله - الدكتور عبد الصبور المرزوق - شركة مكة للطباعة والنشر - من منشورات رابطة العالم الاسلامي (- الطبعة الثانية)

٩٣- الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام - د .عبد الستار فتح الله - ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض.

٩٤- الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام - الدكتور علي عبد الحليم محمود - ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض - (١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.)

٩٥- فتح الباري - حافظ بن حجر العسقلاني - رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد - تحقيق : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - (ط : عام ١٣٧٩هـ) .

٩٦- فتح المنان المعروف بالتفسير الحقاني - الشيخ عبد الحق الحقاني الدهلوي - مكتبة العزيزية - اردو بازار - لاهور - باكستان .

٩٧- فتح القدير - الامام كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفي السيواسي الاسكندري - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر (ط / ١٣٧٩هـ.)

٩٨- فتح القدير - الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر (ط ١٣٨٣هـ.)

٩٩- فتوح البلدان - احمد بن يحيى بن جبير البلاذري - تحقيق : عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع - دار النشر للجامعيين (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م).

١٠٠- فرقة اهل القران بباكستان وموقف الاسلام منها - رسالة الماجستير للطالب خادم حسين الهي بخش - جامعة ام القرى للعام الدراسي ١٤٠٠/١٤٠١هـ.

١٠١- الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار - الدكتور محمد البهى - مكتبة وهبة بمصر (ط ٨ / ١٣٩٥هـ) .

١٠٢ فى ظلال القرآن - الشهيد سيد قطب - دار الشروق - بيروت (ط ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م) .

١٠٣ القاديانى والقاديانية - الشيخ ابوالحسن على الندوى - الدار السعودية للنشر / جدة (ط ١٩٦٧م) .

١٠٤ قافلة سخت جان (ركب الصمود) الاستاذ اسعد جيلانى - حلقة ادب اسلامى سرگودها ، باكستان .

١٠٥- القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى - دار الجيل بيروت .

١٠٦ - قرار هيئة جائزة الملك فيصل العالمية الصادر فى ٢ ربيع الثانى عام ١٣٩٩هـ .

١٠٧ القرآن الكريم .

١٠٨- الكافى فى فقه الامام احمد بن حنبل - ابومحمد موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسى - المكتب الاسلامى - بيروت (الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ) .

١٠٩- كتاب الافصاح عن معانى الصحاح - يحيى بن محمد بن هبيره (م: ٥٦٠هـ) المؤسسة السعيدية بالرياض (١٣٩٨هـ) .

١١٠- كتاب الكبائر - الامام ابوعبدالله محمد شمس الدين الذهبى (م ٧٤٨هـ) (دار الوعى العربى ، حلب ، سوريا .

١١١- الكتاب المقدس ، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة . بيروت .

١١٢- كتاب الاحتجاج - ابومنصور احمد بن ابى طالب الطبرسى - قم إيران - (١٣٠٢هـ) .

١١٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل لابى القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشرى - / دار الفكر - بيروت .

١١٤- لسان العرب - العلامة ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى - دار صادر بيروت (ط:١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

١١٥- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - الاستاذ ابوالحسن على الندوى - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت (الطبعة التاسعة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

١١٦- ماهى القاديانية؟ الاستاذ ابوالاعلى المودودى - دار القلم . الكويت - (ط:١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م).

١١٧- مباحث فى علوم القرآن - الدكتور صبحى الصالح - دار العلم للملايين (الطبعة السادسة - ١٩٦٩م .)

١١٧- مباحث فى علوم القرآن - الدكتور صبحى الصالح - دار العلم للملايين (الطبعة السادسة ١٩٦٩م.)

١١٨- مبادئ الاسلام - الاستاذ المودودى - مؤسسة الرسالة (ط ٣٣/ عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

١١٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - حافظ نورالدين على بن ابى بكر الهيثمى - (م ٨٠٧ هـ) دار الكتاب - بيروت (الطبعة الثانية ١٩٦٧م).

١٢٠- مجموعة رسائل الامام حسن البنا الشهيد - الامام حسن البنا الشهيد ، المؤسسة الاسلامية للطباعة والنشر - بيروت .

١٢١- المحلى - الامام ابومحمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسى - المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .

١٢٢- المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام - الشيخ محمد محمود الصواف . مكتبة الجيل ، مكة المكرمة .

١٢٣- مذكرات الدعوة والداعية - الامام حسن البنا الشهيد - مؤسسة الرسالة بيروت - (ط: ١٩٦٦م .)

١٢٤- مسألة كشمير (قضية كشمير المسلمة) الاستاذ ابوالاعلى المودودى - جمعية الطلبة الاسلامية - لاهور (ط: ١٩٨١م).

١٢٥- مسألة ملكية الارض فى الاسلام - الاستاذ المودودى - ترجمة محمد عاصم الحداد - دار العروبة للدعوة الاسلامية - لاهور (ط ١٩٦٩م).

١٢٦- المستدرك على الصحيحين - ابوعبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى عام ٤٠٥ هـ - مكتبة ومطابع النصر الحديثة .

١٢٧- مسلم ليك كادور حكومت (حكومة حزب رابطة المسلمين فى باكستان) - الدكتور صفدر محمود - شيخ غلام على انيد سنز - لاهور (ط ١٩٧٤م)

١٢٨- مستقبل الثقافة فى مصر - الدكتور طه حسين - القاهرة (مصر).

١٢٩- مسند الامام احمد بن حنبل - المكتب الاسلامى . بيروت .

١٣٠- مشرق باكستان كى علحدگى دردناك كهانى (اضواء على حادث انفصال باكستان الشرقية) (رانا رحمان ظفر - ايشين ببلشرز - لاهور ط ١٩٧٦)

١٣١- مشروع خدمة الجهاد الاسلامى الافغانى فى مجال الاعلام - الاستاذ طفيل محمد امير الجماعة الاسلامية بباكستان .

١٣٢- المصطلحات الاربعة فى القرآن - ابوالاعلى المودودى - المترجم / محمد كاظم سباق - دار القلم - الكويت / ط ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.

١٣٣- معارف القرآن - الشيخ المفتى محمد شفيع - ادارة المعارف - كراتشي باكستان (ط ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م).

١٣٤- معالم التنزيل - ابومحمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى (على حاشية تفسير الخازن) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى - ط ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م).

١٣٥- مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة - الاستاذ المودودى - المترجم : الاستاذ خليل الحامدى - دار القلم - الكويت ط ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م).

١٣٦- مفاتيح الغيب المعروف بتفسير الكبير او بتفسير الفخر الرازى - الامام محمد الرازى فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (ط ١٩٨١م .)

١٣٧- مقالات سرسيد الجمع والتدوين : الشيخ محمد اسماعيل بانى بتى - مجلس ترقى ادب لاهور (ط ١٩٦١) .

١٣٨- مقالات ضياء الامة - الشيخ القاضى محمد كرم شاه الازهرى - ضياء القرآن ببلى كيشنز - لاهور . (ط : ١٤٠٢ / ١٩٨٢) .

١٣٩- مكاتيب (رسائل الاستاذ المودودى) الجمع والتدوين : الاستاذ عاصم النعمانى - اسلامك ببلى كيشنز - لاهور (ط ١٩٧٢م) .

١٤٠- معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - المكتبة العربية بدمشق .

١٤١- مقدمة التفسير (الجزء الثالث عشر من فتاوى الامام ابن تيمية) الجمع والترتيب : عبد الرحمن بن محمد قاسم الحنبلى (ط / ١٣٩٨ هـ) .

١٤٢- مناقب الامام الاعظم - ابن احمد المكى - دار المعارف العثمانية - حيدرآباد - (عام ١٣٢١ هـ)

١٤٣- منحة المعبود فى ترتيب مسند ابى داود الطيالسى . التحقيق : احمد عبد الرحمن البنا الساعاتى - المطبعة المنيرية بالازهر . ط ١٣٧٢ هـ .

١٤٣م موج كوثر (موج الكوثر) - شيخ محمد اكرام - اداره الثقافة الاسلامية ، لاهور .

١٤٤- الموسوعة العربية - نجيب فرنجية وفريق من الاساتذة - دار الريحانى للطباعة والنشر - بيروت (ط ١٩٥٥ .)

١٤٥- الموسوعة العربية الميسرة - محمد شفيق غربال - دار الشعب للطباعة والنشر (ط : ١٩٥٩) .

١٤٦- الموطأ - الامام مالك بن انس رحمة الله - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه (ط ١٣٧٠ هـ / ١٩٧١) .

١٤٧- موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ - احمد العوايشة ؛ دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع - جامعة ام القرى - مركز البحث العلمى ط ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٤٨- مولانا مودودى اپنى اور دوسروں كى نظر ميں (الاستاذ المودودى - كما يتحدث عن نفسه وكما يتحدث عنه الآخرون) الجمع والترتيب : الاستاذ محمد يوسف - مكتبة الحبيب - لاهور (ط ١٩٥٥م).

١٤٩- مولانا مودودى كى انترويو (مقابلات الاستاذ المودودى الصحفية) ابوطارق اسلامك ببلى كيشنز - لاهور (ط ١٩٧٦م).

١٥٠- المهذب فى فقه الامام الشافعى - ابواسحاق ابراهيم بن على بن يوسف الفيروزابادى الشيرازى - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت (ط ١٣٧٩/ ١٩٥٩م).

١٥١- نحن والحضارة الغربية - الاستاذ ابوالاعلى المودودى - مؤسسة الرسالة بيروت .

١٥٢- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر - الشريف عبد الحى الحسنى - مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد . الهند .

١٥٣- نشأة باكستان - سيد شريف الدين بير زاده - الدار السعودية للنشر والتوزيع ط ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م. - ترجمة عادل الاصلاحى

١٥٤- نظام القرآن وتاويل الفرقان - الشيخ حميد الدين الفراهى - ترجمة : الشيخ امين احسن الاصلاحى ؛ انجمن خدام القرآن - لاهور - (ط ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

١٥٥- نظرة عابرة على الجماعة الاسلامية - باكستان - الاستاذ خليل الحامدى - دار العروبة للدعوة الاسلامية المنصورة - لاهور (ط عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

١٥٦- نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور - الاستاذ المودودى - مؤسسة الرسالة - (ط ١٤٠٠هـ) .

١٥٧- نورالعرفان فى حاشية القرآن - الشيخ احمد يارخان - بنجاب ، بريس لاهور (ط ١٣٧٧هـ) .

١٥٨- نهاية المحتاج الى شرح المنهاج - محمد بن ابى العباس الشهير بالشافعى الصغير (م ١٠٠٤هـ) شركة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر (ط ١٣٩٦ هـ/ ١٩٦٧م) .

١٥٩- واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم . الاستاذ المودودى - مؤسسة الرسالة بيروت (ط ١٣٩٨هـ) .

١٦٠- وسائل مقاومة الغزو الفكرى - د . حسان محمد حسان . الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامى - مكة المكرمة .

١٦١- هندوستانى مفسرين اوران كى عربى تفسيرين (المفسرون الهنود وتفاسيرهم فى اللغة العربية) مكتبة الجامعة . دهلى (ط ١٩٧٣) .

١٦٢- هندوستان ميں سلمانون كا نظام تعليم وتربيت (المنهج التعليمى لمسلمى الهند) الشيخ مناظر احسن جيلانى - مطبعة انتظامى ، حيدر آباد الهند .

١٦٣- ياد أيام (ذكريات من التاريخ) الشيخ عبد الحى الحسنى - شاهى بريس لكهنو - الهند .

. . .

٢ - المجلات والجرائد :

١- مجلة آئين الاسبوعية الصادرة من لاهور بباكستان - الاعداد
١٧/١٠/١٩٦٤م
٢٩/٨/١٩٦٩م
٣٠/٩/١٩٦٩م
٦/٦/١٩٧٠م.

٢ - مجلة ائين الاسبوعية الصادرة من لاهور، عدد خاص في مناسبة اكمال تفهيم القرآن ديسمبر ١٩٧٥م.

٣- مجلة تشفشان ، الاسبوعية الصادرة من لاهور عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودي لشهر نوفمبر ١٩٧٩م.

٤ - مجلة اردو دائجست - الشهرية الصادرة من لاهور باكستان لشهر اغسطس عام ١٩٧٩م. ولشهر مارس ١٩٨٢ الميلادي.

٥ - مجلة الاعتصام المصرية لشهر محرم عام ١٤٠١ هـ الموافق لشهر ديسمبر عام ١٩٨٠ الميلادي.

٦ - مجلة "ايشيا" الاسبوعية الصادرة من لاهور عدد ١٥/٩/١٩٦٥م.

٧ - مجلة "البلاغ" الاسبوعية الصادرة من الكويت عدد ٧٠٦ والتاريخ ٢٨/٨/١٩٨٣م.

٨ - مجلة "جراغ راه" الشهرية الصادرة من كراتشي عدد خاص عن الحركة الاسلامية في شبه القارة الهندية لشهر نوفمبر عام ١٩٦٣م.

٩ - مجلة "جراغ راه" الشهرية الصادرة من كراتشي عدد خاص عن نظرية باكستان الاساسية.

١٠- مجلة "جراغ راه" لشهر اكتوبر عام ١٩٥٣م.

١١- جريدة "جسارت" اليومية الصادرة من كراتشي عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودي رحمه الله

١٢- مجلة "السيارة" الشهرية عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودي رحمه الله لشهري ابريل ومايو عام ١٩٨٠م.

١٣- مجلة "سيارة دائجست" الشهرية الصادرة من لاهور باكستان عدد خاص عن القرآن وعلومه لشهر نوفمبر ١٩٦٩م.

١٤-أ) مجلة "سيارة دائجست" الشهرية الصادرة من لاهور عدد خاص في ذكرى الاستاذ المودودي لشهر ديسمبر ١٩٧٩م.

١٤-ب) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٥٩.

١٥- مجلة "المعارف" الشهرية الصادرة من اعظم كره الهند لشهر مارس عام ١٩٦٧م (المقالة بعنوان : شيخ معين الدين كشميرى اور ان كــــى تصانيف).

٣ - المصادر والمراجع باللغة الانجليزية

1) Conflict crisis and war in Pakistan ,
Dr. Kalim Siddiqui
Macmillan, London (1971).

2) Maulana Maududi — Sarawat Saulat,
International Islamic Publications, Karachi
(First Edition - 1979).

3) Quad-e-Azam and Muslim Economic Resurgence
- Mahud Ali
Amir. Publications. Lahore(First Edition - 1977).

4) Religion and Politics in Pakistan,
University of Califorina Press (1961).

فهرس الموضوعـــــات

الموضـــــــوع	الصفحـــة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحـــــة

الموضـــــوع	الصفحـــة

الموضـــــوع	الصفحــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الباب الثانـــــي

الموضـــــــوع	الصفحـــــة

الموضـــــوع	الصفحـــة

الموضـــــوع	الصفحـــة

الموضـــــــوع	الصفحـــة

الموضـــــــــــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـة

—•—